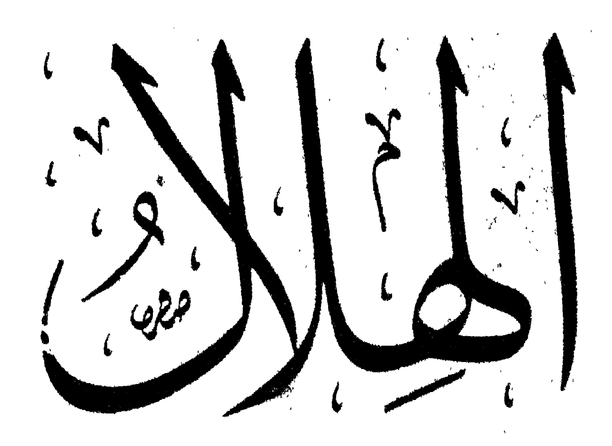


مجلة تاريخية اجتماعية علمية ادبية صحية

سنتها عشرة اشهر

وتعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب تهديه الى المشتركين في آخر السنة

لمنشئها

جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ٨٠ غرشاً في القطر المصري و ١٠٠ غرش في الخارج تدفع سلفاً

AL-HILAL

Social, Historical, Scientific & Literary Review

EDITED BY

GEORGE ZAIDAN *M. R. A. S.*

SUBSCRIPTION: 26 Frs. OR 5 DOLLARS PER ANNUM

Vol. XXI. N° 1

1 October. 1912

AL-HILAL Printing Office, Cairo.

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر

﴿ ديوان ابن الفارض ﴾ ثمنه مجلداً ٤ غروش [illegible]

وكالة الهلال في الولايات المتحدة

نرجو مشتركي الهلال بالولايات المتحدة وكندا والمكسيك وكوبا وكل الجهات المجاورة
ان يدفعوا الاشتراك الى وكيلنا الخواجه توفيق حبيب بنيويورك وهذا عنوان حضرته

Mr. T. Habib　　60—62 Washington St
New York, N. Y. u. s. a.

اراضى للمبيع

في جهات قريبة واسعار موافقة

يوجد قطعتا ارض قرب المدرسة التوفيقية بشبرا ومثلها قرب محطة سكا كيني
فمن رام مشترى شيء من ذلك فليخابر ادارة الهلال بمصر

تاريخ دول الاسلام

(تأليف رزق الله منقريوس الصدقي بالمنيا)　　١-٢٠

اوفى كتاب ظهر في هذا الموضوع حتى الآن اذ جمع بين دفتيه تاريخ سبع وسبعين دولة من اشهر الدول الاسلامية من زمن النبي « صلعم » الى الآن في الهند وافغانستان والعجم وبلاد العرب وسوريا ومصر وتونس والجزائر ومراكش والاندلس (اسبانيا) وتاريخ الدولة العلية بالتفصيل التام والحروب الصليبية الخ الخ وهو في ثلاثة اجزاء كبيرة مجموع صفحاتها ١٢٢٨ وبها ٥٧ رسماً وثمنه خمسون غرشا وأجرة البريد اربعة غروش لداخل القطر و٣ فرنكات للخارج وهو يطلب من المؤلف بالمنيا ومن مكاتب الهلال والهنديه والعباسية والكمال بمصر وجورج غرزوزي بالاسكندرية والجامعة والعمومية ببيروت ومن Luzac & Co. بلندن Parker & Son, باكسفورد

تاريخ الحروب الصليبية

وقد زيناه بصور ملوك المسيحيين وملوك الاسلام وبصور آلات الحرب التي كانت مستعملة حينذاك مما زاده رونقاً وبهاء وقد جعلنا ثمنه ١٢ غرشاً صاغاً ويطلب من ادارة ومكتبة الهلال بالفجالة بمصر وأجرة البريد غرشان صاغاً

(سقوط نابليون) (رواية) تعريب نقولا رزق الله في ٣ اجزاء ثمن الجزء الواحد ١٠ غروش صاغ والبريد غرش ونصف بادارة الهلال بالفجالة بمصر

الهلال

الجزء الاول من السنة الحادية والعشرين

اول اكتوبر (ت ١) سنة ١٩١٢ و٢٠ شوال سنة ١٣٣٠

فاتحة السنة الحادية والعشرين

سنة الهلال

دخل الهلال في السنة الاولى من العقد الثالث من حياته وهو بحمد الله وموازرة الادباء واقبال القراء يزداد نموًا واشراقاً . ونحن لا ندخر وسعاً في انتقاء مواضيعهِ مع مراعاة اللذة والفائدة على اسلوب يسهل تناوله . ومن يتتبع تاريخ الهلال من اول صدوره يرَ انه تمشى في حياته على ما يلائم حاجة قرائهِ . لانهُ انما انشئ لخدمتهم فتنوَّعت مواضيعه بتنوع حاجاتهم وارتقت مندرجاته بارتقاء طبقاتهم . فقد نشأ في اثناء هذه العشرين سنة طبقات من الادباء تخرجوا في المدارس العليا وتفقهوا بالعلوم الحديثة . فلا يرضيهم ما كان يرضي آباءهم من المبادئ البسيطة . وتولد في القراء على الاجمال ميل الى الابحاث الفلسفية في التاريخ والاجتماع والاقتصاد وغيرها . ونحن في اثناء ذلك نتدرَّج في طرق هذه المواضيع مع ما تقتضيه الاحوال من البحث في الشؤون التي تتطلب الحوادث الجارية الخوض فيها

وسنتوخى من الآن فصاعداً التوسع في الابحاث الاجتماعية والاقتصادية فضلاً عن التاريخ وفلسفته والتهذيب والاخلاق مما تمسُّ الحاجة اليهِ في نظام اجتماعنا والله الموفق في كل حال



البرنس يوسف عز الدين

ولي عهد السلطنة العثمانية

اولاً – فرنسا

١ نظام حكومتها

تقلب نظام الحكومة الفرنساوية على اوجه شتى واستقر في ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠ على الجمهورية . وتثبت ذلك في ١٦ يوليو سنة ١٨٧٥ بقانون دستوري تعدّل بعض التعديل بعد ذلك . وهو يقضي ان ترجع قوة التشريع الى مجلس الامة ومجلس الشيوخ وقوة التنفيذ الى رئيس الجمهورية والوزارة

وهم ينتخبون رئيس الجمهورية كل سبع سنوات باغلبية الاصوات ولانتخابه يجتمع المجلسان المذكوران في الجمعية العمومية . وعليه تنفيذ ما يقررانه او يشرعانه . وهو يشكل الوزارة من المجلسين ويجوز ان يكون بعض الوزراء من غير اعضائها . وهو يعين الموظفين الملكيين والعسكريين ويعقد المعاهدات مع الدول الاخرى . لكنه لا يقدر ان يعقد معاهدة تتعلق بمساحة ارض فرنسا او مستعمراتها الا بمصادقة القوة التشريعية . ولا يجوز له ان يعلن حرباً الا بموافقة المجلسين . وكل عمل من اعمال الوزارة يجب ان يمضيه رئيس الجمهورية مع احد الوزراء . ويستطيع هذا الرئيس بالاتفاق مع مجلس الشيوخ ان يحل مجلس النواب

والوزارات او النظارات ١٣ نظارة هي : الداخلية والمالية والاشغال العمومية والحربية والبحرية والحقانية والمستعمرات والمعارف العمومية والخارجية والتجارة والزراعة والعمال والاديان

وينتخب النواب لاربع سنوات بالتصويت العام وكل فرنساوي من غير الجند بلغ الحادية والعشرين من عمره له حق التصويت في الانتخاب بشرط ان يثبت اقامته ستة اشهر في البلد الذي يريد ان يصوت لنائبه . اما النائب فيجب ان يكون سنه ٢٥ سنة على الاقل . وعدد النواب الان ٥٨٤ نائباً وعدد المنتخبين بين عشرة ملايين وسبعة ملايين . ومجلس الشيوخ مؤلف من ٣٠٠ عضو ينتخبون لتسع سنوات من اعيان الفرنساويين ولا يكون سن احدهم اقل من ٤٠ سنة . يتقاعد ثلثهم كل ثلاث سنين وينتخب غيرهم. وانتخاب الشيوخ منوط بلجنة مؤلفة من مندوبين عن مجالس البلدية في الولايات على نسبة عدد سكانها ومن النواب . فينتخبون ٢٢٥ شيخاً ينوبون عن الولايات يضاف اليهم ٧٥ شيخاً ينتخبون لطول الحياة باجماع المجلسين . ولا يجوز انتخاب احد من اعضاء الاسرة الملكية (المخلوعة) في احد المجلسين

. ممالك

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال في هذا العام

تمهيد

قضينا صيف هذا العام في اوربا بين فرنسا وانكلترا وسويسرا وتنقلنا في اهم مدائنها فزرنا مرسيليا وليون وباريس ولندن وكمبريدج ومنشستر واوكسفورد وجنيف ولوزان وافيان . ودرسنا احوالها وتفقدنا متاحفها ومكاتبها وآثارها . وتوخينا النظر على الخصوص في ما يهمّ قراء العربية من احوال تلك المدنية التي اخذنا في تقليدها منذ قرن كامل ونحن نتخبط في اختيار ما يلائم احوالنا منها . وسننشر في ما يلي خلاصة ما بلغ اليه الامكان من ذلك الدرس

ونقتصر من ذلك على ما يهم القارىء الشرقي من حيث حاجته الى تحدي مدنية اولئك القوم في نهضته هذه . ونبين ما يحسن او يقبح من عوامل تلك المدنية بالنظر الى طبائعنا وعاداتنا واخلاقنا

وسنغفل سياق الرحلة فلا نذكر رحيلنا او نزولنا وما لاقيناه او كابدناه في اثناء ذلك على ما جرت به عادة اهل الرحلة اذ ليس غرضنا ان يكون ما نكتبه دليلاً للراحلين في السفر والنزول ومعرفة الطرق والمسافات والاجور . وانما نريد ان نمثل للقاريء ما طبع في ذهننا باثناء هذه الرحلة بعد اعمال الفكرة في احوال تلك الامم . ولذلك نقسم الكلام الى ثلاثة اقسام باعتبار الممالك التي زرناها على ترتيب تلك الزيارة فنبدأ بفرنسا فانكلترا فسويسرا

وقدرها غيره باكثر من ذلك فبلغ مجموعها في تقدير جويو ٩٥٢٠ مليون جنيه . ثم دخل فرنسا السنوي في تقدير ليروا بوليو ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه ثلاثة اسه من نتاج العمل الشخصي

وفي كل حال فان الفرنساويين مشهورون بالاقتصاد والاحتفاظ بالمال . والفقر المدقع عندهم اقل كثيراً مما في سائر الممالك الكبرى . وفرنسا كثيرة المعامل واسعة التجارة لها في الصناعة الدقيقة القدح المعلى ولبضائعها شهرة طائرة في الجمال وسلامة الذوق هي قدوة الامم المتمدنة في الازياء من الملابس وغيرها . وعاصمتها باريس مرجع امم الارض في كل ذلك مما هو مشهور لا يحتاج الى بيان . وسنعود اليه عند الكلام على الاحوال الاجتماعية

اما مالية الحكومة الفرنساوية فبلغ دخلها للسنة الماضية ١٧٠٧٠٧٠٥٤ جنيهاً منها ٥١ مليون جنيه دفعت عن الدين و٣٥ مليوناً للحربية و١٦ مليوناً للبحرية

٣ حالتها الاقتصادية

فرنسا ارض زراعية خصبة تزيد مساحة ما يزرع منها على ١٣٠٠٠٠٠٠٠ قصبة . واكثر حاصلاتها الحنطة والكرم والعلف والبطاطس . وللخمور غلة كبرى بلغت قيمتها سنة ١٩١٠ نحو ٣٨٠٠٠٠٠٠ جنيه . وفيها من الماشية والحيوانات الاهلية كما يأتي :

عدد	
٣١٣٣٦٥٠	خيول
١٩٤٠٠٠	بغال
٣٦٣٠٠٠	حمير
١٤٢٣٤٠٠٠	ماشية من البقر ونحوها
١٧٤٥٠٠٠٠	« من الغنم
٧٢٠٢٠٠٠	خنازير
١٤٢٤٠٠٠	ماعز

اما الصناعة فالحرير له سوق رائجة عندهم وقد بلغ عدد المشتغلين في تربية دود القز سنة ١٩٠٨ نحو ١٢٣٨٠٠ عامل . ومقدار البزر الذي استولدوه ١٨٧٠٠٠ اوقية وبلغ محصولها ٨٤٠٩٢٩٩ كيلوغراماً من الشرانق

الراتب واحد للنواب والشيوخ فيستولي النائب او الشيخ على ١٥٠٠٠ فرنك في السنة (نحو ٦٠٠ جنيه) واما رئيس المجلس فيأخذ فوق ذلك ٧٢٠٠٠ فرنك (نحو ٢٨٤٠ جنيهاً) للنفقات . ويسافر اعضاء المجلسين في السكك الحديدية بنفقات زهيدة . وراتب رئيس الجمهورية ٦٠٠٠٠٠ فرنك او نحو ٢٤٠٠٠ جنيه . ونحو هذا المبلغ للنفقات الرسمية

وعندهم مجلس للشورى انشأه نابوليون الاول ولا يزال باقياً يرأسه ناظر الحقانية . وهو مؤلف من مستشارين قضائيين وعلماء في القضاء للنظر في ما تعرضه عليهم الحكومة واكثره يتعلق بالادارة ونحوها

٢ عمرانها

فرنسا قدوة الممالك المتمدنة في روح المدنية الحديثة واكثرهن احتكاكاً بالشرق الادني . وكنا الى عهد غير بعيد لا نعرف سواها قدوة لنا في احوالنا الاجتماعية والادبية والسياسية والقضائية ولا نزال اكثر معرفة بها مما بسواها

مساحة مملكة فرنسا ٢٠٧٠٥٤ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٣٩٣٧٦٠٠٠ نفس منهم نحو ٣٠٠٠٠٠٠٠ نفس من اهل الفلاحة والباقون من سكان المدن يتعاطون الصنائع والمهن والوظائف والمصالح . وفيها ستون مدينة سكان كل منها فوق ٣٥٠٠٠ نفس اكبرها باريس عدد سكانها ٢٨٤٦٩٨٦ نفساً فرسيليا ٥١٧٤٩٧ فليون ٤٧٢١١٤ نفساً . ثم تأتي بوردو وليل وتولوز وغيرها الى روان وسكانها ٣٥٥١٦ نفساً

وفرنسا من اكبر ممالك اوربا ثروة نعني اهل فرنسا فانهم يعدون في مقدمة الامم من حيث الثروة الخصوصية . واختلف الباحثون في مجموع تلك الثروة فوجد المسيو دي فوفيل الباحث الاجتماعي ان فرنسا تقدر قيمتها على هذه الصورة :

جنيه	
٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ارض زراعية
٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ابنية
٢٠٠٠٠٠٠٠٠	نقدية
٢٨٠٠٠٠٠٠٠٠	ضمانات وتأمينات
٤٠٠٠٠٠٠٠٠	ادوات زراعة ومواش ونحوها
٦٨٠٠٠٠٠٠٠	ممتلكات اخرى
٩٠٨٠٠٠٠٠٠٠	

وغرينوبل وليل وليون ومونبليه ونانسي وبواتيه ورين وطولوز

٢ مدارس الطب : هي سبع مدارس في باريس ومونبليه وبوردو وليل وليون وطولوز ونانسي

٣ كليات العلوم : هي ١٥ كلية في باريس وبزانسون وبوردو وكاين وكليرمون وديجون وغرينوبل وليل وليون ومارسليا ومونبليه ونانسي وبواتيه ورين وطولوز

٤ كليات الآداب : هي ١٥ ايضاً في المدن التي تقدم ذكرها

غير المدارس التجهيزية او التي يراد بها التبحر في بعض العلوم الخاصة . اما عدد المتخرجين في هذه المدارس فهاك اجمالهم حسب المواضيع لسنة ١٩١٠

عدد التلامذة	
١٦٩١٥	في الحقوق
٨٠٢٦	« الطب
٦٢٨٧	« العلوم
٦٣٦٣	« الآداب
٣٤٥٠	« الصيدلة وغيرها
٤١٠٤٤	

وهذا العدد من طلاب العلوم العالية في الكليات الاميرية منه ٣٥٨٠٠ طالب من الفرنساويين و٥٢٤٤ من الاجانب . بينهم جميعاً ٣٨٣٠ من النساء ثلثاهنَّ من الفرنساويين

وهناك مدارس عالية غيراميرية : منها في باريس الكلية الكاثوليكية لتعليم الحقوق والاداب العالية . ومدرسة التعليم الحرالعالي . والكلية الحرة لتعليم العلوم السياسية . وفي انجرس مدارس للاهوت والحقوق والعلوم والاداب والزراعة . ومثل ذلك في ليون وليل ومرسيليا وطولوز. والمدارس الاميرية تمنح تلامذتها رتباً علمية هي (١) البكالوريا العلمية (٢) شهادة الحقوق (اللسانس) (٣) الدكتورية . وتمنح رتبة استاذ للتعليم الثانوي والعالي

وفي فرنسا غير ما تقدم من المدارس العالية مدارس كبرى تابعة لنظارة المعارف اشهرها :

١ كلية فرنسا Collège de France اسسها فرنسيس الاول سنة ١٥٣٠ وهي ارقى مدارس فرنسا على الاطلاق يعلم فيها ٥٠ فرعاً من اعلى طبقات العلم في

وفي فرنسا كثير من المناجم المعدنية تناهز ٦٠٠ منجم فيها ٢٣٠٠٠٠ عامل وفيهم النساء والاولاد . وبلغت غلة هذه المناجم نحو ٢٦٦٥٦٠٠٠ جنيه اكثرها من الفحم والحديد

وهي كثيرة المعامل على اختلاف انواعها اهمها معامل نسج القطن والصوف والحرير ومصانع الادوات الحديدية وادوات البناء وهاك اهم المعامل وعدد عمالها :

عدد العمال		عدد العمال	
١٦٧٢٠٠	معامل لنسج القطن	٥٥٠٠٠٠	عملة ادوات البناء
١٧١٠٠٠	« « الصوف	١٥٦٠٠٠	معامل الدنتلاّ وتوابعها
١٢٣٠٠٠	« « الحرير	٩٣٨٠٠٠	« الملبوسات على انواعها
١٦٦٠٠٠	« لصنع الخزف	٧٠٤٠٠٠	للمصنوعات الخشبية
٥٧٠٠٠٠	للمصنوعات الحديدية	٣٣٤٠٠٠	« الجلدية

ومن اهم حاصلات فرنسا السكرفان لهُ ٢٥١ معملاً وتبلغ غلتهُ في العام نحو مليون طن . وكذلك الكحول فان غلتهُ تزيد على ٤٥ مليون جالون . غير غلة المصائد ونحوها

اما التجارة فلفرنسا شأن كبير فيها وقد بلغت قيمة صادراتها لسنة ١٩١٠ نحو ٢٢٠ مليون جنيه ووارداتها ٢٧٠ مليوناً

٤ حالتها العلمية

ان آداب اللغة الفرنساوية اشهر من ان تعرف . ولا يفي بوصفها الا المجلدات لكثرة من نبغ فيها من العلماء والادباء والشعراء . وبكثرة ما فيها من الصحف والمجلات على اختلاف مواضيعها وقد اشرنا الى ذلك مراراً في الهلال . وانما نريد هنا حالها من حيث التعليم والمدارس

ان للحكومة الفرنساوية عناية كبرى في التعليم تنفق في سبيل ذلك الاموال الطائلة على يد نظارة المعارف . والمدارس عندها طبقات : مكاتب (كتاتيب) ومدارس ابتدائية وثانوية وعالية . فنكتفي بقذلكة في التعليم العالي الذي يلقى في الجامعات الكبرى وفي الكليات الخاصة ونحوها . وهو حرٌّ مطلق بناءً على قرارات رسمية صدر آخرها سنة ١٨٩٧ والجامعة عندهم تحتها كليات او مدارس تختلف اسماؤها باختلاف مواضيعها هاك اشهرها

١ مدارس الحقوق : هي ١٣ مدرسة في باريس واكس وبوردو وكاين وديجون

عندنا مثلها . على ان مدارسنا هذه احط كثيراً من امثالها عند الفرنساويين والابتدائية منها اقل كثيراً من المدارس الابتدائية عندهم والمدارس الثانوية كذلك . وحامل البكالورية المصرية اقل معرفة من حامل البكلورية الفرنساوية . فالتعليم عندنا ضعيف جدًّا من كل وجه وسنفرد فصلاً خاصاً في هذا الموضوع . وانما يكفي في هذا المقام ان نبين تقاعد حكومتنا او اغنيائنا عن التعليم . ولا يحتج علينا بصغر مصر بالنسبة الى فرنسا فان سكان مصر يناهزون ثلث سكان فرنسا ومع ذلك فالحكومة لا تنفق على التعليم عشر ماتنفقه فرنسا . ان ميزانية المعارف الفرنساوية ١١٥٥٧٠٠٠ جنيه فكم هي ميزانية حكومة مصر للمعارف ؟ انها نحو نصف مليون

وقد يحتجون بتقصير المالية المصرية عن المالية الفرنساوية لان الميزانية الفرنساوية ١٧٠ مليون جنيه والمصرية اقل من عشر هذا المبلغ فلا عجب اذا دفعت المعارف عشر ما تدفعه فرنسا ولكن فرنسا تدفع من ماليتها اموالاً لا تدفع مصر شيئاً منها فالفرنساويون ينفقون على الحربية نحو ربع ميزانيتهم . واما مصر فربع ميزانيتها يكفي لنفقات كل نظاراتها وفرنسا تدفع نحو ثلث دخلها لوفاء الدين واما مصر فتدفع خمس دخلها فقط لهذا الغرض ومع ذلك فهي تنفق على المعارف ١/٢٠ مما تنفقه فرنسا

وفي فرنسا جمعيات علمية (اكاذيميات) عديدة لكل فرع من فروع العلم اهمها الاكاذيمية العلمية او اكاذيمية العلوم . واكاذيمية العلوم والنقوش . واكاذيمية الفنون الجميلة . واكاذيمية العلوم الادبية والسياسية . واكاذيمية الطب وغيرها . وكل اكاذيمية مؤلفة من ٤٠ عضواً او اكثر ولكل منهم اختصاص بفرع من فروع العلم التي تبحث فيها . غير ما هنالك من المتاحف العلمية والصناعية والمدارس على اختلاف احوالها

وغير الجمعيات المؤلفة لتنشيط العلم والادب او لحفظ حقوق المؤلفين والمترجمين ومراقبة سير العلوم من حيث الصحافة . وغيرها وغير المعارض والمتاحف فانها من ظواهر الرقي العلمي وسنأتي عليها

المراسح والتمثيل

ليس المراد ان نصف المراسح التمثيلية فان لدينا منها امثلة حسنة في مصر والاسكندرية وان كانت اقل مما في باريس فانها تشبهها حتى كثيراً ما تعرض فيها روايات فرنساوية يمثلها اجواق من باريس . لكننا رأينا على مراسح التمثيل في باريس وغيرها من المدائن الكبرى في فرنسا وسويسرا ضرباً من التمثيل الانتقادي يسمونه في اصطلاحهم Revue ويريدون به انتقاد العادات والاخلاق والآداب على المراسح

الآداب واللغات وعلم الآثار والرياضيات والطبيعيات والعقليات والاجتماعيات والسياسة والاقتصاد وغيرها

٢ معرض التاريخ الطبيعي : للتفقة في هذا العلم

٣ المدرسة العلمية للعلوم العالية في التاريخ والفيلولوجيا والرياضيات والعلوم الكيماوية البسيكولوجية . والعلوم الطبيعية والدينية الراقية . ومقر هذه المدرسة في السوربون بباريس وعلومها ١٨ فرعاً

٤ مدرسة المعلمين العليا : يتخرج فيها المعلمون للتعليم في المدارس الثانوية . واتبعت خطة السوربون بدون ان يكون لها اساتذة معينون

٥ مدرسة السجلات : لتعليم الخطوط القديمة والآثار ثمانية فروع

٦ مدرسة اللغات الشرقية الحية : بها ١٦ فرعاً من فروع اللغات الحية الشرقية

٧ مدرسة اللوفر : تعلم فن الآثار

٨ مدرسة الفنون الجميلة

٩ مدرسة الرصد بباريس

غير المدارس الفرنساوية خارج فرنسا كمدرسة الحقوق في القاهرة ومدرسة الطب في بيروت . فان مثلها في اثينا وورومية والهند الصينية وفي مراكش . ولفرنسا خارج باريس ثمانية مراصد

وغير التعليم الصناعي او الفني فانهُ واسع لكنهُ خارج عن دائرة نظارة المعارف اشهر مدارسه : مدرسة الصنائع والفنون في باريس (كونسيرفاتوار) تلقي عشرين علماً ليليا في العلم والاقتصاد السياسي . ومدارس اخرى للتجارة والصناعة تابعة لنظارة الزراعة وغيرها تابع لنظارة الحربية او المستعمرات أو غيرها مما يطول شرحه . وكلها في باريس ومثلها او اقلّ منها في خارجها مثل اكس وانجرس وشالون وكليني وليل وغيرها . وغير مدارس الموسيقى والخطابة ومدارس لتعليم الخدمة على الموائد وتربية الاطفال وغير ذلك

التعليم بمصر

والاطلاع على اسماء هذه المدارس يدل وحده على الفرق العظيم بين التعليم عندنا وفي تلك المملكة الراقية فقد ذكرنا عشرات من المدارس لا وجود لها عندنا ولم نذكر غير المدارس العالية . وقد اغفلنا المدارس الابتدائية والثانوية التي

المركبات العامة

وقد استلفت نظرنا على الخصوص ان باريس مع تزاحم الاقدام فيها لا يتنازع الركاب في المسابقة الى الترامواي اوالاومنو بيس ولا يسمح لاحد بالوقوف بين الركاب اذا لم يكن له مجلس فارغ . ولا يجسر احد على الركوب الا في دوره . لا يختلفون في ذلك ولا سبيل الى الاختلاف لان عند كل موقف من مواقف هذه المركبات لوحاً معلقاً بعمود منصوب على الرصيف وعليه دفترصغيرالحجم اوراقه منمرة نمراً متسلسلة فالذي يسبق الى الموقف يقتطع النمرة الاولى ومن يأتي بعده يتناول النمرة التالية وهكذا . وقد يجتمع في الموقف عشرات من الناس وربما جاء القطر وليس فيه مكان الا لخمسة او ستة فلا يؤذن بالدخول الا لمن كانت عندهم النمر الاولى بقطع النظر عن احوالهم من الغنى او الفقر والوجاهة

ومثل هذه العادة في لندن عند تكاثر الركاب ساعة الظهر لركوب الترامواي . فقد جعلوا في المحطات التي يكثر التزاحم عندها موقفاً مستطيلاً لا يدخله الناس الا ازواجاً . اوله عند محطة القطر واخره في الشارع لا حدَّ له . فالواصل الاول يقف قرب المحطة تماماً والذي يأتي بعده يقف وراءه وهكذا ازواجاً . وقد يتألف من الواقفين سلسلة طولها عشرات من الامتار وكل منهم ينتظردوره بلانزاع ولا خصام . ويفعلون نحو ذلك في كل ما تتزاحم فيه الاقدام كالدخول الى المراسح او قطع تذاكرها . فالسابق يقف عند شباك التذاكر والذي يأتي بعده يقف وراءه وهكذا وقد تتألف من الواقفين سلسلة طويلة رأينا واحدة منها عند مرسح بمنشستر . والمرسح في بناء كبير قائم بنفسه رأينا المنتظرين وقوفاً في سلسلة طويلة وقد يحيطون بالبناء من اربع جهاته اولهم عن يمين شباك التذاكر واخرهم عن يساره

ومما يحسن استطراده ويهمنا امره في هذا المقام ان قومساري الترامواي او غيره من المركبات العمومية لا يحتاجون الى مفتشين يتفقدون سيرهم خوفاً من السرقة كما هو حال الترامواي عندنا . وقد يكون للترامواي الفرنساوي او الانكليزي مفتشون ولكنهم لا يتفقدون المركبات الا نادراً . وقد ركبنا في تلك المركبات عشرات من المرات لم نشاهد فيها مفتشاً ولا لحظنا من القومساري مطمعاً في التذاكر كاستخدام التذكرة مرتين لراكبين او قبض الجعل بدون ان يعطي التذكرة ولا رقيب عليهم من الشركة . ولعل السبب في ذلك ان الشركة تدفع لهم الرواتب الكافية لمعاشهم فلا يرون حاجة الى السرقة . ولو ارادوا السرقة لا يجدون من الركاب من

في شكل بين الجد والهزل يلذ للمشاهدين لانه يتعلق على الخصوص بالامور الجارية التي يتحدث بها الناس . وكثيراً ما ينتقدون الكتّاب اورجال السياسة على كتاب الفوه او رأي راوه . وقد شهدنا تمثيلاً من هذا النوع في باريس انتقدوا فيه حرية المراة الباريسية على اسلوب مؤثر فمثلوا عروساً عقد عليها لرجل وخرجت معه في الشارع فاصبحت كلما رات رجلاً تعرفه اورات ان تحبه ضمته وقبلته وزوجها يرى ذلك . فاذا اعترضها احتجت عليه بحرية المراة بقولها « ان هذا العصرعصر حرية » . وانتقدوا عادة البراز انتقاداً يحقرها في عيون محبيها وانتقدوا مقالات كتبت في الاحوال الجارية بباريس . وشهدنا في تمثيل آخر في جنيف انتقاد المعاهدات الدولية والمجاملات السياسية ومثلوا في جملتها حرب الدولة العثمانية والايطاليان وغير ذلك . فهذا الاسلوب من التمثيل لا مثيل له عندنا لكنه مفيد ولذيذ

٥ مظاهر حضارتها

ارقى مدائن فرنسا بلا خلاف باريس ومع ذلك فلذاهب اليها من مصر لا يجد فيها ما يدهشه من حيث ظواهر المدينة الحديثة كالشوارع الواسعة والابنية الفخمة والانوار الكهربائية وازدحام الاقدام والبذخ في الالبسة والتفنن في الازياء لان في مصر امثلة من ذلك لكنها في باريس افخم واجمل . ولاغرو فان حضارة مصر الحديثة صورة مصغرة من حضارة باريس . والمرحوم اسماعيل باشا صاحب الفضل الاكبر في تنظيم شوارع القاهرة وانشاء الابنية الفخمة فيها انما كان يفعل ذلك تقليداً لباريس وكان مفتوناً بالفرنساويين ومدنيتهم . وظل ذلك مستمرّاً بعده الى عهد قريب

فلا ينبغي لنا ان نطيل الكلام في وصف شوارع باريس الكبرى وسعتها وما يحف بها من المخازن وما يعرض في تلك المخازن من السلع الثمينة او ما يتلألأ في الليل من الانوار الكهربائية على اختلاف الوانها . ولا تعداد ضروب المركبات من العربات فالاوتوموبيل فالتراموي فالاوتوبيس فالامنيبيس فالمتروبوليتان وغيره — فان هذه لها امثلة بين ظهرانينا لكنها عندهم اكثر عدداً والركاب اكثر ازدحاماً . وانما تمتاز عما في مصر وغيرها من مدائن الشرق ان السائق لا مطمع له في الراكب ولا سبيل الى طلب الزيادة عن حقه . لان المركبات الكبرى العمومية كالتراموي وغيره لها رسوم معينة كما في مصر . والمركبات الصغرى كالعربات والاوتوموبيل اصبحت كلها مقيدة بالعداد (تكسيمتر) وهذه الآلة تعين الاجرة اللازمة وتغني الناس عن النزاع

ومن اساليب الاعلان ان يعرض التاجر بضاعته ويكتب على كل صنف ثمنه. فهذا يسهل على الشاري الحكم في الابتياع او عدمه . لكن اصحاب البضائع التي فيها درجات متفاوتة بأثمان متفاوتة يعلنون انهم يبيعون الاداة الفلانية بالثمن الفلاني ويذكرون ارخص سعر عندهم فيتوهم الشاري انه ثمن الصنف الجيد فيدخل للسؤال فيطلعونه على الاسعار ولا بد من ان يشتري

الازياء

ولاخلاف في ان باريس اسبق مدائن العالم الى جمال الصناعة ولطافة المصنوعات وهي التي ترسم للعالم الازياء التي يجب اتباعها وقد يكون لسواهم ازياء لكنها السابقة المتغلبة . ولاهلها مقدرة كبرى على توليد الازياء في الملابس وغيرها وهناك طائفة من اهل الذوق الصناعي انما يشتغلون بوضع الرسوم للازياء الجديدة يستعينون على ذلك بما في المتاحف الصناعية من الرسوم او المنسوجات القديمة فيركبون منها زيا جديداً يبالغون في تنقيحه وتدقيقه حتى يبلغ حدَّه . ثم يعرض على اصحاب المعامل للنسج على منواله او اصحاب المتاجر ليروجوه

وللفرنساويين مهارة خاصة في الزخرفة واتقان المظاهر بغير التفات الى متانة ما يصنعونه وطول بقائه بخلاف الانكليز فانهم انما يهتمون بمتانة مايصنعونه ولا يهمهم ظاهره وهذا تابع لما اتصف به هذان الشعبان من الاخلاق كما سنذكره في بابه . فالبضاعة الباريسية انما يرغب الناس في ظواهرها اكثر مما في متانتها . واعتبر ذلك في اكثر معاملاتهم فان ما تبتاعه بعشرة فرنكات من اسواق باريس ليس فيه من المادة الاصلية الا ما يساوي فرنكين او اقل والباقي ثمن ما ينفق في سبيل ترويجه من المظاهرات كاتقان المخازن والاكثار من الخدم والتنوير الكهربائي والاعلان وغير ذلك

البوربوار (البخشيش)

ومن غرائب هذه الحضارة في فرنسا « البخشيش » نعني ما يعطى للخدم مكافأة على خدمة خاصة وهو عندنا لا يعطى الا اذا كانت الخدمة خارجة عن واجبات الخادم التي ينقد عليها الاجرة . واما عندهم فالبخشيش فرض واجب لامناص منه ويسمونه في اصطلاحهم بوربوار (Pourboire) اي لاجل الشرب كانه يطلب ان تعطيه فلساً يبتاع به قدحاً من البيرا او الخمر . والبوربوار يعطى على الخصوص لخدم القهوات والاندية والمطاعم والفنادق وساقة المركبات وهو يقدر بنحو عشر المبلغ المدفوع ثمناً حقيقياً . فاذا دخلت مطعماً مثلاً ودفعت عشرة فرنكات ثمن الغداء فالبوربوار لخادم

توافقهم عليها كما يفعل كثيرون بيننا . حتى ان بعض ركاب الترامواي بمصر يحرض القومساري على سرقة الشركة بقوله « بلاش تذكرة » فيعطيه القرش ولا يأخذ التذكرة . وذلك ناتج عن ضعف في الاخلاق لا نراه عند اولئك

الاعلان

والتزاحم في العواصم الكبرى يسهل رواج السلع على طلاب الرزق . وقد يستغرب قومنا بمصر او الشام كيف ينفق في اسواق باريس او لندن اشياء لا فائدة لها او لا تستحق الرواج . وانما السبب في ذلك كثرة الناس لان من يعرض سلعة في الشارع لا يمضي عليه ساعة حتى يمرّ به مئات من الناس فلا يخلو ان يكون فيهم من يقع اختياره على تلك السلعة فيشتريها ولو على سبيل التجربة . وانما يطلب من صاحب السلع ان يستلفت الاذهان الى بضاعته وهذا هو السبب في اهتمام الافرنج بالاعلان حتى ان احدهم اذا همَّ بانشاء تجارة او صناعة اعدَّ راس مال الاعلان قبل رأس مال البضاعة . وقد تفننوا في ذلك تفنناً عجيباً فهم يعلنون في الجرائد وعلى اغلفة الكتب وعلى جدران المنازل واسطحتها وعلى الموائد واغلفة المساوك وفي مركبات الترامواي والاومنيبيس والقطر الحديدية وفي المحطات — حتى الحقول فانك وانت راكب في القطر من مدينة الى اخرى يقع بصرك على عشرات او مئات من الواح قائمة على عمد مغروسة في الحقول ووجهها نحو الركاب فتقرا عليها اسماء المحلات التجارية او المعامل اوالمصنوعات ولاسيما المشروبات والحلويات وامثالها فان اصحابها من اكثر الناس انفاقاً على الاعلان . وانما يفوز منها من يستلفت الاذهان الى صناعته فضلاً عن اتقانها . ويقال ان اكثر المتاجر انفاقاً في فرنسا اصحاب معمل « شكولات مينيه » وحيثما توجهت في شوارع المدن او خطوط السكك الحديدية حتى المتاحف والمعارض ونحوها فانك تجد عليها اسم هذه الشكولاته واصحابها ينفقون مليوني فرنك سنوياً على الاعلان وارادوا مرة ان يقتصدوا فقلت مبيعاتهم فعادوا الى الانفاق

ومن اغرب طرق الاعلان عندهم انهم يكتبون اسم البضاعة على الحقول نفسها او على الجبال باغراس من الاعشاب بلون خاص يغرسونها على الرسم المطلوب كتابته فتنبت على ذلك الشكل . وقد تكون بعيدة عن الطرق والمنازل عدة كيلومترات فيراها الناس ويقراونها واضحة . ومن اساليب الاعلان ان يذكر اسم السلعة او المشروب او غيره على المراسح او غيره في اثناء التمثيل على سبيل الاستشهاد او الانتقاد او غير ذلك ويدفع صاحب الاعلان على ذلك ثمناً

تحسين الجنس البشري

هل يمكن ترقية الجنس البشري الى حالة من القوة والرفاهية اعلى من التي هو فيها ؟ وما هي الطريق الى ذلك ؟

سؤالان يخطران لكل مفكر في احوال الهيئة الاجتماعية وراغب في تحسينها . وقد اشتغل العلماء على اختلاف مشاربهم واوجه ابحاثهم في هذه المسألة العظمى وتضاربت آراؤهم فيها — شأن كل امر ينظر فيه من اوجه مختلفة . فطريقة العالم الطبيعي لتحسين الجنس البشري تختلف كثيراً عن طريقة اللاهوتي وطريقة هذا تختلف عن طريقة الفيلسوف الاجتماعي وهلم جرًّا . فكل من هؤلاء ينظر في المسألة من حيث معارفه وابحاثه وامياله فيراها بشكل لا يراها فيه الآخر . والغالب في مثل هذه الحال ان يكون شيء من الحق مع كل فريق يمكن للعاقل استخراجه من بين تلك الآراء المتضاربة . وهذه هي الحال على ما نرى في مسألة اليوم — ونسميها مسألة اليوم لانه قد اجتمع مؤخراً في انكلترا نحو خمسمائة عالم من بلاد مختلفة للبحث فيها (١)

وفي الموضوع رأيان مهمان : يرى فريق من العلماء ان تحسين الجنس البشري انما يكون بطريق التناسل اي ان صحة الابناء وقوتهم يتوقفان على حالة آبائهم فيهما . ويرى الفريق الآخر ان الفساد في الصحة والاخلاق يترتبان على المحيط الذي ينمو فيه الانسان اكثر مما على الوراثة . وسنشرح كلاًّ من هذين الرأيين

الرأي الاول

يرجع هذا الرأي الى المبدأ التالي « يمكنك بواسطة الانتخاب ان تولد صفة مخصوصة في النبات او الحيوان » مثال ذلك :

١ — اذا كان عندك نوع من الزهر واستحسنت شكلاً او لوناً مخصوصاً فيه يمكنك ان تنتخب شتلة توفَّر فيها ذلك اللون او الشكل وتجعلها تتناسل فتحصل على جيل او دور فيه الصفة المطلوبة اكثر وضوحاً منها في الجيل الاول . ثم اذا تابعت هذا الانتخاب في الجيل الثاني فالثالث فالرابع الخ ... حصلت اخيراً على نبات وضح فيه اللون او الشكل المرغوب تمام الوضوح

٢ — قد توصل احد النباتيين الى نوع من شجر الصبير (التين الشوكي) قليل الليف والشوك يصلح لعلف الخيل والحمير ولم يكن لهذا النوع وجود في الطبيعة.

(١) Congress of Eugenics

المائدة فرنك . واذا زادت المدفوعات قلت نسبة البخشيش عن عشرة في المئة مما لا ضابط له . وفي ذلك مشقة على النازلين في الفنادق لانهم لا يعرفون كيف يدفعون ولا لمن يدفعون والخدمة كثيرون . والغالب ان يقسم البخشيش بين الفراش والبواب وخادم المائدة وصاحب الرافعة (اسانسور) وغيرهم . وقد يكونون اكثر كثيراً ويختلف ذلك باختلاف الطبقات . فالداخل على مطعم فخيم يستقبله خادم يتناول منه القبعة والشمسية وآخر يقدم له كرسياً على المائدة وهذا يخدمه في تبديل الوان الطعام فاذا نهض تلقاه الخادم الاخر بالقبعة والشمسية وتقدم اخر ففتح له الباب عند الخروج وآخر يفتح له باب المركبة عند الركوب فهؤلاء كلهم ينبغي ان يدفع اليهم البوربوار — وقد يزيدون على ذلك

واصل هذه العادة الغريبة عندهم على ما نظن تزاحم الغرباء على اماكن اللهو في زمن لم يكن الخدم فيه يستطيعون القيام بما يلزم من الخدمة . فاصبح من يريد تعجيل حاجته مضطرًّا ان يسترضي الخادم بدفعة خصوصية له . وتكرر ذلك حتى صار قاعدة . واصبح خدمة اماكن الملاهي يعدون البوربوار من جملة استحقاقاتهم وبعضهم لا يتقاضى من صاحب القهوة او المطعم اجرة . وفيهم من يدفع شيئاً من جيبه لصاحب القهوة ليأذن باستخدامه

ومما يستلفت نظر المصري في باريس انك لا تجد في شوارعها متسولاً يعترض طريقك ولامتشرداً مستلقياً على الشارع ولاغلاماً عارياً اوشبه عار يتسلق الترامواي او يعرض عليك خدمة من حمل حقيبة او نحوها — لاشتغالهم عن ذلك بالمدارس

ولا حاجة بنا الى ذكر سهولة المواصلات والمخابرات عندهم كالتلغراف والتلفون والبريد فانها مشهورة وعندنا امثلة منها لكنها هناك اكثر شيوعاً . فالتلفون يكاد لا يخلو منه منزل او متجر . وعندهم من طرق البريد مما لامثيل له عندنا تذاكر ترسل مستعجلة في المدينة نفسها تتقاضى عليها مصلحة البريد ثلاثة اضعاف الاجرة المعتادة لكنها توصلها سريعاً كالتلغراف وهي ما يسمونه « بنوماتيك » Pneumatique وهي تذكرة تكتب فيها ما شئت وتعنونها وتضعها في عين من صناديق البريد خاصة بهذه التذاكرة وعمال البريد يتفقدون هذه العيون كل مدة قصيرة فاذا وجدوا فيه تذكرة اسرعوا في ايصالها حالاً وهي ترسل عادة بضغط الهواء في انابيب ممتدة لذلك تحت الارض

رك الامر للطبيعة لابادتهم . هذا ما يحدو ببعض العلماء الى انتقاد الشرائع والاديان التي تحمي الضعفاء الغير الصالحين للبقاء لان الضعيف اذا كان بدون حارس او وصيّ تسلط عليه القوي واباده فلا يبقى الا الاقوياء فيكون نسلهم قويا . ولا يبقى من هذا النسل الا اقوامهم وهلم جرًّا حتى نصل الى قوم جبابرة هم الذين يسميهم بعض العلماء « فوق الانسان » او Superman

هذا هو راي بعض المتطرفين النظريين . وهناك فريق آخر تطرفوا من الجهة الاخرى فهم يستكبرون على الانسان ان تسري عليه السنن التي تسري على غيره من الحيوانات . وقد يدخلون الدين في ذلك فيدعون ان الخالق وضع للكون خطة ليس للانسان ان يحولها او يعارضها كانهم يريدون ترك الامور للطبيعة . وهم يضادون انفسهم في كل حركة من حركاتهم . لان المدنية انما هي الابتعاد عن مجاري الطبيعة . لماذا اذن نبني البيوت ونقص شعورنا واظافرنا الى اخر ما هنالك من مطالب المدنية ؟ فان ذلك مخالف للطبيعة . فيجدر بالانسان ان يأخذ ما تقدمه له الطبيعة ويحسنه بقدر ماتسمح له قواه العقلية والجسدية بدلاً من الاستسلام الاعمى لاحكامها

ان كثيراً من المباديء او الاراء يصح نظرياً ويتعذر او يستحيل تطبيقه عملياً . فهل هذا هو شأن المبدا المذكور في تحسين الجنس البشري ؟ هل يمكن تضحية العواطف الشخصية لاجل المنفعة العامة ؟ هل يتوصل الانسان الى درجة من الرقي ينسى فيها نفسه ويضحي حياته لخدمة المجموع الانساني ؟ — مسائل يصعب الجواب عليها . واذا كان لا بد من الجواب فالارجح ان يكون سلبياً . في التاريخ القديم مثال من قبيل هذا المبدا نعني مدينة سبارطة من بلاد اليونان فقد كانت الحكومة تستبقي الاقوياء من الاولاد وتقتل الضعفاء منهم حتى لا يتناسلوا

وهناك طريقتان لتطبيق المبدأ السابق ذكره : الاولى ترغيب الاقوياء في التناسل والثانية منع زواج الضعفاء والمصابين بامراض وراثية . فالطريقة الاولى يصعب سلوكها في الوقت الحاضر واما الثانية فيمكن للحكومة والكنيسة ان تسن كل منهما شرائع تمنع فيها زواج غير الاصحاء . وقد خطت مدينة شيكاغو خطوة هامة في هذا السبيل فاعلنت كاتدرائيتها الكبرى انها لا تكلل فيها الا من ثبت انهم صحيحو الاجسام والعقول . ولاشك انه اذا سلك رجال الدين والحكومة مثل هذا المسلك زال كثير من مصائب الامم المتمدنة

وقد تباحث العلماء في ما اذا كان يجب منع المجرمين والمعرضين لبعض الامراض العضالة كالسل وغيره من التناسل . فيظن البعض ان المجرم نابغة في عقله وان قوته

وذلك انه انتخب اولاً من صبير احدى المزارع اغراساً قليلة الشوك بالنسبة الى باقي الاغراس وجعلها تتناسل فكان الجيل الثاني اقل شوكاً من الاول . وانتخب من هذا الجيل اقل الاغراس شوكاً وبتكرار الانتخاب بتوالي الاجيال حصل على جيل لاشوك فيه . ومن هذا الجيل الذي لا شوك فيه انتخب الافراد القليلة الليف وجعلها تتناسل ثم انتخب من الجيل التالي فالتالي وهلم جرًّا الى ان توفر له جيل لا ليف فيه تقريباً . وهكذا اوجد نوعاً مفيداً من النبات لم يكن من قبل

٣ — اذا احببت لوناً مخصوصاً من الخيل يمكنك ان تحصل عليه أيضاً بالانتخاب والتناسل المتواليين على عدة مرات . وبمثل ذلك يمكن الحصول على خصائص مختلفة كالقوة والضخامة وغيرها . وهذا المبدا ينطبق ايضاً على الخصائص العقلية كالحذاقة واللطف وما شاكل ذلك

٤ — اذا رايت كلباً حاذقاً في الصيد امكنك ان تحصل بواسطة توليده المتوالي بالانتخاب على افراد من الكلاب ماهرة في هذا الباب

هذا مبدا من المبادىء الثابتة في عالم الحياة عمل به الانسان منذ وجوده وطبقه على عالمي النبات والحيوان ويسميه العلماء « الانتخاب الصناعي » فان النباتات البيتية والحيوانات الاهلية كانت في الاصل بريّة فجعلها الانسان صالحة لحوائجه بانتخاب النباتات اللذيذة الغير المضرة وتوليدها بالزراعة . وربّى الحيوانات السهلة القياد الصالحة للاستخدام فحصل بتوالي الاجيال على الانواع التي نراها اليوم

واذا كان هذا مكان المبدا المذكور من الصحة فلماذا لا يستعمله الانسان لتحسين جنسه ؟ فكما ينتخب افراداً من النبات والحيوان فيها خصائص يريدها كذلك يمكنه ان يفعل في ابناء جنسه فينتخب انشطهم اجساماً واقواهم عقولاً ويجعلهم يتناسلون فيحصل شيئاً فشيئاً على نوع من الانسان ارقى من الانسان

على ان هذا الانتخاب تقوم به الطبيعة من تلقاء نفسها ما لم يعارضها شيء في مجراها . وهو ما يسميه علماء النشوء والارتقاء « الانتخاب الطبيعي » ومرجعه الى تنازع البقاء وبقاء الاصلح . اي ان الحيوانات والنباتات تتناسل غالباً بكثرة مدهشة بحيث يتعذر على الطبيعة اخراج قوت كاف لها كلها فيبدأ التنازع بينها فينقرض الضعيف ويبقى القوي الصالح للبقاء

هذا هو شأن الانتخاب الطبيعي في عالمي النبات والحيوان . اما الانسان فقد خفف وطأته وحوّل مجراه بحيلته العقلية فاحتفظ بالضعفاء والمرضى من بني جنسه ولو

الميكادو موتسوهيتو

امبراطور اليابان

ولد سنة ١٨٥٢ وتولى سنة ١٨٦٧ وتوفي سنة ١٩١٢

توفي امبراطور اليابان وختمت حياته فآن للتاريخ ان يقدرهُ قدره ويضعه في المقام اللائق به



الميكادو موتسوهيتو على جواده

ولد في كيوتو سنة ١٨٥٢ وخلف اباه على الملك سنة ١٨٦٧ وهو في الخامسة عشرة من عمره . ويزعم امبراطورو اليابان انهم متسلسلون من جد اسمه جيموتنو اي ابن السماء . وان مملكتهم تأسست سنة ٦٦٠ ق م وان هذا الامبراطور هو الحلقة المئة

العقلية انصرفت الى مجرى ضار . والمعرضون للسل هم غالباً ممتازون بمداركهم فاذا منع هؤلاء من التناسل ربما حرم العالم من نوابغ كثيرين . ويقول المثل الافرنجي « ان بين النبوغ والجنون خطوة واحدة »

الرأي الثاني

كل المخلوقات الحية من نبات وحيوان وانسان تكون في اصل تكونها حويصلة واحدة وتأخذ في التكاثر حتى تصير جسماً متعدد الفروع والاعضاء . فلنرجع الى هذه الحويصلة في بحثنا ونرى الفرق بين الرأيين في ابسط صوره :

يقول اصحاب الرأي الاول ان كل الاعتماد في حالة الجسم الحي هي على الجرثومة الاصلية . اما اصحاب الراي الثاني فانهم يجعلون الاعتماد على ماسيحيط بهذه الجرثومة من الاحوال وما يطرأ عليها من المؤثرات في اثناء نموها . فيدعون ان انحطاط بعض طبقات الناس متوقف على نوع الاكل الذي يتناولونه وفساد الهواء الذي يستنشقونه وكمية الكحول التي يشربونها وما شاكل ذلك من المؤثرات الخارجية . وانه يمكن تحويل طبقة من هذه الطبقات المنحطة الى طبقة قوية صالحة للتناسل بتحسين الاكل ومنع المسكرات والتعرض للهواء النقي . او بكلمات اخرى ان اهل الفريق الواحد يعتقدون ان نمو الجسم متوقف بالاكثر على القوى الداخلية واهل الفريق الاخر يقولون انه متوقف على المؤثرات الخارجية

الخلاصة

في المثل « خير الامور الوسط » حكمة فلسفية صحيحة فكثيراً ما يتطرف العلماء في ابحاثهم وينظرون في المسائل من جهة واحدة ـ الجهة المختصة بابحاثهم فتصبح آراؤهم ضيقة محدودة المنفعة . حتى انك لتجد احياناً عدة علماء على طرفي نقيض في موضوع واحد . وهم مع ذلك مخلصون في ابحاثهم وسبب هذا التباين ان كل عالم يسلك مسلكا ضيقاً فلا يحيط بالموضوع من كل اطرافه

هذه حال موضوعنا اليوم على ما نرى فالفريقان مصيبان الى حد محدود والحقيقة في نظرنا تستخرج بالتوفيق بينهما . فالطفل نتيجة القوى الداخلية المجموعة في الخلية الجرثومية التي ورثها عن ابائه من جهة والمؤثرات الخارجية التي تؤثر على جسمه وعقله من جهة اخرى . فتحسين الجنس البشري متوقف على صحة الآباء ونشاطهم ومقدرتهم وعلى حالة المحيط الذي يربى فيه الاولاد

اميل زيدان

ارادته حتى صارت في مصاف اكبر الدول المتمدنة . فبعد ان كان حاكماً روحياً « لا ينظر اليه احد ويبقى حيّاً » واذا ذكروه قدسوه كما يقدسون الالهة . واذا جلس اليهم في حفلة تقنع وقعد بعيداً لا يلبس الثوب مرتين ولا يتناول طعامه في طبق واحد دفعتين — بعد ان كان كذلك تنازل عن هذه الامتيازات من تلقاء نفسه واشرك امته في حكومته واصبح يجالس الامراء و يفاوضهم و يركب في مواكبهم

ومع ذلك فقد قاسى في سبيل منح هذه الحرية عذاباً شديداً لان في ذلك الانتقال ما يسوء جماعة الممتازين من اهله وخاصته . وكان نصيره في هذا الجهاد وزيره واكبر رجال دولته المار كيز ايتو . فقد كان عوناً كبيراً له وفيه ميل الى الشورى فسافر الى اوربا واميركا لدرس القوانين الدستورية وتطبيقها على احوال بلاده فوضع القوانين وعرضها على الامبراطور فامر بتنقيحها وتعديلها حتى تقررت رسميّاً سنة ١٨٨٩ وصارت دولة اليابان دستورية من ذلك الحين . فدهش العالم لهذا الخبر وتوقعوا عود تلك الدولة الى الاستبداد بعد حين . ولو مات الامبراطور على اثر اعلان الدستور لكان ذلك الخوف في محله لكنه عاش بعده نيفاً وعشرين سنة وهو يؤيده و يطبق احوال حكومته عليه

على ان من يتتبع سيرة هذا الامبراطور من اولها لا يدهشه اعلان الدستور بقدر ما يدهشه اول خطاب القاه على امته سنة ١٨٦٨ فانه صرح فيه تصريحات بغت لها العالم المتمدن لما فيها من الحكمة واستقلال الفكر والعدل مما يندر مثله حتى في ملوك اوربا انفسهم في ذلك العهد — وهاك قوله :

١ — يجب تأسيس مجالس للمباحثة ولا يتقرر شيء في شؤون الدولة الا بتقرير الراي العام

٢ — يجب ان تتحد الامة على اختلاف طبقاتها في تنفيذ قوانين الحكومة

٣ — ينبغي للموظفين الملكيين والعسكريين وسائر العامة ان يتمتعوا بحقوقهم على قدر الطاقة بحيث لا يبقى باعث على التذمر

٤ — يجب ان نصلح العادات القديمة التي ورثناها عن ابائنا وان نجعل اساس كل عمل الحق الطبيعي في المساواة

والحادية والعشرون من سلسلة اعقابه . فهم في نظر الامة اليابانية ارقى من سائر البشر لا ينازعهم في ذلك احد من رعاياهم

حكم هذا الامبراطور ٤٥ سنة غير في اثنائها نظام دولة اليابان من الحكم الاستبدادي المطلق الى الحكم الدستوري المقيد مما لم يسبق له مثيل في مثل هذه المملكة الثيوقراطية فلذلك عدوه من عظماء الرجال . وهو من اعظم رجال هذا العصر ان لم نقل اعظمهم لاسباب سنبينها في ما يلي

صفاته الشخصية

كان طويل القامة ليس في رعيته رجل اطول منه . يمشي بقدم ثابتة . وكان في اول حكمه يلبس اللباس الياباني ثم بدله باللباس الافرنجي . ويغلب ان يتخذ السراويل (البنطلون) من نسيج احمر وسائر البدلة بيضاء . وقد يتخذ ثوبه من اللون القرمزي والابيض وقبعته سوداء . وكان في ايامه الاخيرة اكثر ما يظهر للناس بثوب عسكري يشبه اثواب القواد ويتقلد سيفاً مذهباً ويزين صدره بالاوسمة المرصعة . وكان يكره البحر والنزول فيه ولذلك لم يقتن يختاً مع ان بلاده محاطة بالمياه وكثيراً ما يضطر لركوب البحر الى احدى الجزر فينتقل في مركب بخاري

ولما تولى الملك اخذ في تعلم اللغات الافرنجية فرأى ذلك شاقاً عليه فعدل عنه وكان يتداول مع السفراء والسياح من الافرنج بواسطة التراجمة . وقد ذكر بعض الذين خبروه من النزالة الانكليزية في يوكوهاما انه من الفطنة والتعقل والحكمة على جانب عظيم ومع انه قضى طفوليته منقطعاً عن الناس على عادة ملوك الشرق في تربية اولادهم فقد تمكن من مطالعة آداب لغته واكثرها عن الصين وعلمائها وفلاسفتها . واتقن كتابة الشعر وترتيب الازهار على النمط الياباني . وقد فطر على حب الاطلاع وله ارادة قوية ورغبة شديدة في اقتباس التمدن الحديث وتنوير اذهان رعاياه

الدستور الياباني

على ان عمله الاعظم الذي سيخلد ذكره في التاريخ انما هو جعل حكومته دستورية . وليس الانتقال الى الدستورية من المعجزات او الحوادث الخارقة للعادة ولكنها غريبة في امة كاليابان . واغرب ما فيها ان امبراطورها هو الذي نقلها بمجرد

بعامل التقليد الاعمى للدول المتمدنة لكنهم استخدموا الحكمة فعدّلوا الدستور الافرنجي حتى وافق احوالهم السياسية . كما عدلوا كثيراً من العادات الافرنجية حتى وافقت احوالهم الاجتماعية . فسلموا من الاضطراب الذي وقعت فيه الدولة العثمانية في مثل ذلك الانتقال . ان احرارنا ارادوا ان ينقلوا الدولة من حالها الاستبدادية ايام عبد الحميد الى اوسع الدساتير المطلقة ويجعلوا القوة كلها في ايدي النواب كما يفعل الانكليز والفرنساويون وغيرهما من الامم العريقة في الحرية . ولذلك قلنا في اثناء كلامنا عن الدستور العثماني منذ عامين انه لا يلائمنا ان يكون دستورنا حرًّا مطلقاً مثل دستور انكلترا بل ينبغي ان يكون فيه شيء من التقييد لان الامة العثمانية تختلف عن الامة الانكليزية او الفرنساوية بما فيها من العناصر المختلفة والاديان المتباينة فضلاً عن الجهل السائد على جمهور العامة

فعظمة امبراطور اليابان قائمة ليس فقط باعلان الدستور على امته بل بتكييف ذلك الدستور حتى يلائم احوالها . و بتنازله من سماء عرشه الذي يميزه عن البشر وخلعه السيادة الدينية والاندماج في سلك سائر الملوك . وقد احسن كثيراً باستبقاء بعض السلطة في يده ولو لم يفعل ذلك لاختلفوا في الاجتزاء من تلك السلطة واختصموا وتنازعوا كما وقع في الدولة العثمانية . ولكن حال العثمانيين يختلف عن حال اليابانيين لأن هؤلاء لم يطلبوا الدستور ولا جاهدوا في طلبه وانما اتاهم عفواً بمجرد رغبة الامبراطور . فله ان يستبقي لنفسه ما شاء . واما العثمانيون فانهم طلبوه ووضعوا القانون الاساسي وكلفوا السلطان اعلانه من زمن مدحت . واراد السلطان عبد الحميد يومئذ تعديله فابوا عليه لكنه احتال في تعديل مادة واحدة اعطى نفسه فيه السلطة في نفي رؤساء العصابات بدون مشورة المبعوثان فاستخدمها في نفي مدحت باشا نفسه فذهب الدستور بذلك . فطبيعي ان لا تأمن الامة جانب ذلك السلطان ولا تعطيه سلطة . على انهم ارادوا ان يوسعوا هذه السلطة في العام الماضي بتحوير المادة ٣٥ من القانون الاساسي

اما الانقلاب الياباني فلم يكن فيه باعث على شيء من ذلك لان الامبراطور نفسه كان يجاهد في تحرير امته . ويظن البعض ان فضله قاصر على انصياعه لمشيريه في اعلان الدستور . وهو فضل كبير لكن اهل النقد يؤكدون انه هو المحرك لهذا الاصلاح

٥ — يجب البحث عن المعرفة في انحاء العالم ونشرها في الامة حتى ترتقي وتسعد

ومن اسباب ثبات هذا الدستور ان الميكادو لاحظ في وضعه ما يلائم احوال اليابانيين . فلم يجعله حرًّا مطلقاً مثل دستور الانكليز والاميركان لكنه قيده ببعض القيود اللازمة لحفظه في مثل تلك الامة واستبقى لنفسهِ سلطة تتوازن بها عادات الامة ريثما تتعود الدستور وتألف الحرية المطلقة .

فالدستور الياباني يشبه في ظاهره سائر دساتير اوربا لكنه في حقيقته يجعل للميكادو سلطة ليست لملوك اوربا المقيدين . فهو يتولى القوى التنفيذية في الحكومة بمساعدة مجلس الوزراء وهو يعينهم ولا يخضعون لسواه . وله ايضاً مجلس خصوصي يشاوره في الامور الهامة . وله الحق المطلق في اشهار الحرب وامضاء الصلح وعقد المعاهدات الدولية . اما التشريع فلابدَّ من اخذ رأي مجلس النواب ومجلس الاعيان فيهِ . وللميكادو ترجع المصادقة على القوانين وله وحده ان يجمع المجلسين وان يفتح مجلس النواب ويقفله ويوجلهُ ويحلهُ

وجعل مجلس الاعيان مؤلفاً من : ١ رجال العائلة المالكة البالغين ٢ من البرنسات والمركيزات من سن ٢٤ فما فوق وعددهم ١٥ برنساً و٣٦ مركيزاً ٣ الكونتية والبارونات في ذلك السن بشرط ان لا يزيدوا على خمس البارونات او الكونتات في المملكة ٤ الاعيان الذين تجاوزوا سن ٣٠ ولهم خدم ثابتة في مصلحة الدولة وتعيينهم منوط بالميكادو ٥ اعيان ينتخبون من الولايات ممن يدفعون اكثر من سواهم ضرائب وتعيين هؤلاء ايضاً منوط بالميكادو

فانظر الى الحكمة في اكتساب رضى الاسرة المالكة وكبار الدولة باشراكهم في الحكومة . وكيف ترك للميكادو الحق في تعيين قسم كبير من الاعيان

اما النواب فشروط انتخابهم تقرب من شروط سائر الدول في انتخاب نوابها . وللامبراطور وحده الحق في تعيين رئيس مجلس الاعيان ونائبه يختارهما من اعضاء ذلك المجلس . وهو ايضاً يعين رئيس مجلس النواب ونائبهُ لكنهُ يختارهما من ثلاثة يرشحهم المجلس لكل من المنصبين

الدستور العثماني

وجملة القول ان الامبراطور ومشيريه في وضع الدستور الياباني ادركوا سنن الاجتماع واتخذوا الحيطة اللازمة في الانتقال من الاستبداد الى الدستور . فلم يؤخذوا

اللغة العربية

والتعليم في المدارس الاميرية

والجامعة المصرية

لا غرو اذا اكثرنا من الحث على تأييد اللغة العربية لانها قوام الامة العربية او العنصر العربي ولا بقاء للامة الا بلغتها . ولا حياة للسان العربي الا بمصر لانها محور العالم العربي . واذا قدر لهذه اللغة ان تنهض فعلى مصر الواجب الاول في انهاضها . كانت اللغة العربية من اوائل القرن الماضي الى اواخره قاعدة التدريس في المدارس الكبرى في مصر والشام . كانت المدارس الاميرية وغير الاميرية بمصر والمدرسة الكلية الاميركية واليسوعية وسائر المدارس الكلية في بيروت وغيرها تعلم الطبيعيات والتاريخ والرياضيات والطب والصيدلة والهندسة والحقوق وسائر العلوم باللغة العربية . فنبغت طائفة من الكتاب والعلماء في هذا اللسان بمصر والشام والفوا الكتب العلمية وانشأوا الجرائد والمجلات العربية . ودبت روح الرقي الحقيقي في عروق هذه الامة وتعلقت الامال بمستقبل مجيد

لكن هذه الامال اخذت في الزوال منذ بضع وعشرين سنة بعدول هذه المدارس عن هذه اللغة في تدريس العلوم العالية . بدأت بذلك المدرسة الكلية الاميركية في بيروت فجعلت قاعدة التدريس اللغة الانكليزية . وهكذا اليسوعية جعلت التدريس في الفرنساوية . ثم المدارس المصرية فجعلت التعليم في كلتا هاتين اللغتين . ثم اخذت الانكليزية تتغلب فيها رويداً رويداً ولا تزال . وحجة هذه المدارس في هذا التغيير قلة الكتب التعليمية في اللغة العربية وكثرتها واتقانها في اللغات الاجنبية . وهو عذر وجيه لاننا مهما بلغ من ارتقائنا العلمي فلا نزال وراء تلك الامم بمراحل لانهم سبقونا منذ اجيال فاصبح اللحاق بهم صعباً . الا اذا اخذنا عنهم وتمشينا على خطواتهم ويسهل ذلك خصوصاً اذا تلقنا تلك العلوم وتتبعناها بألسنتهم راساً

تلك حجة مقبولة لدى طالب العلم ان لم يكن غرضه غير التفقه واستنارة الاذهان . ولكن التعليم يراد به شيء اخر لا يقل اهمية عن ذاك نعني ترقية شؤون الامة وجمع

وان وزراءه ورجال دولته كانوا آلة بيده . ولا ريب انهم افادوه في ابحاثهم وتنقيحاتهم ولكنه وحده صاحب الفضل الاول في هذا الانقلاب العجيب ـ فهو متفرد في ذلك بين الملوك



الامبراطور يوشيهيتو
امبراطور اليابان الحالي



الامبراطورة سادا كو
امرأته

وقد خلفه على سرير الملك ابنه وولي عهده الامبراطور يوشيهيتو وسنه ٣٤ سنة وهو نحيف البنية وكان ملازماً فراشه في اثناء مرض ابيه الاخير . تزوج بالبرنسس سادا كو ابنة البرنس «كوجو» وله منها ثلاثة اولاد اصبح اكبرهم هيروهيتو الآن ولي عهده . والمرجو ان يسير الامبراطور الجديد على خطة والده في اعمال الحكومة وان لم يكن له ما لابيه من المنزلة المدهشة عند رعاياه لكنهُ تثقف على العلوم الحديثة وتعلم الانكليزية والفرنساوية وآدابهما . وينتظر ان يحبّه رعاياه كما احبوا اباه ولكن لا يرجى ان تكون له مثل هيبته في قلوبهم

وانشأ في العام الماضي مدرسة زراعية متوسطة بناحية مشتهر بالقليوبية يقبل فيها حملة الشهادة الابتدائية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات وسنة للتمرين ومعلموها من متخرجي مدرسة الجيزة المتقدم ذكرها . والتعليم فيها باللغة العربية — وهي تهتم على الخصوص بتعليم الزراعة العملية لمن يريد ان يمارس هذه المهنة

اما المدارس الزراعية الابتدائية المعبر عنها بمدارس الحقول فامرها منوط بعناية مجالس المديريات

التجارة

لا يخفى افتقار الامة المصرية الى التعليم التجاري لانصراف الاذهان عنها وعن سواها من الفنون الى الزراعة او الى خدمة الحكومة . فاهتم سعادة الناظر في هذه النقطة منذ سنتين فانشأ سنة ١٩١٠ مدرسة ليلية في القاهرة لتعليم المحاسبة التجارية ومسك الدفاتر والكتابة على الماكنة والتمرين على الاساليب التجارية والمعاملات والمكاتبات . وهذه المواد الاربع تعلم في اللغات الثلاث : العربية والانكليزية والفرنساوية فضلاً عن الاختزال (الستينوغراف) فانها تعلمه باللغتين الانكليزية والفرنساوية وسيعلم بالعربية

وانشأ سنة ١٩١١ مدرسة ليلية اخرى مثل هذه في الاسكندرية . وهاتان المدرستان تعطيان في كل فن شهادة على حدة . والطالب يختار المواد التي يريدها . فمن احرز ثلاث شهادات في ثلاث مواد تعطى له شهادة محاسبجي بشرط ان تكون احداها مادة اساليب المعاملات التجارية ولا يشترط على الطالب سن معين ولا شهادة دراسية ولا غيرها

ثم انشأ مدرسة تجارية عالية خديوية بالقاهرة تلقى فيها العلوم التجارية والمحاسبة في اللغة العربية لكنها تعلم اللغتين الانكليزية والفرنساوية ايضاً . وتعلمهما اجباري لان التاجر لا يستغني عنهما في مخابرة عملائه . وفي هذه المدرسة مكتب تجاري يتمرن فيه الطلبة على أعمال المصارف (البنوك) والشركات والسمسرة وغيرها من الامور التجارية باللغات الثلاث . وتلقى فيها ايضاً الشرائع التجارية والصناعية والجمركية والعلوم الاقتصادية ونظام التجارة والصناعة والاخلاق . ويشترط في طلبتها ان يكونوا من حملة الشهادة الثانوية . ومدة الدراسة فيها ثلاث سنين

وانشأ مدرسة محاسبة وتجارة متوسطة يدخل فيها حملة الشهادة الابتدائية والتعليم فيها بالعربية . ونظامها يشبه نظام المدرسة العالية المتقدم ذكرها وانما ينقصها تعليم القوانين الاقتصادية والشرائع التجارية والصناعية . ومدة الدراسة ثلاث سنين وتمنح تلامذتها شهادة اعتيادية اما تلك فتمنحه الدبلوما الزراعية

كلمتها واحياء آمالها ليكون لها شأن بين سائر الامم . وهذا لا يكون الا بترقية لسانها واحياء آدابها بتأليف الكتب العلمية والادبية وانشاء الصحف والمجلات فيه . ولا يتيسر لها ذلك الا اذا كان هو قاعدة التدريس في المدارس الكبرى فضلاً عن الصغرى فكيف اذا لم تعلم فيه هذه ولا تلك ؟ — تلك كانت حال المدارس بمصر والشام الى عهد غير بعيد

اصبح التعليم بمصر منذ بضعة اعوام كله في اللغة الانكليزية او الفرنساوية حتى مباديء التاريخ والجغرافيا والحساب . واوشكت العلوم العربية نفسها ان تعلم باللسان الاجنبي . فاحتجت الامة بلسان مجلس الشورى واخذت الصحف بناصرها وكنا في جملة من خاض عباب هذا الموضوع وبينا الضرر الناجم من اغفال اللغة العربية . فاهتمت الحكومة بهذا الشأن ووعدت وزارة المعارف اذ ذاك باعادة التدريس فيها رويداً رويداً لكنها لم تخط الا خطوات قليلة لا تشفي غليلاً

فلما صارت هذه الوزارة الى صاحب السعادة احمد حشمت باشا جعل همه ترقية المعارف على العموم واحياء آداب اللغة العربية على الخصوص . فادخل تحسيناً هاما على المدارس الاميرية . والتفت الى العامة فنظر في ما يحتاجون اليه مما يسهل عليهم ابواب الرزق . والى المرأة وما يساعدها على ترتيب منزلها وتربية اولادها فضلاً عن تعميم اللغة العربية في اكثر المدارس

ولا يدرك فضله في هذا السبيل الا اذا جمعت اصلاحاته في باب واحد . وقد وفقنا الى معرفتها من اوثق المصادر فاحببنا نشرها تنويهاً بفضل منشئها خدمة للتاريخ وتنبيهاً للطلاب على التماسها من اماكنها وهي :

التعليم الفني

وجه سعادة الناظر عنايته على الخصوص الى نشر التعليم الفني لانهُ مرجع السواد الاعظم من الامة . وهو يقسم الى ثلاثه فروع الزراعة والصناعة والتجارة :

الزراعة

وجه التفاته اولاً الى اصلاح المدرسة الزراعية في الجيزة فرأى انها تأسست منذ نحو عشرين سنة والتعليم فيها باللغة الانكليزية فلم تأت بثمر يذكر فجعله في اللغة العربية وجعل هذه المدرسة من صف المدارس العالية واشترط ان يكون طلبتها من حملة الشهادة الثانوية فوسع علومها الفنية واغفل علوماً لم يبق اليها حاجة فيها كالحساب والهندسة واللغتين الانكليزية والعربية وادخل بدلها علوماً عالية تختص بالزراعة . وجعل مدة التعليم اربع سنين وسنة للتمرين

تعليم البنات

التدبير المنزلي

قد رأيت مما اوجزناه من الاصلاحات في المدارس الفنية ان ناظر المعارف على بينة من حاجة البلاد الحقيقية ولا سيما العامة واكثرهم الفلاحون وهم قوام الامة ومادتها الاصلية . فاراد ان يثقفهم ويرقي مداركهم من الوجهة العلميـة التي هم في حاجة اليها بتوسيع التعليم الزراعي . واراد من الجهة الاخرى ان يصرف اذهان الشبان عن خدمة الحكومة ويوجه انظارهم الى الصناعة والتجارة فانشأ المدارس الفنية وسهل دخولها على كل الطبقات

ثم التفت الى النصف الاهم من الامة بالنظر الى الهيئة الاجتماعية وادرك حاجة العائلة المصرية الى الاصلاح فرأى تعليم البنات سائراً على خطة تعليم الصبيان تدرس الفتاة فيه كما يدرس الشاب وتنال الشهادة الابتدائية او الثانوية بالامتحانات العامة كما ينالها هو . فرأى ان يختص البنات بطريقـة تناسب ما خلقن له من العمل في نظام الاجتماع من ادارة المنازل وتربية البنين . فانشأ سنة ١٩١٠ مدرسة التدبير المنزلي في محطة القبة قرب القاهرة جعلها داخلية ومدة الدراسة فيها سنتان تتلقى فيهما الفتاة القرآن واللغة العربيـة والحساب ودفاتر الحساب المنزلي والاخلاق وعلم تدبير المنزل وعلم الصحة . وكلها في اللغة العربية فضلاً عن الاشغال اليدوية كتفصيل الثياب وترقيعها والتطريز والغسيل والكي والطبخ . ويقبل فيها التلميذات من سن ١٢ــ١٤ وقد بلغ عدد الطالبات في العام الماضي ستين طالبة والمرجو ان يتضاعف هذا العدد . وسيكون لهذه المدرسة شأن كبير في ترقية المرأة الشرقية . وقـد وقع انشاؤها وقعاً حسناً لدى الامة فاقبلت مجالس المديريات على انشاء امثلة لها في اقاليمهم وقد تم انشاؤها الان في بني سويف ودمياط بارشاد نظارة المعارف

وللبنات مدرسة للمعلمات في بولاق منذ ثماني سنوات كانت قاصرة على تخريج معلمات لمدارس البنات الابتدائية اي المكاتب (الكتاتيب) فادخل سعادة الناظر فيها تعديلاً جعلها صالحة لتخريج معلمات في التدبير المنزلي لتعميم نشر هذه التربية النافعة للامة . وسينفذ هذا النظام من اول اكتوبر من هذا العام (سنة ١٩١٢) والتعليم فيها باللغة العربية . وفيها فضلاً عن التدبير المنزلي علم التربية العلمية والعملية

وقد وجهت النظارة اهتمامها الى اصلاح مدارس البنات على الاجمال وتعديل نظامها بحيث تختلف عن مدارس الصبيان كما تختلف طبائع كل من الجنسين وحاجاته وواجباته

الصناعة

التعليم الصناعي قديم في المدارس الاميرية المصرية وهو مؤلف من : (١) مدرسة المهندسخانة بالجيزة وهي عالية يتخرج فيها مهندسو الري والمباني (٢) مدرسة الصنائع والفنون في بولاق (٣) الورش الصناعية في القاهرة واسيوط

فالاصلاح الذي ادخله الناظر في الأُولى انه جعل تعليم الرياضيات والحساب والجبر والمثلثات باللغة العربية وكانت تعلم في الانكليزية

ووضع لمدرسة الصنائع والفنون منذ عامين نظاماً جديداً جعل المدرسة المذكورة ثلاث مدارس : الاولى لتعليم الميكانيكيات والكهربائية . والثانية لهندسة المدن وتنظيمها . والثالثة لزخرفة المباني والنقوش . وقاعدة التعليم فيها كلها اللغة العربية . ولكن اللغة الانكليزية تعلم فيها على انفراد . ويقبل فيها حملة الشهادة الابتدائية . ومدة الدراسة اربع سنوات وسنة للتمرين ويقبل التلامذة داخليين

اما الورش الصناعية فانه ادخل على ورش القاهرة من السنة الماضية صناعة تصليح الاتوموبيلات وتعليم الساقة كيف يسوقونها . ولحام الرصاص لاعداد اسطوانات للمواسير لمثل مشروع مصارف العاصمة بحيث يمكن استخدام الوطنيين فيه وفي امثاله

وفي المنصورة مدرسة للصناعة من هذه الطبقة نظمها وجعل التدريس فيها مستمرًّا طول السنة وادخل فيها ورشة انسجة

غير مدارس الصنائع التابعة لمجالس المديريات في لقصر ونجع حمادي وسوهاج وبني سويف وطوخ — انشئت كلها في العامين الماضيين بارشاد نظارة المعارف واعانتها . وغير مدارس اخرى في الفيوم ودمنهور . فضلاً عن مدرسة محمد علي الصناعية في الاسكندرية فان نظارة المعارف تأخذ بيدها

قلم الترجمة للكتب العلمية الدراسية

ان تحويل التعليم في مدرسة الزراعة بالجيزة وفي المهندسخانة الى اللغة العربية اعوز المدرسين كتباً عربية للتعليم . فانشأ ناظر المعارف لذلك سنة ١٩١٠ قلماً لترجمة الكتب الدراسية في العلوم المطلوبة . وكان القلم المذكور عند انشائه مؤلفاً من ثلاثة اعضاء فاصبح الآن ستة واخذوا في النقل عن احدث المؤلفات . فترجموا حتى الآن اربع مجلدات زراعية طبعت في بولاق وكذلك اربع مجلدات لمدرسة المهندسخانة في العلوم الرياضية وترجموا كتباً في الحسابات التجارية والجغرافية التجارية تحت الطبع . والقلم المذكور تابع لادارة التعليم الفني

ؤونها المهمة في باب التربية والتعليم فتألف لذلك مجلس برئاسة ناظر المعارف والهمة بدولة بهذا السبيل وذكرنا في غير هذا المكان سعيه حفظه الله في احياء آداب اللغة العربية بنشر المؤلفات الهامة فيها

الذي نرجوه الآن

تلك هي الاصلاحات التي تمت حتى الآن في سبيل التعليم في المدارس المصرية وقد مرّ بنا على الخصوص ما توسمناه في حشمت باشا من الرغبة في ترقية اخلاق الامة . سمعناه غير مرة يشكو مرّ الشكوى من نقص الدروس الاخلاقية في المدارس المصرية . وقد انتقى افضل الكتب المفيدة لبث الاخلاق الراقية في نفوس التلامذة من الصغر . وهذه الخطوة من اهم مساعي سعادته في سبيل مصلحة الامة

وقد رأيت انه بدأ الاصلاح من العامة بانشاء المدارس الفنية وسعى في احياء اللغة بجعلها قاعدة التدريس . ولا ريب انه يفكر ايضاً في توسيع دائرة التعليم بادخال علوم لا وجود لها في بروغرام المدارس المصرية من العلوم الطبيعية والاجتماعية والفلسفية والاخلاقية مما فصلناه في غير هذا المكان بالمقابلة بين المدارس الثانوية المصرية والمدرسة الكلية السورية وغيرها راجع الهلال سنة ١٥ ج ٢

ميزانية الحكومة ونظارة المعارف

على ان الوصول الى هذه الغاية لا تكفي فيه الارادة والعزم وانما هو يحتاج الى نفقات لا تقوم بها الاموال المخصصة في ميزانية الحكومة لنظارة المعارف . ان اموال الحكومة تؤخذ من الامة لتنفق في مرافقها حسب حاجاتها او مركزها السياسي او الجغرافي او الطبيعي . وقد يختلف ذلك باختلاف احوالها من سلم او حرب من خصب او قحط . فالدول الحربية ذات الاساطيل نفقاتها الحربية اكثر من نفقات الدول الصغرى المستكنة . فالدولة الانكليزية مثلاً تنفق ثلث دخلها على الجندية البرية والبحرية لانها تحاذر على نفوذها وسلطانها والدول واقفة لها بالمرصاد وهي ذات مطامع في الاستعمار والاستثمار . وقد تقتضي الاحوال ان تنفق في ذلك نصف ميزانيتها او اكثر . وقس على ذلك سائر الدول المحاربة . اما الدول الصغرى الهادئة التي لا مطمع لها ولا خوف عليها فهذه لا تنفق الاموال في التجنيد والتحصين بل تنصرف اموالها الى ما تحتاج اليه من اصلاح شؤونها الداخلية او الزراعية او النظامية كما تفعل بلجيكا وهولندا ونحوهما . فان نفقات بلجيكا على الجندية نحو ٦٠٠٠٠٠٠٠ فرنك ومجموع

سائر المدارس

واللغة العربية

واما التعليم في سائر المدارس الاميرية فالعناية مبذولة فيه نحو الغرض المطلوب بحيث يصير كله في اللغة العربية وتتسع مواد التدريس وترتقي العلوم . وقد اصبح التدريس الآن في المدارس الابتدائية كله في اللغة العربية . وكذلك المدارس الثانوية فالرياضيات الآن تعلم فيها باللغة العربية . وستبدأ في اكتوبر الجاري من هذه السنة بتعليم الطبيعيات والتاريخ والجغرافيا في هذه اللغة. فاصبح التعليم الثانوي كله في اللغة العربية وهي خطوة مهمة في ترقية المعارف واحياء الآداب العربية

مدرسة المعلمين

وكان للمعلمين مدرسة ابتدائية الغاها واعتاض عنها سنة ١٩١١ بتوسيع نطاق مدرسة المعلمين الخديوية في درب الجماميز فزاد في عدد تلامذتها نحو ما نقص بالغاء تلك المدرسة . واعتاض عن السنة الاولى الابتدائية التي كان تلامذتها من حملة الشهادة الابتدائية بتلامذة من حملة الشهادة الثانوية وقد توخى ذلك جرياً مع تيار الافكار ورغبة الامة في الارتقاء العلمي

وفي هذه المدرسة يتخرج المعلمون في كل العلوم الا العربية . ولكن التعليم فيها لا يزال في اللغة الانكليزية . فعسى ان يجعل في العربية قريباً . لان هذه المدرسة تخرج المعلمين لسائر المدارس فهي كالاساس للبناء فالاصلاح يجب ان يبدأ بها

وهي غير مدرسة المعلمين الناصرية وتسمى ايضاً دار العلوم . وهذه قديمة وكانت فصولها عشرة على خمس سنين يتخرج فيها المعلمون للعربية والخط . وقد ادخل فيها تحسيناً هامًا بحيث اتسعت دائرتها وكثر تلامذتها

وهناك مدارس اخرى لتخريج معلمي المكاتب ينالون فيها شهادة الكفاءة واضاف الى بروغرامها تعليم الرسم ومسك الدفاتر ومدة التعليم ٣ سنوات تعطي في آخرها شهادة

ومن حسنات هذه الوزارة تعليم اللسان المصري القديم (الهيروغليف) فقد اصبح فرعاً من فروع العلم في مدرسة المعلمين الخديوية من اكتوبر سنة ١٩١٠ . وقد اقترح تعليمه الموسيو ماسبرو ناظر المتحف المصري واحمد بك كمال وكيله وهو الذي يعلمه . والغرض تخريج رجال يخدمون دار التحف خدمة علمية في التنقيب عن الآثار

وقد ذكرنا في غير هذا المكان ما بذله ناظر المعارف من العناية في اصلاح دا الكتب الخديوية اذ وضع لها قانوناً لتنظيمها سنة ١٩١١ يقضي بتشكيل هيئة تد

الفرد ٤ غروش فعسى ان تلتفت الحكومة الى هذا التقصير . ونحن نزعم اننا نجاري الامم المتمدنة فلا بد من الاخذ بناصر المعارف بالانفاق عليها لانشاء المدارس العالية التي تربي الاخلاق وتهذب العقول

الجامعة المصرية

على ان الامم الراقية او الراغبة في الارتقاء لا تلقي كل اتكالها على الحكومة بل تنهض هي بنفسها وتنفق من اموالها في ترقية ابنائها . ان جانباً كبيراً من جامعات اوربا انشأها رجال من اهلها وقفوا عليها الاموال وتضاعفت الاوقاف بتوالي الايام حتى صارت تعد بملايين الجنيهات . فضلاً عن المدارس الاخرى على اختلاف طبقاتها فان للامة دخلاً عظيماً في انشائها او الانفاق عليها

هكذا فعل الافاضل الذين بذلوا اموالهم في انشاء الجامعة المصرية بذلوها بسخاء ورغبة لانهم يشعرون بحاجة الامة الى التعليم الراقي . وقد شعرنا بذلك فاقترحنا منذ بضع عشرة سنة انشاء مدرسة كبرى لترقية اخلاق الامة وتهذيب عقولها — اردنا بها مدرسة كلية داخلية على شكل كلية بيروت تعلم الشبان وتربي اخلاقهم . فلما نهضت الامة لانشاء تلك المدرسة لا ندري من اشار بان تكون « جامعة » وان يقلدوا بها جامعات اوربا الكبرى بان يكون فيها التعليم خطباً تلقى سماعاً وينصرف الطلاب الى شؤونهم بلا تحريض ولا تسميع . فظهرت لسنتها الاولى اشبه بالنادي الادبي منها بالكليات العلمية فانتقدنا ذلك في الهلال الخامس من سنة ١٧ (فبراير سنة ١٩٠٩) في مقالة ضافية بينا فيها ان طريقة الجامعة وعلومها لا تفي بحاجة البلاد واقترحنا تعليم الطبيعيات والرياضيات بفروعهما . واظهرنا ما يترتب على تعلمهما من تثقيف العقول والححنا في التوسع في العلوم الاخرى . واقترحنا ان تكون المدرسة داخلية يدخلها الطالب يتلقى فيها العلوم ويتمرس باسباب الترقي ويتجمل بالآداب النافعة

فكان لندائنا صدى لدى مجلس ادارة الجامعة فعدلت بروغرامها وجعلت للعلوم الطبيعية حظاً بين العلوم التي قررت تدريسها للسنة التالية . وارسلت شباناً يتلقون تلك العلوم في اوربا على نفقتها حتى يعودوا ويعلموا تلك العلوم فيها . فدلنا ذلك على تعقل المجلس المذكور ورغبته في تطبيق اعماله على حاجة الامة وصرنا نتوقع ان يغير طريقة التدريس الى ما يلائم حاجة الامة فلم يفعل . ودلّ الاختبار في السنين التي مضت منذ انشاء الجامعة ان هذه الطريقة غير وافية بحاجة البلاد لان الطلبة يتناقصون كل عام عما

نفقاتها ٦٦٠ مليون فرنك اي واحد من ١١ وهولندا تنفق على الجندية ٢٩ مليون فرنك وميزانيتها ٢٢٠ مليوناً اي اقل من السبع وقس على ذلك . وانما تصرف اموال هذه الدول في سبيل مرافق اخرى . فبلجيكا تنفق نحو نصف ميزانيتها على السكك الحديدية والبوسطة والتلغرافات او الزراعة او غيرها من المرافق النافعة لها

ومصر من الممالك التي لا مطمع لها في الحرب ولا خوف عليها من سطو او غزو ولذلك كانت نفقاتها الحربية قليلة . فالاموال التي تجمع من الامة باسم الضرائب والجمارك وغيرها يجب ان تنفق في ما تحتاج اليه البلاد من الاعمال . وهي بلاد زراعية فتوجه النفقات الى تلك الجهة على يد ديوان الاشغال . وهي ايضاً في حاجة الى التعليم فيجب ان تصرف العناية اليه . بل هي الآن بعد ان استقرت احوال الري اشد حاجة الى التعليم مما الى سواه . ولكن المخصص لنظارة المعارف لا يزال نحو جزء من ثلاثين من ميزانية الحكومة . فهو قليل جداً بالنظر الى ذلك . وهكذا لو اعتبرت هذه القيمة بالنظر الى عدد السكان . وهاك اهم نفقات التعليم عند اهم الدول بالمقابلة مع عدد السكان ومجموع الدخل :

	عدد سكانها	دخلها بالجنيه	نفقات المعارف فيها
انكلترا	٤٢٠٠٠٠٠٠	١٩٩٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠٠
الولايات المتحدة	٧٦٣٠٠٠٠٠	١٣٦٠٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠٠٠
فرنسا	٣٩٣٧٦٠٠٠	١٧٠٧٦٧٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠٠
ايطاليا	٣٤٥٦٤٠٠٠	٩٦٠٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠

فاذا قابلت دخل هذه الدول ونفقاتها على التعليم رأيت بعضها تنفق عليه اكثر من النصف وبعضها ينفق الثمن او العشر على الاقل وتجد النسبة اقرب في الدول التي لا تحارب او لا تحتاج الى التجنيد مثل مصر لكن مصر دخلها نحو ١٦٠٠٠٠٠٠ جنيه تنفق منه على المعارف نصف مليون فقط

وهكذا اذا التفت الى نفقات المعارف بالنظر الى عدد السكان فانك تجد مصر اقل انفاقاً من اكثر الدول مع حاجتها الى التعليم اكثر من سواها . فانكلترا تنفق ٢٥ مليون جنيه على ٤٢ مليون نفس فيلحق الفرد اكثر من نصف جنيه . اما فرنسا فيلحق الفرد منها نحو ثلث جنيه وايطاليا نحو سبع جنيه . واذا نظرت في الدول الصغرى فانك تجد مصر من اقلهن حظاً في نفقات الحكومة على التعلم . فان ميزانية المعارف نحو ٥٠٠٠٠٠ جنيه وعدد السكان ١٢٠٠٠٠٠٠ نفس فيلحق

وتكون داخلية يتربى فيها التلامذة على الاخلاق الراقية والآداب الصحيحة ويحمل بها التلميذ على الدرس كرهاً وينشأ في وسط يكون اساتذته مثالاً في الاخلاق السامية فضلا عن العلم. وتكون هذه المدرسة مدرسة تعليم وتربية يدخلها الطالب لدن العود لين العريكة فلا يزال يتلقى العلم ويتمرس باسباب الترقي ويطبع على الاقدام وسائر الفضائل حتى يخرج منقفاً قوي الارادة نشيطاً مستقل الفكر هماماً يحب وطنه ويتفانى في خدمته . هذا لا يتأتى بالحضور الاختياري لسماع الخطب لان معظم هذه المناقب تنال بالقدوة والمباحثة والمعاشرة والمناقشة اناء الليل واطراف النهار . وبالجملة اننا في حاجة الى مدرسة يسبك فيها الطالب سبكاً في قالب جديد يوافق مصلحة بلاده

هذه هي المدرسة التي نحن في حاجة اليها فنقترح على مجلس ادارة الجامعة ان يحولوا اسم « الجامعة المصرية » الى « الكلية المصرية » ويجعلوا بروغرامها مثل بروغرامات الكليات العلمية الحقيقية . واذا ارادوا ان يكون ذلك البروغرام اقرب الى حاجة بلادنا فليجعلوه مثل بروغرام المدرسة الكلية الاميركية في بيروت . مع ما تقتضيه حال مصر من التعديل انما يشترط ان يكون تعليمها باللغة العربية فتكون لها مزية على سائر المدارس الكبرى بمصر والشام من حيث احياء الآداب العربية لاسباب تقدم بيانها

وفي صندوق الجامعة الآن بضعة وعشرون الف جنيه غير الاوقاف ولها ريع ثابت يزيد على سبعة آلاف جنيه وهذا راس مال كاف للشروع في هذا العمل . فينفق من المال المجموع لانشاء المعارض العلمية اللازمة لتلامذة الطبيعيات والتاريخ الطبيعي وادوات الكيمياء وغيرها . ويشرع في اقامة بناء خاص للجامعة . وقد علمنا ان الحكومة ستهب الجامعة ارضاً واسعة في محل مناسب ولعلها تساعدها في البناء ايضاً . والا فالجامعة تبنيها مما تجمعه من التبرعات بتوالي الاعوام . وتنفق من الريع السنوي على رواتب الاساتذة مما لا يمكن تحديده تماماً . ولكننا على ثقة ان ذلك كاف للشروع بانشاء الكلية العلمية . ثم تنشأ الكليات الاخرى في الفروع الاخرى من العلوم العالية حسب الحاجة . وبعد ذلك يتألف من مجموع هذه الكليات « الجامعة المصرية »

هذا ما نراه وقد يكون في حاجة الى تعديل او تنقيح فلا بأس من المناقشة فيه . لكنه صحيح في اساسه وهو تحويل الجامعة المصرية الى كلية علمية مصرية تعلم العلوم الراقية في اللغة العربية فتحيي موات هذه اللغة بل تحيي الامة العربية . لان منها يخرج المعلمون لمدارس فرعية تربي الناشئة على خطتها ومنهاجها فلا يمضي زمن طويل حتى تنتشر تلك الروح الراقية في الامة مما نبكي عليه الآن ونتمناه ـ والله ولي الامر

قبله حتى اصبحوا يعدون على الاصابع . فلا بد من اعادة النظر في امر هذه الجامعة وعلومها وطرق تدريسها . ونتقدم بذلك الى مجلس ادارتها فانهم وحدهم المسئولون عن هذا المعهد العلمي لدى الامة التي وضعت ثقتها فيهم وعهدت بادارته اليهم

نحن لا نشك في صدق نية حضراتهم في خدمة الامة . ولكن صدق النية وحده لا يكفي لقيام الاعمال . ان سبعة آلاف جنيه تنفق على التعليم كل عام ينبغي ان تظهر اثمارها . لا ندري ما اعدته الجامعة لهذا العام من التحسين لكنها في كل حال تحتاج في نظرنا الى تعديل اساسي بتغيير بروغرامها حتى يوافق حاجة البلاد . ونحن نعلم ان اعضاء مجلسها يعملون مجاناً وبعضهم ينفق المال من جيبه في خدمتها والرئيس اعزه الله يسافر كل عام ويكابد مشاق الاسفار ونفقاتها في هذا السبيل — هذا كله مسلم ويدلُّ على صدق نية المجلس وغيرته . ولكن يظهر من مجاري الاحوال انه لم يهتد بعد الى الخطة الملاءمة لهذا الوسط . فنستأذنهم في ابداء ما يعنُّ لنا من هذا القبيل ونرجو ان لا يسوءهم ذلك لاننا شركاء في هذه الخدمة وانما نعمل معاً لمصلحة هذه الامة

اذا انتقدنا طريقة التعليم في الجامعة المصرية وقلنا انها لا تفيدنا فلا نريد انها لا تفيد غيرنا لانها الطريقة التي سارت عليها معظم جامعات اوربا . ولكن المطلوب ممن يريد ادخال حسنة من حسنات التمدن الحديث الى الشرق ان يكيفها حتى تلائم طبائع اهله وتوافق مصالحهم ويسهل تناولها عليهم . لا ان يقدمها لهم كما هي اذ لكل أمة احوال تختلف عما للاخرى

وحاجة هذا القطر كما قلنا مراراً انما هي الى ترقية النفوس وتدريب الشبيبة على العمل وتعليمهم قيمة الوقت وتدريب عقولهم على التمييز بين الصحيح والفاسد . وهذه وامثالها لا تنال باستماع الخطب في آداب اللغة او تاريخ الحضارة او الفلسفة — ليس لان هذه العلوم لا ترقي العقول بل لان الطلبة عندنا غير مستعدين لتفهمها والاستفادة منها لانها فوق ما يحتاجون اليه . كما انهم لا يستفيدون الفائدة المطلوبة من المدارس الابتدائية والثانوية لانها تحت حاجتهم . فهم مفتقرون الى علوم متوسطة بين ما يعلم في المدارس الثانوية المصرية وما يلقى في الجامعة الآن . وهذا الذي نريده بانشاء المدرسة الكلية العلمية لانها تتكفل بسد هذا الخلل . والفرق بينها وبين المدارس الثانوية التي تمنح شهادة البكالوريا بمصر انها ارقى كثيراً ولا سيما في العلوم الطبيعية والرياضيات التي ترتقي بها عقول الشبان وتتعود النظر الصحيح والحكم المعقول

فالبلاد في حاجة الى مدرسة علمية علومها ارقى من علوم المدارس الثانوية المصرية

اولاً لان النبات يمتص الماء بجذوره

ثانياً لان الماء داخل الارض غير معرض للتبخير والضياع كما لو كان على سطحها — بشرط ان لا تتصل بطبقة الماء الاصلية تحت الارض

اما ماء المطر فينصرف في ثلاثة مصارف : جزء يتجمع فيجري وجزء يتبخر وجزء يخترق طبقات الارض حتى يصل الى الطبقة المائية

فالسبب الاخير لا اهمية له في الصحراء لان المياه لقلتها لا تتجاوز الطبقات السطحية من الارض . اما السبب الاول فيمكن ملافاته بحواجز توضع لها ومجار تأخذ الماء الى البقعة التي تحتاج اليه

بقي السبب الثاني أي التبخر وهو اهم الاسباب في تجفيف الارض فقد يبلغ مقدار المتبخر من سطح الماء اضعاف ما ينزل من المطر . فكيف نمنع هذا التبخر ؟ يستغرب القارىء اذا علم ان الدواء من نفس الداء . فلمنع تبخر الماء يجب تعجيل التبخير ولكن في مدة قصيرة فقط حتى تجف القشرة السطحية من الارض فتمنع الاتصال بين ما تحتها من الارض المملوءة ماءً وما فوقها من الهواء . اما اذا كانت رطبة فالاتصال لا ينقطع بسبب الامتصاص الشعري ويظل الماء معرضاً للتبخر

وفي البلاد الحارة تقوم حرارة الشمس بتجفيف القشرة . اما في البقاع التي لا يتفق فيها فصل المطر ووقت الزراعة فيمكن تجفيف القشرة بحراثة الارض فتتعرض لفعل الهواء فيسرع التبخر فيها . او بزرع نباتات قصيرة الجذور فتمتص الماء عن السطح بسرعة . ويمكن ايضاً في البلاد غير الحارة الحصول على هذا الحاجز بين الماء والهواء بتظليل الارض او تغطيتها بالقش او نحوه

رأينا كيف نخزن الماء تحت الطبقة السطحية من الارض . وهناك امر آخر يجب ملافاته وهو تبخر الماء عن اوراق النبات لان النباتات تمتص الماء من الارض ثم تبخره بواسطة اوراقها . وهذا العمل يشبه التبخر في جلد الانسان والحيوان . فالتبخر في الاوراق تختلف درجته ولكنه على معظم قوته في البلاد الحارة . فهل من طريق لتخفيف وطأته ؟ ذلك ممكن بحراثة الارض وتنويع المزروعات بحيث تتوفر المواد المغذية وكل ما زاد الغذاء الذي يمتصه النبات مع الماء قل مطلوبها من الماء الصرف

الزراعة في الصحراء

ان البقاع المزروعة في العالم اقل كثيراً من غير المزروعة . فلو تمكن الانسان من زراعة البور من تلك الارضين لزادت ثروته وسهلت اسباب معيشته — وبعضها لا يرجي منها نفع مطلقاً كالبقع المجلدة صيف شتاء فزرعها مستحيل . ولكن هناك بقعاً واسعة قابلة للزراعة من طبيعتها لكن السماء تضن عليها بالماء الكافي : فلو استطاع الانسان ان يستثمرها بالماء القليل فقد جعلها صالحة للزراعة . ويسمي الانكليز هذا الفن Dry farming اي زرع الارضين الجافة

وقد اشتغل في ذلك كثيرون من المزارعين لما توسموه به من المكاسب الطائلة والمظنون ان اكثر المدنيات القديمة كالبيرو والمكسيك وفلسطين وجزيرة العرب كان لها المام به او لعلها اتقنته — فتكون ابحاث ارباب هذا الفن اليوم اكتشافاً لا استنباطاً

المبدأ العلمي : لا يكفي ان نزرع الصحراء بل يجب ان ينتج عن هذا الزرع ربح يذكر اذ ليس المراد تجربة علمية بل فتح باب رزق جديد . وقد يظهر لاول وهلة ان هذه الزراعة مستحيلة لان نموّ النبات يستلزم كمية معينة من الماء

هذا مبدأ صحيح ولكن كمية الماء المطلوبة للزرع جزء صغير من مجموع ما يتساقط من المطر ويذهب الجزء الاكبر ضياعاً . فاذا حصرت هذه الكمية الضائعة واستفيد منها قلّ المطلوب من المطر وامكن زرع البقاع القليلة الماء

وقد اجريت تجارب عديدة لمعرفة الكمية اللازمة من الماء لاستغلال كيلوغرام من الحنطة او الخضار . وهي تختلف باختلاف جنس النبات وتفاوت رطوبة الطقس او حرارته اذ يتضاعف المطلوب في البلاد الناشفة بالنسبة الى البلاد الرطبة وانما يقال على الاجمال ان ليتراً من الماء يكفي لاستغلال كيلوغرام من القمح الصافي (اي بدون قشر) . وعلى هذا الاساس حسبوا ان ارضاً يتساقط عليها ٣٠ سنتيمتراً من المطر في السنة يعطى الهكتار منها مترين مكعبين واربعة اعشار المتر من القمح كل سنتين . وهذا مقدار يمكن للزارع ان يربح منه

تطبيقه عملياً : رأينا ان المقصود من هذا الفن الاحتفاظ بالمياه بدلاً من ضياعها فيجب خزنها في داخل الارض لا على سطها لسببين :



الافاعي التي تصطاد العصافير

المتر . وهو في الغالب هادىء خامل لكنه اذا غضب أو هاج قد ينتفخ ويتضاعف حجمه فيفتك بمن يعترض طريقه — قال واستغربت السهولة التي يقبض بها الوطنيون على هذه الثعابين فسألت احدهم عن ذلك فلم افهم منه الا هذه الكلمات « عصفور في الحشيش » فرافقته الى الغابة وطلبت اليه ان يأخذني الى المكان الذي لقي فيه تلك الافاعي فذهبنا ودلني على نبات له ثمر كثيراً ما تعلق بثيابي كلما مسته . فلم افهم علاقة هذا النبات بالافاعي ولكني تأكدت انه لا بد من علاقةٍ بينهما لاننا وجدنا تحت الشجرة عدة افاعي . فطلبت الى الترجمان ان يستفهم عن الامر فاخبرني ان ثمر النبات الشائك يعلق على العصافير فتتعرقل حركاتها بحيث تمكث بلا حراك او يصعب عليها الطيران فتختبط وتقع على الارض فتأكلها الافاعي غنيمة باردة . وهذا يدل على حذاقة الافاعي في معرفة نوع النبات المفيد لها والاختباء تحتهُ انتظاراً لقوتها

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال : العدد ٢ من سنة ١٣ و ١ من سنة ٢ و ٣ من سنة ١٥ و ١ و ٢ و ٦ من ١٦ و ١ و ٨ و ٩ من سنة ١٧ و ١ و ٢ و ٣ من سنة ١٨ و ١ و ٢ و ٧ من سنة ١٩ و ٤ من سنة ٢٠ فمن كانت لديه هذه الاعداد او بعضها يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه



مصيدة للعصافير

تستفيد منها الافاعي

في عدد من اعداد مجلة المعارف الانكليزية قصة سائح في اوغندا من اواسط افريقيا ذكر فيها نوعاً من النبات يصطاد العصافير قال :



مصيدة العصافير

طلبت يوماً من احد اتباعي أن يستجلب لي بعض الافاعي من نوع يكثر في غابات وغندا لاستخراج سمها وحفظ جلدها ففعل . وهذا النوع لا يتجاوز طوله متراً ونصف

يكون مرة في المساء بماء فاتر . اما في الصباح فيمسح جسده بماء بارد . ويتدرب على غسل فمه ويديه ووجهه قبل الاكل . وثيابه يجب ان تكون ناعمة وواسعة لئلا تعيقه في الحركة ولما كان كثير الحركة وهي واجبة لنمو جسده يقتضي ان يكون البيت وما يحيط به الى مسافة خمسة امتار نظيفاً . ولا يجوز ان ينام في الثياب التي كانت عليه في النهار ولا ان يرتدي الثوب يومين متواليين . بل يجب ان يلبس كل يوم ثوباً نظيفاً والثوب الذي ينام فيه غير الذي يجول فيه

٢ — الرياضة

الرياضة لازمة لسائر الاحياء . وهي من العوامل المساعدة على نمو الجسد فاعضاء التنفس والدورة الدموية والهضم تكتسب بواسطة الرياضة نشاطاً وقوة في تتميم وظيفتها والطفل الرضيع يرفع يديه ويرفس برجليه لا حباً بالرفس ولا ليقبض على شيء امامهُ وانما يفعل ذلك مدفوعاً بالحاجة الى الرياضة كما انه يبكي لا عن جوع ولا رغبة في البكاء بل ليحصل على كمية من الهواء النقي لرئتيه . وهو لا يدري فائدة الهواء ولكن الطبيعة ترشده اليها ولذلك كان الهواء النقي ضرورياً له واحسن وسيلة يحصل بها عليه ان يخرج به من البيت في يوم سكن هواؤه واعتدل حرُّه . وفي فصل الشتاء يجب ان ينقل الى غرفة ثانية ريثما تفتح نوافذ غرفة النوم وتعرض للهواء ساعة على الاقل

والطفل الاكبر سناً يجب ان يشجع على الرياضة اذا لوحظ انهُ لا يطلبها فيعطى ادوات لا تؤذيه اذا استعملها لكنهُ يندر ان يحتاج لواسطة تدفعه الى الحركة بل كثيراً ما تحتاج الام الى زجره وقد تهدده بابيه الداخل الى البيت وربما ضربته . والاصح ان تطلق له حرية التنقل مع المراقبة . وكثيراً ما نشاهد فيه الميل الى التقلب على مرتبة او سجادة او عتبة وغير ذلك من انواع الحركة . ولو لم تكن الرياضة لازمة له لما تعلم الدبدبة ولا تجاسر على الوقوف وحده

٣ — الغذاء

لاجدال ان لبن (حليب) الام هو افضل غذاء يحصل عليه الطفل في ايامه الاولى . وقد ذكرنا في السنة الماضية من الهلال الطريقة المثلى في كيفية رضاعته فلا موجب لتكرارها . انما اقتصر الآن على تفصيل طريقة اطباء اميركا في تغذية الاطفال بوجه

صحة العائلة

وقاية الطفل من الامراض

من هو المسئول عن امراض العالم

اكثر الامهات لا يعرفن من الوقاية غير العطف على اطفالهن اما لجهلهنَّ طرق الوقاية واما لاهمال منهن نحوهم . وليس فيهنَّ واحدة ترتاح لمشاهدة ولدها مريضاً . وقد ابنا مراراً ان العطف على الطفل لا يدفع عنه مكروهاً ولا يردع عن جسمهِ الاخطار التي تهدده في السنين الاولى من حياته بل قد يكون سبباً في تقريبه منها . وشروط الوقاية الاعتناء بصحة الطفل ومراقبة نموه . ولاجل سهولة البحث اقسم الكلام عن الوقاية الى اربعة اقسام وهي : النظافة والرياضة والغذاء والمخالطة

١ — النظافة

النظافة وقد جعلتها فاتحة الكلام لانها عنوان يدلُّ على سلامة ذوق القائم بها ومبلغ ما حصل عليه من التهذيب . ولا يخفى على احد اهمية النظافة ومقدار المنافع المتأتية عنها للنفس وللعقل وللجسد — حتى ان الرضيع في سريره يشعر بالفائدة منها فتظهر على وجهه علامات الراحة والسرور . وما يجب مراعاته في نظافة الطفل الرضيع يختلف قليلاً عن الطفل الاكبر سنّاً . فالرضيع يجب ان يغسل جسده مرة بالنهار بماء فاتر وفمه قبل الرضاعة وبعدها . وعيناه مرة في الصباح وفي الظهر ويغسلان في المسا بمحلول حامض البوريك ويمسح فخذاهُ بماء وصابون عقب التبويل وغيره

اما ثيابه فيجب ان تكون من الفلانلا الناعمة وان تكون واسعة بحيث يتمكن من تحريك اطرافه كما يشاء وان تبدل مرة في النهار على الاقل . هذا من جهة الطفل الذي في سريره اما من جهة ما حواليه من المفروشات — ان كان لا بد من وجود شيء منها — فيجب ان تكون قليلة وبغاية النظافة

ونظافة الطفل الاكبر سناً لا تختلف كثيراً عما تقدم الا بما يأتي : الاغتسا

كل كيلوغرام يعوضه من الزيادة التي يربحها جسده في تدرجه الى النمو . وهاك جدولا لما تولده المأكولات من الحرارة :

اوقية		عقدة حرارة
١ من التفاح	يتولد عنها	٣٠
من التين ٣٣ غراماً	»	٨٠
١ من الزبدة	»	١٦٠
½ ١ من الحبوب	»	٥٠
١ من البسكويت	»	١١٤
١ من القشطة	»	٦٠

اوقية		عقدة حرارة
بيضة كاملة	يتولد عنها	٨٠
١ من بياض البيض	»	٣٠
١ من صفار البيض	»	٥٠
١ من سكر اللبن	»	٣٦
ملعقة كبيرة من السكر	»	١٦

قلنا ان الوسيلة الوحيدة في تحقيق حال الطفل هو الميزان وبه نعلم مقدار نموه ولذلك اضع جدولاً في معدل ثقل الطفل من الولادة الى السنة السابعة فقط وليس على الام الا ان تمرن استعدادها الطبيعي على فهم المسئولية الملقاة على عاتقها فيسهل عليها معرفة الغرض من هذا المقال

	ثقل الصبي بالكيلوغرام	ثقل البنت بالكيلوغرام
عند الولادة	٣ ، ٤٣	٣ ، ٢٦
في الشهر السادس	٧ ، ٢٦	٧ ، ٣٠
في السنة الاولى	٩ ، ٢٩	٨ ، ٨٤
في السنة ونصف	١٠ ، ٣٥	٩ ، ٩٨
في السنتين	١٢ ، ٠٢	١١ ، ٥٦
في السنة الثالثة	١٤ ، ١٤	١٣ ، ٦٠
« الرابعة	١٥ ، ٨٧	١٥ ، ٤١
« الخامسة	١٨ ، ٧١	١٨ ، ٦
« السادسة	٢٠ ، ٤٨	١٩ ، ٩٧
« السابعة	٢٢ ، ٤٤	٢١ ، ٧٨

الاجمال . وقد دلتهم اختباراتهم الواسعة على ان نمو الطفل لايظهر بمجرد النظر الى جسمه فعولوا على الميزان ليرشدهم الى الصواب . ولما كان معدل ثقل الطفل عند الولادة معروفاً ونسبة الربح الذي يحصل عليه من الغذاء مقررة بالنسبة لكمية الغذاء الذي يتناوله في كل اربع وعشرين ساعة هان الوقوف على حقيقة نمو الطفل من وضعه بالميزان فنعرف ثقل جسده . وفي الاسبوع الفائت قرأت مقالة للاستاذ ليفي في هذا الصدد قال « ان معظم الامهات يتذمرن من القاعدة التي وضعناها لتغذية الطفل وليست شكواهن من رضاعته بالاوقات المعينة بل من طريقة مزج لبن البقر بالماء على نسبة تتدرج من القليل الى الاكثر » ثم قال انه خصص بضع سنين درس فيها تأثير اللبن مع بعض التغيير في كميته بالنسبة للماء الممزوج به . ونتيجة درسه « انه يجوز ان يعطى اللبن للطفل من ولادته لغاية الشهر السادس ممزوجاً بمثله من الماء مع اضافة خمسة في المئة من السكر ومن الشهر السادس الى التاسع يمزج بمثل نصفه من الماء وخمسة بالمائة سكر . ومن الشهر التاسع فصاعداً يعطى اللبن صرفاً

ووجد الاستاذ هيو بنر ان معدل ما يحتاج اليه الطفل في الاشهر الثلاثة الاولى ١٠٠ عقدة حرارة لكل كيلوغرام من ثقل جسمه و٩٠ عقدة حرارة في الاشهر الثلاثة الثانية و٨٠ عقدة حرارة في الثلاثة الثالثة و٧٠ عقدة حرارة في الثلاثة الرابعة . لتفرض ان ثقل جسد الطفل بلغ في الشهر السابع ستة كيلوغرامات ونصف فالذي يحتاج اليه من الغذاء ٨٠ عقدة حرارة لكل كيلوغرام و٥٢٠ عقدة حرارة في مدة ٢٤ ساعة وفي هذا الوقت يعطى الثلثين لبن والثلث ماء مع خمسة بالمائة من السكر كما تقدم . فتكون الكمية التي تلزمه ليحصل منها على حاجته نحو اربعة اخماس الليتر و٢٨ اوقية تقسم الى خمس وجبات . فيعطى في كل رضاعة ١٧٠ غراماً او خمس اواق وثلثي اوقية . ومن المقرر ان نصف ليتر من اللبن يولد ٣٠٠ عقدة حرارة والخمسة بالمائة من السكر يولد ٢٠٠ عقدة حرارة . ولا بأس من وضع قاعدة تشمل الاطعمة التي يتدرج الطفل اليها بعد الرضاعة دفعاً للالتباس . والمقرر ان معدل ما يحتاج اليه البالغ من الغذاء ٣٠ عقدة حرارة لكل كيلوغرام لكن الطفل يحتاج الى ضعفي ذلك او ثلاثة اضعافه . فيفهم من ذلك ان الطفل يقلُّ قدر غذائه كلما تقدم في النمو بالنسبة الى ثقله أي الذي يفقده في

على انهُ اذا كان الاعتناء بصحة الطفل الجسدية واجبة فالاعتناء بصحته العقلية أوجب . واي فضل للام من نتاجها اولاداً لا تربية ادبية تردعهم ولا مبادىء سامية شريفة تغرس في عقولهم . بل اي مزية لها بذلك عن الشجرة التي تحمل اثماراً كثيرة لكن ثمرها رديء الطعم يفسد الهواء برائحته الكريهة . والدجاجة تعلمت العطف على صيصانها فتدفع عنها كل مهاجم . وتظن الوالدة ان المدرسة تكمل مافاتها اتمامه من هذه الجهة نحو ولدها فتضمن لها مستقبل ايامه بما يتعلمه فيها من العلوم والآداب فتهمله وشأنه يرتع ويمرح . وفاتها ان الزمن الذي يقضيه ولدها تحت عنايتها هو الوقت الذي تصلح تربته لزرع حبوب المبادئ والاخلاق الحميدة وان الذي يتعلمهُ فيها من العادات صالحة كانت ام رديئة لا تتغلب عليها علوم المدارس بل تتغلب عليه في اعماله كل ايام حياته . وكم من اعمال مستقبحة تصدر عن اولاد المدارس يمجها الذوق وينفر منها الادب . ومعظم امراض العالم من شر وفساد وحقد ونميمة يشتركون فيها . ولهم الضلع الاكبر في نشر الويتها . فلا الحكومات بقوة سلاحها وجندها ولا الطبيب بعقاقيره ولا القسيس بكتابه ولا الكاتب بقلمه يقدر ان يصلح هذه الامراض أو يقتل جرثومتها كما تقدرين انت ايتها الام فانك وحدك قادرة على تخليص الامة من هذه الادران المتفشية في اجسام ابنائها وانت المسئولة في اصلاحها . وبقدر سعي الام تكون سعادة الامة والسلام

مصر — الدكتور اندراوس شخاشيري

الحالة الاجتماعية

في الممالك الكبرى

من العلوم التي نمت نموًّا ظاهراً في القرن الماضي علم الاحصاءات فقد اصبح عضداً لاكثر المباحث لا سيما الاجتماعية منها . فالاعداد قد تغني عن مقالات ضافية لانها تقرير الواقع والواقع افضل دليل — فهم يستدلون على حالة الامة الاجتماعية ودرجة ارتقائها او انحطاطها باحصاء المواليد والوفيات والمدارس والمتعلمين والمرضى عقلاً وجسداً وغير ذلك مما تجده مفصلاً في الجداول الآتية حسب آخر الاحصاءات الرسمية وهي :

٤ — المخالطة

اريد بهذا الشرط من شروط الوقاية علاقة الطفل بالام وهي الصلة الوحيدة بين العالم خارج البيت وبين طفلها . واهمال هذا الشرط يفسد علينا الغاية المقصودة مما توخيناه وسبق بيانه . اذ ما الفائدة من الاعتناء بصحة الطفل اذا كانت الام غير معتنية بصحتها أو كانت تمضي الى زيارة صديقة مريضة او ولدها مريض وتغفل شروط الوقاية جاهلة انتقال العدوى من المريض الى السليم بقبلة تطبعها على فم طفلها بحال عودتها وقبل ان تجري اللازم اجراءه اذا كان لا بد لها من تلك الزيارة . أو تكون مشغولة بشؤون البيت من طبخ وغسيل وتنظيف وغير ذلك ثم تترامى على سرير طفلها وهي في تلك الحالة لا تحسب للخطر حساباً . واذا كان ولدها مستعداً للانتقال فتصحبه معها في زياراتها متنقلة من بيت الى آخر

ويصح هذا التنبيه على كل عضو في البيت بان يكون على حذر . فالاب والاخ والاخت والخادم سواء في نظام الوقاية وقد يكون اهمال الواحد منهم واسطة لنقل العدوى الى البيت كله ومعظم النقص في الاطفال سببه واحد من ثلاثة : الاهمال . او الجهل . او العطف . فتذهب هذه الاجسام الصغيرة وهي اغصان يانعة ضحية الجهل والاهمال على مذبح العطف اوالحنو ولو سألت الام سؤالاً عن مقدار محبتها لابنها لقالت انها تفديه بحياتها وهي اثمن ما عندها . ومن العجيب بام شفوقة محبة الى هذا الحد يصعب عليها الاخذ بما نردده على مسامعها اللطيفة في الاحايين المتتابعة من الشروط الصحية التي تقي حياتها من الافتداء وتحفظ لها ولدها فتقر عينها به . وأي صعوبة لقاء قيامها بعبء هذه الواجبات تعادل الحزن الذي يتملك فؤادها عندما تشاهد ولدها مريضاً . واهم هذه الشروط ياسيدتي ان تعتني بصحتك من نظافة وطعام قبل ان تعتني بصحة طفلك واذا كان لا بد لك من زيارة بعض معارفك فيجب عليك بحال عودتك من الزيارة ان تغسلي وجهك ويديك جيداً وتنزعي الثوب الذي كان عليك . واذا كنت آخذة في شؤون البيت فاغسلي يديك ووجهك قبل المجيء الى طفلك

ولا بد من تلقيح الطفل في اول ايامه ولا ضرر من اعادة ذلك مرة في السنة ولا يقتصر على تلقيح الطفل بل كل عضو في البيت يجب تلقيحه

٣ — امراض الهيئة الاجتماعية

اسماء الدول احصاءسنة ١٩٠٨	المجرمون من كل ١٠٠٠٠٠ نفس				العاطلون من كل ١٠٠٠٠ نفس	المتسولون من كل ١٠٠٠٠ نفس	المنتحرون من كل ١٠٠٠٠ نفس	المواليد غير الشرعيين في الالف	حوادث الطلاق والانفصال في كل ١٠٠٠٠ نفس
	الاعتداءات الجسدية	القتل	السرقة	سائر الجرائم والتعديات					
بلجيكا	٧١٥	٬٧١	١١٤	٢٦٢٨	٢٣٤	٩٠٠	١١	١٬٦	١٧
دانمارك	٢٥٨	٬٣٠	٧٦	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٢٠	٠٠	٢٥
فرنسا١٩٠٥	٥٠١	٬٦٩	١٥٦	١٣٩٢	١٧٨	١٥٣	٢٢	٣٬٢	٢٥
المانيا	١٢٤٠	٬١٣	١٥٢	١٩٩	٢٢	٠٠٠	٢٢	٢٬٩	٢١
انكلترا	٢٩٨	٬١٩	٢١٧	١٦٩٩	٣٥٦	٢٢١	٧٬٤	٠٠	٢٢
ايتاليا ١٩٠٥	١٣٥٠	٧٬٨١	٤١٣	٢٥٦٢	٠٠٠	٣٠٧٠	٦٬٩	١٬١	٦
هولاندا	٢٧٠١	٬١٢	٠٠٠	٠٠٠	١٨٧	٢٣٦٠	٨٬٤	٤٬٦	٣٢
روسيا ١٩٠٣	٩٢	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٤٢	٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
سويسرا	٢١١	٠٠٠	٠٠٠	٥٢٥	٢٣١	٠٠٠	١٩	١٬٢	٤٣
الولايات المتحدة	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٢٥٦	١٠١	١٨	٠٠	٨٦ .

فيظهر من هذه الجداول ان البلاد التي يكثر فيها عدد غير المتعلمين كايطاليا و بلجيكا تكثر فيها حوادث القتل والوفيات على الاجمال . ولكن الانتحار والطلاق فيهما قليلان . وبالعكس فحوادث الانتحار والطلاق تكثر في أكثر البلاد متعلمين كالمانيا وسويسرا



دروس من الباخرة تيتانيك

منذ بضعة اشهر غرقت الباخرة العظيمة بل المدينة السابحة تيتانيك معجزة الصناعة الحديثة فضج العالم لهذا الخبر وتألم الناس وعلموا انهم لا يزالون بعيدوين عن تذليل الطبيعة وان صناعتهم مع ما بلغت اليه من الاتقان لا تزال بعيدة عن الكمال فشرعوا في اصلاح ما تبين لهم فساده — والاختبار خير معلم

واول ما تنبهت له الاذهان اصلاح القوانين المختصة بالسفن ففي وسع الحكومات ان تمنع السفن من حمل من لا يمكنها تخليصهم وقت الخطر . فان الشرائع القديمة في

١ — الحالة العلمية

اسماء الدول	التعليم: الجهال لكل ١٠٠٠ جندي	التعليم: المتقدمون في المدارس في المئة	التعليم: تلامذة الجامعات الكبرى لكل ١٠٠٠٠ نفس	المطبوعات: الجرائد لكل مليون نفس	المطبوعات: الكتب المطبوعة لكل ١٠٠٠٠٠ نفس
باجيكا	٨٣٣	١٢٫٢	٦٨	٢٧	٢٨
دانمارك	٢٠	١٣	٠٠	٨٤	١٣٥
فرنسا	٣٤٦	١٤٫٢	٨١	٢٥١	٢٨
المانيا	٤	١٧	٦٥	١١٥	٤٩
انكلترا	١٠٠	١٧	٥٦	٩٨	٢٢
ايتاليا	٣٠٧٢	٨٫١	٧٧	٦٠	٢١
هولاندا	٢١٠	١٥	٧٢	١٣٢	٥٦
روسيا	٦١١٠	٤٫٥	١٦	٨	٦
سويسرا	٩	١٨٫٦	١٧٨	٢٧٥	١١٦
الولايات المتحدة	٣٨٠	١٩٫٧	٢٠	٢٦٠	١٠

٢ — الحالة الاجتماعية

اسماء الدول احصاء سنة ١٩٠٨	المواليد في الالف	السقط في المئة	الوفيات في الالف	الوفيات تحت السنة من العمر في المئة	الزواج في الالف	ذوو الحرف في المئة	المهاجرون من اوربا في ١٠٠٠٠ نفس	السكان في كل كيلو متر مربع
بلجيكا ١٩٠٧	٢٥	٤٫٣	١٥٫٧	١٣٫٢	٨٫٢	٤٦	٢٤	٢٢٧
دانمارك	٢٩	٢٫٤	١٤٫٧	١٠٫٨	٧٫٥	٤٥	١٧	٦٦
فرنسا ١٩٠٥	٢١	٤٫٥	٢٠٫٦	١٤٫٣	٨٫١	٥١	٠٠	٧٣
المانيا	٣٣	٣٫٦	١٩	١٧٫٨	٧٫٩	٤٥	٤	١١٢
انكلترا	٢٦	٠٠	١٤٫٧	١٢٫١	١٤٫٣	٤٤	٧٤	٢١٥
ايتاليا ١٩٠٥	٣٢	٤٫٥	٢١٫٩	١٥٫٦	٧٫٧	٥٠	١٨٣	١١٣
هولاندا	٣٠	٣٫٩	١٥	١٠٫٣	٧٫٣	٣٨	٥	١٥٤
روسيا ١٩٠٣	٤٧	٠٠	٢٩٫٤	٢٧٫٢	٨٫٧	٢٥	٠٠	٦
سويسرا	٢٧	٣٫٢	١٦٫٢	١٠٫٨	٧٫٨	٤٧	١٠	٨٠
الولايات المتحدة	٢٢	٤٫٣	١٥٫٩	١٥٫٩	٩٫١	٣٨	٠٠	٨

قواعد تقويمية

لما كان امر استخراج تقويمات الشهور الشمسية والقمرية من الامور المهمة في المجتمع الانساني وكان هذا الفكر يتردد في مخيلتي كثيراً رأيت ان اضع القواعد الآتية على النمط الآتي تعميماً للفائدة وتفكهة للقراء

قواعد اوائل الاشهر

القاعدة الاولى لمعرفة وقوع اول كل شهر شمسي في اي يوم من الاسبوع في الحسابين الغربي والشرقي هي ان تطرح قاعدة الشهر الآتي بيانها من قاعدة السنة فما بقي فهو الجواب معبراً عن الواحد بيوم الاحد وعن الاثنين بيوم الاثنين وهكذا الى السبعة بيوم السبت . فان اتفق وقوع قاعدة السنة (المطروح منه) اقل من قاعدة الشهر (المطروح) فلكي يتم الطرح لك ان تزيد على قاعدة السنة سبعة وتطرح من المجموع كما علمت وهاك جدول قواعد الشهور الغربية :

	عدد
كانون ثاني (يناير) وتشرين اول (اكتوبر)	١
نيسان (افريل) وتموز (يوليو)	٢
ايلول (سبتمبر) وكانون اول (دسمبر)	٣
حزيران (يونيو)	٤
شباط (فبراير) واذار (مارس) وتشرين ثاني (نوفمبر)	٥
آب (اوغسطس)	٦
ايار (مايو)	٧

ولاستخراج جدول قواعد الشهور الشرقية لك ان تزيد على كل من قواعد الشهور الغربية واحداً فان زاد عن السبعة تطرحها منه وتعتبر الباقي . ثم تفعل بحسب القاعدة السابقة وهاك جدول قواعد الشهور الشرقية

	عدد
ايار (مايو)	١
كانون ثاني (يناير) وتشرين اول (اكتوبر)	٢
نيسان (افريل) وتموز (يوليو)	٣
ايلول (سبتمبر) وكانون اول (دسمبر)	٤

هذا الشأن ناقصة جدًّا مثال ذلك ان كل سفينة محمولها ١٠٠٠٠ طن وا كثر يكفيها ١٦ قارباً من قوارب النجاة تسع ٨٥٠ شخصاً حسب القانون الانكليزي وكان في الباخرة تيتانيك هذا العدد فضلاً عن اربعة قوارب تطوى

فعلى الحكومات سن قوانين تذكر فيها الامور الآتية : كل راكب يجب ان يعرف المحل المعين له في احد هذه القوارب وان يتمرن الركاب والموظفون على تخليص انفسهم وان يكون في كل قارب ماء وزاد وفانوس . وبوكل ضابط من رجال الباخرة على كل قارب — وعلى كل باخرة ان تضع آلة تلغراف بلا سلك امامها شخص لاستلام الرسالات في كل دقيقة من الليل والنهار

وقد اقترح كثيرون ان يجعلوا ظهر السفينة مستقلاً عنها بحيث يمكن فصله عند الحاجة فيعوم وينقذ من لم يتمكنوا من النزول في القوارب . او تصنع مخادع عوامة توضع على ظهر الباخرة تنزل الى الماء في وقت الحاجة

وشرعت ايضاً شركة الوايت ستار صاحبة التيتانيك في اصلاح الباخرة اولمبيك اختها بان تجعل لها غلافاً حديديًّا يحيط بالسفينة اذا ذهب هذا الغلاف سلمت السفينة او على الاقل امكنها ان تعوم مدة كافية لانقاذ ركابها وستزيد عدد قوارب النجاة . وغير ذلك مما اظهر نقصه غرق التيتانيك

صلاح الدين ومكائد الحشاشين

هذا هو اسم الرواية التي ستنشر ملحقة في السنة ٢١ من الهلال . وهي تبحث في انتقال الدولة المصرية من الخلفاء الفاطميين الى السلاطين الايوبيين على يد السلطان صلاح الدين الشهير في اواخر القرن السادس للهجرة . وتشرح دخائل طائفة الاسماعيلية أو الباطنية المعروفين بالحشيشية أو الحشاشين . وكانوا يومئذ في ابان دولتهم ولهم دخل كبير في تاريخ ذلك العصر

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٣

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٣ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها .

المطروح فيضاف بمقتضى القاعدة ٧ الى الاول = ٨ و ٢ و ٥ ويطرح واحد من كل منها = ٧ السبت و١ الاحد و٤ الاربعاء . ويطرح ٢ للشهر المذكور الشرقي من كل منها ايضاً = ٦ الجمعة و٧ السبت و٣ الثلاثاء

ولو قيل في اي يوم من الاسبوع يقع اول كانون ثاني وشباط واذار وكانون اول الغربية سنة ١٩١٢ فلنا قواعد الشهور الاربعة المذكورة ١ و٥ و٥ و٣ وباضافة واحد الى كلٍ من الشهرين الاولين (لان هذه السنة كبيس سنوي) = ٢ و ٦ و ٥ و ٣ ويطرح كل منها من قاعدة السنة ٤ كما علمت = ٢ الاثنين و٥ الخميس و ٦ الجمعة و١ الاحد . وللشرقي لنا قواعد الشهور الاربعة المذكورة ٢ و ٦ و ٦ و٤ وباضافة واحد الى كل من الشهرين الاولين = ٣ و٧ و ٦ و ٤ وبطرح كل منها من قاعدة السنة ٤ يكون الجواب ١ الاحد و٤ الاربعاء و٥ الخميس و٧ السبت

القاعدة الثانية لمعرفة اليوم من الشهر القمري الموافق لليوم من الشهر الشمسي في الحسابين الغربي والشرقي . هي ان تأخذ اولاً قاعدة القمر وتضيف اليها مجموع عدد الشهورمبتدئاً من اول السنة (اي من كانون ثاني) الى الشهر الذي انت فيه . ثم اضف الى المجموع ايام ذلك الشهرمبتدئاً من اوله الى اليوم الذي انت فيه . ثم اطرح المجموع ١٥ فما بقي فهو الجواب . وللشرقي لك بعد ان تفعل كما تقدم ان تطرح من المجموع ٢ عوضاً عن الـ ١٥ فما بقي فهو الجواب فان زاد عن ٣٠ فاطرحها منه واعتبر الباقي جواباً

قاعدة القمر

ولاستخراج قاعدة القمر لك ان تضرب ارقام تلك السنة الشمسية في $\frac{1}{19}$ ١١ وتقسم الحاصل على ٣٠ فما بقي بعد القسمة اجمع له ١١ (بعد حذف الكسر ان وجد) فما كان فهو الجواب . فان زاد عن ٣٠ فاطرحها منه واعتبر الباقي . مثاله ما هي قاعدة القمر سنة ١٩١٢ الشمسية قلنا ١٩١٢ × $\frac{1}{19}$ ١١ = $\frac{12}{19}$ ٢١١٣٢ ÷ ٣٠ = $\frac{12}{19}$١٢ ٧٠٤ = (بعد حذف الكسر $\frac{12}{19}$) ١٢ وباضافة ١١ اليها = ٢٣ الجواب .

فلوقيل اي يوم من الشهرالقمري يقع في ٢٤ اذار غربي سنة ١٩١٢ فلنا ٢٣ (قاعدة القمر) + ٣ (اي من كانون ثاني لغاية اذار) + ٢٤ (اي مجموع ايام اذار من اوله الى اليوم الذي انت فيه) = ٥٠ — ١٥ - ٣٠ (الزيادة) = ٥ وهو الجواب . وللشرقي نرى ان ٢٤ اذار غربي توافق ١١ منه فلنا ٢٣ + ٣ + ١١ = ٣٧ — ٢ — ٣٠ (الزيادة) = ٥ وهو الجواب فعليك بالامتحان

عكا الياس قسطه زريق

	عدد
	٥
حزيران (يونيو)	٦
شباط (فبراير) واذار (مارس) وتشرين اول (نوفمبر)	٧
آب (اوغسطس)	

(تنبيه) ان الواحد الذي يزاد على قواعد الشهور الغربية لاستخراج قواعد الشهور الشرقية كان اثنين في القرن الماضي الذي يبتدئ من سنة ١٨٠٠ . ينتج من ذلك ان قاعدة كل شهر غربي كانت في القرن الماضي اقل بواحد من القرن الحالي . فلو فرضنا ان قاعدة كانون ثاني الغربي مثلاً هي في القرن الحالي واحد تكون قاعدته في القرن الماضي سبعة . وعليه يجب ان يزاد واحد لقاعدة كل شهر غربي في كل كبيس قرني وهذا هو سبب الفرق بين الحسابين الغربي والشرقي . ومتى انتهيت في الزيادة الى السبعة ترجع من الواحد وهكذا

قاعدة السنة الشمسية

ولاستخراج قاعدة السنة الشمسية لك ان تضرب ارقام تلك السنة في ٣٦٥ $\frac{١}{٤}$ (اي عدد ايام السنة تقريباً) وتقسم الحاصل على ٧ (عدد ايام الاسبوع) فما بقي بعد القسمة هو الجواب . فان وجد مع الباقي كسر يعتبر واحداً صحيحاً ويضاف اليه . كذلك ان كانت تلك السنة كبيساً سنوياً (اي ماكان شباطها ٢٩ يوماً) يزاد ذلك اليوم ايضاً على قاعدة السنة ويزاد ايضاً على كلٍّ من قاعدتي شهري كانون ثاني وشباط فقط . مثاله ما هي قواعد سنة ١٩١٠ وسنة ١٩١١ وسنة ١٩١٢ وسنة ١٩١٣ فلنا ١٩١٠ × ٣٦٥ $\frac{١}{٤}$ = ٦٩٧٦٢٧ $\frac{١}{٢}$ ÷ ٧ = ٩٩٦٦١ $\frac{\frac{١}{٢}}{٧}$ اي ان الحاصل كله صحيح وبقي $\frac{١}{٢}$ مقسومة على ٧ فاعتبر هذا الكسر بمقتضى القاعدة واحداً صحيحاً وهو الجواب . ولنا ١٩١١ × ٣٦٥ $\frac{١}{٤}$ = ٦٩٧٩٩٢ $\frac{٣}{٤}$ ÷ ٧ = ٩٩٧١٣ $\frac{١\frac{٣}{٤}}{٧}$ = ٢ الجواب (لان الباقي ١ $\frac{٣}{٤}$ وباعتبار الكسر واحداً صحيحاً واضافته الى الواحد = ٢) . ولنا ١٩١٢ × ٣٦٥ $\frac{١}{٤}$ = ٦٩٨٣٥٨ ÷ ٧ = ٩٩٧٦٥ $\frac{٣}{٧}$ = ٤ الجواب (لان الباقي وهو ٣ يزاد عليه واحد صحيح بما ان هذه السنة كبيسة) . ولنا ١٩١٣ × ٣٦٥ $\frac{١}{٤}$ = ٦٩٨٧٢٣ $\frac{١}{٤}$ ÷ ٧ = ٩٩٨١٧ $\frac{٤\frac{١}{٤}}{٧}$ = ٥ الجواب (لان الباقي ٤ $\frac{١}{٤}$ وباضافة الكسر الى الصحيح = ٥)

فلو قيل في اي يوم من ايام الاسبوع يقع اول كانون ثاني الغربي سنة ١٩١٠ وسنة ١٩١١ و سنة ١٩١٣ فلنا قاعدة الشهر المذكور ١ وقواعد السنين الثلاث المذكورة ١ و٢ و٥ و بما ان الواحد قاعدة السنة المطروح منه مساوٍ للواحد قاعدة الشهر

الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية

﴿ النجف الاشرف ﴾ السيد علي بن محمد الاصفهاني

لماذا لا يجري كتاب العربية على اصطلاح واحد في نقل الاعلام الافرنجية والمصطلحات العلمية ؟ فيكتب بعضهم « انكليز » وآخرون « نجليز » وهكذا في درون وداروين . وقس على ذلك اختلافهم في تعريب المصطلحات العلمية . فما هو سبب هذا الاختلاف وما هو السبيل الى تداركه

﴿ الهلال ﴾ سبب هذا الاختلاف ان الكتاب بعضهم ينقل على الفرنساوية والبعض الآخر عن الانكليزية اوغيرها . والاعلام يختلف لفظها باختلاف تلك اللغات وكذلك المصطلحات العلمية . اما تدارك هذا الاختلاف فليس له الاسبيل واحد نعني تأليف مجمع علمي لغوي تكون له صفة رسمية يحكم في هذه الاختلافات ويقرر ما يراه ملائماً لروح اللغة العربية فيجري الكتاب عليه . والمرجو ان ينشأ هذا المجمع بمصر لانها مركز العالم العربي وملجأ اللغة العربية . ولا يستبعد ذلك على همة الوزير حشمت باشا ناظر المعارف العمومية ونصير الآداب العربية

الاعلام الاعجمية

﴿ قرطاجنة . كولمبيا ﴾ طانيوس افندي ابي حيدر

بين اسماء ابنائنا كثير ليس له معنى في اللغة العربية مثل يوسف وبطرس وفيليب واسكندر فمن اي اللغات هي وما هي معانيها

﴿ الهلال ﴾ اكثر الاعلام المقتبسة من التوراة عبرانية الاصل مثل يوسف وابراهيم واسحق . والمقتبسة عن الانجيل اكثرها يونانية مثل بطرس ومرقس وبولس . غير الاعلام المقتبسة من التاريخ العام واكثرها من اسماء رجاله كالاسكندر وفيليب وانطونيوس وفيلكس وجورجيوس وغيرها

اما الاسماء الحديثة مثل ادوار والفريد وشارل ونحو ذلك فمأخوذة من اللغات الاوربية الحديثة ولا سيما الفرنساوية والانكليزية وان كان اكثر اصولها يونانية او لاتينية . ولكل من هذه الاسماء معنى كان يدل عليه قبل تحوله الى علم . فبطرس معناها الصخرة في اليونانية واسحق معناها الضحك بالعبرانية . وفيليب معناه محب الخيل في اليونانية . وفيلكس سعيد في اللاتينية وجيورجيوس الحارث في اليونانية وقس عليه

باب السؤال والاقتراح

تاريخ البريد

﴿ دوما . لبنان ﴾ مخائيل افندي خليل خير

في اي زمن انتظمت مصلحة البريد (البوسطة) ومن هو مؤسسها

﴿ الهلال ﴾ البريد قديم جدًّا ويقال ان قورش الفارسي اول من استخدمه في القرن السادس قبل الميلاد . ثم شاع في بلاد فارس واتخذه المسلمون في ابان تمدنهم واول من فعل ذلك منهم معاوية بن ابي سفيان وكان الغرض منه في اول وضعه سرعة ايصال الاخبار بين الخليفة في الشام وعماله في مصر والعراق وفارس . ثم توسعوا فيه حتى جعلوه عيناً للخليفة على عماله وسائر رجال بطانته

وكان من الجهة الثانية واسطة العلاقة بين الخليفة وولاته ينقل اوامره اليهم واخبارهم اليه — يحملونها على البغال او الجمال او الخيل في قطار يتألف من دابة فاكثر حتى تبلغ اربعين او خمسين دابة تسير في طرق للبريد خاصة تنقسم الى محطات او مواقف فيها دواب مسرجة فيبدل عمال البريد دوابهم التعبة بدواب مستريحة في كل موقف . وكثيراً ما كانوا يستخدمون هذه الدواب لحمل بعض الناس الى الخليفة او الامير التماساً للسرعة . وكانوا يتراسلون ايضاً على ايدي حمام الزاجل مما يطول شرحه . والبريد قديم عند الافرنج ايضاً استخدمه اوغسطس قيصر في القرن الاول قبل الميلاد ثم قلده شارلمان في القرن الثامن

اما البريد على النسق المعروف في زماننا فقد اخذناه عن اصحاب التمدن الحديث باوربا . واول من وضع اساسه لويس الحادي عشر اقام له المحطات في فرنسا سنة ١٤٧٠ فالفرنساويون اسسوا البريد الحديث ثم شاع في اوربا . وبعد بضعة اجيال اخترعت طوابع البريد والفضل في اختراعها لانكلترا لان مخترعها جيمس شالمرس الانكليزي سنة ١٨٣٤ ولم يشع استعمالها الا سنة ١٨٤١ وعنهم اخذته سائر الامم

بنصف قرن في سجلماسة والفرس استخدمته قبل هذا التاريخ في محاربة نريمان مع اللصوص الذين تحصنوا في قلعة « اسبند». وباستخدام المدفع والبارود غلبت اللصوص على نريمان بعد ان حاصر القلعة ثلاث سنين متواليات . وحسب امر سموه اقدم هذه الرسالة مع الابيات المترجمة لنشرها خدمة للتاريخ :

نريمان درآن باركاه شهي — همى بود تا شد زمردم تهي
نريمان في تلك الخيمة الملوكية — بقي حتى اصبحت خالية من الناس
شب آخرش بود شب زنده داشت — همى پيش يزدان سرافكنده داشت
فكانت اخر لياليه فاحيا الليل جميعاً — وكان واسه منحنياً امام الرب
مرآن خيمه بد پيش برج حصار — درآن برج بودي شه قلعه دار
والخيمة كانت منصوبة بازاء برج الحصار — وفي ذلك البرج كان سلطان القلعة
يكى ديك منجر درآن برج بود — كه تيرش بد از سنك صد من فزود
وكان قدر في ذاك البرج — وقنبلته اكثر وزناً من قنطار
بدارو مرآن رعد انباشتند — همه روز تا شب نكهد اشتند
ملأوا تلك القدر من البارود — وابقوه حتى الليل
از آن برج آن سنك آمدرها — بدان اتش ودود چون اژدها
فمن ذاك البرج افلت ذاك الحجر — بين النار والدخان كحية تخرج من فمها النار
نريمان درآن باركه در نماز — بدركاه يزد انش بودے نياز
نريمان في الخيمة كان مشغولاً بالصلاة — وكان يناجي الى باب الله
ازآن پس كزان كين كذشته سه سال — همه دشمن ودوست را زان ملال
حاصروا القلعة ثلاث سنين — ومل الاعداء والاحباء من ذلك
زيا لا چو آن رعد انداختند — جهان از نريمان بپر داختند
فلما القوا تلك الصاعقة من الاعالي — جعلوا الدنيا خالية من وجود نريمان

فاذا اعتبرنا حكاية نريمان والمدفع والبارود حقيقية ينتج ان الفرس استخدموا المدفع والبارود قبل المسيح بقرون واذا اعتبرنا هذه الحكاية خرافية او وهمية فلا يستطيع احد ان ينكر ان الفرس كانوا يستخدمون البارود والمدفع في عصر اسدي الطوسي اوقبله . لاننا نرى هذا الشاعر ذكر في اشعاره وجود المدافع وشرح طريقة

اناس باذناب

﴿ مامو في غانة الفرنساوية ﴾ نجيب افندي صباغ
في هذه البلاد الافريقية قوم يولد الذكور منهم ولهم اذناب مثل اذناب الكلاب اما الاناث فيولدن بلا اذناب فهل سمعتم بشي من ذلك

﴿ الهلال ﴾ لم يذكر العلماء المحققون قوماً على هذه الصورة وانما جاء ذكر ذلك في كتب الخرافات ولعلكم سمعتموه من مبالغ في الحديث . فاذا تيسر لكم مشاهدة ذلك ارسلوا الينا رسوم بعض اولئك المواليد بالفوتوغراف لننشرها خدمة للعلم

اختراع البارود

حضرة منشيء الهلال

قدّر لي الله شرف المثول في حضرة صاحب السمو حاج علي قلي خان سردار اسعد البختياري فقال لي سموه . جاء في تاريخ التمدن الاسلامي ان اختراع البارود كان سنة ٧١٩ هجرية وان العرب اسبق الى اختراعه من الافرنج . وازيد على ذلك ان الشاعر الايراني اسدي الطوسي المتوفى سنة ٤٦٥ ﻫ (وهو الاستاذ ابو نصر بن احمد الطوسي ينتهي نسبهُ الى ملوك العجم وأول من الف كتاب قاموس للغتنا الفارسية وكل الرسائل الفارسية اخذت من كتابه واشتهر في عهد آل بويه والغزنوية ويقولون بان ابا القاسم الفردوسي صاحب الشاهنامه كان من تلاميذه) فاسدي الطوسي هذا ذكر في كتابه المعروف به « كرشاسب نامه » ما يدل على ان في زمان « نريمان » جدّ « رستم » الفارس الشهير الايراني كانوا يستخدمون المدافع المعمولة من النحاس في محاربآتهم وان القنابل في ذاك الزمان كانت حجارةً يزيد وزنها على مائة رطل . ولاطلاق المدافع كانوا يستخدمون البارود كما هو معمول في زماننا هذا

ومن ثمَّ امرني سموّه بان اترجم من الفارسية الى العربية الابيات المختصة بهذا الصدد من اشعار اسدي الطوسي وارسلها اليكم تأييداً لما ذكرتموه في تاريخ التمدن الاسلامي بان البارود كانت العرب والعجم تستخدمه في محارباتهم . ولا يصح نسب هذا الاختراع الى شوارتز في سنة ٧١٩ هجرية لان العرب استخدمته قبل ذلك

مجموع الخسائر نحو ثمانية ملايين فرنك ونصف . اما اسباب الحرائق فهي كما يلي : ٢١٨ تسببت عن السبيرتو والاثير و٣٢٠ عن القناديل على اختلاف اشكالها و٩١ عن فلتات الغاز و ٨٨ عن الشمع

تجارة الدول العظمى بملايين الفرنكات

	سنة ١٩٠٦		سنة ١٩٠٩	
	الوارد	الصادر	الوارد	الصادر
انكلترا	١٥ ٣٢١	٩ ٤٦٧	١٥ ٧٤٣	٩ ٥٣٥
المانيا	١٠ ٤٢٤	٧ ٨٠٥	١٠ ٢٦٨	٨ ٣٥٠
فرنسا	٥ ٦٢٧	٥ ٢٦٥	٥ ٩٧٣	٥ ٥١٥
الولايات المتحدة	٦ ٦٠٥	٧ ٨٦٣	٧ ٣٧٧	٨ ٦٣٦
النمسا	٢ ٣٦٢	٢ ٤٢٩	٢ ٩٢٠	٢ ٤٢٩
روسيا	١ ٦٥٥	٢ ٦٦٣	٧٧٤	١ ٣٥٨
ايطاليا	٢ ٤٢٤	١ ٨٣٦	٣ ٠٧٩	١ ٨٨٤

﴿ القهوة يقل استعمالها ﴾ يدل على ذلك الاحصاء الآتي وهو احصاء الكميات الواردة الى اوربا والولايات المتحدة بالكيس

الوارد الى	١٩١٠	١٩١١	١٩١٢
اوربا	٩ ٦٥٦ ٠٠٠	٧ ٦٧٢ ٠٠٠	٦ ٩٩٧ ٠٠٠
الولايات المتحدة	٤ ١٤٣ ٠٠٠	٢ ٥٩٩ ٠٠٠	٢ ٤٨١ ٠٠٠
المجموع	١٣ ٧٩٩ ٠٠٠	١٠ ٢٧١ ٠٠٠	٩ ٤٧٨ ٠٠٠

والمجموع هو محصول العالم كله الا ثلاثة ملايين كيس

﴿ الصوف في العالم ﴾ ان عدد الخرفان آخذ في التناقص لكنه لم يؤثر في تجارة الصوف بسبب تحسين طرق استخراجه وقد قدرت كمية الصوف المصنوع سنة ١٩١٠ نحو ١٣٤٠ مليون كيلو منها ٢٥٤ باوربا و١٥٠ باميركا الشمالية و٣٨٧ باوستراليا و٦٩٦ مليون في الارجنتين واوروغواي

استعمالها وكيف كانوا يطلقونها بواسطة البارود كما يفعلون في زماننا هذا . فالفرس كانوا يستخدمون البارود قبل التاريخ الذي يذكره الافرنج بثلاثة قرون او قرنين ونصف على الاقل . والا فمن اين عرف اسدي الطوسي وجود البارود والمدفع وطريقة استعمالها كما شرحهما في كتابه ولا يعلل ذلك الا بوجودهما في ايران قبل زمن اسدي الطوسي اي قبل ٤٦٥ هـ والله اعلم

حبيب الله بهاء السلطان

اخبار اجتماعية

﴿ الفقر في انكلترا ﴾ في اول يناير سنة ١٩١١ كان مجموع الفقراء الذين تعولهم الحكومة الانكليزية ٨٩٢٠٠٠ اي ٢٥ في الالف من السكان منهم ٤٩٩٠٠٠ يساعدون في بيوتهم و ٣٩٣٠٠٠ مقيمون في منازل الحكومة ومستشفياتها . اما في المانيا فلا يوجد احصاء اجمالي الا احصاء سنة ١٨٨٥ فكان عدد المعولين ١٥٩٢٠٠٠ اي ٣٤ في الالف . منهم ١٢٩٩٠٠٠ في منازلهم . وفي بافاريا كان عدد المعولين سنة ١٩٠٩ ٢٣٥٠٠٠ اي ٣٦ في الالف — وقد تضاعف عدد الفقراء في مدينة برلين منذ ١٨٨٦ الى ١٩٠٩ اي كان ٢٦٠٠٠ فصار ٥٢٠٠٠

﴿ المواليد في بروسيا وفرنسا ﴾ ان عدد المواليد يقل في بروسيا وفي فرنسا ولكنه في الاخيرة اقل بكثير منه في الاولى . وهاك عدد المواليد بالالف في كل منهما :

سنة	في فرنسا	في بروسيا
١٩٠١	١٥٫٧	٣٧
١٩٠٨	١٤٫٨	٣٣٫٧
١٩٠٩	١٤٫٨	٣٢٫٧
١٩١٠	١٤٫٦	٣١٫٥
١١٩١	١٢٫١	٣٠٫٢

﴿ الحرائق في باريس ﴾ حصل في باريس حسب الاحصاءات الرسمية ٤٤٤ حريقة سنة ١٩١١ منها ٤٩٦ قدرت الخسائر فيها باكثر من الف فرنك وبل

ليثبت انفصاله عن سائر الآلات الموضوعة على الدكة . ثم ادار الشجرة الصناعية ايضاً فشاهدنا استقلالها بنفسها . وكان وهي بين ايدي المتفرجين يعلن انه سيصيب بكهربائيته الغصن الفلاني منها واذا بالشرارات الكهربائية تتطاير عن ذلك الغصن . ثم تحول نحو البيانات وهي في قاع الدكة من الداخل وهو واقف بصندوقه على حافتها من جهة الحضور . واخذ يحرك تلك الآلات الموسيقية كما يشاء . فيضع اصبعه على زر من ازرار الصندوق ويقول « سأحرك الآن البيانو الفلاني نمرو كذا » ويضغط على الزر فيعزف البيانو المذكور . ثم ينقل اصبعه الى زر آخر وينبهنا الى انه سيحرك البيانو الآخر ويضغط فيكون كما قال — كرر ذلك مراراً والحضور شاخصون كأن على رؤوسهم الطير

ثم انتقل الى اهم تجربة من تجاربه فاتى بمنطاد (بالون) من النوع المعروف بالدريجابل طوله خمسة امتار او ستة مملوء غازاً وقد سبح في جو ذلك المرسح — وانما اوقف فوق الدكة بيد امراة امسكته ريثما شرح المخترع اختراعه بالنظر الى المناطيد واهمية ذلك في الحروب . وكان في اسفل المنطاد المشار اليه الآلات المحركة لادارته يميناً او شمالاً او صعوداً . وكلها متصلة ببطارية كهربائيـة مستقرة هناك تستقبل الامواج اللاسلكية . واهم تلك الالات فراشان في مقدم المنطاد احدهما في يمينه والاخر في يساره اذا دار احدهما حوّل المنطاد الى اليمين او دار الآخر حوله الى اليسار . وفراش في الوسط اذا دار صعد المنطاد الى الاعلى . ودلنا على جيب بقرب هذا الفراش يقفل ويفتح وضع فيه قطعاً من كرتون وقال ان هذا الجيب يمثل مستودع القنابل التي سيستخدم هذا البالون لالقائها على الاعداء عند الحاجة

فهو يريد ان اختراعه ستتحول فائدته الى تأييد قوة انكلترا الحربية في الهواء فضلاً عن الماء . بان تصنع اسطولاً هوائياً من المناطيد المتقدم ذكرها يرسلونها في الجو ويديرون حركاتها بواسـطة الكهربائية اللاسلكية حتى تقف فوق معسكر الاعداء او حصونهم او سفنهم ومتى ارادوا ان يلقوا القنابل عليها ضغطوا على ازرار بين ايديهم فتسقط القنابل وتعمل عملها . وقد جرب المستر فيلبس هذه الحركة امامنا في ذلك المنطاد الصغير والقنابل فيه قطع من الكرتون . فامر المراة ان تتركه فتركته فسبح في جو المرسح وكان قريباً من رؤوس الحضور . فقال « يجب ان نرفعه » فضغط على زر امامه فدار الفراش الاوسط فصعد المنطاد حتى قارب السقف ثم ضغط على زر حرك الفراش الايمن فتحول المنطاد نحو اليسار وضغط على الاخر فتحول الي اليمين — قضى بضع

باب الأخبار العلمية

الكهربائية اللاسلكية

لادارة المناطيد الهوائية

اختراع عظيم الاهمية

يعلم قراء الهلال فلسفة التلغراف اللاسلكي الذي تنتقل فيه الامواج الكهربائية بلا اسلاك . وقد تمت المخابرة التلغرافية به على مئات الاميال بما يعرف بتلغراف مركوني . لكن هذا الاختراع لا يزال مفتقراً الى الاصلاح والاتقان من اوجه كثيرة اهمها تعيين الجهة التي تسير فيها الامواج بحيث تصيب الآلة التي يراد مخاطبتها واختيارها دون سواها من الآلات . فالراكب في سفينة اذا اراد ان يخابر سفينة اخرى او بلداً في البر بواسطة التلغراف اللاسلكي لا يمكنه ان يختص تلك السفينة او ذلك البلد بالمخابرة . لان الامواج الكهربائية المرسلة من آلة السفينة تخترق الفضاء من كل ناحية وتصيب كل آلة تقع الامواج عليها فيتناول الرسالة غير اصحابها . على انهم احتالوا في تخصيص الارسال حيلة لا تشفي غليلاً . وظل العلماء يبحثون عن طريقة تنتقل بها الكهربائية بلا سلك مثل انتقالها على الاسلاك فيوجه المخاطب رسالته الى المكان الذي يريده فيحرك الآلة التي يريدها دون سواها

وقد وفق الى ذلك الآن مخترع انكليزي اسمه ريموند فيلبس وشاهدنا تجاربه التي اجراها في مرسح الكوليزيوم بلندن في اثناء سياحتنا بانكلترا في هذا الصيف مع جمهور من الحضور يزيد عدده على ألفي نفس . فادهشنا ما رأيناه من معجزات ذلك الاختراع وهو يسمي اختراعه « السيطرة على الكهربائية اللاسلكية وتوجيهها حسب الاختيار ولاثبات ذلك ملأ دكة المرسح بالآلات الكهربائية اهمها ثلاثة بيانات (بيانو) وشجرة مصنوعة من الاسلاك مكسوة بالانسجة الخضراء بلون الورق . ومنضدة عليها صندوق فيه ازرار كهربائية يزعم ان كل زر منها يحرك آلة من تلك الآلات متى شاء فبدأ اولاً في اثبات هذه الحقيقة . وقبل الشروع بالتجارب ادار الصندوق على الحضور

بحضرة قيصر المانيا وهي اكبر باخرة في العالم محمولها ٥٢٠٠٠ طن وطولها ٢٦٩ متراً وفيها محل لخمسة آلاف نفس

﴿ اعمق نقطة في البحار ﴾ اكتشفت الباخرة بلانت قرب جزر الفيلبين نقطة عمقها ٩٧٨٠ متراً وهي اعمق مكان معروف

مطبوعات جديدة

﴿ تاريخ البابية ﴾ اهدانا صديقنا الاستاذ ادوارد براون المستشرق الانكليزي الشهير في كمبريدج كتابين انكليزيين في تاريخ مؤسس البابية احدهما اصله في الفارسية « التاريخ الجديد في ترجمة مرزا علي محمد » تأليف مرزا حسين الهمداني نقله الاستاذ براون الى الانكليزية . والاخر رحلة اصلها فارسي ايضاً تمثل حال الباب وعصره نقلها الاستاذ المشار اليه الى الانكليزية وعلق عليها الملاحظات والشروح . والكتابان مطبوعان في كمبريدج وهما من اوثق المصادر في تاريخ مؤسس البابية . وللاستاذ براون ولع خاص باداب الفرس وسياستهم وسائر احوالهم . وله مواقف عديدة دافع فيها عن مصالحهم . غير مؤلفاته العديدة في شؤونهم المختلفة ذكرنا منها في الهلال تاريخ آداب اللغة الفارسية في مجلدين كبيرين . وهو كثير الاهتمام في نشر آثارهم العلمية واكثر ما نشرته لجنة تذكار جيب من المؤلفات الفارسية نشر بسعيه واهتمامه . فضلاً عن اشتغاله باداب اللغة العربية وغيرها

﴿ الانسانية والتمدن ﴾ هو كتاب اجتماعي اخلاقي تأليف جرجس بك انطون وكيل ادارة حركات السكك الحديدية المصرية ضمنه ابحاثاً مفيدة في الانسانية والمحبة وفي الانسان وحياته وحريته . وفي الاحسان والجمعيات وعظماء الانسانية . ثم بحث في التمدن والعادات والاخلاق وما يعتور المدنية من الادران فانتقدها واطال البحث في التربية على اختلاف وجهاتها . وخصص بعض الاخلاق السامية بالدرس كالهمة والاعتماد على النفس وملكة احترام النفس . وبحث في الزواج والتمدن وفي المرأة وملابسها من زمن الفراعنة الى الان ووصف الرجل في بيته ونظام البيوت واداب المائدة وآداب الزيارة والموسيقى وغيرذلك . وقد شفع كل باب من بحثه بالانتقاد والارشاد بحيث يراد به ترقية الاخلاق فضلاً عن الحقائق الاجتماعية الفلسفية . والكتاب مطبوع طبعاً

ائق في ذلك والبالون يطوف فوق رؤوسنا ثم قال « ها اني مطلق القنبلة وضغط لى زر فانفتح ذلك الجيب وتساقطت قطع الكرتون فصفق له الجميع

ومما قاله في اثناء شرحه انه عرض اختراعه على الحكومة الانكليزية وهي تفحصه يرجو ان يقع موقع الاستحسان عندها . فاذا صح اصبحت انكلترا سيدة الهواء كما ي سيدة البحار . وقد راينا تجاربه صحت في تلك البقعة الصغيرة على منطاد طوله نحو خمسة امتار فهل يصح في المناطيد الكبرى على المسافات البعيدة ؟ هذا ما ننتظره ريثما يتحقق

﴿ استخدام التلغراف اللاسلكي لضبط الساعات ﴾ انه بناء على اتفاق دولي يرسل برج ايفل برقيتين كل يوم الاولى في الساعة العاشرة والدقيقة ٤٥ صباحاً والثانية الساعة الحادية عشرة والدقيقة ٤٥ مساء لضبط ساعات المراكب الى مسافة ٥٠٠٠ كيلومتر . وقد خطر لبعض الساعاتيين ان يستفيدوا من هذه البرقيات وقد تقدم ان التلغراف اللاسلكي يرسل امواجاً يمكن التقاطها باية آلة لاسلكية وهناك انواع من هذه الالات لاستقبال الامواج بسيطة التركيب جدًّا اذا وضعها الانسان في غرفته او في اي مكان تأثرت من التموجات الخارجية . وقد شرعت محطات السكك الحديدية في استخدامها

﴿ استخدام المد والجزر ﴾ فكر الناس كثيراً في استخدام قوى المدّ والجزر ولكنهم لم يصلوا الى حل حسن وقد تأسست بالامس شركة في شمالي المانيا رأسمالها خمسة ملايين مارك (او شلن) لتوليد الكهربائية بواسطة المد والجزر فبنوا حاجزين للماء بين الشاطىء وجزيرة صغيرة على مقربة منه ووضعوا حاجزاً ثالثاً يصل بين الحاجزين الاولين على شكل مربعين او مستطيلين يمكن الاتصال بينهما بابواب تفتح وتغلق عند اللزوم ليكون دائما فرق بين سطحي الماء في المربعين فتدور الآلات التي فوق الحاجز الثالث بسبب الفرق بين السطحين

﴿ الكهربائية لمنع تجلد الماء ﴾ قرب نيويورك جزيرة صغيرة تجلد الماء في مواسيرها في الشتاء الماضي فطلبت البلدية من شركة اديسون ان تذيبه بواسطة المجرى الكهربائي فلبتها الشركة وارسلت مجرى قوياً في المواسير فذاب الجليد

﴿ زيت البترول بدلاً من الفحم ﴾ قررت الحكومة الاميركية ان يستعمل زيت البترول بدلاً من الفحم في مدرعتين شرعت في بناهما تحمل الواحدة منهما ٢٠٠٠ طن منه لا تشغل اكثر من ٢٠ متراً مكعباً

﴿ اكبر باخرة في العالم ﴾ انزلت في همبرج في ٢٢ مايو الماضي الباخرة امبراطور

الفصل الاول

فذلكة تاريخية

انتهت رواية « فتاة القيروان » بدخول مصر في حوزة الفاطميين او العبيديين سنة ٣٥٨ هـ على يد القائد جوهر وبادت دولة الاخشيد وخرجت مصر بذلك من حوزة الدولة العباسية لانها كانت في زمن الطولونيين والاخشيديين مع استقلال هاتين الدولتين بالحكومة تحت رعاية الخليفة العباسي في بغداد وهو يثبتهم على الامارة ويبعث اليهم بالخلع او بكتاب التولية (الفرمان) نحو ما يفعل السلطان العثماني بامراء مصر لهذا العهد . ولكن ادارة الحكومة الداخلية وسائر اعمالها كان يجريها الامير الطولوني او الاخشيدي مستقلاً بدون مراجعة بغداد . وهو يشبه ما يعبر عنه كتّاب هذا العصر بالاستقلال الاداري على تفاوت بدرجات ذلك الاستقلال

فلما دخلت مصر في حوزة الفاطميين تغيرت حالها السياسية واصبحت دولة مستقلة بنفسها استقلالاً تاماً لا تراجع احداً ولا تعترف بسيادة احد غير الخليفة الفاطمي المقيم في القاهرة

وهي اول مرة استقلت بها مصر بالسيادة السياسية بعد الاسلام . وبقيت الخلافة العباسية في بغداد كما كانت وظهرت الخلافة الاموية بالاندلس في بني مروان . فاصبحت المملكة الاسلامية يتنازعها ثلاثة خلفاء كل منهم يزعم لنفسه الحق بالخلافة الحقيقية وينكرها على الآخرين . وكان النزاع على اشده بين خليفة بغداد وخليفة القاهرة . وبينهما اختلاف في المذهب ايضاً لان الخلافة العباسية كانت سنية والفاطمية شيعية . وهو في اصله تنازع سياسي ادخلوا فيه الدين وسيلة لتأييد دعواهم

والدولة الفاطمية اول دولة شيعية تسمَّى ملوكها بالخلفاء . وعاصرتها دولة اخرى شيعية في العراقين وفارس نعني الدولة البويهية لكنهم لم يسموا انفسهم خلفاء ولا ادعوا نسباً قرشيًّا يؤهلهم لذلك . وحافظوا على الخلافة العباسية مع اعتقادهم ان اصحابها اغتصبوها من مستحقيها — وانما استبقوها ليحكموا بها العامة . واشار بعضهم على معز الدولة البويهي بعد قيام الدولة الفاطمية ان ينقل الخلافة الى الفاطميين او الى غيرهم من العلويين فاعترض عليه بعض خاصته قائلاً « ليس هذا برأي فانك اليوم مع خليفة تعتقد انت واصحابك انه ليس من اهل الخلافة لو امرتهم بقتله لقتلوه

متقناً ومزين بالرسوم . وثمن النسخة ٢٠ غرشاً تبرع بها المؤلف للفقراء جزاه الله خيراً

﴿ La Syrie ﴾ هو كتاب في سوريا وارضها وسكانها والاحوال الاجتماعية والادبية والسياسية فيها وفي لبنان . الفه بالفرنساوية خير الله افندي خير الله اللبناني نزيل باريس وهو من جملة نوابغ السوريين المشتغلين بالادب الفرنساوي يجارون اهله فيه ويعدون من كتاب اللغة الفرنساوية سنأتي على ذكرهم في اثناء رحلتنا — وخير الله افندي منهم . وهذا الكتاب من آثاره في هذه اللغة وصف فيه ارض سوريا وسكانها واديانها باختصار . وافاض في وصف النهضة الادبية والعقلية فيها فمهد الكلام في ما كان قبل هذه النهضة من المدارس المارونية في ايطاليا وفي لبنان مثل عنطورة وعين ورقة وزغرتا ومدارس الجزويت في غزير ومدرسة الاميركان في عبيه . وذكر بعض مشاهير ذلك العهد . ثم تقدم الى النهضة بعد سنة ١٨٦٠ فذكر البستاني واليازجي والكليات الكبرى في بيروت والصحافة السورية والم باشهر كتابها وارخ الطباعة العربية وعقد فصولاً في احوال سوريا الاجتماعية والسياسية واختص سياسة لبنان بفصل ضاف . وفي الكتاب ابحاث جزيلة الفائدة وهو يطلب من مكتبة ليرو في باريس

﴿ قانون القضاء العثماني ﴾ صدر الجزءان الثاني والثالث من هذا الكتاب النفيس لمؤلفه سليمان افندي مصوبع المحامي وقد بلغ فيهما الى صفحة ٣٦٠ وفيها مادة « حقق » وسيبلغ الكتاب عشرة اجزاء . وبدل الاشتراك فيه اربعة ريالات مجيدية

﴿ الحكمة المشرقية ﴾ كتاب اخلاقي يشتمل على ثلاثة ابواب (١) حكم فتاحوتب الحكيم الوزير المصري القديم (٢) جولستان او روضة الورد للشاعر السعدي الشيرازي (٣) كتاب التعليم الراقي المراة اليابانية للفيلسوف اوناداجا كو الياباني . نقله الى العربية الاستاذ محمد لطفي جمعة المحامي صاحب « ليالي الروح الحائرة » وذلك من جملة الادلة على رغبته في ترقية اخلاق امته ورفع قدر الشرق واهله . فان من يطالع هذا الكتاب يتمثل له سبق الشرق الى الفلسفة الاخلاقية والاحكام الصحيحة في الظواهر النفسية والاداب الاجتماعية . ومنها حكم فتاحوتب كتبت منذ نحو ستين قرناً وحكم السعدي منذ نحو سبعة قرون . والكتاب يطلب من مكتبة مجلة البيان بمصر

﴿ آداب العرب ﴾ هو كتاب مدرسي اخلاقي تهذيبي تأليف ابراهيم بك العرب قررت نظارة المعارف العمومية طبعه لتدريسه في المدارس الابتدائية للبنين والبنات . وهو يشتمل على منظومات حكمية يراد بها العظة على السنة بعض الحيوانات في اسلوب شعري سهل التناول واضح المعنى يقع من النفس موقعاً مؤثراً

وضعف امر الشيعة هناك وولي السلاجقة مماليكهم وقوادهم (الاتابكة) على الولايات واستقل كل منهم بولايته ومنهم نور الدين زنكي في الشام . وكان في جملة قواد نورالدين جماعة من شجعان الاكراد منهم نجم الدين ايوب واخوه اسد الدين شركويه وقد بلغا عنده منزلة رفيعة . وكانت خلافة مصر قد افضت سنة ٥٥٦ هـ الى العاضد لدين الله ابن يوسف وكان ضعيف الرأي وقد غلب وزراؤه على دولته وتنافسوا على الاستئثار بالنفوذ وطال تنافسهم حتى اخربوا البلاد والخليفة لا يستطيع عملاً

وكان في جملة المتنافسين وزير اسمه شاور غلب على امره فذهب الى نور الدين زنكي واستنجده على رجل آخر كان ينافسه في الوزارة فاغتنم نور الدين تلك الفرصة للقبض على مصر وانجده باسد الدين شركويه في جند من المماليك فردَّ الوزارة الى شاور وصار هذا يدفع ثلث خراج مصر الى نور الدين

وكانت الحروب الصليبية في تلك الاثناء قد احتدمت فزاد دخول نور الدين في شؤون مصر ونائبه فيها شركويه ومعه ابن اخيه يوسف بن نجم الدين وهو صلاح الدين الايوبي الشهير . ومات شركويه بمصر سنة ٥٦٤ هـ فخلفه صلاح الدين في منصب النيابة وسمي وزيراً

فاتخذ صلاح الدين ذلك وسيلة للاستقلال بسلطنة مصر لنفسه ــ وهو ما يُطلب بسطه في اثناء هذه الرواية

الفصل الثاني

موكب الخليفة العاضد

انهض يا اخي . . اما كفاك نوماً ؟ والقاهرة قد ضجت والناس يتراكضون ؟ . قم وانجُ بحمارك

الى اين ؟ ولماذا ؟ هل احرقوا القاهرة كما احرقوا الفسطاط ؟ ام هناك ضريبة جديدة علينا ؟ تركت مواقف القاهرة واتيت بحماري الى هـذا الموقف خارج باب الفتوح لا تخلص من تعدياتهم وتعديات هؤلاء الاتراك والاكراد و . .

اسكت ياعمر ان هؤلاء الاكراد كل الخير منهم . . هل نسيت ما كنا نقاسيه من العذاب قبلهم ؟ حتى ان احدنا لم يكن يتحرك ما لم يضربوا عليه ضريبة . ومن كان

مستحلين دمه ومتى اجلست بعض العلويين خليفة كان معك من يعتقد انت واصحابك صحة خلافته فلو امرهم بقتلك لقتلوك » فرجع معز الدولة عن عزمه [1]

استقرت الخلافة الفاطمية بمصر والخلفاء العباسيون في بغداد واتباعهم السنيون في انحاء العالم ينكرون على الفاطميين صحة انتسابهم الى فاطمة الزهراء وهم لا يبالون . وانما كان يهمهم تأييد سلطانهم بالسيف والدهاء ولا سيما في اوائل دولتهم . فان المعز لدين الله لما بنى له جوهر مدينة القاهرة ودعاه اليها خرج الناس للقائه فاجتمع به اناس من الاشراف وفيهم عبد الله بن طباطبا المشهور فتقدم الى الخليفة المعز وقال له « الى من ينتسب مولانا » فقال له « سنعقد مجلساً نجمعكم فيه ونسرد عليكم نسبنا »

ولما استقر المعز في القصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم وقال « هل بقي من رؤسائكم احد » قالوا « لم يبق معتبر » فسلَّ نصف سيفه وقال « هذا نسبي » ونثر عليهم ذهباً كثيراً وقال « هذا حسبي » فقالوا جميعاً « سمعنا واطعنا »

فتوالى على مصر من الفاطميين احد عشر خليفة حكموا نيفاً ومئتي عام (من سنة ٣٥٨ — ٥٦٧ هـ) اولهم المعز لدين الله وآخرهم العاضد لدين الله . مرت الدولة في اثنائها في ثلاثة ادوار : كانت في اول امرها قائمة بالعرب والبربر وهم الذين فتحوا مصر مع جوهر فكان النفوذ مشتركاً بين هذين العنصرين . ثم صار الى البربر ثم الى الاتراك [2] كما انتقل النفوذ في الدولة العباسية من العرب والفرس الى الاتراك

وكان السبب في تكاثر الاتراك بمصر انه لما مات الخليفة الحاكم بامر الله وخلفه ابنه الظاهر لاعزاز دين الله سنة ٤١١ هـ اكثر من اللهو والقصف ومال الى الاتراك والمشارقة فانحط جانب البربر وما زال قدرهم يتناقص حتى كاد يتلاشى . فلما ملك المستنصر سنة ٤٢٧ هـ بعد الظاهر كانت امه امة سوداء فاستكثرت في جنود ابنها من العبيد ابناء جلدتها حتى بلغوا الف عبد اسود . وكان ابنها يستكثر من الاتراك فاصبح الجند طائفتين كبيرتين تتنافسان وتتسابقان الى الاستئثار بالنفوذ . فآل التنافس الى حرب تعبت بها مصر واضطر الخليفة الى استنصار صاحب الشام فاتاه امير الجيوش بدر الجمالي من سوريا وهو ارمني الاصل فقتل اهل الدولة واقام بمصر جنداً من الارمن والاتراك وصارمن حينئذ معظم الجيوش منهم وذهب نفوذ البربر وصارو من جملة الرعية ولم يبق لهم شان في الدولة بعد ان كانوا وجوهها واكابر اهلها

وكان السلاجقة في اثناء ذلك قد غلبوا على العراق وفارس وذهبت دولة آل بويه

(١) ابن الاثير ١٧٧ ج ٨ (٢) تاريخ التمدن الاسلامي ٢٠٠ ج ٤

نحن الان على هذا السطح مشرفون على الموكب

انهم قادمون من القصر . وبعد قليل يصلون الى باب الفتوح هذا فنراهم وهم خارجون ... الا تسمع الضوضاء وقرقعة اللجم

نعم اسمع واخاف ان يكون علينا خطر

لا ما فيش خطر . . اراك تخاف من خيالك

لا تؤاخذني يا عم حسن ان الملدوع يخاف من جرة الحبل . وهؤلاء الجنود لم يخرجوا بمثل هذه الحركة الا تعدوا علينا واخذوا دوابنا ..

اتى الموكب انظر نظرة عامة اليه وهو في الشارع الداخلي قبل خروجه

اني ارى الاعلام تخفق والخيول تصهل والرماح تتلالأ والسيوف تلمع والشارع يموج بمن فيه كالنيل في فيضانه . ياحفيظ ! اشكرك يا عم حسن على هذه الفرجة .. قل لي الان وقد اخذوا يخرجون من باب الفتوح من هو الخليفة منهم هل هو هذا الراكب على هذا الفرس الاشهب وعليه الثياب القصبية ؟

يظهر انك لم تشاهد احداً من رجال الدولة في حياتك .. ان الذين يتقدمون موكب الخليفة كثيرون . وهل تظن الخليفة يلبس القصب ؟ انه لباس بعض اتباعه . اما الذين تراهم في مقدمة الموكب فهم الامراء واولادهم واخلاط من العسكر وراءهم ارباب القصب ثم ارباب الاطواق الى الاستاذين المحنكين وهم اكبر رجال الدولة . انظر الى البستهم الفاخرة التي تأخذ بالابصار والى سروج خيولهم المفضضة ومن يسير في ركابهم من الخدم الاتراك وغيرهم . ان ذلك كله ليس شيئاً بالنظر الى موكب الخليفة . انظر .. انظر .. هذا هو موكب الخليفة عند تلك المظلة

ان المظلة تغطيه فلا اراه جيداً . وانما ارى فرسه وما يحدق بها من الاعلام والفرسان بجانبه من هم ؟

لا تستعجل في الاستفهام ان الموكب يسير ببطء وانا شارح لك كل شيء — هل ترى فرس الخليفة ؟ تأملها جيداً ان سرجها من الديباج الاحمر مصوغ بالذهب ومنزل فيه الميناء ولو تأملت مقدم السرج لرايت عليه حجاراً كريمة . وفي عنق الفرس قلائد الذهب ولو استطعت النظر الى قوائم الفرس لرايت حولها الخلاخل الذهب . ويقدرون كل فرس بما عليها من العدة بالف دينار [1] وافراس الوزراء

(١) المقريزي ٤٤٧ ج ١

يجسر ان يذكر ابا بكر او عمر رضي الله عنهما ؟
صدقت . . ان والديَّ ندما على تسميتي بهذا الاسم . . وماذا جرى الان يا عم
حسن ؟ هل نقدر ان تحرك ؟ ها انت تقول لي قم انج بحمارك
اقول لك ذلك لان الخليفة العاضد لدين الله خارجٌ من قصره في موكبه وستتبعه
طائفة من الاتراك وغيرهم فربما سطا احدهم على حمارك فيركبه .. وربما اخذه لنفسه
الخليفة خارج من قصره ! واين نحن وقصره ؟ اننا خارج القاهرة
انه آت الى هنا وسيخرج من باب الفتوح هذا
من هذا الباب ؟ الى اين ؟
انه خارج لاستقبال نجم الدين ايوب
الخليفة خارج من القاهرة لاستقبال نجم الدين ؟ ومن هو نجم الدين هذا
هو والد الوزير صلاح الدين يوسف جاء من الشام لزيارة ابنه
الله الله يا دنيا – الخليفة امير المؤمنين ابن بنت الرسول وظل الله على الارض
يخرج من قصره الى خارج بلده لملاقاة والد وزيره – متى كان الخلفاء الفاطميون
يفعلون ذلك ياعم حسن ؟
تغيرت الاحوال يا صاحبي .. ان الخليفة لم يبق له من الخلافة الا الاسم . وصار
النفوذ الى هذا الكردي . . مسكين العاضد
مسكين ليه ؟ بل نحن المساكين ويمكن هذا الكردي يكون احسن منه
الكردي احسن من الخليفة ؟ لا ....
وما الذي يصيبنا من هؤلاء الحكام ؟ انهم يختصمون على الاستبداد فينا وماذا
يهمني ان كان حاكمي كرديا او عربيا اوهنديا انما يهمني ان لا يظلمني .. مش كدا ؟
اسكت انهم قادمون الا تسمع الابواق والصنوج ؟ انج بحمارك خبه في مكان وتعال
ها انا ذاهب وسارجع اليك على عجل لأرى موكب الخليفة .. ان ذلك حسرة
في قلبي منذ ولدت . طالما سمعت بهذا الموكب وما يحفُّ به من الفرسان وما يلبسه
الخليفة من الجواهر والحرير و ...
انا في انتظارك . . استعجل يا عمر
لا .. لا .. الاحسن ان تتبعني انت لنضع الحمار في هذا البيت ونصعد على سطحه
فنكون اقدر على المشاهدة وابعد عن الخطر
طيب . . هيا بنا

اسكت يا شيخ ان النعم من عند الله يؤتيها من يشاء .. ولعلك لو عرفت ما في قلب هذا الخليفة لم تحسده على هذه الجواهر .. مالنا ولهذا الآن .. اسمع .. الا ترى الفارس الى يسار الخليفة وفي يده منديل ابيض ؟

نعم اراه ماذا يوجد في هذا المنديل ؟

في هذا المنديل الدواة الثمينة التي هي من اعاجيب الزمان فانها من الذهب وحليتها مرجان .. انظر الى الجانب الآخر من الخليفة ترَ فارساً آخر يحمل سيفاً حليته من الذهب مرصعة بالجوهر وهو مغمد لايظهر الا راسه وحامله يقال له « حامل السيف » وهو من اصحاب الرتب العالية . وانظر الى حوالي فرس الخليفة فانك تجد عشرات من الصبيان وعليهم المناديل الطبقات وفي اوساطهم السيوف واوساطهم مشدودة بمناديل وفي ايديهم الحراب مشهورة وهم بجانبي الخليفة كالجناحين . وبينهما فسحة امام وجه الفرس ليس فيها احد . وبالقرب من عنق الفرس صقلبيان يحملان المذبتين وهما مرفوعتان كالنخلة لذب مايسقط من طائر او غيره

اني ارى فارساً فخيماً يذهب ويجيء الى يسار الموكب ويأمر وينهى من هو ؟

هذا والي القاهرة يحافظ على ترتيب الموكب ليسهل مروره ويمنع الازدحام . . . انظر الى الذين هم وراء دابة الخليفة .. هناك جماعة من الصبيان يقال لهم صبيان الركاب يحملون العماصم المصقولة المذهبة بدل السيوف المحدبة وبايديهم الدبابيس الكيمخت الاحمر والاسود ورؤوسها مدورة مضرسة . وبعضهم يحملون عمد الحديد وبين ايديهم لواء الحمد المختص بالخليفة وحوله ٢١ راية على كل منها كتابة بالحرير تخالف الوانها وهذا نص الكتابة « نصر من الله وفتح قريب » ألم تقراه ؟

فضحك عمر وقال « من اين لي ذلك ؟ ان اهلي لم يضعوني في الازهر لان التعليم فيه على مذهب الشيعة واهلي سنيون »

فقطع العم حسن كلامه وقال « فالآن صرت تقدر تتعلم لان صلاح الدين جعل التعليم فيه عاماً لكل المذاهب . . »

قال عمر لقد تأخر عليَّ بهذه النعمة وهل بعد الاربعين من العمر تعليم . . . فلنترك ذلك لاولادنا . من هذا الذي اراهُ ؟ ان موكبه لا يقل عن موكب الخليفة في شيء واري عليه لباساً افخر من لباسه

هذا هو ياصاحبي صلاح الدين الوزير وهذا الثوب الذي عليه هو خلعة السلطنة خلعها عليه هذا الخليفة نفسه منذ ثلاث سنوات . وهي كما ترى عمامة بيضاء من

الامراء ايضاً في مثل هذا الترتيب وهي كلها في الاصـل هدية من الخليفة يهبها مرائه في الاعياد

هنيئاً لك ياعم حسن لابد انك ذقت الركوب على هذه الافراس وانت من غلمان قصر الكبير

ذقت يا بني اشياء كثيرة كدت انساها الآن . ورايت مجوهرات ومصوغات بهر العقل . فكيف بما يلبسه الخليفة ؟ انظر الى هذه المظلة فانها تشبه الهرم بشكلها هي من الديباج الازرق السماوي وثوب الخليفة تحتها في هذا اللون ايضاً . ولو كانت حمراء لكان ثوبه احمر . وانظر الى الاهلة الذهب التي تتدلى من حواشي المظلة وكيف ان اضلاع المظلة او قوائمها ملبسة بالذهب . وفي قمتها رمانة ذهب كبيرة فوقها رمانة ذهب صغيرة مرصعة بالجوهر — انظر الى لمعانها فانه يخطف البصر

صحيح .. ولكنني لا ارى حامل المظلة .. وكيف يستطيع حملها وهي ثقيلة ؟

ان حاملها راكب على فرسه بجانب فرس الخليفة . وللمظلة قناة يركزها ذلك الفارس في قربوس فرسه . وهمه في اثناء الركوب ان يراقب موقف الخليفة من جهة الشمس بحيث لا تقع اشعتها عليه

وماذا يحدث اذا وقعت الاشعة عليه ؟ . ها ها .. اني ارى رأس الخليفة فان صاحب المظلة انحرف عنه .. يا سلام ما هذا الذي يلمع على راسه

الفصل الثالث

العاضد وصلاح الدين

تمهل لاتم حديثي .. انظر الى هذه العمامة على رأس الخليفة فانها بيضاء وشكلها اهليلجي . وفي اعلاها فوق الجبهة حلية بشكل الهلال من ياقوت احمر ليس له مثال في الدنيا وفي وسط الهلال جوهرة عظيمة مشهورة يقال لهـا اليتيمة لا يعرف لها قيمة . ويقال ان وزنها ٧ دراهم ووزن الهلال كله ١١ مثقالاً وبدائرة اليتيمة قصبة زمرد ذبابي له قدر عظيم

ياحفيظ ! ياحفيظ ! ايكون مثل هذه الجواهر عند هذا الرجل بلا فائدة والناس في مملكته يتضورون جوعاً وهو يأخذ اموالهم ظلماً ؟ آه ياعم حسن قد وجعني قلبي من هذا المنظر

هؤلاء ثلاثة ذكرت لي اسماءهم هم نور الدين وصلاح الدين ونجم الدين وهذا عماد الدين

فقال العم حسن تلك عادتهم في التسمية — ها قد انتهى الموكب وقصصت عليك خبره فاذن بانصرافي

فقال « مع السلامة كثر الله خيرك » وانصرفا

هذا هو موكب الخليفة العاضد وصفناه باختصار دفعاً لملل القارئ فان الكلام فيه يطول

سار الموكب على هذه الصورة بعد خروجه من باب الفتوح والناس في اثره ركوباً او مشاة واخرون وقوف على اسطحة المنازل يشرفون على ذلك الموكب وقد تصاعد الغبار حتى حجب وجه السماء وغشى الرؤوس والمناكب . ولم تبق فتاة ولا غلام الا خرج الى الشارع او صعد على السقف والبسطاء يستغربون خروج الخليفة لاستقبال ذلك الكردي والعارفون لا يرون فيه غرابة لضعف امر الخلافة

الفصل الثالث

قاعة الذهب

ما زال الموكب سائراً على هـذه الصورة حتى وصل الى مسجد التبر (في اخر الحسينية) وانت البشائر باقتراب نجم الدين فانتقوا به هناك . وحالما تقابلا ترجل نجم الدين احتراماً للخليفة وكذلك فعل رجاله الذين معه وفيهم اخوه شمس الدين . وترجل صلاح الدين وقبل يدي والده فقبله والده ولما رأى ذلك الموكب وما على ابنه من الخلع لم يتمالك عن البكاء من الفرح وشكر الله على نعمه . وكان نجم الدين عاقلاً مدبراً فترامى على يد الخليفة يقبلها ويظهر امتنانه من ذلك الاكرام والخليفة يجيبه بلطف لكنه لم يتحول عن فرسه

وبعد السلام والاكرام عاد الموكب بجلاله نحو القصرين وركب نجم الدين الى جانب ابنه وبجانبهما عماد الدين الشاب الشجاع وتحادثا ملياً . وكان حديثهما في لغة لا يفهمها رجال العاضد نعني اللغة الكردية . وكان اكثر الحديث عن نور الدين صاحب الشام

نسج تنيس . لها طرف مذهب وتحتها ثوب ديبقي بطراز ذهب . وكذلك الجبة التي عليه فان طرازها من الذهب وفوق ذلك طيلسان مطرز بالذهب . وانظر في عنقه هل ترى العقد ؟ انه من الجوهر يساوي عشرة آلاف دينار . والى جانبه سيف محلى بخمسة آلاف دينار وتحته حجرة (فرس) قيمتها ثمانية آلاف دينار . وعليها سرج مذهب وسرسار ذهب مجوهر وفي رأسها مائتا حبة جوهر وانظر الى قوائمها فان حولها ابعة عقود جوهر وعلى رأسها قصبة بذهب وفيها شدة بياض باعلام بيض(١) هذا هو صلاح الدين . . ان منظره يدعو الى الهيبة اكثر من منظر الخليفة . انظر الى هيبته وكيف ان الشجاعة ظاهرة في وجهه ولا يراه انسان الا احترمه وخافه . والحق يقال ان الامور الآن في يديه وهو الآمر الناهي كما قلت لك وانظر الى الرجال المحيطين بموكبه . وفيهم قوم يقال لهم صبيان الزرد من اقوياء الاجناد يختارهم لنفسه وهم مئات يمشون الى الجانبين وبينهم فسحة امامه مثل فسحة الخليفة . ووراءه الطبول والصنوج والصفافير ألا تسمع صوتها يدوي به البر ؟ ووراء موكب الوزير يأتي حامل الرمح . تأمله فانه رمح لطيف في غلاف منظوم من اللؤلؤ وله سنان مختصر بحلية من الذهب . ومعهُ درقة بكوامخ يقولون انها درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهُ

كان عمر الحمّار يسمع كلام صديقه العم حسن وقد اخذته الدهشة فلما سمع قوله درقة حمزة بغت وقال « درقة حمزة ! حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلعم ؟ »

قال « نعم هكذا يقولون . وقد آن لي ان اختصر لك بالوصف لان الموكب لا يزال طويلاً .. فانظر الى ما وراء موكب الوزير انك تجد فرقاً من الاجناد المختلفة زمرة زمرة في عدة وافرة تزيد على اربعة آلاف . ثم اصحاب الرايات ووراءه طوائف من العسكر على اختلاف اجناسهم الاتراك والاكراد والديلم وغيرهم »

فقال عمر « قف بالله قليلاً واخبرني عن فارس اراه راكباً بجانب صلاح الدين وعليه ثياب فاخرة »

قال انه من بعض خاصته ولكنه فارس شجاع يحبه صلاح الدين كثيراً ولا صـ له على فراقه واسمه عماد الدين

فبغت الحمار عند ذلك وقال « ما بال هؤلاء لا يسمون اسماً الا منسوباً الى الد

(١) حسن المحاضرة ٢٥ ج ٢

وبعد جلوس الخليفة على سريره دخل الوزير صلاح الدين فجلس في مرتبة خاصة به . ولم يؤذن في الدخول يومئـذ لاحد من رجال الدولة وانما جعلت الجلسة خاصة باكرام نجم الدين . فامر صاحب الباب باستقباله وادخاله عليه فدخل نجم الدين وكان بهي الطلعة عظيم الهيبة فوقع من نفس العاضد موقعاً عظيماً فاشار اليه بالجلوس ورحب به فقعد نجم الدين باحترام . وكانت العادة اذا دخل الوزير على الخليفة الفاطمي قبـل يد الخليفة ورجله ولم يفعل صلاح الدين ذلك ولاجعل والده يفعله ولم يستغربهُ الخليفة

وكان في جملة الحضور في تلك القاعة كهلٌ ربعة دقيق العضل ممتقع اللون قاعد في مجلس اقارب الخليفة قعود من يريد الاستتار ويود ان لا ينتبه له احد لكن صلاح الدين لمحه فعلم من مجلسه انه من بعض الامراء ولم يكن رآه من قبل .

ولما استقر بالجلوس المقام بدأ العاضد بالـكلام وهو يومئذ شاب لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره مع انه تولى الخلافة منذ عشر سنين (سنة ٥٥٦ هـ) لانه كان عند مبايعته في الحادية عشرة من عمره والذي يراه الآن يحسبه في حدود الاربعين لكثرة ما كابده من الهموم وتحمله من الاحن . وكان لا يقع نظره على صـلاح الدين الا ندم على استنجاد نور الدين زنكي صاحب الشام

الفصل الرابع

المداجاة

فلما جلس القوم وجه الخليفة كلامه الى نجم الدين قائلاً « عسى ان لا يكون القائد نجم الدين قد تعب في اثناء الطريق »

قال « كلا يا سيدي ان سفري كان في غاية الراحة ولا سيما لاني اتوقع التشرف بلقيا الامام اعزه الله . . »

فابتسم الخليفة ابتسامة اغتصابية وقال « اهلاً وسهلاً بكم قد نزلتم على الرحب والسعة . وقد امرت زمام القصر ان يعد لمقامكم منظرة اللؤلؤة وهي اجمل قصورنا بل احد منتزهات الدنيا فعسى ان تجدوا فيها راحة »

فتأدب نجم الدين في مجلسه وابدى الاحترام واثنى على الخليفة ثناء كثيراً . فقال صلاح الدين « ان تنازل مولانا الامام بالخروج للقاء والدي نعمة لا انساها له ونحن حيثما كنا فاننا ندعو له بطول البقاء »

وعن العاضد صاحب مصر

اما الخليفة العاضد فلو دنوت منه تحت تلك المظلة وتفرست في عينيه لرأيت الدمع يترقرق فيهما . ولو جسست قلبه لسمعت خفقانه الشديد من الاسف والغم لاضطراره الى الخروج في هذا الموكب لتكريم رجل يخافه على حياته كما يخافه على منصبه . ولكنه لم ير بداً من مسايرته فكظم غيظه وخرج لاستقبال والده . وذلك اثقل على قلبه من الجوع والعري . ولعله يتمنى ان يكون من بعض العامة ولا يتحمل ذلك الضيم

ووصل الموكب قبيل الغروب الى القصر الكبير الشرقي من قصور القاهرة . وهو مجموع قصور ربما زاد عددها على بضعة عشر قصراً منها قصر الزمرد وقصر المظفر وقصر الاقبال وقصر البحر وقصر الحريم وقصر الشوك ودار الوزارة ودار الضيافة ودار الضرب وخزانة البنود وخزانة الكتب وحجر الصبيان الحجرية وغيرها . وتسمى كلها معاً القصر الكبير الشرقي . كما تسمى قصور عبد الحميد في الاستانة قصر يلدز وهو مجموع قصور

وموضع القصر الكبير الشرقي الآن في شرقي القاهرة القديمة وشماليها في ما بين الازهر وباب الفتوح ويدخل في ذلك خان الخليلي وبيت القاضي والجمالية والنحاسين. وقد سمي هذا القصر بالشرقي تمييزاً له عن قصر آخر غربي اصغر منه كان غربي القصر الشرقي وبينهما ساحة يقال لها الميدان بين القصرين . ووراء القصر الغربي نحو الغرب منتزه كبير يقال له البستان الكافوري يحده من الغرب خليج القاهرة وعلى هذا الخليج كانت منتزهات الخلفاء الفاطميين

وكان في جملة ابنية القصر الكبير الشرقي بناء يسمونه قصر الذهب كان الخليفة يجلس فيه للناس في يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع – فوقف الموكب عنده فترجل الخليفة ودخل القاعة المعدة للاستقبال وتسمى قاعة الذهب يدخل اليها من باب يسمى باب الذهب (حيث المارستان المنصوري في النحاسين) فجلس على سرير من الذهب في صدر القاعة ذكروا ان وزنه الوف من المثاقيل وحوله ستر محلى بالطراز الذهب المرصع بالجواهر فيه خمسمائة وستون قطعة جوهر على اختلاف الوانه [1] وفوق السرير شمسية من ذهب وزنها ثلاثون الف مثقال . واكثر جدران الغرفة مغطاة بالستور الديباج المزركش . حتى ان الناظر اليها يحسب نفسه في – ولا سيما اذا نظر الى ما فوق عمامة العاضد من الجواهر المتلألئة

(١) المقريزي ٣٨٥ ج ١

الى صلاح الدين وقال وهو يشير بيده الى ذلك الجليس « اظنك لا تعرف الشريف ابا الحسن . . انه من اعمامنا كان في سفر وقد جاءنا من عهد قريب . » والتفت الى ابي الحسن وقال « لا اظنك تحتاج الى التعريف بوزيرنا الباسل ابي المظفر صلاح الدين »

فاشار ابو الحسن بعينه وراسه وكتفيه انه شاكرٌ لهذا التعريف وانحنى كانه يهمّ بالقيام . فقال صلاح الدين « سررت كثيراً بمعرفة هذا الشريف ويكفي انه متصل النسب بمقام الخلافة »

وكان نجم الدين في اثناء ذلك ينظر الى ابي الحسن نظر المتفرس ولم يعجبه ما في سحنته من الدهاء وما في عينيه من المكر . لكنه تجاهل وتوجه بكليته الى الخليفة يبدي شكره على هذا التعريف

ثم وضع العاضد قضيب الخلافة من يده على الوسادة ففهم القوم انه قد آن الذهاب فاستأذن نجم الدين بالانصراف وهمّ بوداع الخليفة . ثم تقدم صلاح الدين وودّع الخليفة واظهر انه يهم بتقبيل يده . فاجتذب الخليفة يدهُ تلطفاً

خرج نجم الدين وابنه من مجلس الخليفة ورجالها ينتظرونهما خارج القصر بالافراس والسلاح وفيهم الشاب عماد الدين الذي كان راكباً بجانب صلاح الدين في الموكب . وكان صلاح الدين يختصه بالالتفات لما يراه فيه من المروءة والبسالة . وهو شاب في مقتبل العمر قلما يفارق ركاب صلاح الدين الا لامر هام . ولم يكن يراه احد الا احبه لجماله وبسالته مع ذكاء وفصاحة . فلما صار صلاح الدين خارجاً صاح « اين عماد الدين ؟ »

فتقدم الشاب وعيناه تتكلمان قبل لسانه وقد لبس ثوباً من اثواب الحرس الخاص بصلاح الدين وهو السراويل القصيرة وحول الخصر منطقة من جلد فيها عروة مذهبة وفوقها دراعة مطرزة بالقصب . وعلى راسه عمامة صغيرة كالطاقية مزركشة بالقصب . وقد علق بمنطقته سيفاً قصيراً وغرس فيها خنجراً . فلما وقف بين يدي صلاح الدين قال له « هلم بنا الى منظرة اللؤلؤة فقد امر الخليفة ان ينزل والدي هناك وانا انزل معه الان »

فاهتم عماد الدين بارشاد الركب الى المكان وركبوا جميعاً الى المنظرة المشار اليها وكانت على خليج القاهرة . فقطعوا الميدان بين القصرين ومروا بجانب القصر الغربي الى البستان الكافوري احد منتزهات القاهرة وانتهوا منه الى المنظرة على ضفة

ففك الخليفة عثنونه بسبابته وتناول قضيب الخلافة عن الوسادة الى جانبه (وهو قصير مغشى بالذهب) وجعل يتلاهى بالنظر اليه . ثم سعل والتفت الى نجم الدين وقال « كيف فارقت صديقنا الاتابك نور الدين ؟ »

فاجاب وهو يتلطف ويتجمل « فارقته في خير وقد حملني سلاماً كثيراً ومودة لمولانا العاضد حفظه الله وهو يدعو بطول بقائه ودوام سلامته »

قال « اني مسرور من صداقته وارجو دوامها »

قال « ان ذلك شرف عظيم له وقد كلفني ان ابلغ المولى اعزه الله انه هو ورجاله في خدمته ... لنصرة الحق »

فوقع هذا الكلام موقعاً مؤلماً من نفس العاضد لانه ذكره بالسبب الذي جرّه الى هذه المتاعب فانها تبدأ من استنصاره نور الدين .. لكنه تجلد وكظم والتفت الى نجم الدين وقال « لقد نصرنا غير مرة جزاه الله خيراً .. وقد كفينا الان مؤونة الاستنصار بوجود ولدكم الملك الناصر .. » واشار الى صلاح الدين

فقال نجم الدين « ان ولدنا من مواليكم يا سيدي ولا يدخر وسعاً في خدمتكم والاخذ بناصركم »

فمد العاضد يده الى عنقه استخرج عقداً من الجوهر يشبه العقد الذي حول عنق صلاح الدين وقدمه الى نجم الدين وهو يبتسم وقال « هذه هدية منا تتذكرون بها هذه الزيارة ايها القائد الباسل . وقد استحققت عندنا ان ندعوك « الملك الافضل » وستحمل اليك الالطاف والهدايا الى قصر اللؤلؤة . ونوليك الاقطاعات السنية فانك اهل لاكثر من ذلك .. »(١)

فوقف نجم الدين وتناول العقد وهو يقبل يد الخليفة . ثم قبل العقد ووضعه في عنقه وهو يقول « لقد غمرتني يامولاي بنعم لا استحقها . ان اللقب الذي خلعته علي فوق قدري و ... »

فقطع الخليفة كلامه قائلاً « بل انت الملك الافضل كما ان نجلك الملك الناصر

فكرر نجم الدين شكره وجلس متأدباً

ولاحت من صلاح الدين التفاتة الى الكهل المتقدم ذكره فراى في وجهه اهتماماً وقد ابرقت عيناه وكادتا تتقدان من التفكير فشغله امره لحظة

فادرك الخليفة اشتغاله بذلك واراد تحويل الاذهان عن هديته فوجه خطابه

(١) كتاب الروضتين ١٨٤ ج ١

منه عدة ارطال . وقد رأى نجم الدين في قصور القاهرة ما لم ير مثله في دمشق الشام . وما صدق انه خلا بصلاح الدين فاتكأ على وسادة واشار اليه ان يقعد بين يديه وقد تخففا بلباس الرقاد . وفي يد نجم الدين انبوبة حرص عليها منذ بدل ثيابه

فلما قعدا قال نجم الدين « سرني يا يوسف ما رأيته من منزلتك عند هذا الرجل ولكنني رأيتك لا تحترمه كثيراً وهو يرى نفسه خليفة وملكاً »

فضحك صلاح الدين وقال « هل يكفي يا ابي ان يرى نفسه كذلك ؟ ونحن نعلم سيرنا . . وصنيعتنا . . »

فقطع نجم الدين كلامه قائلاً « نعم ولكن الامر لم يتم لنا بعد فلا ضرر من المجاملة ومراعاة العادات الجارية . . . على انني اراك من الجهة الاخرى تحاذر غضب رجاله وانصاره رغم ما يأتيك من لدن نورالدين في امر البيعة والدعوة للخليفة العباسي »

قال « وكيف ذلك يا ابتي »

قال « الم نكتب اليكم منذ عام ان تدعو للخليفة العباسي على منابر القاهرة ولماذا هذا التأخير ؟ »

فاطرق صلاح الدين لحظة وقد ظهر الاهتمام في محياه .. ثم رفع بصره الى ابيه وقال « تدعوني الى المجاملة ثم تعاتبني على تأخير الدعوة . وليست تلك الدعوة الا اعلان سيادة العباسيين على مصر وسقوط دولة الفاطميين . ولا يخفى عليك ما يكون من تأثير ذلك في نفس هذا الخليفة المسكين . وما الذي يهمنا من مصر غير ان يكون لنا فيها الكلمة النافذة والصوت المسموع والريع المطلوب ؟ ولنترك هذا الخليفة الشاب يفرح بالقاب الخلفاء ومجاملاتهم حتى نرى ما يأتي به القدر . . ان اعلان سيادتنا على مصر امر ميسور متى شئنا . . وعهدي بك انك تحب التؤدة »

قال « نعم يا بني ولكن نور الدين يلح في ذلك وقد وعد الخليفة العباسي المستنجد بالله ان يدعو له على منابر مصر . فلما تأخرت الدعوة بعث الخليفة اليه يستبطئه فكتب نورالدين اليك كتاباً يستحثك فيه على ذلك . وقد اوفدني لتبليغك هذه الرسالة وهذا هو كتابه » ودفع اليه الانبوبة

فتناولها صلاح الدين واستخرج منها لفافة قرأها واكثر من الامعان في فحواها ولا سيما قوله بعد التحريض على اعلان الدعوة « وهذا امر تجب المبادرة اليه لتحظى بهذه الفضيلة الجليلة والمنقبة النبيلة قبل هجوم الموت وحضور الفوت . لا سيما وامام الوقت متطلع الى ذلك بكليته وهو عنده من اهم امنيته »

الخليج اليمني اي من جهة قصور الخلفاء المتقدم ذكرها . وهي تشرف على الخليج من الغرب ووراء الخليج غرباً بركة كان يقال لها بطن البقرة ووراءها ارض الطبالة وبستان المقسي (الفجالة وباب الشعرية وما يليهما الآن) ووراءها بركة الازبكية الى مجرى النيل

الفصل الخامس

منظرة اللؤلؤة

وكانت المنظرة المذكورة من اجمل منتزهات القاهرة لها حديقة تتصل بالخليج فيها الاشجار والرياحين والازهار . وفيها القاعات والمقصورات في اجمل ما يكون من الفرش الثمين يشبه ما كان للخلفاء في قصورهم من ستائر الديباج المطرز بالذهب والبسط المحوكة بالذهب وسائر الانية من العاج وخشب الصندل وفيها الارائك والوسائد . وقد سرح في البستان مئات من الطيور الداجنة على اختلاف انواعها والحانها بعضها في الاقفاص والبعض الآخر مطلق . وعلى ضفة الخليج مجالس من الخشب كالشرفات قد فرشت بالسجاد عليها المساند المزركشة وفوقها مظلات من الخشب تعرش على النبات وكل ما في المنظرة ثمين يستوقف النظر وناهيك بانها كانت منتزهاً للخلفاء الفاطميين في ابان دولتهم

وصل نجم الدين وابنه ومن في ركابهما من الحاشية فتلقاهم غلمان المنظرة بالاطياب والبخور فدخلوا الى قاعة كبيرة للاستراحة ومعهم بعض الخاصة من رجالهم جلسو ساعة لم يدر فيها من الحديث غير العام المتعلق بالاسفار وما قد يراه المسافر في طريقه من التعب او الراحة . وتخلل الحديث طبعاً ذكر الافرنج (الصليبيين) الذين كانوا يومئذ اصحاب السيادة في نواحي سوريا وفلسطين وكثير من مدنها

ثم مالت الشمس الى المغيب وقد اعدت مائدة العشاء فتناوله معهما طائفة من الخاص وفيهم شمس الدين . فلما فرغوا من الطعام انصرف الخاصة كل منهم الى فراشه في المنظر وتركوا نجم الدين وابنه على حدة لعلمهم ان نجم الدين لم يأت مصر الا لامر هام يريد يسره الى صلاح الدين

اختلى نجم الدين بابنه في غرفة انيرت بالشموع الضخمة وفيها ما توزن الشم

واطال صلاح الدين النظر في ذلك الكتاب وابوه يراقب ما يبدو في وجهه من لتغيير وقد ادرك ما في خاطره فقال « مابالك يايوسف .. ما الذي تحدثك نفسك به ؟ »

قال « تحدثني نفسي بامر لا تجهله يا سيدي »

قال « لا بد من اعلان الدعوة العباسية .. هل ذلك صعب عليك ؟ »

قال « كلا .. ولكنني اراك تتجاهل امراً آخر اضمره »

قال « فهمت مرادك انك تفكر في امر نور الدين .. وهل اذا اعلنت الدعوة في المساجد للعباسيين تكون مصر ملحقة بالشام تابعة لنور الدين ام .. ؟ »

فابرقت اسرة صلاح الدين ولمعت عيناه واتم كلام ابيه قائلاً « ام لصلاح الدين وحده؟ »

فابتسم ابوه وقال « انك تتعجل امراً لا بد من التؤدة فيه انما يهمنا الآن الدعوة »

قال « اما الدعوة فسننظر في امرها ولكنك لم توضح لي رأيك من الوجه الاخر »

قال « وما هو ؟ »

قال « انت تعلمه ولكنك تريد ان تسمعه من فمي: فاسمع اني قد دبرت امر مصر وضبطت شؤونها بسيفي وتدبيري وبسيف عمي من قبلي . ونور الدين قاعد في قصره بدمشق ومملكته واسعة ومماليكه كثيرون . فهل من العدل ان تكون مصر له ايضاً ونبقى نحن من خدمه أو قواده ؟ ما الذي يمتاز به نور الدين عنا ألعله ابتاعنا بماله ؟ نحن لسنا مماليكه . اننا قواد .. وهذه مصر يستحيل عليه اخضاعها بدوني .. فانا لا ابايع للخليفة العباسي الا على ان اكون انا صاحب مصر وليس نور الدين .. »

وما اتم كلامه حتى بان الغضب في جبينه مع الاهتمام وتفرس في وجه ابيه ليرى رأيه في ذلك فابتسم نجم الدين وقال « بورك فيك يا يوسف انك تطلب السيادة وانت اهل لها .. ولكن لكل اجل كتاب »

قال « أحب ان اعلم رأيك . ألا ترى لي حقاً في ما اقول »

فضحك نور الدين ضحك استخفاف وعبث بلحيته يمشطها باصابعه ثم قال « لان الحق يابني للقوة — تلك هي قاعدة اصحاب السياسة .. والا لوجب علينا ان نخرج من هذا البلد ونتركه لاهله لان صاحبه انما استنجد الاتابك نور الدين لينصره على رجل من خاصته تمرد عليه فانجده بعمك اسد الدين وانت معه . وكان ينبغي لكما ان تخرجا من مصر بعد الفراغ من تلك المهمة وقبض ما تستحقانه من الاجر على نصركم . فبقاؤك هنا سواء كان باسم نور الدين او باسمك جشع . وانما تعده حقاً اذا كنت قادراً على تنفيذه فالحق هو القوة يا بني — تلك هي شريعة الفاتحين »

الرد على مذهب داروين

كتاب عربي سوف يظهر للناس رافلاً بتعبيراته اللطيفة وتحقيقاته الشريفة مستوفياً لما تقتضيه الجهة العلمية والجهة الدينية الفه بعض العلماء والافاضل في النجف الاشرف من العراق العربي

(السيد علي بن محمد الاصفهاني)



مجلة تاريخية اجتماعية علمية ادبية صحية

سنتها عشرة اشهر

وتعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب تهديه الى المشتركين في آخر السنة

لمنشئها

جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ٨٠ غرشاً في القطر المصري و ١٠٠ غرش في الخارج تدفع سلفاً

AL-HILAL

Social, Historical, Scientific & Literary Review

EDITED BY

GEORGE ZAIDAN M. R. A. S.

SUBSCRIPTION: 26 Frs. OR 5 DOLLARS PER ANNUM

Vol. XXI. No 4

1 January, 1913

AL-HILAL Printing Office, Cai

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر

﴿ديوان ابن الفارض﴾ ثمنه مجلداً ٤ غروش والبريد غرش بمكتبة الهلال بمصر

النتائج السورية

لسنة ١٩١٣

وردت الى مكتبة الهلال بالفجالة بمصر هذه النتائج الشهيرة وثمن الواحدة فرنك ونصف خالصة اجرة البوسطة

مجلة الروايات الجديدة — بالفجالة بمصر

لمنشئها نقولا افندي رزق الله

هي المجلة الكبرى الوحيدة الروائية التاريخية العصرية اشتراكها ٢٢ فرنكا بالسنة وتطلب من ادارتها بالفجالة . وتباع اعدادها في مكتبة الهلال بمصر

تاريخ دول الاسلام

(تاليف رزق الله منقريوس الصدقي بالمنيا) ١-٢٠-١٠

اوفى كتاب ظهر في هذا الموضوع حتى الآن اذ جمع بين دفتيه تاريخ سبع وستين دولة من اشهر الدول الاسلامية من زمن النبي « صلعم » الى الآن في الهند وافغانستان والعجم وبلاد العرب وسوريا ومصر وتونس والجزائر ومراكش والاندلس (اسبانيا) وتاريخ الدولة العلية بالتفصيل التام والحروب الصليبية الخ الخ وهو في ثلاثة اجزاء كبيرة مجموع صفحاتها ١٢٢٨ وبها ٥٧ رسماً وثمنه خمسون غرشا وأجرة البريد اربعة غروش لداخل القطر و٣ فرنكات للخارج وهو يطلب من المؤلف بالمنيا ومن مكاتب الهلال وهنديه والعباسية والكمال بمصر وجورج غرزوزي بالاسكندرية والجامعة والعمومية ببيروت ومن .Luzac & Co بلندن و Parker & Son باكسفورد

تاريخ الحروب الصليبية

وقد زيناه بصور ملوك المسيحيين وملوك الاسلام وبصور آلات الحرب التي كانت مستعملة حينذاك مما زاده رونقاً وبهاء وقد جعلنا ثمنه ١٢ غرشا صاغاً ويطلب من ادارة ومكتبة الهلال بالفجالة بمصر وأجرة البريد غرشان صاغاً

﴿كتاب مرآة العصر في سير ورسوم مشاهير مصر﴾ ثمنه مجلداً ٥٠ غرشاً والبريد ٤

(سقوط نابليون) (رواية) تعريب نقولا رزق الله في ٣ اجزاء ثمن الجزء الواحد ١٠ غروش صاغ والبريد غرش ونصف بادارة الهلال بالفجالة بمصر

الهلال

الجزء الرابع من السنة الحادية والعشرين

اول يناير (ك ٢) سنة ١٩١٣ و٢٣ محرم سنة ١٣٣١

المؤتمرات الدولية

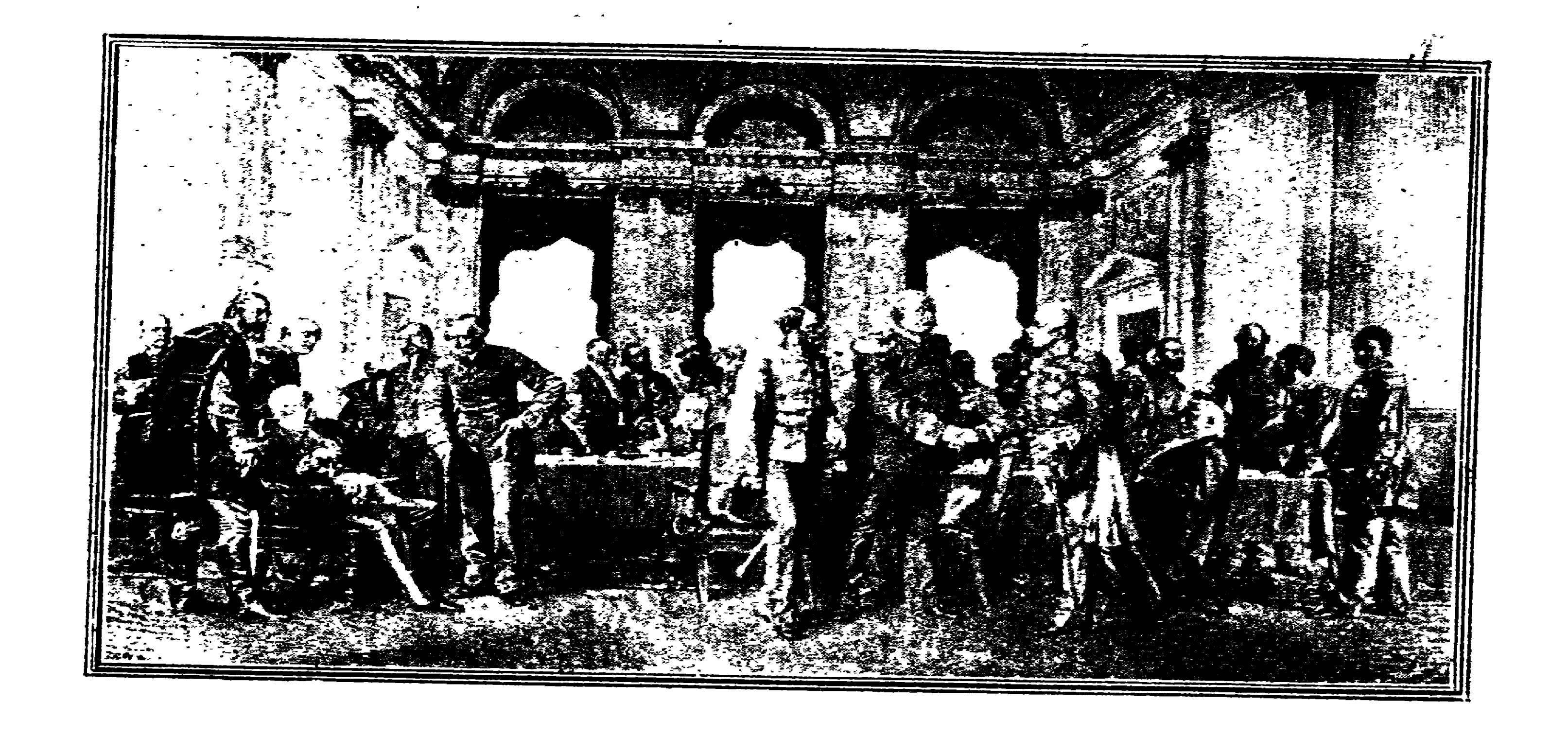
والمملكة العثمانية

او كيف خرجت الممالك البلقانية من سيادة الدولة العلية

ذكرنا في الهلال الماضي فتوح الدولة العثمانية في شبه جزيرة البلقان في القرنين الرابع عشر والخامس عشر. ونظراً لقرب انعقاد المؤتمر الدولي في لندن الآن للبحث في حال المملكة العثمانية بعد حربها مع دول البلقان رأينا ان نأتي على اهم ما تقدمه من المؤتمرات الدولية التي عقدت لمثل هذا الغرض وما ترتب عليها من المعاهدات التي قضت بتقلص ظل الدولة العثمانية عن البلقان وغيرها من القرن السابع عشر حتى الآن

خروج المجر والقرم

بلغت الدولة العثمانية قمة مجدها واوسع سلطانها في زمن السلطان سليمان القانوني باواسط القرن السادس عشر. فكانت مملكة بعيدة الاطراف تحدها من الشمال ممالك النمسا وبولونيا وروسيا. ومن الجنوب بحر العرب والحبشة والسودان. ومن الشرق اذربيجان ولورستان. ومن الغرب البحر الادرياتيكي والبحر المتوسط والصحراء الكبرى. فكانت اعلامها تخفق في اسيا واوربا وافريقيا على الاناطول وارمينيا



مؤتمر برلين سنة ۱۸۷۸

العثمانية وفساد امورها لاضطراب داخليتها واختلال جنديتها . وقد ذهب ما كان لها من الهيبة في زمن السلاطين الفاتحين . فاخذت تلك الدول تستحث امارات البلقان على الثورة بحجة ما ينالها من الظلم — وهي الى اوائل القرن التاسع عشر لا تزال خاضعة للعثمانيين وقد تمكن التباغض بينها وبينهم لسبب التباعد الجنسي والاختلاف الديني . وكان الاتراك قد اخضعوا امم البلقان وملكوا رقابهم بالقوة والبطش لكنهم لم يملكوا قلوبهم . فما زال هؤلاء منذ خضوعهم يعدون سلطان العثمانيين عليهم موقتاً . ويتوقعون خلع نيرهم عاجلاً او آجلاً والدول الاوربية تساعدهم على تحقيق هذه الامنية بطرق مختلفة . كان التنافر الجنسي وحده كافياً للتباغض بين العثمانيين الاتراك وبين رعاياهم الرومان والسرب والبلغار واليونان ولكل منهم لسان لا يفهمه التركي ولا هم يفهمون لسانه . فكيف اذا اضفت اليه التباعد الديني . ساد الاتراك هناك بضعة قرون ولم يمتزجوا بتلك الامم لغة ولا ديناً وظلت هذه الامم محافظة على لغاتها واديانها والدول النصرانية تشد ازرها وتنفخ في اوداجها . فلا غرابة في خروجها بل الغرابة ان تستطيع الدولة العثمانية حفظ تلك السلطة عليها ثلاثة قرون متوالية والحروب فيها متواصلة

قد علمت ان اسبق دول اوربا الى الاهتمام بالمسألة الشرقية وتحريض الامم البلقانية على العثمانيين روسيا والنمسا . وقد تحالفتا في اواخر القرن الثامن عشر على تقسيمها لاشتراك الروس مع تلك الامم في الجنس والدين واحتكاك النمسا لها بالجوار وحاجتها الى شاطىء تتصل منه الى الشرق . ثم انتبهت سائر دول اوربا في اوائل القرن التاسع عشر الى موقع المملكة العثمانية بالنظر الى المواصلات بين اوربا واسيا . والدول يومئذ قد نهضت للتوسع في التجارة او الاستعمار . واكثرهن سعياً في هذا السبيل انكلترا بسبب املاكها في الهند وفرنسا تأييداً لحقوقها على مسيحيي الشرق . فاصبحت الدولة العثمانية قذى في حلق اوربا واصبح هم الاوربيين التخلص منها وصار الغرض من المسألة الشرقية حلّ المملكة العثمانيـة واستقلال الممالك البلقانية . فلا غرابة اذا رأيناها تنصر كل ناهض عليها

استقلال اليونان ومعاهدة ادرنة

وكان اول الناهضين من تلك الامم في القرن التاسع عشر اليونان (من سنة ١٨٢٠ — ١٨٢٩) وهم اكثر الدول البلقانية نقمة على العثمانيين لانهم ذوو مجد سابق سلبهم اياه الاتراك . وما زالوا في اثناء خضوعهم لهم يتذمرون ويتململون حتى تثقفوا واستنارت عقولهم بالعلم في اوائل القرن المذكور . فتنبهت فيهم الحاسة الوطنية وتعلموا الاجتماع

وجورجيا وما بين النهرين والعراق وسوريا وجزيرة العرب ووادي النيل وبرقة وطرابلس الغرب وشبه جزيرة البلقان — وتشتمل هذه الجزيرة يومئذ على بلاد المجر والفلاق والبغدان وبلغاريا والبوسنة والسرب والبانيا والروملي او مكدونية وبلاد اليونان . وكانت اعلامها تخفق ايضاً في شمالي البحر الاسود على بلاد القرم وما يجاورها وشركاسيا وقوقاسيا وما يليها . ويدخل في هذه المملكة من البحور البحر الاسود وبحر مرمرا وبحر ايجي والبحر المتوسط والبحر الاحمر وخليج فارس

في القرن السابع عشر أفاقت اوربا من سباتها . ورأت امتداد الدولة العثمانية في اوربا تخافقها على ممالكها . ولاسيما جيرانها نعني النمسا وروسيا فاخذت كل منهما تسعى في مناوأتها وتقليص ظلها . فطمعت النمسا في المجر وطمعت روسيا في ما يجاورها من البلاد بينها وبين البحر الاسود . واستعانتا على اغراضهما بالتحريض والدسائس والتضامن مع الدول الاخرى . فظفرت النمسا بمرادها بمعاهدة دولية عقدت في كارلوفتس سنة ١٦٩٩ بين الدولة العلية والدول المتحالفة عليها يومئذ وهي النمسا وروسيا وبولندا والبندقية . وبمقتضى هذه المعاهدة خرجت المجر من سيادة الدولة العلية وصارت تابعة للنمسا . واما الروس فظفروا بمرادهم سنة ١٧٧٤ بمعاهدة أُبرمت بين روسيا والعثمانيين في قينارجة تنازلت فيها الدولة العلية عن بلاد القرم للروسيين . ثم حاربوها بالاتحاد مع النمسا حرباً خسر فيها العثمانيون ٢٠٠٠٠٠ نفس . واجهز الروسيون على ما بقي من شواطئ البحر الاسود الشمالية بمعاهدة الاستانة التي عقدت سنة ١٧٨٤ وغيرها

فلما ذاقت هاتان الدولتان لذة الفوز على العثمانيين وكانتا تحسبانها لا تغلب زادت مطامعهما فيها ووافقهما سائر دول اوروبا على اخراج العثمانيين من اوروبا بالكلية . واخذوا يتحدثون بالمسألة الشرقية لكنهم تركوا تلك المهمة للروس والنمساويين فتحالفتا واخذتا في تحريض السرب وغيرها على النهوض . فنهضوا وكانت الحرب سجالاً والنزاع متواصلاً عدة سنين انتهت بمعاهدة بلغراد سنة ١٧٣٩ ثم معاهدة زشتوي سنة ١٧٩١ فبخارست سنة ١٨١٢ نال بها الفلاق والبغدان والسرب بعض الامتيازات . ودخلت بساريا في حوزة الروس مع اماكن أخرى عند مصب الدانوب

اسباب الضعف

وكانت هذه المعاهدات تمهيداً لسلخ تلك البلاد وغيرها من ممالك البلقان عن الدولة العثمانية باواسط القرن التاسع عشر بعد ان تخلصت اوربا في اوائله من بونابرت وحروبه . فوجهت عنايتها الى المسألة الشرقية ولا سيما بعد ان رأت ضعف الدولة

الاوربي . فانتعش العثمانيون وظهر على الدولة رونق الحياة فاستاءت روسيا لانها كانت تسعى في تنفيذ وصية بطرس الاكبر من الاجهاز على ذلك « الرجل المريض » وهي لا تتوقع له شفاء . وكانت قد بذلت جهدها في تحريض انكلترا على اقتسام تلك الغنيمة ولم تفز فعزمت على القيام بهذا العمل وحدها . فطلبت من السلطان سنة ١٨٥٣ حق حماية المسيحيين الارثوذكس في تركيا فلم يجبها . فجردت جندها وحملت على المملكة العثمانية فاحتلت رومانيا فغضبت انكلترا . وكان امبراطور فرنسا (نابوليون الثالث) يومئذ متغيراً على قيصر الروس لاسباب مذهبية تتعلق بالقبر المقدس بين اليونان واللاتين فوافق انكلترا على مغاضبته . فاتحدت الدولتان على نصرة العثمانيين وجرت حرب القرم وحاصرت هذه الدول الثلاث حصون سباستبول سنةً وفيها معظم قوة الروس البحرية وبعد عناء شديد فتحوها . ولكن الروسيين كانوا قد اخلوها وتمكنوا من الانسحاب واحراق الاسطول

وتوفي القيصر نقولا في اثناء الحرب وخلفه القيصر اسكندر الثاني وعقد مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ وفيه سفراء تركيا وانكلترا وروسيا وفرنسا وسردينيا فابرم معاهدة تقضي بالمحافظة على سلامة المملكة العثمانية مع حياد البحر الاسود بحيث لا يكون لروسيا الحق باسطول حربي فيه . واطلاق حرية التجارة في الدانوب واستقلال رومانيا الاداري

مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨

هو اهم المؤتمرات بالنظر الى المملكة العثمانية لانه فصل في أمور طال زمن الجدال فيها وبحث في المسألة الشرقية مطولاً . وسبب عقده ان الروس عادوا الى مسألة المملكة العثمانية واقتسامها والانتقام منها فعادوا الى التشكي وانتهى ذلك باشهار الحرب سنة ١٨٧٧ وكانت الدول التي نصرت العثمانيين في حرب القرم قد اوعزت اليهم ان يجروا الاصلاح في المملكة واصدر السلطان عبد المجيد سنة ١٨٥٦ خط كلخانة المساوي بين المسيحيين والمسلمين . ولكن تلك المساواة لم يمكن اخراجها الى حيز العمل فضعفت حجة الانكليز والفرنساويين في الدفاع عن سلامة الدولة العثمانية . فلما غلبت فرنسا سنة ١٨٧٠ في حربها مع بروسيا اغتنمت روسيا الفرصة وطلبت اعادة النظر في معاهدة باريس وتنقيحها أن يؤذن لها بانشاء عمارة في البحر الاسود . وكان مسيحيو البلقان قد عادوا الى الشكوى من معاملة العثمانيين فنشطتهم روسيا وزعمت انها ناصرة لهم في تنفيذ الاصلاحات المتفق عليها وشهرت الحرب على تركيا . وظلت انكلترا وفرنسا على الحياد . فثبت العثمانيون

والاتحاد وهم امة واحدة تجمعها لغة واحدة ودين واحد . فتكاتفوا والفوا جمعية سياسية سموها « ايبسيلانتي » تعاهدوا فيها ان يبذلوا ارواحهم في سبيل انقاذ وطنهم من الاتراك .

نهضوا للثورة سنة ١٨٢٠ واستنصروا الروس فلم ينصروهم ولا دخلوا في شؤونهم . فثبت اليونان في حرب العثمانيين سبع سنين وانكلترا تمدهم بالمال والمتطوعون يفدون عليهم من سائر الانحاء . وكانت حرباً شديدة تخللتها المذابح والحرائق . لكن اليونان انقسموا في ما بينهم فرجحت كفة الاتراك واستنصروا محمد علي باشا والي مصر فامدهم بعمارة وجند بقيادة ابنه ابراهيم . فغلب اليونان في ميسولونجي واسقط في ايديهم . وكادوا يذهبون ضياعاً فقامت انكلترا وفرنسا وروسيا لنصرتهم فانفذت اساطيلها الى شواطئ المورة . ولم يكن غرضها الحرب وانما ارادت ارهاب المصريين واسطولهم . فلم يخف ابراهيم فجرت واقعة بحرية انكسرت فيها العمارة المصرية في نافارين سنة ١٨٢٧ واحتل الفرنساويون المورة . واغتنم الروس الفرصة فشهروا الحرب على العثمانيين (من سنة ١٨٢٨–١٨٢٩) واكتسحوا بلادها من الشمال . ففتحوا ادرنه وما بعدها حتى وصلت طلائعهم الى الاستانة . فاضطر السلطان الى عقد معاهدة ادرنة القاضية باستقلال اليونان الا قسمها الشمالي وان تنال السرب ورومانيا استقلالاً ادارياً تحت رعاية العثمانيين . فاكتسبت روسيا بسبب ذلك نفوذاً على البلقانيين

ويلي معاهدة ادرنة مؤتمر لندن بشأن مصر سنة ١٨٤١ وقد ابرم معاهدة قضت بمنح مصر استقلالاً ادارياً مع توارث الملك في الاسرة المحمدية العلوية . وكان مؤتمر لندن مؤلفاً من سفراء انكلترا والنمسا وبروسيا وروسيا فقرروا قراراً بشأن توارث الحكومة المصرية في الاسرة المحمدية العلوية بعثوا به الى الباب العالي وعليه صدر الخط الهمايوني بامتيازات مصر المعلومة في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ ولا نطيل القول فيها لان غرضنا هنا الكلام عن امارات البلقان بنوع خاص

حرب القرم ومؤتمر باريس

ويلي ذلك مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ بعد حرب القرم وفيه ابرمت المعاهدة بين روسيا والدولة العثمانية . وسبب تلك الحرب ان انكلترا اخذت جانب العثمانيين وتعمد احياء دولتهم فاتخذت نفوذها وصداقتها وسيلة لتحسين احوالهم فحملت رشيد باشا وز السلطان عبد المجيد في اوائل حكمه على اصدار منشور بمعنى التسوية بين الر العثمانيين . وتحسنت احوال الدولة فانتظمت الجندية وانشئ البنك العثماني على الن

المشروعات التي شرع بها قبل الحرب وعن نهر الطونة والسفر فيه وشروطه

المادتان ٥٨ و ٥٩ تتضمنان تسليم الباب العالي لروسيا بلاد اردهان والقارص وباطوم ومرساها في اسيا الصغرى وجميع البلاد بين التخوم الروسية والعثمانية القديمة

المادة ٦٠ تتعهد روسيا فيها بارجاع اودية شغراد ومدينة بيازيد الى تركيا وارجاع قطور الى مملكة ايران . المادة ٦١ تعهد فيها الباب العالي باجراء الاصلاحات في ارمينيا

المادة ٦٢ الى ٦٤ تعهد فيها باطلاق حرية الاديان وعدم التمييز بينها في المعاملات الادارية او القضائية وغير ذلك . ثم الامضاءات . وقد نشرنا صورة مؤتمر برلين في صدر هذا الهلال . وهذه اسماء النواب الذين تألف المؤتمر منهم :

نواب الدول في مؤتمر برلين

عن تركيا : تيودوري باشا ناظر النافعة ومحمد علي باشا سرعسكر وسعد الله بك سفيرها في المانيا

عن انكلترا : دزرائيلي رئيس وزارتها والماركيز سالسبوري ناظر الخارجية واللورد رسل سفيرها في المانيا

عن المانيا : بسمارك رئيس الوزارة ودوبولوي مستشار الداخلية والبرنس هوهنلو سفيرها بفرنسا

عن النمسا : الكونت اندراسي الوزير الخاص والكونت كارولي سفيرها في المانيا والبارون دي هايمولي سفيرها بايطاليا

عن فرنسا : هنري وادنطون وزير الخارجية والكونت دي صال فاليه سفيرها بالمانيا وفيلكس دسبرز ناظر الخارجية

عن ايطاليا : الكونت كورتي وزير الخارجية ودولوني سفيرها بالمانيا

عن روسيا : البرنس غورتشاكوف وزير الخارجية والكونت دوشوفالوف سفيرها في انكلترا ودوبريل سفيرها بالمانيا

بعد معاهدة برلين

وهذه المعاهدة مع طولها وتفصيلها لم تكن كافية لاستتباب الامن في البلقان لان الدول التي استفادت من هذا المؤتمر زادت طمعاً وشراهة . فالنمسا اصبحت باحتلال البوسنة والهرسك ذات شأن في جزيرة البلقان واصبح همها مناظرة روسيا على نفوذها في بلغاريا والسرب وطمعت ايضاً في سلانيك . وايطاليا استفادت من استقلال جارها الجبل الاسود فطمعت بالبانيا واصبحت تنظر الى النمسا بعين الحذر . أما المانيا تخلفت

ثباتاً لم يكن يتوقعه منهم اعداؤهم . وانقسم جند الروس الى شطرين أحدهما شرقي نزل على ارمينيا والآخر غربي هبط على بلغاريا . وكلا الجندين قاسى عذاباً شديداً من المقاومة . فانتهى الاول الى القارص ووقف الثاني عند بلافنا وفيها عثمان باشا الغازي . فدافع عنها دفاعاً طارذكره في الآفاق . ولكن البلدين سلما اخيراً فتقدم الجند الروسي حتى هدد الاستانة . لكنه وقف هناك لان الدول تصدت له وحالت دون دخوله الاستانة . وعقدت معاهدة في سان استفانو في مارس سنة ١٨٧٨ بين الروس والعثمانيين لم تقبل الدول بها واشار بسمارك بعقد مؤتمر دولي . فعقد في برلين في تلك السنة تحت رئاسته وقرر معاهدة برلين الشهيرة . وهي تقضي باستقلال رومانيا وسربيا والجبل الاسود استقلالاً تاماً وان تكون بلغاريا ولاية ممتازة تحت رعاية الدولة العثمانية . ولم يبق للباب العالي من ولايات البلقان الا الروملي ومكدونيا والبانيا . وقضت المعاهدة ايضاً ان تحتل النمسا البوسنة والهرسك وان تضاف تساليا الى اليونان . وكانت انكلترا نصيرة تركيا في هذا المؤتمر ايضاً فنالت جزيرة قبرس

خلاصة معاهدة برلين

وتتألف معاهدة برلين من ٦٤ مادة . الاثنتا عشرة الاولى منها تختص بامارة البلغار والشروط التي تم الاتفاق عليها بشأنها وبيان حدودها بالتدقيق . والمادة ١٣ الى ٢٢ بشأن ولاية الروملي الشرقي وحدودها وشروطها . والمادتان ٢٣ و ٢٤ تشتملان على تعهد الباب العالي باجراء النظامات في جزيرة كريت وانه اذا وقع اختلاف بينه وبين اليونان تتوسط الدول في حسمه . والمادة ٢٥ عهد بها الى النمسا ان تتولى ادارة البوسنة والهرسك وان تبقى يني بازار للدولة . والمادة ٢٦ الى ٣٣ تبين اعتراف الباب العالي باستقلال الجبل الاسود على شروط مدونة هناك مع وصف حدوده الجغرافية وما ينضم اليه من البلاد وشروط التجنيد والديون

وفي المادة ٣٤ الى ٤٢ الاعتراف باستقلال امارة السرب وحدودها وما يشترط عليها من حيث سكانها وعدم التمييز بين الجنسيات والاعتقادات . وهذا الشرط تكرر عند الكلام عن استقلال كل ولاية . وكذلك من حيث المشروعات التي كانت الدولة آخذة بها قبل الحرب كالسكك الحديدية ونحوها

المادة ٤٣ الى ٥٧ تختص باستقلال رومانيا وبيان حدودها واشتراط عدم التمييز بين الرعايا في الدين اوالجنس وغيرذلك . ومن حيث وضع الضرائب وان لها الحق بعقد اتفاقات مع الدول الاخرى لتسوية مسألة الامتيازات ونحوها . ومن حيث

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع ماقبله)

اولاً — فرنسا

٨ — متاحفها

المتاحف او مستودعات التحف والآثار لمنفعة الجمهور من مستحدثات هذا التمدن اتخذته الامم الراقية وسيلة لتوسيع معارف الناس وترقية نفوسهم . ولا نظنه بهذا المعنى يتعدى القرن الماضي . على ان الملوك والامراء كانوا قبل ذلك يختزنون التحف في قصورهم للتفاخر بها . ويعدُّ من هذا القبيل متحف الملك احشويرش وهيكل افسس ودلفي واثينا وقصور البطالسة في الاسكندرية

متاحف الفاطمين

وكان للعرب حظٌّ وافر من هذه المتاحف لم يقتصروا فيها على جمع التحف الثمينة لكنهم اضافوا اليها كثيراً من الآثار التاريخية والصناعية . نعني متاحف الفاطميين بالقاهرة منذ نحو ثمانمائة سنة . وكانوا يسمونها الخزائن كخزانة الجوهر وخزائن الاسلحة والفرش والامتعة والبنود . وقد يظن لاول وهلة انها من قبيل مخازن اللوازمات الحربية ونحوها . لكننا عددناها من المتاحف لما كانت تشتمل عليه من التحف التاريخية المنسوبة لاصحابها من الخلفاء او الامراء . كالكؤوس البادزهر التي عليها اسم هارون الرشيد . وبيت هارون الرشيد الخز الاسود الذي مات فيه بطوس . وحصير الذهب الذي يظن انه جليت عليه بوران بنت الحسن بن سهل للمأمون وزنه ١٨ رطلاً . ورقعة للشطرنج والنرد احجارها من الجوهر والذهب والفضة . وكان في خزائن الفرش مقطع من الحرير الازرق التستري القرقوبي

انكلترا وفرنسا في الانتفاع من تركيا . واصبحت من سنة ١٨٩٠ صاحبة النفوذ الاكبر في الاستانة . واصبح امبراطورها صديق السلطان عبد الحميد وناصره . وصارت مصالح الالمانيين تقدم على سواها . واشهر مشروعاتهم التي نالوها بفضل تلك الصداقة سكة حديد بغداد

واما الممالك البلقانية الجديدة فقد اخذتها هزة النصر واكثرها حديثة النعمة في الاستقلال فاخذت تطلب المزيد . كانت رومانيا تشمل الفلاق والبغدان مع نوع من الاستقلال الاداري وامراؤها مسيحيون . وفي سنة ١٨٦١ اتحدت الامارتان رغم الدولة العلية وسائر الدول وصارتا دولة واحدة يحكمها امير واحد . ثم استقلت استقلالاً تاماً سنة ١٨٧٨ . واعتبر ذلك في السرب ايضاً فان تاريخها عبارة عن سلسلة ثورات وحروب . وما زالت حتى نالت استقلالها النهائي سنة ١٨٧٨

اما البلغار فان معاهدة برلين جعلتها امارة مستقلة تحت رعاية الدولة تدفع لها جزية سنوية . ففي سنة ١٨٨٥ضمت الروملي الشرقي اليها وصارتا دولة واحدة خافتها السرب او حسدتها فحاربتها . وفي سنة ١٨٨٦حدثت ثورة اهلية في البلغار طرد فيها اميرها وخلفه فردينان الملك الحالي وله مطمع في مكدونية لان اهلها اكثرهم بلغاريون وهو ما بعثه على محالفة جيرانه اليوم لهذا الغرض . واما اليونان فاستقلت سنة ١٨٢٩ وما زالت طامعة بما يجاورها او ينتمي اليها من الامم او البلاد ولا سيما تساليا وكريت وبعض مكدونية فنالت تساليا سنة ١٨٨١ . ثم حاربت العثمانيين سنة ١٨٩٧ انتصاراً لكريت فغلبوها لكن الدول تداخلت والزمت الدولة العثمانية ان تعترف باستقلال كريد الاداري

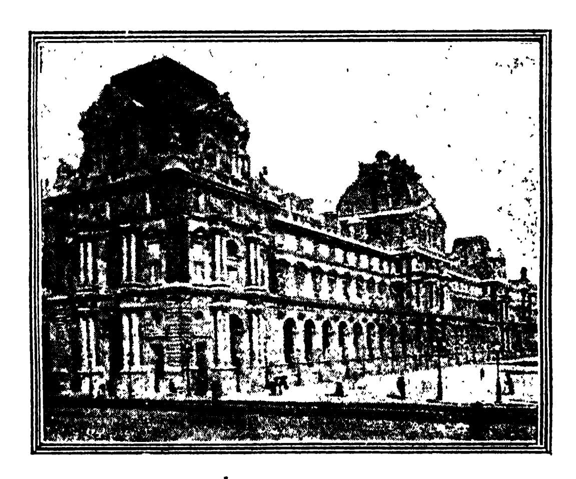
ولما اعلن الدستور سنة ١٩٠٨ تنبهت الامم العثمانية واغتنم الطامعون منهم اشتغال الدولة بشؤونها الداخلية . فاعلن البلغاريون استقلالهم التام وضمت النمسا البوسنة والهرسك اليها ضماً تاماً . فاصاب التوازن البلقاني اختلال جرَّ الى الحرب الجارية الآن وقد اتحدت فيها بلغاريا والسرب واليونان والجبل الاسود لمحاربة الدولة العثمانية والنصر حتى الآن في جانب الجيش المتحد لانهم يكتسحون بلاداً اهلها شركاؤهم في اللغة والدين . ففتح البلغاريون مصطفى باشا وقرق كليسة وحاصروا ادرنة ووصلوا الى جتالجة . واحتل اليونان سلانيك وحاصروا يانينا . واحتل السرب نوفي بازار واسكوب ومناستير وغيرها . واحتل الجبليون برانة وتوزي وحاصروا شقودرة . وقد تقررت هدنة للنظر في عقد الصلح واجتمع مندوبو الدولة العثمانية والدول البلقانية في لندن لهذه الغاية . وسيعقد بعد ذلك مؤتمر دولي لتسوية سائر المسائل العثمانية

في قصر الانفاليد وقد تقدم ذكره . ومتاحف علمية او هي معارض لعرض المجاميع الجيولوجية والتشريحية والحيوانية والنباتية ونحوها . ومتاحف دينية يراد بها الاحتفاظ بالآثار الدينية الكنائسية كمتحف جيمي . ومتاحف تاريخية وغيرها . غير المتاحف الخصوصية التي تقدمت الاشارة اليها بين الآثار مما ينسب الى اصحابه من المشاهير في منازلهم كمنزل هوغو واوغست كونت وغيرهما . ولنبدأ بوصف ما شاهدناه في اهم متاحف باريس

متحف اللوفر

تاريخه

هو انخم متاحف باريس واهمها من حيث بنائه وما حواه من التحف . ولانشائه تاريخ يطول بنا ايراده وانما يقال بالاجمال ان اسمه مشتق من اسم غابة كانت هناك لصيد الذئاب اسمها لوبار واسم الذئب في لسانهم « لوب » فسمي المكان « لوبرا » ثم لوفر . ويقال ان اصل ذلك البناء قلعة بناها فيليب اوغست في اوائل القرن الثالث



جانب من ظاهر قصر اللوفر

عشر في جملة سور باريس . ثم اتخذها شارل الخامس مستودعاً لذخائره وكتبه وجعلها منزلاً لائقاً بالملوك . لكن ذلك البناء لم يبقَ منه شيء وانما بقي ما بناه فرنسوا الاول سنة ١٥٤٦ واتصل العمل بعده على عهد هنري الثاني (١٥٤٧ — ١٥٥٩) ومن خلفه . وفي جملتهم كاترين مديتشي ارملة هنري المذكور واولادها . وهنري الرابع وغيرهم . ولم يتم بناء هذا القصر الا في زمن نابوليون الاول فانه امر سنة ١٨٠٥ بترميمه كله واتم ذلك نابوليون الثالث . فاتسع القصر اتساعاً لا يضاهيه فيه قصر من قصور

غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر الوان الحرير كان المعز لدين الله امر بعمله في سنة ٣٥٣ هـ وفيه صورة اقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومسالكها شبه الخريطة . وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر وعلى كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير وكتب في اخره « مما امر بعمله المعز لدين الله شوقاً الى حرم الله واشهاراً لمعالم رسول الله في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة والنفقة عليه اثنان وعشرون الف دينار » . وبيت ارمني احمر منسوج بالذهب عمل للمتوكل على الله لا مثيل له ولا قيمة صار الى تاج الملوك . وصار اليه ايضاً بساط خسرواني دفع اليه فيه الف دينار فامتنع من بيعه

وكان في خزانة السلاح درع المعز لدين الله وسيف الحسين بن علي ودرقة حمزة بن عبد المطلب وسيف جعفر الصادق . وكان عندهم في خزائن اخرى منديل القائم بامر الله العباسي وغير ذلك . وناهيك بالجواهر والحلي الثمينة مما لم يعهد له مثيل عند غيرهم . هذه كلها ذهبت بالفتن في اثناء الدولة الفاطمية . وما بقي ذهب بذهاب الدولة

على ان هذه المتاحف كانت مقفلة لا يدخلها غير اصحابها فلا نفع للناس منها وكذلك ما كان من هذا القبيل في الاجيال الوسطى باوربا . واقدم من انشأ المتاحف باوربا وفيها الآثار الصناعية والعلمية والتاريخية كوسمو الاعظم في فلورنسا بالقرن السادس عشر للميلاد . اي بعد ذهاب الدولة الفاطمية ببضعة قرون يليه متحف البابا ليون العاشر في الفاتيكان في ذلك القرن . والايطاليان اسبق دول أوربا الى هذه المنقبة مثل سبقهم الى انشاء المدارس العلمية وهي ايضاً مما اقتبسوه عن العرب . واقتدت بهم سائر أمم اوربا . فاخذ الامراء والملوك يجمعون التحف والمصنوعات ونحوها في خزائن بلا ترتيب ولا غرض معين غير التفاخر بها . ولم تتحول الغاية من جمعها الى منفعة الجمهور الا في القرن الماضي . وفي باريس من هذه المتاحف عدد كبير سنأتي على وصف اهمها وبيان ما شاهدناه فيها مما يهمّ قراء الهلال

متاحف باريس

في باريس نحو اربعين متحفاً يمكن جمعها تحت عدة رؤوس حسب الغرض منها او ما تحويه من الآثار او التحف . منها متاحف عامة فيها كل انواع التحف من المصنوعات على اختلاف فنونها ومن الآثار التاريخية والفنون الجميلة وغيرها اهمها متحف اللوفر . ومنها متاحف فنية يراد بها تنشيط الفنون الجميلة كالرسم والحفر والتصوير مثل متحف لوكسنبرج . ومتاحف حربية لعرض الاسلحة ونحوها كالمتحف العسكري

نذ القديم . واعجبوا باتقان صنعهِ رغم نقص ذراعيه . وهو تمثال الزهرة حملوه من يلوس . وفي بعض القاعات تمثال نصفي لاسكندر المكدوني الكبير ورأس هوميروس تمثال ابولون وديانا وباخوس ورمز عن التيبر بديع الصنع

المنحوتات الشرقية

وقسم الآثار الاسيوية منها قاعة لاشور فيها الثوران الاشوريان الضخمان مما نصبه الاشوريون ببيبان الهياكل كما ينصب المصريون ابا الهول . والثور الاشوري أسه رأس انسان رمز عن العقل وله قوائم الثور واجنحة النسر دلالة على القوة . هناك كثير من القراميد الاشورية عليها الكتابة المسمارية باللغة الاشورية



الثور الاشوري

ومن جملة تلك الآثار انقاض بلاد السوس وفي جملتها مسلة حمورابي الشهيرة وعليها شريعته منقوشة بالحرف المسماري . وقد ذكرنا ترجمتها في السنة ١٣ من الهلال . وهي اقدم ما وصلنا من الشرائع المدونة (نحو سنة ٢٢٥٠ ق م) ومسلة نرام سين ملك اكاد (سنة ٣٧٥٠ ق م) وعليها صورة ذلك الملك يطارد اعداءه . والملك منيشتوسو ومسلته (نحو ٤٠٠٠ سنة ق م) وغير ذلك

وفي قاعة الآثار الفينيقية عدة نواويس فينيقية من الرخام الاسود والابيض تشبه النواويس المصرية ــ بينها ناووس اشموناصر ملك صيدا عليهِ كتابة فينيقية هي اطول ما وجدوه من الكتابة على النواويس . وقاعة للآثار الفينيقية القبرسية فيها شيء من

العالم فان مساحته التي عليها البناء نحو ١٩٨٠٠٠ متر مربع اي ثلاثة اضعاف مساحة قصر الفاتيكان . ويقسم الى قسمين رئيسيين اللوفر القديم واللوفر الحديث منه جزء تشغله نظارة المالية . وفي ساحة القصر حدائق نصبوا التماثيل في اركانها ــ فيبدأ الزائر يهتم بذخائر اللوفر قبل دخوله فضلاً عما يشاهده من فخامة البناء واتقان صنعه

اما الذخائر والتحف التي يتضمنها ذلك القصر فهي مفرقة في طبقاته حسب انواعها ومواضيعها . ففي الطبقة الارضية الآثار الرخامية ونحوها مما يثقل حمله . ومن جملتها الآثار الاسيوية والمصرية ومنحوتات الاجيال الوسطى واوائل النهضة الى هذا العصر . وفي الطبقة الاولى فوق الارضية معارض الصور الزيتية وسائر الفنون الجميلة من منحوتات ومسبوكات ومن سائر المصنوعات الثمينة قديمة وحديثة . وفي الطبقة الثانية معرض التصوير ايضاً ومعرض البحرية . وفي الاجنحة وغيرها معروضات اخرى

اما تاريخ اتخاذ قصر اللوفر متحفاً فيرجع الى القرن السادس عشر بعد نهضة التمدن الحديث بدأ الملوك بوضع بعض التحف او المصنوعات الجميلة واكثرها من ايطاليا . ولكنه لم يجتمع فيه ما يستحق الذكر الا في زمن نابوليون الاول وقد جاء جنده بالغنائم من ايطاليا وغيرها وفيها الذخائر الكثيرة اضيفت الى ذلك المتحف . وما زالت تجتمع التحف فيه حتى صار الى ما هو عليه الآن ويعد من اعظم متاحف العالم وهو لسعته لو اراد الانسان ان يطوف غرفه ماشياً لاقتضى لذلك ساعتين على الاقل فكيف لدرس ما فيه او وصفه ؟ ولذلك فاننا سنقتصر على ما يهمّ القراء منه

المنحوتات

ففي متحف الرخاميات القديمة في الطبقة الارضية من البناء ٣٠٠٠ قطعة مفرقة في قاعات عديدة نذكر منهـا على الخصوص قاعة الآثار الافريقية وفيها آثار شمالي افريقيا مصر وقرطاجة وتونس والجزائر . وقاعة الآثار الرومانية واليونانيـة على اختلاف الاعصر والمواضيع من تماثيل الاشخاص والوقائع صناعتها تدهش المتأمل منها تمثال شاب جالس وهو عار ينزع شوكة من اخمص قدمه ملامحه واضحة لدرجة غريبة . ومنحوتات تمثل عادات الرومان واليونان من جملتها رجل عاد من الصيد فنزع رداءه وعلقه على غصن شجرة وعلق صيده بجانبه واخذ يلاعب كلابه بارنب من صيده يوهمها انه يدفعه اليها ثم يرجعه . وتمثال آخر لرجل اخذ يلبس نعاله وهو يشد سيورها . غير عادات الرقص والموسيقى وتماثيل العظماء او الرموز الدينية او الميثولوجيا بينها تمثال فينوس ميلو ويعدونه اتقن تماثيل اللوفر وقد تغزل به الشعراء والكتاب

الهولنديون ولاسيما جان فانديك الشهير ورامبران وفرنسال ومن المعروضات الالمانية لولبين وغيره . وللانكليز في هذا المعرض ٣٥ صورة بعضها لويلس وكونستابل بونتن ورينولد وغيرهم وغير ذلك مما يعجز القلم عن وصفه . ونعترف بعجزنا عن وصف ما ألم بنا من الدهشة عند وقوفنا امام هذه المصنوعات البديعة . ولم يدهشنا اتقانها قل مما ادهشتنا كثرتها . فان قاعة واحدة منها طولها ٣٧٥ متراً جدرانها مغطاة بالصور الزيتية المتفاوتة الاقدار والاشكال متزاحمة صفوفاً بعضها فوق بعض . وفي جملة هذه الصور صورة جوكوندة الشهيرة التي سرقت بالامس وشاع امرها

وبالاجمال فان تلك الصور بعضها يمثل المشاهير من الرجال او النساء . والبعض الآخر يمثل العادات كمجلس طرب بين اهل القرى في القرن السابع عشر . وولادة مير . وفتاة عائدة من المدرسة . ومأتم دفن . وبيع اللحوم . اوالحوادث التاريخية كموت سنيك . وموت شرويل . وضرب موسى الصخرة بعصاه . والعذارى الثلاث . وصلب المسيح . وتمثيل الفردوس . ومحاكمة دانيال . او المناظر الطبيعة كتأثير الثلج في الطبيعة . ومقاتلة الذئاب . واسد هاجم على جواد . وصورة الفجر . او الميثولوجيا مثل هركيل وفينوس وادونيس . ومنها صور طولها عدة امتار تغطي جدار الغرفة كله . ومن اسماء المصورين روين وفراغونار ورينول وماتيه وريغو وروبستي ودلتايتورتو وجوردانو وشمباني وسنيدر ولارجليار وفان لو وفانديك ورفائيل وواتو وكوربت ومابر وغيرهم كثيرون

والرسوم التي تمثل العادات الشرقية في هذا المعرض قايلة منها صورة تمثل استقبال سفير بندقي جاء القاهرة بملابسه الرسمية في القرن السادس عشر . رسمها بليني طولها ثلاثة امتار بمترين

وهناك قاعات عديدة كل منها تختص بمصور شهير جمعت مصوراته معاً وتسمى القاعة باسمه مثل قاعة فانديك وقاعة روبنسن وقاعة فرانس هال وغيرهم . وغير القاعات المنسوبة الى البلاد كقاعة الايطاليين وقاعة الهولانديين والفرنساويين . والمراد بها بيان ما تمتاز به كل امة من التفنن بالتصوير لفائدة طلاب هذه الصناعة من التلاميذ او الغواة وللفن الفرنساوي عدة قاعات حسب الاعصر كل قرن على حدة الى القرن التاسع عشر

معارض المصوغات والمجوهرات

وفي هذه الطبقة من اللوفر قاعة كبيرة يسمونها قاعة ابولون هي اجمل قاعات المتحف من حيث بنائها وزخرفها . وقد وضعوا حول جدرانها اجمل الاثاث من زمن

المصنوعات القديمة كالتماثيل والاعمدة والاقداح . وقاعة الآثار الاسرائيلية استلفت انتباهنا فيها على الخصوص مسلة ميشا ملكَ مواب في القرن التاسع قبل الميلاد وعليها كتابة موابية تصف حروب هذا الملك مع اليهود . وهي اقدم الآثار الكتابية الابجدية التي وقفوا عليها حتى الآن

وقاعة الآثار المصرية ويعدُّ ما فيها من الآثار المصرية من اهم ما في المتاحف الاوربية من نوعها . في جملتها تمثال ابي الهول عظيم الحجم يستلفت الانتباه عند مدخل القاعة . وهناك ضريح تاهو من صنع العائلة الخامسة والعشرين المصرية وهو اتقن ما صنع في ذلك العصر . وتمثال سيتي الثاني وسبك حوتب . ومثال (نسخة) لمنطقة الابراج المصرية التي وجدوها في دندرة . وتمثال رعمسيس الثاني . وقاعة خاصة لمكتشفات ماريت باشا في السرابيوم بمصر وتمثال العجل ابيس

ومتحف القرون الوسطى وبدء النهضة الاخيرة فيه من التماثيل والمنحوتات المتقنة ما يدهش المتأمل اكثرها تماثيل نصرانية . منها قاعة ميشال آنج النحات الايطالي الشهير بينها تمثال رخامي لاميرين مغلولين يقال لهما العبدان صنعهما ميشال آنج في اوائل القرن السادس عشر ليوضعا على ضريح البابا جول الثاني في رومية يريد ان يمثل بهما الفضيلة مقيدة . وتمثال شارل الخامس ملك فرنسا (توفي سنة ١٣٨٠) وتمثال امرأته جان دي بوربون وغير ذلك من التماثيل المتقنة . وهناك قاعات عديدة للمنحوتات الحديثة يضيق المقام عن ذكرها فضلاً عن وصفها

معارض الصور

وفي الطبقة الاولى من اللوفر معارض الصور الزيتية وغيرها مما يستحيل الافاضة فيه . ولا يقدر الكاتب على وصف ما في صوره من دقة الصنع ما لم ينقل الصور نفسها وهي تزيد على ٣٠٠٠ صورة يختلف حجمها من بضعة امتار طولا الى اقل من متر . وكلها لمشاهير المصورين على اختلاف الاعصر والبلاد والامم . ويعدُّ هذا المعرض اغنى معرض من نوعه في متاحف العالم واهمها . وفيهِ طائفة من اتقن ما صوره الايطاليون والهولنديون والفرنساويون وغيرهم . ومجموعة مدهشة من الصور الزيتية على القماش ولصور رفائيل مجموعة حسنة مرتبة حسب تدرجه في اتقان هذه الصناعة وفي جملتها صورة القديس جورجيوس يقتل التنين وصورة الملاك ميخائيل وغيرهما

ومن صور المصورين الاسبانيين شيء كثير نقلت من اشبيلية ومدريد فيها صور الطفل مرغريت رسم فيلاسكس . وهناك صورٌ من احسن ما صنعه الاسبانيون

بالذهب او الفضة والمرصعة بانواع الحجارة الكريمة من قديم وحديث صنع فرنسا او اسبانيا اوغيرهما من القرن الحادي عشر فما بعده بينهااوسمة ومداليونات مختلفة الاشكال

وبجانبها قاعة اسمها قاعة المصوغات فيها المصوغات القديمة قبل النهضة الاخيرة (انتيكا) بينها خوذة غالية من الحديد الموشى بالميناء من زمن الرومان . وعقد اتروسكي وفضيات وجدت في بوسكوريال قرب بمباي هي ٢٤ قطعة من الصناعة اليونانية الاسكندرية . بعضها لا يزال كانه صنع بالامس وعدد كبير من الخواتم اليونانية والرومانية والاقراط الاتروسكية وقطع مصوغة وجدوها في ازمير وغير ذلك . وفي قاعة اخرى صورة زيتية كبيرة تمثل بونابرت في زيارته المطعونين بيافا (سوريا)

وهناك قاعة خاصة بمصنوعات قديمة من البرونز وجدوها في انقاض اليونان وغيرها من الامم الاوربية القديمة وقاعات كل منها خاصة بملك من ملوك فرنسا فيها رياشه وادواته . احداها للويس الرابع عشر واخرى للخامس عشر فالسادس عشر . وكل منها تحوي ما يستغرق وصفه عدة صفحات . ومعرض للرسوم فيه ٥٠٠٠٠ رسم من اقدار مختلفة وضروب متنوعة . وآخر لمصنوعات الاجيال الوسطى وقاعة لتحف اهداها روتشيلد للوفر تقدر قيمتها بعشرين مليون فرنك وتعرف باسمه

مصنوعات شرقية

وقاعة خاصة بالقيشاني الشرقي فيها قطع صنع دمشق في القرن السادس عشر وأخرى من القاهرة وعلبة عليها نقش باللغة العربية يقرأ « المغيرة » يظن انهُ ابن عبد الرحمن الناصر صاحب قرطبة نحو سنة ٩٦٧ م ومصابيح للمساجد . وكأس عليه اسم ابو المظفر يوسف الايوبي سلطان حلب سنة ١٢٣٦ — ١٢٦٠ م

ومعرض التحف الاسيوية منها قاعة السوس وبلاد الكلدان وبابل وفينيقية . اهم ما فيها مسلة فينيقية للاله سلمان واخرى آرامية تعرف بمسلة تيماء ببلاد العرب . وامثلة كثيرة من زجاج فينيقي ومصوغات فارسية قديمة وعقود من الذهب وقطع نقود وجدت في ضريح من البرونز من القرن الرابع قبل الميلاد . ونقود بيزانتية ومصوغات سلوقية وتماثيل اشورية من عصر سرجون الاول بينها خريطة مجسمة لنوموليس في بلاد السوس (سوزيانا) مثلت فيها الاودية والجبال . وقاعة اخرى للتحف الفارسية القديمة وفيها قطع بنائية من زمن ارتاكزرسيس . ومعارض لادوات الحداد والمآتم المصرية وللآلهة المصرية يراد بها الميثولوجيا المصرية . ومعارض للصناعة القديمة في ممالك التمدن القديم ولا سيما بلاد اليونان

لويس الرابع عشر. واقاموا في وسطها مواقف او خزائن (فترينات) وضعوا فيها من المجوهرات والمصوغات اثمن ما في اوربا . منها ابريق من اليشب الاسمر صنع القرن السادس عشر . وابريق او مزهرية من اليشب الشرقي عليه ميناء في غاية الجمال. وابريق من اليشب . وفي فترينة اخرى مجموع مصوغات من عصر النهضة الايطالية وجواهر مصوغة في شكل قبة. وكؤوس من الجماشب عليها ميناء او بلا ميناء. ومصوغات من صنع فرنسا وايطاليا . وادوات كنائسية من العصر القوطي بينها كؤوس من البلور وأطباق من الذهب منزلة بالميناء صنع البندقية . وعلبة فيها ذراع شارلمان صنع المانيا في القرن الثاني عشر. وكأس للقديس لويس عربي الشكل عليه نقوش دينية ويعرف بكاس عماد القديس لويس . وغير ذلك من الادوات المقدسة والكنائسية يطول بنا ذكرها نكتفي منها بالمجوهرات الملوكية . واول ما استلفت نظرنا منها الماسة تسمى « ريجان »



كأس عماد القديس لويس

هي اجمل الماسة معروفة وزنها ١٣٦ قيراطاً ابتاعها فيليب اورليان سنة ١٧١٧ وقد قيمتها اليوم بخمسة عشر مليون فرنك . وبجانبها الماسة تسمى مازارين لونها هورتنـ بينهما ياقوتة كبيرة اسمها « كوت ديبريطاني » والى اليسار عقد من اللؤلؤ امامه سـ شارل العاشر مرصع بالجواهر الثمينة على غمده الحرف الاول من اسم نابوليون . وهـ مثال لتاج لويس الخامس عشر عليه امثلة من مجوهراته . وبجانبه تاج نابوليون الـ صنع سنة ١٨٠٤ تقليداً لتاج شارلمان احجاره قديمة . وبينهما لوح تاريخي لذكرى تيشن سنة ١٧٧٩ صنع المانيا . وامامه ساعة امير الجزائر اخذت منه سنة ١٨٣٠ وبـ إكاترين دي مديتشي من الالماس. وقس على ذلك عشرات من القطع الثمينة الـ

١٤٥٠٠ مجلد و ٤٠٠٠ خريطة . وفي قسم المسودات الخطية ١٠٢٠٠٠ كتاب

وعلى بعض المسودات العربية في هذه المكتبة صور مرسومة من القرون الوسطى منها صورة على مسودّة قديمة تمثل فرسان من العرب على افراسهم يستخدمون النار اليونانية

وفي المكتبة معرض للمخطوطات والمطبوعات النادرة بينها خطوط العلماء المشاهير وتواقيعهم بايديهم منهم رابلي وفيلون وراسين وروسو

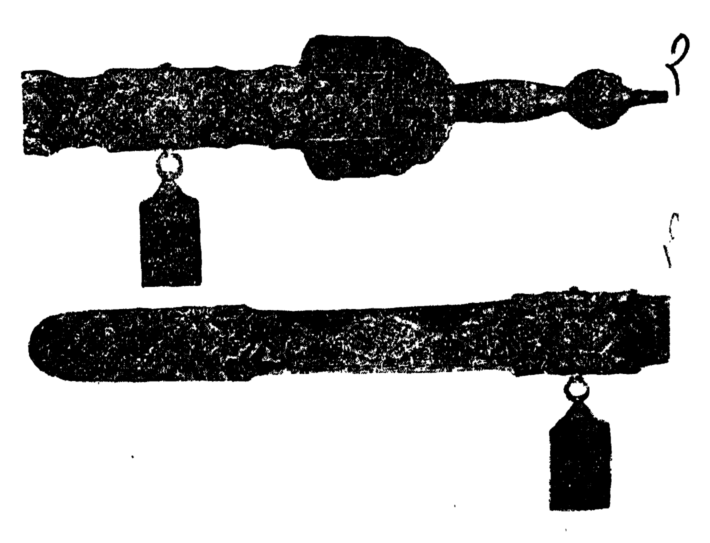
معرض الاوسمة

هو من جملة بناية المكتبة وله باب خاص من الخارج . سمي كذلك لما فيه من ضروب الاوسمة والنياشين يزيد عددها على ١٥٠٠٠٠ قطعة . ولكن فيه تحفاً كثيرة هامة بعضها مصريّ منها منطقة البروج التي عثروا عليها في دندرة ويرجع تاريخها الى العصر الروماني . ومنها خزائن فيها تحف ثمينة تاريخية مثل ترس شيبيون بما عليه من النقوش الميثولوجية

أثران عربيان

واهم ما شاهدناه هناك مما يهم قراء الهلال أثران عربيان تتوق نفس كل عربي الى رؤيتهما

اولاً : سيف ابي عبد الله محمد بن علي صاحب غرناطة آخر ملوك العرب في الاندلس الذي غلبه الاسبان في اواخر القرن الخامس عشر للميلاد (سنة ٨٩٧ ه)



سيف ابي عبد الله محمد بن علي صاحب غرناطة

وفي قصر اللوفر جناح خاص بمعروضات الشرق الاقصى مما وهبه الفضلاء لخدمة الجمهور وكل قاعة باسم مهديها بعضه للصين او اليابان او فارس ولاسيما السوس (سوزيانا) مما يطول بنا شرحه . وشاهدنا عند مدخل اللوفر قاعة فيها قطع من جدران فينيقية مصورة بالفسيفساء عثرعليها رينان سنة ١٨٦٣ في كنيسة القديس خريستفورس قرب صور (سوريا) عليها رسوم حيوانات من ارانب وطيور واسود وبقر واسماك . منها قطعة على الارض طولها ١٢ متراً . ومثلها سبع قطع تختلف حجماً ورسماً . وضريح من رخام لكاهن قرطاجي وقطع عليها نقوش حمات من قرطاجة وغيرها

وفي اللوفر من المصنوعات الجميلة المدهشة الابسطة او الستائر (غوبلين) المنسوجة بالصور تجلل الجدران من القرن الخامس عشر فما بعده وهي ثمينة وتمثل صوراً تاريخية

المكتبة الاهلية

المكتبة الاهلية الفرنساوية من اهم مكاتب العالم . ولا نريد الافاضة في وصفها هنا وانما اردنا الاشارة اليها اجمالاً لذكر ما شاهدناه في معرض الاوسمة بجانبها . بناء المكتبة عظيم فخيم لا يزال العمل جارياً في توسعته ليشغل نحو ١٦٥٠٠ متر مربع . ويقال في تاريخ خزن الكتب فيها ان الكرولنجيين كانوا يعتنون بجمع الكتب الخطية

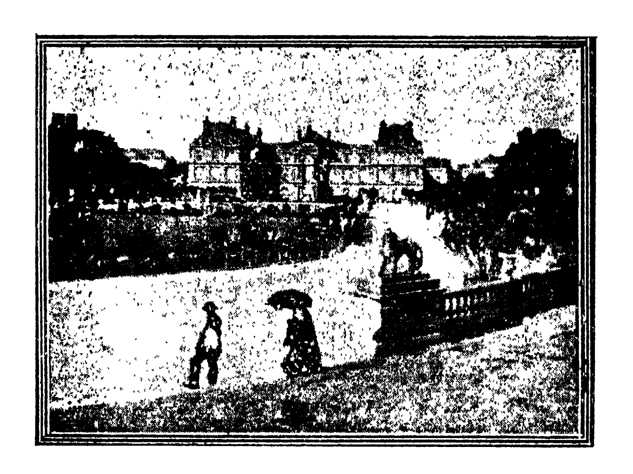


عرب على افراسهم يستخدمون النار اليونانية نقلاً عن مسودة خطية في المكتبة الاهلية بباريس

وكان للويس التاسع المتوفى سنة ١٢٧٠ مكتبة خصوصيـة . وكذلك شارل الخامس ولويس الثاني عشر . لكن هذا الاخير يعدّ مؤسساً للمكتبة التي نحن في صـددها في اوائل القرن السادس عشر . واشتغل خلفاؤه في توسيعها وحشد الكتب وغير الكتب فيها حتى صارت الى ما هي عليه الآن . وهي اربعة اقسام كبرى : ١ المطبوعات والخرائط ٢ المسودات الخطية ٣ الرسوم ٤ الاوسمة والتحف القديمة . وفيها قاعة للمطالعة واسعة جدًّا . ففي قسم الرسوم نحو ٢٥٠٠٠٠٠ قطعة محفوظة في نحو

متحف لوكسنبرج

هو متحف فني في قصر لوكسنبرج والقصر من انخم قصور باريس . بني بامر ماري دي مديتشي ارملة هنري الرابع في اوائل القرن السابع عشر. واجهته الرئيسية طولها



قصر لوكسنبرج

٩٠ متراً . وقد رمم مراراً وخصوصاً سنة ١٨٠٤ بامر نابوليون الاول . وجعلهُ مقرّاً لمجلس الشيوخ وجعله غيره لغيرهم لكن نابوليون الثالث اعاده لهم . واقام في هـذا القصر كثيرون من الامراء والاميرات وخصص جانب منه لعرض التحف الفنية كما عرضت تحف اللوفر لكن بعض الزائرين يزور القصر لحضور جلسات المجلس باذن خاص . وفي قاعة الاجتماع ٣٠٠ كرسي للشيوخ و ٨٠٠ للحضور

وانما يهمنا من هذا المتحف ما حواه من المصنوعات الفنية حفراً او نحتاً او تصويراً . وتقسم تحفهُ الى التماثيل والصور. وفيه طائفة حسنة من السجاد او الاستار المصورة بالنسيج مما يدهش الناظر. ومن العبث ان نحاول وصف ما هنالك لاسباب تقدم بيانها وانما نكتفي بالاشارة الى بعض ما يهمّ القراء معرفة وجوده

فمن المنحوتات ما يمثل بعض الحوادث التاريخية كتمثيل هاجر واسماعيل صنع النحات ايزلين كما يتوقع ان يكون حالهما من وصف التوراة لهما . وقتل قايين لاخيه هابيل . وتماثيل عظماء اليونان والرومان وغيرهم . منها تمثال داود النبي عارياً وفي يده سيف . وقد استوقف خاطرنا تمثال امرأة عربية تطرز على المنسج . ومنها طائفة تمثل

موضوع في خزانة مع تحف أخرى . فوقفنا عنده برهة وراجعنا تاريخ صاحبه وكيف انقضت دولة العرب من اوربا بانقضائه

ثانياً : هدية هرون الرشيد لشارلمان ملك فرنسا . من المشهور على اقلام الكتاب نقلاً عن كتبة الافرنج ان الرشيد اهدى شارلمان المذكور ساعة دقاقة هي اقدم ساعة في اوربا مع هدايا اخرى . ولم نجد ذكراً لهذه الهدية في كتب العرب القدماء وكنا نتوقع ان نعثر عليها في متاحف اوربا . وقد بحثنا بحثاً دقيقاً في المتاحف التي ترددنا اليها في الصيف الماضي بفرنسا وانكلترا وسويسرا فلم نقف لهذه الساعة على اثر ولا ندري اذا كانت موجودة في بعض المتاحف الاخرى



حجر من رقعة شطرنج اهداها الرشيد الى شارلمان

لكننا عثرنا في متحف الاوسمة الذي نحن في صدده على حجر شطرنج كبير الحجم يمثل فيلاً عليه راكب . وقد عرفوهُ بانه بقية رقعة شطرنج اهداها هرون الرشيد الى شارلمان وقد رسمناها في الشكل لزيادة الايضاح

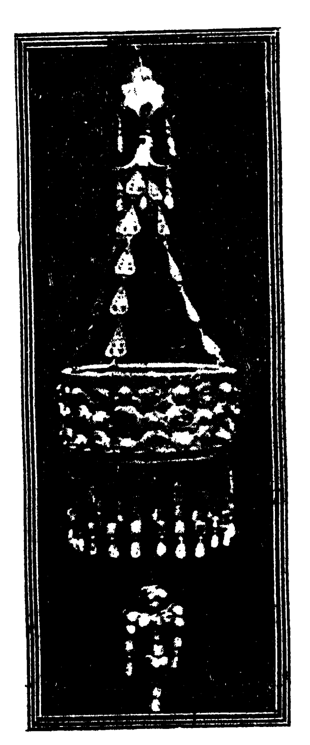
العالم الاثري اسكندر سومرار مستودعاً لتحفه واكثرها من مصنوعات الاجيال الوسطى واوائل النهضة ثم صار بعد موته للحكومة

والتحف المشار اليها من اجمل المصنوعات القديمة من كل نوع يزيد عددها على ١١٠٠٠ قطعة فيها كثير من الادوات الكنائسية والمنسوجات الدقيقة بينها ضروب من التطريز والتخريم بعضه يشبه كثيراً مما يستحدثهُ اصحاب الازياء الجديدة في باريس. ولعل هؤلاء قبل ان يستنبطوا زيا جديداً من المنسوجات أو المطرزات يطلعون على ما في هذا المتحف وامثاله من الازياء القديمة ويستخرجون من مجموعها زياً جديداً.

ومما شاهدناه من التحف ستارة (غوبلين) عليها صورة اصلها لرفائيل

وفيه قاعة للقيشاني واشباهه تدهش المتأمل اكثرها فيها من فرنسا واسبانيا وايطاليا. وفيها خزائن مملوءة بمصنوعات البندقية من الزجاج والاطباق عليها رسوم بديعة. رأينا على بعضها صورة شمشون ودليلة. وعلى طبق آخر رسم يونون وايزيس. وعلى غيره ولادة باخوس. وقيشاني اسباني عربي من القرن الرابع عشر فما بعده. وغيره صنع رودس

وقاعة الادوات اليهودية فيها المفروشات والمسودات والنقود والمصوغات. وطائفة حسنة من المصنوعات العاجية والبرونزية. ورأينا من المصوغات تسعة تيجان من الذهب عثروا عليها بين سنة ١٨٥٨ و ١٨٦٠ قرب طايطلة باسبانيا اكبرها مرصع باللؤلؤ والزفير الشرقي وغيرهما من الحجارة الكريمة مرتبة بشكل حروف افرنجية ترمز عن اسم ركسيفونتس من ملوك الويسيقوط (من سنة ٦٤٩ — ٦٧٢ م). ورقعة شطرنج حجارتها من البلور المعدني صنع المانيا في القرن الخامس عشر. وهناك طائفة من انواع الاسطرلاب والبوصلة والساعات من القرن السادس عشر والسابع عشر



تاج ركسيفونتس من ملوك الويسيقوط

متحف غريف

هو متحف خاص من نوعه. فيه تماثيل من الشمع لمشاهير الرجال المعاصرين وغيرهم بملابسهم

الفضائل او الاخلاق او العواطف كالحرية والفرح والتقوى والحنو والحزن والتألم والخوف والسذاجة والمكر والخبث . اوتمثل بعض العادات منها فرس عربي وصاحبه بجانبه . وزنجي سوداني عليه عمامة وشملة . وجهه اسود اما العمامة والشملة فمن الرخام المعرق اللون يوهم الناظر انه قماش منسوج

وعلى كل تمثال اسم صانعه وفيهم نخبة من النحاتين المعاصرين منهم مولين وديبوا ومارسيه وكورديه وايزلين ورودين ودلابلانش وادراك ولاكورنيه وبويش وبداسو وهانو وغيرهم

اما الصور فانها تشغل عدة قاعات جدرانها مكسوة بالصور على اختلاف اقدارها مما يزيد طوله على ستة امتار الى اقل من نصف متر . ومن الصور الكبرى صورة في صدر القاعة الاولى تمثل قايين مهاجراً مع اهله وقد قوضوا خيامهم وساقوا انعامهم بالوانها واشكالها . وصورة واقعة تاريخية في مراكش فاز فيها السلطان وساق الاعداء اليه امواتاً واحياء . وصورة ايوب يتضرع لله . وصورة اليعازر قائماً من الموت . وغير ذلك ما يعد بالمئات وكل صورة يقتضي لوصفها عدة صفحات وكلها لاشهر المصورين من معظم الامم . في جملتهم ليفي وبوغورو وويرتس وديلوني وكورمون صاحب صورة قايين وهابيل وجرفكس وريبو وبونا صاحب صورة داود . وبازياس ورولنسن وكونستان صاحب صورة موقعة مراكش . وهيبر وجيروم وغيرهم

اما السجاجيد او الستائر المعروفة عندهم باسم غوبلاين فانها عديدة اكثرها مبسوط على جدران قاعات المنحوتات يزيد عددها على بضع عشرة ستارة قد رسموا عليها بالنسيج صوراً تاريخية او مجالس سياسية . في جملتها صورة لويس الرابع عشر في مجلسه ونحو ذلك . وهي من صنع القرون المتأخرة

متحف كلبني

هو في قصر اشبه بالاديار منه بالقصور . بني في الاجيال الاولى للنصرانية يرجع في اصل بنائه الى اواخر القرن الثالث للميلاد ولم يبق من هذا البناء الا غرف الحمام . ثم صار في القرن الرابع عشر تابعاً لدير كليني فبنى الرهبان على انقاضه مسكناً لهم على الطرز القوطي . تم بناؤه سنة ١٤٩٠ على يد الرئيس جاك دامبواز وقد حافظ على شكله . وسكنته ماري ملكة انكلترا ثالثة ازواج لويس الثاني عشر التي تسمى الملكة البيضاء وغيرها . ولما حدثت الثورة الفرنساوية اصبح البناء ملك الامة . وفي سنة ١٨٣٣ جعله

اولئك المسيحيين من التقوى والخشوع وصدق الاعتقاد

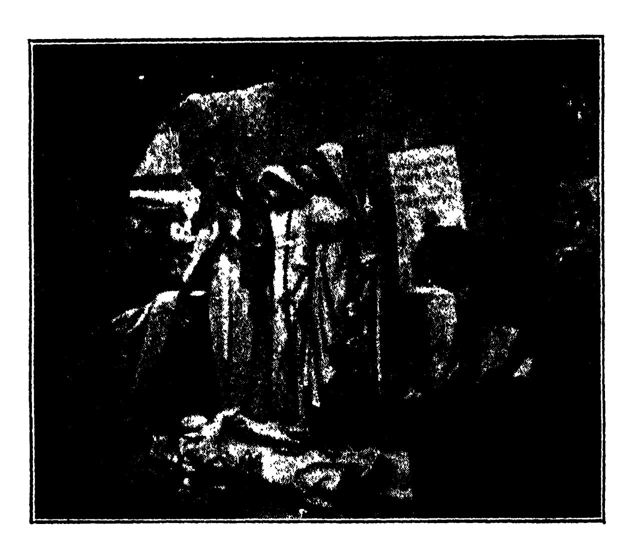
ورأينا في جملة التماثيل تمثال جان دارك على جوادها باسلحتها وبيدها العلم وقد وقف بجانبها حارسان من رجالها . ومجلس البابا بيوس العاشر في كنيسة سكستين وقد جلس على عرشه وبين يديه الكردينالية بين جالس وواقف وجاثٍ . وبالجملة فان متحف غريفن هذا من مدهشات الصناعة . وهناك متاحف اخرى في باريس يضيق المكان عن ذكرها نشير منها الى متحف جيمي وهو من المتاحف الدينية وفيه الآثار الدينية على اختلاف اشكالها باختلاف الامم القديمة والحديثة

مخاطبة طفل

من قصيدة لخليل افندي المطران هنأ بها بعض اصدقائه بمولود جديد

اسمع شكاتي فهي ان لم تفد	حالاً ففيها النفع مستقبلا
كان لنا مجدٌ نزلنا به	من السماوات العلى منزلا
وكان لا ينكر منا اذا	قلنا غداة الفخر نحن الاولى
وكان منا كل ذي مرَّة	ان صال فرداً كسر الجحفلا
الى ان قال — إنا نرجي جيلكم كله	ان يترَ المجد ولا يخملا
فمن دعا يومئذ واجدٌ	فينا جديدَ الخير مستكملا
الى ان قال — أي نجل يحيي كنْ اذا حققوا	آمالنا ندبهم المفضلا
بالعلم والحزم اعتضدْ واعتددْ	لتغدوَ الارشدَ والامثلا
أنا معدوك ليومٍ به	تكون ذاك السيد الموئلا
في ذلك العهد وقد صرت في	اترابك الامكنَ والارجلا
تذكر الطفل الذي كنتهُ	وحاشِ ذاك الخلق ان يبدلا
اذ كنت في مهدك لا تتقي	لو أن طوداً راسخاً زُلزلا
ولا تراعي طاغياً قادراً	ولا تحابي بطلاً مبطلا
ولا تني بالسؤل حتى ترى	محققاً ما عزَّ ان يسألا
وتجهل الاثمَ بأنواعه	كما ترى العفةُ ان تجهلا
عظائم الدنيا تحبُّ الفتى	في اكثر الاخلاق مستطفلا

وازيائهم . وقد اتقن صنعها حتى يصعب على الزائر ان يميز بين التماثيل المنصوبة منها والوقوف من الزائرين . وفي جملة التماثيل المشار اليها طائفة من رجال فرنسا وغيرهم مثل روشفور وكوكلين وجول كلارسي وموريس بارس وكليمانسو وغيرهم . بين وقوف على انفراد او ازواج وجماعات كأنهم يتحادثون او يلعبون . وقد مثلوا مواقف تاريخية مشهورة مثل عائلة لويس السادس عشر لما بلغها خبر الثورة وقد دخل الغوغاء عليهم . وروبسبير ودانتون وديمولين . وبيلي . ولافيت . ولويس السادس عشر في سجنه . ومحكمة الثورة الفرنسانية وفيها القضاة . ومدام رولان ساعة المحاكمة . لا ينقص احد منها غير النطق والحركة وميرابو في موقف الخطابة . والقبض على شارلوط كوردي . ونابوليون وجوزفين يسمعان الموسيقى . وهما في موقف آخر مع مدامozيل اوغيه . ولويس نابوليون ومرات مع جمهور من السيدات . ونابوليون ساعة موته في جزيرة القديسة هيلانه وغير ذلك . وكل جماعة في غرفة فيها الرياش والالبسة والادوات كما كانت في وقت الحادثة مما يدهش الناظرين



مأتم المسيحيين في القرون الاولى سرًّا تحت الارض

وفي الطبقة السفلى امكنة كالدهاليز والسراديب مثلوا بها احوال النصرانية في اوائل احوالها يوم كان المسيحيون يتكتمون بصلواتهم وطقوسهم وما كانوا يقاسونه من العذاب والاضطهاد . نقلنا منها صورة مأتم والقوم وقوف حول الميت يصلون عليه ويخافون الخروج به . لا يقدر الزائر لتلك الاماكن الا التخشع لما يظهر في ملامح

وقال الهلال « المرء باخلاقه لا بذكائه » وننقل من كتاب « نشوء الامم »
[ل]مة جوستاف لوبون القطعة الآتية تأييداً لما ذكر :
« ان تأثير الاخلاق في حياة الامم عظيم جدًّا بالنظر الى تأثير الذكاء . كان
[ال]رومان مثلاً في ايام انحطاطهم اشدَّ ذكاءً منهم في ايام نشأتهم لكنهم بتوالي الازمان
[اض]اعوا اخلاق اسلافهم التي تشيد عليها مجد رومية كالثبات والهمة والتفاني في الدفاع
[عن] الوطن واحترام القوانين فاضاعو دولتهم . ان مثل هذه الاخلاق يجعل ٦٠ الف
[ان]كليزي يسودون على ٢٥٠ مليوناً من الهنود . وفي هؤلاء من هم اكثر ذكاء واحد
[م]هناً من الانكليز . فاخلاق الانكليز هي التي جعلتهم اوسع الامم استعماراً واقواهم
[ش]وكة . فعلى الاخلاق لا على الذكاء تتوقف حياة الهيئة الاجتماعية وبها تقوم الاديان
[و]الممالك » ويقال في الدولة العربية وغيرها من الدول نفس ما قيل في الدولة الرومانية

وقد قام في اثناء نهضتنا الادبية الحاضرة جماعة من الكتاب والخطباء يصيحون
[ا]لاخلاق ! الاخلاق ! فكيف نحصل على الاخلاق الحميدة والمبادىء القويمة ؟ ونحن
[ب]اسطون في ما يلي ماهية الاخلاق ومنشأها علمياً وطرق تهذيبها عمليا في العائلة
وفي المدرسة

ماهية الخلق بسيكولوجياً

خُلق المرء مجموع خلاله العقلية والادبية . وهي تتأتى عن العادة فكما تتكيف القفافيز
والاحذية على شكل اليد أو الرجل بالاستعمال وان تشابهت اشكالها قبل استعمالها
كذلك القوى العقلية والادبية اذا استخدمت في طرق مخصوصة وعلى اساليب
معينة تعودتها وصارت تلك الطرق والاساليب ملازمة لصاحب تلك القوى وجزءاً
من حياته لا ينفصل عنها وتظهر عفواً في كل حركاته وسكناته . والعمل ما لم يصدر
عفواً بلا اجتهاد واعمال الفكرة لا يعدُّ خلقاً . وانما يشترط فيه ان يتكرر مراراً حتى
يصير ملكة فيقال له حينئذ خلق

هذا هو المعنى العام للخلق او الاخلاق يطلق على الممدوح والمذموم منها وقد يراد
بها الخلق الحسن فاذا قلنا « فلان ذو اخلاق » نعني انه ذو اخلاق حميدة كقوة الإرادة

الاخلاق

ماهيتها علمياً وتهذيبها عملياً

« ان الانسان اعظم ما في العالم
وأعظم مافي الانسان الاخلاق الراقية »

الشرق اجمالاً في حاجة الى الاصلاح والترميم في كل مظاهره الحيوية من صنائع وفنون وعلوم وآداب . ولكن الاصلاح الاعظم الذي يتوقف عليه كل اصلاح يتعلق بالنفوس لا بما يطرأ عليها . بالجوهر لا بالعرض . فان حاجتنا الكبرى التي ليس فوقها حاجة انما هي الى رجال صحيحي العقول والابدان . الى فئة تميز الحق من الباطل ولا تخشى به لومة لائم . و بكلمة واحدة اننا نحتاج الى رجالٍ يستحقون ان يسموا رجالاً . فاذا حصلنا على نفر من هؤلاء فقد نلنا كل ما نرجوه من اصلاح وترميم . فالزراعة والصناعة والتجارة والعائلة والمدارس والعلوم والفنون وسائر مظاهر الحياة القومية انما هي تابعة لحالة الافراد . فتكون في تقدم أو تقهقر حسب اخلاقهم وآدابهم

اقوال العظماء في الاخلاق

يعتقد كثيرون من العلماء « ان غاية التربية القصوى انما هي تكوين خلق الطالب » وقد ادرك المصلحون في كل زمان ومكان اهمية الاخلاق فقال احدهم « ان الانسان اعظم ما في العالم واعظم ما في الانسان الاخلاق الراقية » وقال آخر « الخلق الحميد كالماس يؤثر على اي حجر آخر » . وقال بيتشر الكاتب الاميركي « على المرء ان يفكر في ما عنده من الاخلاق قبل ان يفكر في ما لديه من المال لان اذا استوفى الاول فقد نال الثاني واحوال المرء تابعة لمبادئه » وقال سميلز « ان التاريخ برهان ثابت على ان قوة الامة تتوقف على اخلاق افرادها » وقد عبر شاعر الامير عن هذا الفكر بقوله :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

الوالدان	الجدود	الخ ....
الاب	اب	
	ام	
الام	اب	
	ام	

اي اننا اذامثلنا مجموع الشخص بمربع فنصفه من الوالدين ربع من الاب وربع من الام . ونصف الباقي أي ربع المجموع من والدي والديه وهم أربعة . فلكل والد ابٌ وام ونصف الباقي أي ثمن المجموع لوالدي هؤلاء وهم ثمانية اشخاص وهلم جرًّا . يقل تأثير الاسلاف كلما رجعنا الى خلف . وقد تخلُّ هذه القاعدة أحياناً فيأخذ الولد من بعض اجداده اكثر مما يأخذ عن ابويه

والطفل لا يرث الطباع نفسها وانما يرث استعداداً لها فتنمو بالاستعمال وتزول بالاهمال . ففي الطفل مجموع قوى كامنة يمكن جعلها فضائل أو رذائل بالتربية

ثانياً البيئة : أي ما يحيط بالمرء من المؤثرات الخارجية فانها تأخذ في التأثير على الطفل من ساعة ولادته وهي نوعان : مادية كالارض والطقس والهواء والبناء وما شاكل ذلك . وادبية كالاصدقاء والرفاق والمعلمين ونحوهم . وللرفاق عموماً تأثيرٌ عظيم على الاخلاق . قال سبنسر « المرء يشبه عشراءه اكثر مما يشبه والديه » ومما يدلُّ على تأثير البيئة تشابه طباع اهل الطبقة الواحدة او المهنة الواحدة واختلافهم عن اهل الطبقات الاخرى الذين تحيط بهم بيئات أخرى . فكأن الاخلاق تنتقل من الشخص الى صاحبه . وقد قيل في المثل الفرنساوي « اخبرني من هم رفاقك فاخبرك من انت » وقد قيل ايضاً « لاخلاق المرءِ ظلٌّ يقع على اخلاق اصحابهِ كما يقع ظل جسمه على اجسامهم »

ثالثاً الارادة : ليس للمرء ان يختار اسلافه و بيئته فهما مقدران له . ولكن يمكنه بقوة ارادته ان يبرم وينقض ما اورثه اياه والداه او ما اكتسبه من بيئته . لا شك في

والصدق والامانة وحب الوطن وما شاكل ذلك . وهو المفهوم عادة منها لا سيما عند الافرنج . ولكلمة character عندهم معنى لا تؤديه كلمة خلق او اخلاق عندنا

وقد ميز الفيلسوف كانت بين :

١ خلق الانسان الطبيعي وهو ما تمنحه اياه الطبيعة

٢ خلقه الادبي وهو الذي يتخلق به بارادته

وقد قسم الاستاذ ديوي الاميركي الاخلاق الحميدة في الافراد الى ثلاثة مجاميع يرجع كل مجموع منها الى قوة من هذه القوى : الادراك والعواطف والارادة

فالاخلاق المتعلقة بالادراك هي التي يميز بها الانسان الامور بعضها عن بعض وينزلها منزلتها الحقيقية

ولا يكفي ان يدرك الانسان الحقائق المجردة بل يجب ان ينظر الى وجهتها العلمية وما ينتج عنها وامكان تأثيرها في حياته

والاخلاق المتعلقة بالعواطف هي التي تجعل الانسان حساساً يشعر بقيمة الامور بالبداهة فيحب الحسن منها ويكره القبيح . ولا يمكن فصل العواطف عن المعرفة المجردة فهما مرتبطتان في حياة الانسان . حتى الحقائق النظرية لا بد لاكتشافها من عاطفة تحض الانسان على الاستطلاع كلذة المثابرة على الدرس والتنقيب . ومحبة الحقيقة التي تبنى عليها كل العلوم ليست الا عاطفة

والاخلاق المختصة بالارادة اهمها الاندفاع والصبر والثبات في تنفيذ الاعمال وقد امتازت المدنية الحاضرة بالاهمية التي تعلقها على الاعمال دون الاقوال

منشأ الاخلاق

ينشأ خلق المرء عن ثلاثة مصادر : الوراثة والبيئة والارادة

اولاً الوراثة : ان الطفل عبارة عن نتاج اسلافه وهو على العموم اكثر مشابهة لاقربهم اليه . فلوالديه المكان الاول ثم والدي والديه وهلمَّ جرًّا

وقد صوروا ناموس الوراثة بالشكل التالي وهو يبين تأثير الاسلاف في تكوين الطفل كما يأتي :

ويبدأ الطفل من ساعة ولادته ان يخضع لاوامر والديه وقد يدري بها ويفهمها أو لا يدري . وفي امكان الوالدين ان يبثوا في اولادهم الاخلاق الحميدة ويقلعوا منهم البذور الضارة . ولهذه الغاية عليهم :

١ ان يكيفوا المحيط الادبي حسب ما يعتقدونه صواباً فيقربوا الى الطفل الامور الفاضلة ويبعدوا عنهُ الباطلة

٢ ان يربوا فيه عادات مفيدة واهمها تقدير حقيقة الامور من الوجهة الادبية

٣ ان يضعوا نصب عينيه مثالاً كاملاً يتبعه (ideal)

٤ ان يغذوا عقله بالافكار المفيدة

٥ ان يمرنوا قواه الادبية في الحياة اليومية بغير ان يتجاوزوا في تجربتهِ حدَّ الامان لئلا يُغلب على امره . ولا ان يحجزوه عن العالم لئلا تضعف ارادته

٦ ان يقيسوا سجايا اولادهم ويزنوها فيعرفوا القويَّ منهما والضعيف فيناسبوا بينهما

٧ ان يمرنوا ارادة ابنائهم ليعتادوا خوض المصاعب بجسارة

٨ ان يلقوا عليهم النصائح ويرشدوهم لسلوك الطريق المستقيم مع بيان اسباب الامور ونتائجها

وبعد ان يغادر الطفل بيته يقع تحت سيطرة المعلم في المدرسة . والمعلمون نائبون عن الآباء يقومون بنفس الواجبات المفروضة على الوالدين — والمدرسة في الحقيقة مكان يستعدُّ فيهِ الطالب لمستقبل حياته . فيجب ان تكون صورة مصغرة للعالم يتعود فيها ماسيلاقيه عند خروجه منها . هذا هو الغرض من التعليم في الهيئة الاجتماعية وبعض المدارس لا تقوم به حق القيام فتمثل العالم للاولاد بشكل مشوَّه او تريهم عالماً لا يشبه العالم الحقيقي فاذا تركوا المدرسة ودخلوا العالم فشلوا

ويعتقد قوم ان آداب السلوك يجب ان تلقى على التلاميذ دروساً في اوقات معينة كل يوم . نعم . لا بأس بذلك . ولكن بث الاخلاق في التلميذ لا يتأتى من الكتب بل من شخصية المعلم قبل كل شيءٍ لانهُ في نظر التلميذ مستكملٌ كل علم وخلق حميد يقتدي بهِ بكل حركة من حركاتهِ فعليه ان يكون قدوة حسنة في المحافظة على الوقت

ان تأثير الوراثة والمحيط على الاخلاق عظيم جدًّا ولكن الانسان بجده واجتهاده قادر على مقاومته عند الاقتضاء . ومهما يكن من طيب اخلاق الآباء ومن حسن الاحوال التي نشأ فيها لا بد من تداخل ارادته ومصادقتها على ما منح من الطباع والعادات . فلها القول الفصل الذي يتوقف عليه مستقبل المرء . والطريق الوحيد الى اكتساب خلق جديد انما هو « العادة » اي تكرار العمل . فلايكفي ان نريد الحصول عليه بل يجب ان نستخدم الارادة في تعويد النفس تكرار الخلق المطلوب حتى يصبح ملكة

والارادة قابلة للتقوية لا سيما في الطفولية بان يعوّد المربون الطفل على الثبات في اعماله والسعي في امور معينة يريد بلوغها . على انها لا تصير ارادة شخصية الا بعد ان يغادر الشاب بيته حيث تتوقف اخلاقه بالاكثر على ارادة اهله فتصبح ولا مقوّم لها غير ارادته

تهذيب الاخلاق

عرفنا ماهية الاخلاق ومصدرها فما هي الطرق المؤدية الى ترقيتها وتحسينها ؟ ان اخلاق المرء من قبيل الكائنات الحية تنمو بالغذاء والتمرين فغذاؤها الافكار وتمرينه معترك الدهر . ولما كان الطعام لا يغذي ما لم يمثله البدن ويصير جزءًا من مادته فكذلك يجب ان يكون غذاء العقول من الافكار التي استعد الشخص لهضمها . فقا يفيد الفكر عينه فريقاً من الناس ويضر فريقاً آخر . كما ان المادة الواحدة قد تكون س او دسماً حسب الحيوان الذي يأخذها وحالته الجسدية

والغذاء وحده لا يكفي بل يجب ان يقرن بالعمل والحركة فمعترك الحياة محل الاخلاق ومسرحها وكلما اشتدت احوال المرء وتعقدت نمت اخلاقه ووضحت . حـ تتخذ وجهة معينة فاما ان يستسلم للاهواء والعواصف او يكون صخراً ثابتاً لا تهزه الري ولا يعبأ بالزلازل والرعود

واول ما يشترط للحصول على اخلاق حميدة ان يكون الآباء صحيحي العق والاجساد ـ وقد افاض الكتاب في الكلام على حقوق الانسان من حرية ومسا ونحوها ولكنهم اغفلوا اعظم حق له وهو ان يكون صحيحاً عند ولادته . فهـذا - شرعي لكل مخلوق . ويا لجرم الآباء الذين ينسون واجبهم من هذا القبيل

نظام الاجتماع

وهل يمكن قلبهُ

(حمص سوريا) حنا افندي خباز

قرأت في رحلتكم بالهلال الماضي عند كلامكم عن احوال فرنسا الاجتماعية قولكم « ومهما بلغ من ارتقاء الجنس البشري في الاكتشاف والاختراع فانه لا يقوى على قلب نظام الاجتماع » ثم تلتم « وهذا النظام يقضي على الام ان تربي طفلها بحيث لا يخرج عن دائرة عنايتها » فنرى انكم قدستم نظام الاجتماع بحيث لا يقبل الاصلاح ولا التبديل . ولا اعلم السبب في ذلك فهل بنيتم قولكم على اختباراتكم الشخصية . اني لست من المريدين قلب ذلك النظام لكنني أرى النظام الاجتماعي كغيره من الملابسات الانسانية والفلسفات الفكرية عرضة للتغير جريا على ناموس التحول الذي جرى مجراه في الاكوان أردنا ذلك ام لم نرده . فاذا كان هذا الناموس ذهب كل مذهب في الهيئات البشرية والعمران واللغات والاديان والسياسات والنبات والحيوان والاجرام السماوية لماذا لا يذهب هذا المذهب في نظام الاجتماع اعني ما الموجب لاستثناء نظام الاجتماع من حكم هذا القانون النافذ الذي لم تحل دونه جهالات الاقدمين ولا تعصبات المحدثين ولا نقائص الطبع ولا معاثر الوضع . بل نراه كالسيل المنهمر لا يبقي ولا يذر . فنرجو الافادة عن ذلك صريحاً

﴿ الهلال ﴾ اجبنا على مثل هـذا السؤال في السنة الماضية جواباً مختصراً ظنناه كافياً لبيان حقيقة ما نريده من رأينا في نظام الاجتماع . وقد تكررت علينا الاسئلة في معنى سؤال حضرة المقترح . فرأينا ان نبسط الكلام في هذا الموضوع دفعاً للالتباس ونجعل اساس بحثنا ناموس التحول او الارتقاء كما فعل حضرته فنقول :

ما هو المراد بنظام الاجتماع

نريد بنظام الاجتماع الشكل الذي بلغت اليهِ الهيئة الاجتماعية في نظامها الحالي . والامم على اختلاف الاعصر والاجيال ترجع فيه الى قواعد متشابهة فيها كلها . فالامة تتألف هيئتها الاجتماعية من عوامل او قواعد نشأت فيها بطبيعة العمران ترجع الى ستة : العائلة والامة والدولة والكنيسة والآداب الاجتماعية والمدرسة . نشأت كل منها تدريجاً من ابسط احوال الانسان وارتقت بارتقائهِ وتفرعت وتنوعت على مقتضيات الاحوال لكنها لا تزال في اساسها نحو ما كانت عليه في اول ادوارها . ولا يزال الغرض منها كما كان في اول نشأتها

فالعائلة : هي اصل النظام الاجتماعي . كانت في همجية الانسان تتألف من الام

وفي الصدق والنشاط والاجتهاد ونحو ذلك . ان كثرة النصائح والمواعظ لا تجدي نفعاً ما لم تقرن بالسلوك الشخصي فهو ابلغ واعظ . ويعوّل بعض الاساتذة على القصاص في تقويم اخلاق التلاميذ . وللقصاص تأثير طفيف على الاولاد قد يمنعهم عن الرذيلة ولكن لا يلبث ان يزول المانع حتى يعود الممنوع . فكل المؤثرات الخارجية من ارهاب وتذنيب وقتية الفعل . ولا يتغير خلق الطفل ما لم يشعر في داخله بنتائج اعماله ويعرف حقيقة الواجب عليه

فشخص المعلم في المدرسة اهم العوامل في تغيير اخلاق التلاميذ . وقد اغفل الشرق هذا الامر فاصبح تعليم الصغار من المهن المحتقرة لا يقبل عليها الا من اقفلت في وجهه ابواب الرزق . ولا يخفى ان من تلك المدارس الصغيرة وعلى يدي ذلك المعلم الحقير ينشأ رجال الغد وفي قبضة المعلمين مستقبل الامة فلا ترموا باولادكم في ايدي معلمين لا يعرفون قيمة الاخلاق انكم تعرضونهم لاقتباس الاخلاق الذميمة والطباع الدنيئة . ويجب ان تضعوا نصب اعينكم هذه الحقيقة البسيطة وهي ان على المدرسة تتوقف سعادة الاولاد وحياة الامة

واخيراً بعد الاهل والمعلمين يترك المرء لنفسه فيشعر انه حرٌّ وان اعماله تتوقف على اختيارة الشخصي . ولا شك ان الارادة اهم مكونات الخلق فهي التي تضعه في شكله النهائي اذ مهما سعى الآباء والمعلمون في ترقية اخلاق الابناء وتزيينهم بالفضائل فاذا لم يكن لهم ارادة تمكنهم من المثابرة على الخطة التي رسمت لهم فعبثاً ذهب التعب . ان العامل الباقي للانسان في سائر حياته انما هو الارادة الشخصية بلا جدال

وقد انكر فريق من العلماء حرية الارادة على الانسان ولكن مهما بلغت تعاليمهم من الصحة فنحن نشعر — ولا ريب في هذا الشعور — اننا احرار في اختيار المسلك الذي يحلو لنا . بل نشعر فوق ذلك اذا حدنا عن الخطة التي نعتقدها صواباً بتوبيخ الضمير . هذه حقائق لاسبيل الى انكارها فلئن كانت حرية الارادة وهماً من الاوهام فنحن نشعر بوجودها وكفى

اميل زيدان

والكنيسة : نعني بها العامل الديني في نظام الاجتماع . وهي قديمة ايضاً واصلها الاجتماعي على رأي اصحاب النشوء يرجع الى ضعف الانسان واتساع تصوره وخوفه من الظواهر الطبيعية التي لا يعرف اسبابها ولا سيما الموت فانه اقدم ما ازعجه من احوال الحياة . لانه يفضي به الى العدم وهو يحب البقاء . فلجأ الى الاقوياء عقلا يستغيث بهم ويستفتيهم في ما يجهله وهم يفتونه بما يرضيه او يقنعه ويتخذون ذلك وسيلة للسيادة او التكسب . فنشأت طائفة الكهان والسحرة من قديم الزمان . وكانت في اول ادوارها مختلطة بطبقة الحكام وقد يكون الرئيس حاكماً وكاهناً معاً

ولما ارتقى الانسان ارتقت تصوراته من حيث الدين وتكيفت آلهتهُ وتنوعت الادعية والصلوات والاعتقادات بتنوع طبائع الامم واختلاف البيئة وسائر الاحوال . حتى تعدَّدت الاديان وتنازعت . ثم ظهرت الاديان الالهية ولكل منها طبقات من الكهان ودعاة الدين وضروب من الطقوس والمعتقدات كما هو معلوم

والآداب الاجتماعية : يدخل فيها ما يتبادله افراد الامة الواحدة من الاعتبارات الادبية المبنية على الشعور والمتعلقة بالاخلاق . لان الامة لما اجتمعت ولم ترَ بدًّا من التعاون في احوال الحياة اضطرت الى تقرير ما ترى فيه نفعاً لمجموعها وصيانة لاعراضها مع ما تقتضيه طبائع الامم من التفاوت في الاحكام . وهي ما يعرف بالآداب الاجتماعية او القواعد الادبية . وهي قائمة في الاصل على العادات القومية . ثم صارت قواعد متبعة لا تخلو منها أمة

والمدرسة : يراد بها التعليم والتربية على الاجمال . وهي في اول ادوار العمران عبارة عن توارث الاختبارات وتحويلها مع الزمان الى قواعد كلية تطابق حاجات الامة واعتقادها — وهي العلوم في اول نشأتها . وكان للخرافات سلطة عظمى ودخلٌ كبير فيها . وتقلبت العلوم على ادوار مختلفة قبل التاريخ وبعده في الدول الشرقية القديمة بمصر وبابل واشور الى اليونان فالرومان فالعرب فالتمدن الحديث . واختلفت باختلاف الاعصر مما يطول شرحه

علة هذا النظام الاصلية

هذه اهم قواعد الاجتماع نشأت بحكم الطبع جرياً على ناموس الارتقاء . وقد يظهر بعضها لاول وهلة من نتاج المدنية او الحكومة او انها حدثت بالتواطؤ . ولكنك عند اعمال الفكرة تجدها من ثمار مذهب النشوء . لانها مبنية على غرائز في الانسان استلزمت هذه القواعد فتولدت بطبيعة العمران

وطفلها حتى يبلغ اشدَّه فيتركها كما تفعل سائر الحيوانات . ولكن طول مكثه في حضانتها جعله يألفها ويميل اليها والى ما قد يعاصره من الاخوة على تفاوت اعمارهم وهي « العائلة » على مبدأ الامومة تتألف من الام وابنائها وابناء بناتها . ولم يكن يعد من العائلة غير الاخوة والاخوات والاخوال وابناء البنات . ثم مست الحاجة الى التعاون في طلب الرزق وصارت الرئاسة الى الرجل فالتمس الاستعانة بابنائه فضلاً عن اخوته فتحول نظام العائلة من الامومة الى الابوة . ووضعت الشرائع بتوالي الاجيال حسب الحاجة . واقتضت طبيعة المعاش ان تمكث المرأة في المنزل ويخرج الرجل لطلب الرزق لانه اطلق سراحاً منها . وتكفلت هي بتربية الابناء لانهم احوج اليها في طفوليتهم للرضاعة وغيرها . واستلزم ذلك وضع شروط الزواج وحقوق الابناء واختلف ذلك باختلاف طبائع الامم

والامة : نريد بها اهل البلد الواحد او الاقليم الواحد الذين يشتركون في العادات والاخلاق ويتبادلون المنافع ويتعاونون على المعاش . كان الغرض منها في اقدم احوال الانسان التعاون على الصيد . والصيد يومئذ اهم مصادر المعاش . فكانوا اذا عادوا من صيد اقتسموه . ويدخل في معنى الصيد ايضاً الغزو فالغنائم وفيها الاسرى كانوا يقتسمونها . ثم راوا استبقاء الاسرى للخدمة فاستعبدوهم وصاروا يستخدمونهم في مرافق الحياة . فينبغ القوي ويندثر الضعيف . وتقلبت احوال الامة بين البداوة والحضارة وهي تنمو وترتقي وتتفرع حتى تكونت فيها الطبقات المختلفة من العمال وارباب الاموال والصناع وغيرهم

والحكومة او الدولة : بدأت عند اول خلاف وقع بين اهل البلد الواحد على اثر صيد او غزو . فكانوا اذا اختلفوا في قسمة الصيد او الغنيمة فزعوا في الحكومة الى اقواهم ليفصل في الخلاف بينهم وهو واحد منهم يغلب ان يكون اكبرهم سناً . فتولدت حكومة الشيوخ او الآباء وصار الحكم الى الشيخ او الامير . وتنوقلت احكام الامراء للقياس عليها او العمل بها في الاحوال المتشابهة . ثم جمعت تلك الاختبارات والتقاليد بتوالي الاجيال بعد تعديلها او تكملتها وصار اصحابها طبقة ممتاز تفرغوا لذلك العمل وهي « الحكومة او الدولة » ولها ادوار تتباين بتباين اخلاق الامم واميالها وسائر احوالها . ثم تفرعت الحكومة الى طبقات بعضها للسلطة الرئيسية وغيرها للحرب وأخرى للتشريع وتقلبت السلطة بين ثيوقراطية وملكية وجمهورية وديموقراطية وارستوقراطية وغيرها بمقتضى طبيعة العمران وناموس النشوء والارتقاء

فالانقلابات السياسية التي يراد بها قلب الدولة لم ينتج عنها الا ابدال حكومة بحكومة او تحويل نظام الى نظام: من الملكي المطلق الى المقيد او الى الجمهوري — والدولة لا تزال باقية

والانقلابات الدينية اراد بها اصحابها ابدال دين بدين. ولكن الغالب ان يتحول الدين الجديد بتوالي الاعوام ويتنوع حتى يلائم اخلاق الامة التي انتشر فيها. لان الناس لا يقبلون الدين الجديد ان لم يلائم اخلاقهم وعاداتهم. ولذلك نرى في الاديان الالهية كثيراً من العقائد والطقوس الوثنية التي كانت قبلها

واعتبر ذلك في الانقلابات الاجتماعية وغيرها فان الامة لا تترك آدابها وعاداتها لتتخذ آداباً وعادات جديدة. لكنها اما ترفضها او تعدلها حتى تلائم اخلاقها وحاجاتها. وقس على ذلك سائر ما حاول الناس ادخاله من المبادىء الاجتماعية الجديدة فانك لا تجد دليلاً واحداً على ان قاعدة جديدة حلت محل قاعدة قديمة. وانما تبقى وتنتشر بالاندماج في ما كان قبلها. كأن نظام الاجتماع سيل جارف اذا عارضه معارض ابتلعه وساقه في مجراه

ومن هذا القبيل ايضاً المبادىء الاشتراكية. كان المراد بها في اول ظهورها أن تحل محل النظام الحالي لكنها ما زالت تتنوع وتتعدل حتى اصبح الغرض منها اصلاح ما فسد من هذا النظام فيأخذ منها ما يلائمه وهو في مجراه. كما كان شأن سائر التغييرات التي أريد ادخالها فيه من اول عهد التاريخ الى الآن

فالسبب الرئيسي في ثبات النظام المذكور انه مبنيّ على غرائز الناس الخلقية لا على عقولهم. اي انهم سيقوا اليه باخلاقهم وغرائزهم لا بعلومهم وفلسفتهم. والغرائز البشرية لا تزال كما كانت من اقدم ازمنة التاريخ. هذه حكم فتاحوتب الحكيم المصري منذ نحو ستين قرناً. وشريعة حمورابي التي دونت منذ نحو ٤٣٠٠ سنة. واشعار ايوب الصديق منذ نحو ٤٠٠٠ سنة. وهذه الياذة هوميروس وامثال سليمان منذ نحو ٣٠٠٠ سنة. وغيرها من الآداب القديمة التي تصف الآداب وتعبر عن الاخلاق اذا طالعتها لا تجد بين اخلاق تلك الامم واخلاق هذا الزمان فرقاً يذكر رغم الفرق العظيم بين علومهم وعلومنا

والاخلاق تتوارث في الاعقاب وفيها ما اضافه اليها الاسلاف من الاعتقادات والعادات. فالشخص الواحد منا نتاج العوامل الطبيعية قروناً متطاولة. وقد رسخت القواعد الاجتماعية في خاطره بتوالي الادهار. والامة مؤلفة من الافراد وحظها من الارتقاء يتوقف على اخلاقهم لا على ذكائهم ولا على علومهم. لان العلوم قد

وجد الانسان ضعيف البدن حاد الذهن واسع الحيلة . ولولا ذلك لانقرض عن وجه الارض لعجزه عن مقاومة العناصر والطوارئ من برد او حرّ او خطر . كما انقرض غيره من انواع الحيوان البائدة لهذا السبب عينه . لكنه استخدم حيلته العقلية في دفع الطوارئ ومقاومة العناصر . فاقتات بلحوم الحيوانات واكتسى جلودها وحاك شعورها . واكل ثمار الاشجار واستظل باغصانها . ثم بنى المنازل وتعاون بالتفاهم على الاجتماع في طلب المعاش واستثمار الارض . فلما امن الجوع لذّت له الحياة وتولدت فيه المطامع واصبح همه المطالب السامية (Ideal) . فتكونت طبقة من الاقوياء اصحاب المطامع لا يلذ لهم الا التفوق على اقرانهم او السيادة على سواهم . والتمسوا اعجاب الآخرين بهم وهي « الشهرة » كأنهم رأوا الحياة قصيرة بالنسبة الى مطالبهم فاعتاضوا عن طولها بالتماس الشهرة لانها عبارة عن « اتساع » الحياة . فمن يعيش عشر سنين لا يعرفه الا مئة شخص كالذي يعيش سنة ومعارفه الف شخص

فحب الشهرة او التفوق او التماس السيادة مع وجود الحيلة العقلية ادى الى تنازع البقاء واصبحت الحياة ميدان نزاع وحروب بين اصحاب المطامع اما بالسيف او بالقلم او بالدهاء . فانقسم الناس الى قبائل وعشائر او أمم ودول وتحاربوا وتناظروا . واقتضى تناظرهم احتكاك الافكار فنمت الغرائز وشحذت القرائح ونشأت اكثر القواعد الاجتماعية التي تقدم ذكرها

اما الضعفاء من الناس الذين غلبهم القوي فهم يطلبون طول البقاء مثله لكنهم يعجزون عن نيله بالشهرة ولا يتيسر لهم التمتع بملاذ الحياة كلها مثل أولئك . فرأوا في الاعتقادات الدينية اكبر تعزية لهم فتمسكوا بها كما سلمها اليهم الكهان او من جرى مجراهم . وتمسك بها سواهم من الاقوياء ايضاً لانها اكبر معز لهم في احوال ضيقهم . وقس على ذلك سائر مقتضيات نظام الاجتماع فانها نشأت بحكم ناموس الارتقاء العام

هل يمكن قلب هذا النظام

قد رأيت ان القواعد الاجتماعية انما تولدت وارتقت جرياً على سنة الارتقاء مجاراة لغرائز الانسان . فهي كالقضاء المبرم لا يمكن تبديلها . ولكن الامة لا تخلو من الناقمين على نظامها الاجتماعي ولا سيما في احوال فساده واختلال أموره فقالوا بابداله . وقد حاول بعضهم ذلك منذ القدم فاخفقوا لانهم يعملون على مقاومة المجاري الطبيعية اعتبر ذلك في كل ما حدث من الانقلابات السياسية والاجتماعية والدينية . وهي كثيرة من اقدم ازمان التاريخ الى الآن لم يستطع واحد منها قلب قاعدة من قواعد الاجتماع

والتربية . والجمهورية المشار اليها مهما كانت صغيرة تقسم الى شطرين يقيم في احدهما الاغنياء وفي الآخر الفقراء فاذا طرأت حرب اتحدتا على العدو. وقد يقسم الشعب الى طبقات حسب مهنته وتربيته مع تساويهم بالحقوق والواجبات لافرق بين فقيرهم وغنيهم

وقس عليها « اوتوبيا » التي مثلها السير توماس مورفي اوائل القرن الخامس عشر بمدينة فرض وجودها في جزيرة اسمها أوتوبيا زعم ان اميركوس اكتشفها ووصف له معيشة اهلها وانهم متمتعون بالسعادة الكاملة ليس لاحدهم ملك خاص بلي يشتغلون معاً بلا أجر معين والحكومة (أو ما يقوم مقامها) تتولى سد حاجتهم بنظام مضبوط لا يعوزه نقض وكل عمل عمومي في تلك الجزيرة يحصل بالانتخاب بين أهلها يتناول الناس طعامهم معاً على موائد مشتركة والثروة فيها محرومة على الافراد

وكذلك « اونيدا » التي قال بها جون نويس في اواسط القرن التاسع عشر واساس تعليمه ان الناس أخوة لاينبغي أن تتفاضلوا في شيء . فانشأ مدينة أهلها بضع مئات يعيشون عيشة العائلة الواحدة وهم شركاء في كل شيء حتى الاولاد فانهم للجماعة وأوجبوا تربيتهم أحسن تربية أدباً وصحة . وكتب الاستاذ كولدوين سميث بعد زيارة هذه الجمهورية يقول « ان الاولاد فيها صحاح الابدان حسان الوجوه يربون على طرق صحية لا مثيل لها وعلى أحسن أسلوب بالتغذية واللعب واللبس والوقاية من الامراض والعاهات ولا يسمح للوالدات أن يعطين أولادهن شيئاً من الحلويات التي تثقل المعدة وتفسد الهضم » وقد عاشت هذه الجمهورية بضع وثلاثين سنة كانت في اثنائها مقصد المتفرجين وعظمت ثروتها وكثرت أموالها المشتركة واراد مؤسسها لويس حلها لانه انشأها ليبرهن للملأ امكان هذا المشروع — أو لعله خاف سقوطها فحوّلها ١٨٨٠ الى شركة سماها شركة طائفة أونيدة

ويدخل في ذلك ما ارتآه فوريه وغيره من الاشتراكيين من تنظيم الامة على شكل صناعي . وهؤلاء جميعاً انما عمدوا الى القول بقلب نظام الاجتماع نظراً لما شاهدوه من فساد الهيئة الاجتماعية في ازمانهم فارادوا اصلاحها وبالغوا في مرادهم فذهبوا الى الطرف الآخر — كما يحدث عادة في مثل هذه الحال — وطلبوا قلب ذلك النظام اوابداله فاخفقوا . ولو التمسوا اصلاحه مع المحافظة على نظامه كما يطلب المعتدلون من الاشتراكيين في هذه الايام لكان عملهم اقرب الى النجاح

فترى مما تقدم اننا لم ننكر على هذا النظام دخول الاصلاح فيه . وانما أنكرنا قلبه او ابداله بسواه

تنضج وتزهو والامة في حال الانحطاط . والذكاء قد يكون في الامة المحكومة المذلولة . واما الاخلاق الراقية فلا تكون الا في عز الدولة وابان سلطانها وعليها يتوقف حال الاجتماع

على اننا رأينا حضرة المقترح يرجو قاب نظام الاجتماع بواسطة ناموس التحول او الارتقاء . وقد تبين مما تقدم ان هذا النظام انما هو من ثمار ذلك الناموس . وزد على ذلك ان ناموس الارتقاء يقضي على الاحياء وما يتبعها مما يدخل في سلطانه ان تستمر في النمو والتفرع . والنمو كما لا يخفى اضافة عناصر جديدة الى الجسم الحي فيمثلها وتصير جزءًا منه ويذهب ما اندثر من الانسجة القديمة . والجسم باقٍ في طبعه وشكله . وهذا هو الواقع في نظام الاجتماع كما رأيت من الامثلة التي اشرنا اليها في كلامنا عن الانقلابات السياسية او الدينية او الاجتماعية . فالآراء الجديدة او العوامل الطارئة انما كانت تضاف الى ما عند الامة فتنوعهُ وتندمج فيه ولاتقوم مقامه . والتفرع معناه ان يتولد من الكائن كائنٌ آخر من نوعه مع بعض التغير في ظواهره ويبقى محافظاً على الاصل المتفرع عنهُ . كما حدث في ما يراه اصحاب النشوء من تولد انواع الحيوان . فهي مهما تباعدت ظواهرها مؤلفة من اعضاء متشابهة ان لم يكن في شكلها فبوظائفها من الحشرات الى الانسان — كلها تتغذى وتتنفس وتتناسل على نسق واحد ولغرض واحد

وقلب نظام الاجتماع يقتضي ان تتخذ الامم قواعد غير التي ذكرناها . اي ان تستبدل العائلة والدولة والكنيسة بما يقوم مقامها مع بقاء المجتمع الانساني . وهذا ما نراه بعيداً للاسباب التي قدمناها

ولا نعلم ما هي القواعد التي يرى اصحاب قلب نظام الاجتماع ان تقوم مقام النظام الحالي وان كنا نتنسم من أقوال بعضهم انهم يرمون الى هدم السلطات السياسية والاستغناء عن المراجع الدينية والمساواة بين طبقات الهيئة الاجتماعية بقواعد او نظامات وضعوها لهذه الغاية . من ذلك ما ذهب اليه أفلاطون منذ بضعة وعشرين قرناً فانه قال بانشاء نظام اجتماعي جمهوري يسمى جمهورية افلاطون وهي ان يؤخذ الاولاد وهم اطفال فيبعدون عن آبائهم ويربون في محل خاص تحت عناية « حكومة » مؤلفة من الفلاسفة تتولى تربية الرعايا وزواجهم وتعين عدد مواليدهم والمهن التي يتعاطونها في شبابهم مع المحافظة على المساواة في احوالهم . وكذلك الاناث فانها تربيهن كما تربي الذكور لا تحرمهن من مطامع الرجال . وان يعيش الرجال والنساء معاً ويكون الكل شركاء في النساء والاموال لا فرق بين الغني والفقير لانها تساويهم في المعاملة

فيرخو ومذهب النشوء

﴿ ومنه ﴾ من هو فيرخو الذي يقال انه نقض آراء دارين . وما هو رأيه فيها

﴿ الهلال ﴾ هو الدكتور فيرخو الالماني ولد سنة ١٨٢١ وتوفي سنة ١٩٠٢ وكان من كبار علماء الطبيعة وقد ترجمناه في الهلال الاول من السنة الحادية عشرة . وذكرنا مؤلفاته واعماله . اما من حيث مذهب داروين فانه لم يكن يعتقد ثبوته تماماً وكان لا يرى نشره بين العامة او تعليمه في المدارس لانه يرى ان لا يعلم فيها غير القضايا الثابتة التي لا تحتمل النقض

جفروي

﴿ ومنه ﴾ من هو جفروي الذي يعتمد عليه اهل التحوُّل وما كانت آراؤه

﴿ الهلال ﴾ هو اتيان جفروي سانتيلير العالم الطبيعي الفرنساوي ولد سنة ١٧٧٢ وتوفي سنة ١٨٤٤ وكان كثير العناية على الخصوص بالتشريح . وضع فيه كتاباً ضخماً سماه الفلسفة التشريحية ظهر الجزء الثاني منه سنة ١٨٢٢ واتبعه بمذكرات تبحث في تولد الشواذ في الخلق على مبدأ توقف النمو في احد الاعضاء وتحوله الى الاعضاء الاخرى . وفي سنة ١٨٣٠ اعلن رأيه وحدة التركيب في عديمات الفقرات فناقضه علماء عصره ولاسيما جورج كوفيه وانتشبت بينهما مناظرة لم تنته الا بموت هذا الاخير كان لها رنين في دور العلم باوربا . ويقتصر جفروي في مذهبه من هذا القبيل على ان الحيوانات على اختلاف طبقاتها مؤلفة من اعضاء متشابهة عدداً ووضعاً ووظيفة . وانما تختلف حجماً وشكلاً . وذهب الى وجود قوة التكافؤ او التوازن للنمو في الطبيعة . فاذا زاد نموُّ احد الاعضاء في الجسم قلَّ نمو سائر الاعضاء كانه سلبها حظها منه . وله مذاهب أخرى عول عليها داروين وغيره من علماء النشوء والارتقاء الذين جاؤا بعده

اجداد الانسان

﴿ ومنه ﴾ هل في اجداد الانسان على مذهب النشوء طيور تسبح كالبط اونحوها

﴿ الهلال ﴾ ان اصحاب هذه المذهب لم يعينوا اجداد الانسان الذين تسلسل عنهم حتى بلغ الى هذه الحالة . وانما استدلوا من تركيبه وطبائعه انه اكثر شبهاً بالقرد من غيره فذهبوا الى انه والقرد من اصل واحد . هذا غاية ما بلغ اليه علمهم

باب السؤال والاقتراح

بنو نوبخت

﴿ كربلاء ﴾ السيد علي بن محمد الاصفهاني
من هم بنو نوبخت ومن هم رجالهم المشهورون وتراجمهم

﴿ الهلال ﴾ نوبخت جدُّ هذه الاسرة منجم ابي جعفر المنصور كان مجوسيا واسلم على يده . وكان بارعاً في اقترانات الكواكب يصحب المنصور حيثما توجه . ومن لطيف ما ذكروا من حديثه معه ان المنصور بلغه سنة ١٤٥ ﻫ هزيمة رجاله في حربهم مع ابراهيم بن عبدالله بن الحسن ولم تكن آخر حربهم . فظنهم المنصور فشلوا فامتعض وخاف فاتاه نوبخت المنجم وقال « يا امير المؤمنين الظفر لك وسيقتل ابراهيم » فلم يقبل منه . فبينما هو كذلك جاءهُ بقتل ابراهيم فتمثل

فالقت عصاها واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عيناً بالاياب المسافر

واقطع نوبخت الفي جريب بنهر حويزة . ولما ضعف عن خدمته قال له المنصور احضر ولدك ليقوم مقامك فاحضره واسمه ابو سهل بن نوبخت ـ قال ابو سهل « فلما ادخلت على المنصور ومثلت بين يديه قال لي تسم لامير المؤمنين . فقلت اسمي خرشاذماه طيماذاة ماباز اردباد خسروانشاه فقال لي المنصور كل ما ذكرت فهو اسمك قلت نعم فتبسم ثم قال ما صنع ابوك شيئاً فاختر مني احدى خلتين اما ان اقتصر بك من كل ما ذكرت على طيماذ واما ان اجعل لك كنية تقوم مقام الاسم وهو ابو سهل فرضيت بالكنية » فثبتت كنيته وبطل اسمه

وتوالى آل نوبخت في خدمة العباسيين ومنهم الحسن بن سهل بن نوبخت في زمن الواثق بالله وغيره ترجموا لهم الكتب في النجوم وغيرها . ولم نقف على تاريخ لهم مستقل وانما يأتي ذكرهم عرضاً في الكلام عن سواهم . ويؤخذ من مجمل ذلك انهم كانوا فضلاء ولهم رأي ومشاركة في علوم الاوائل

موتها ومعنى قيصر « شق عنه » كما ذكره ابن العميد . فاعترض بان العملية المذكورة أجريت لقيصرة الروس اذ تعسرت عليها الولادة فشقوا البطن واستخرجوا الطفل ميتاً وعاشت القيصرة فدعيت العملية (اوبراسون سيزاريانا Operaçaô Cezariana) أي « عملية القيصرة » كما هو معروف عند الاطباء فما قولكم

﴿ الهلال ﴾ ان لفظ قيصر لاتيني الاصل وأصل المادة Cædere, Cæsum في اللاتينية قطع أو شقّ ومنها Cæsar المشقوق عنه . والمشهور ان هذه اللفظة سمي بها يوليوس قيصر الروماني . لما ولد في القرن الاول قبل الميلاد المسيحي . لانهم شقوا بطن أمه حتى اخرجوه بسبب تعسر الولادة كما ذكرتم . ثم سموا عملية شق البطن لاخراج الاجنة في مثل هذه الحال بالنسبة اليه . فاسم قيصر مشتق في الاصل من هذه العملية ثم لقبت العملية به فقيل « العملية القيصرية » . ويقول آخرون ان أصل اللفظة سنسكريتي ومعناها الاشعر او كثير الشعر سمي به اناس قبل يوليوس المذكور

جمعية الميكانيك والجمعية الماسونية

﴿ كنستن . جامايكا ﴾ فريد افندي حنا

يزعم قوم من ابناء جمعية الميكانيك هنا ان جمعيتهم اقدم من الجمعية الماسونية وانهم هم البناؤون . وان تعاليم جمعيتهم هي نفس تعاليم الماسونية تقريباً فما قولكم

﴿ الهلال ﴾ لا نعلم أي جمعية من جمعيات الميكانيك تعنون لان هذه الجمعيات كثيرة في اوربا واميركا . لكنها في كل حال من ثمار المدنية الحاضرة لا يتجاوز تاريخ انشائها مئتي سنة . واما الماسونية فهي اقدم الجمعيات الحية ويرجع تاريخ انشائها الى اول القرن الثامن قبل الميلاد في زمن نومابومبيليوس برومية . وتقلبت على احوال شتى حتى بلغت ما هي عليه كما فصلنا ذلك في كتابنا تاريخ الماسونية العام . وقد يكون في تعاليم جمعية الميكانيك التي ذكرتموها ما يشبه تعاليم الماسونية . لان كثيراً من الجمعيات التي انشئت في نهضة هذا التمدن استمدت بعض قوانينها من الماسونية

اسماء الاشهر الافرنجية

﴿ بورت ليمون . كولومبيا ﴾ توفيق افندي اسبا

اراكم تسمون الاشهر الشمسية باسماء افرنجية مثل يناير وفبراير الخ . مع ان اسماءهم

هل يزول هذا التمدن

﴿ ديبوا . بنسلفانيا ﴾ عيد افندي معلوف

هل يزول هذا التمدن كما زال تمدن اليونان والرومان والعرب او يبقى لانه مؤسس على غير طريقة القدماء . فان بعض العلماء يتنبأ بزوال هذه المدنية والبعض يقولون بثبوتها

﴿ الهلال ﴾ لا بد من زوال هذه المدنية او انقلابها كما انقلبت سائر المدنيات القديمة . لكنها اثبت منها قدماً واطول عمراً لانها مؤسسة على العلوم الحقيقية . وقد استفادت من اسباب سقوط تلك المدنيات فاعتبرت وتنبهت وهي تبذل جهدها في تلافي تلك الاسباب . والعناية بالصحة قد تطيل العمر لكنها لا تمنع الموت

القاب اللورد كتشنر

﴿ ميت غمر ﴾ احمد افندي صالح مهندس تنظيم

ارجو افادتنا عن معنى الحروف الآتية التي تكتب عادة بجانب عنوان اللورد كتشنر معتمد بريطانيا بمصر وهي :

Field Marshal Viscount Kitchener of Khartoum,
G. C. B., O. M, G. C. S. I., G. C. M. G , G. C. I. E., L. L. D.

﴿ الهلال ﴾ السطر الاول هو رتبته في الجندية واللقب الذي ناله بعد ابادة الدراويش . واما الاحرف التي بعده فهي مقتطعة من الالقاب والاوسمة التي نالها وهي :

G. C B. -- (Knight) Grand Cross of the Bath
O. M = Order of Merit
G C. S. I = Grand Commander of The Star of India
G. C. M. G. -- Grand Cross of St Michel & St. George
G. C. I. E. -- Grand Commander of Indian Empire
L. L. D. -- Doctor of Law

لفظ قيصر

﴿ فرنكا . البرازيل ﴾ ملحم افندي عطية

ساقنا الحديث مع احد الاطباء الوطنيين هنا الى لفظ « قيصر » وسبب تلقيب الملوك به فذكرنا له ما ورد في التاريخ عن استخراج يوليوس قيصر من بطن أمه !

انتقال الافكار والنفس

رأي الدكتور شميل

تكرّم عليّ الدكتور شميل بالكتاب التالي :

عزيزي اميل زيدان

يسرني ان اراك غصناً نضيراً لدوحة ابيك . ويسرُّني ان ارى بك ميلاً خاصاً الى العلوم الطبيعية وفلسفتها كما تدلني مباحثك . ولكني [illegible] عليك تكلفاً كلما دفعك الاستقراء الى أبعد مما تريد فيصير كلامك مبهماً بعد ان كان بغاية الوضوح كأنك تحاول الترقيع حينئذٍ لمحظور فتتلعثم ثم تزعم ان العلم الطبيعي هو المتلعثم كأنك تريد ان تذكّر القارىء بانّ هناك علماً آخر لا يتلعثم ولا يتعذَّر عليه الجواب . والقارىء في غنى عن هذا التذكير بل عن هذا العلم كله

فان سمعت مني وأردت ان لا تحرج وان تخدم العلم خدمة حقيقية لا يشوبها اختلاط ولا تكدر صفاءه بادخال المبادىء المتناقضة عليه . وكنت لا تحبُّ ان تبلغ فيه الحدَّ الذي يفرضه عليك اهجر الخطة التي يعوّل عليها الكتاب الشرقيون خاصة في الادب والعلم حتى الساعة وهي المزج بين العلم والمذاهب في الخلق ولا يلزم في نشر العلم غير ذلك — الا اذا كان الغرض منه الانحياز الى احد الجانبين بالنفي او الاثبات وحينئذ يلزم ان يكونا صريحين

نعم يجوز التردُّد ولا يحظر على الباحث ان يقف موقف السائل ولكن هذا لا يجيز له ان يرتد حالاً الى الضدّ ليقيم من الضعف قوَّة وقد يكون هذا الضعف غير حقيقي عن نظر محدود في الجزئيات كما يظهر لنا جليا لو ردَّت الاشياء الى أصولها الكبرى الكلية . وانه لأفضل بكثير ان يبقى هذا التردد في نفس الباحث من جعله ذريعة للعبث بالصحيح حتى يقوم عنده اليقين مقام الشك فيبثّ الشيء حينئذ بالصراحة التامة ان شاء

واياك ثم اياك ان تقدم على أي علم كان بمبادىء سابقة مقرَّرة وقضايا مسلمة

العربية كانون الثاني وشباط الخ . وهي شائعة في سوريا فلماذا لا تستخدمون اسماءها العربية

﴿ الهلال ﴾ ليست الاسماء الشائعة في سوريا عربية الاصل بل هي سريانية أو عبرانية كانت شائعة في سوريا والعراق عند ظهور الاسلام فاتخذها عرب المشرق بالشام والعراق وما جاورهما . واما عرب المغرب في الاندلس وشمالي افريقيا فوجدوا اهل تلك البلاد يسمون هذه الاشهر باسمائها اللاتينية أو الاسبانية فاخذوها عنهم وتداولوها . وكانت مصر لا تعرف من الاشهر الشمسية غير القبطية واسماؤها قبطية واذا قضت الحاجة على الكتاب المصريين ان يذكروا الاشهر الشمسية عن الحساب الشرقي سموها باسمائها السورية . وصارت هذه الاسماء تختص بالحساب الشرقي اليوناني بالاكثر فلما نهضت مصر في ايام محمد علي لاقتباس التمدن الحديث كان اكثر ما اخذته عن الافرنج ومن جملة النقلة في اول النهضة بعض المغاربة فغلب فيها استعمال الاسماء الافرنجية . وهاك ما يقابلها من الاسماء الشرقية :

يناير	كانون الثاني	مايو	ايار	سبتمبر	ايلول
فبراير	شباط	يونيو	حزيران	اكتوبر	تشرين اول
مارس	اذار	يوليو	تموز	نوفمبر	تشرين ثاني
ابريل	نيسان	اوغسطس	آب	دسمبر	كانون اول

الحساب القبطي

﴿ اونتاريو . كندا ﴾ درويش افندي سمعان الصدي

ما هو الحساب القبطي الشائع بمصر أليس مسيحيا . وهل في مصر اقباط غير مسيحيين ولهم حساب خاص واشهر خاصة مثل هاتور وابيب وغيرهما

﴿ الهلال ﴾ كل من في مصر من الاقباط مسيحيون . وحسابهم تابع لتاريخ الميلاد لكنه يبدأ بحادثة فظيعة جرت في القرن الثالث للميلاد على زمن ديوقلطيانوس الامبراطور الروماني قُتل فيها كثيرون من المسيحيين سموهم الشهداء وجعلوا يؤرخون من مقتلهم . وفعل ذلك اكثر المسيحيين في ذلك العهد لكنهم عادوا الى تاريخ الميلاد في القرن السادس الآَّ الاقباط والاحباش فلا يزالون عليه . ولذلك يسمى تاريخ الشهداء . اوله يقابل ٢٩ اوغسطس سنة ٢٨٤م وهو اليوم الذي سمي ديوقلطيانوس امبراطوراً . واما اشهرهم فاسماؤها قبطية كانت معروفة قبل تنصر

الدماغ الطبيعي — اذا جاز لنا مثل هذا التعبير المتساهل فيه فيزيولوجيًّا — هي جميعها خاضعة لنفس النواميس الطبيعية البسيطة المقررة كالجاذبية والحرارة والنور الخ . أي انها تسير في كل افعالها على وتيرة واحدة فلا الامراض العصبية ولا الاحكام العقلية ولا قراءة الافكار عن بعد ولا الشعور عن بعد مع غرابتها الظاهرة خارجة عن الخضوع لنواميس معلومة لا تخرج عن سنن الطبيعة نفسها . وبقولي ذلك لم اقصد الا انا وقفنا على السرّ الاعظم الذي يربط الاكوان بعضها ببعض من ادناها الى اعلاها أي على وحدة القوة التي هي سبب تحولاتها المختلفة . واني اوجه نظرك على نوع خاص في قراءة الافكار والادراك عن بعد الى ما جاء من هذا القبيل في مقدمتي الثانية وفي « اختلاط ذهن هستيري » في الشفاء وفي مقالة « مناجاة الاحلام وقرع الاوهام » في الجزء الثاني من المجموعة مما يلزم منه ان يكون ما نراه غريباً خاضعاً للقياس . واذا كنا لسنا فيه دائماً كذلك فالحوائل طبيعية فينا وحولنا » (انتهى)

اشكر الدكتور شميل عنايته بما كتبت . وما كنت لاقدم على تذييل كتابيه بشيء من عندي لعلمي انني لست في المرتبة التي تجيز لي مناقشته وهو من قهارمة هذه الابحاث واول من جاهر برأيه في هذه المواضيع باللغة العربية . ولكنني احب ايضاح رأيي الذي نشرته وايقاف القاريء على اختلاف الآراء في هذا الموضوع — واني باسط اوجه الاتفاق والاختلاف بيننا بكل صراحة و بساطة :

اسلم مع الدكتور شميل ان من يتصدى للابحاث العلمية يجب ان يترك المبادىء السابقة المقررة والقضايا المسلمة التي ورثها عن آبائه أو اقتبسها من محيطه . وقد قلت ذلك مراراً في المقالات القليلة التي كتبتها في الهلال لاني اكره التسليم الاعمى بدون تفكير

واوافقه في ان النواميس الطبيعية ينبغي ان تشمل ما في الكون من جماد ونبات وحيوان لا شيء فوقها أو تحتها أو خارجاً عنها . لان الانسان المفكر لا يقدر ان يتخيل نواميس متناقضة في عالم واحد

واسلم ايضاً بفضل العلم الطبيعي في ربط الكائنات من ادناها الى ارقاها وفي تحسين احوال الجنس البشري . وان اكتشافات القرون الاخيرة واختراعاتها المدهشة من ثماره

واعتقد كذلك ان مذهب النشوء والارتقاء أفضل تعليل — بل هو التعليل

بقصد ان تؤيدها او تنفي سواها بها فان ضرر ذلك عظيم جدًّا على العلم . فالعلم صعب وبسيط معاً . بسيط اذا اقدمت عليه بالبساطة وقررت الاشياء فيه كما هي . وصعبٌ للغاية اذا أقدمت عليه وانت متشبع بالمباديء المختلفة

وكأنك فهمتني . فانا لا ادعوك الى جانب دون آخر بل الى تثبيت قدمك في الجانب النافع المفيد . واذا كان ليس للعلم الطبيعي غير فضل ربط الكائنات من أدناها الى أعلاها برباط واحد بسيط لحصر قوى الانسان في دائرة واحدة وتخليصه من مفاعيل المبادىء المتعددة التي لا تقع تحت رابط والتي بنى عليها حتى الساعة علومه ونظاماته وكل شيء آخر موضوع لكفى . وهو كل سر العلوم الطبيعية وسر تقدمها . فكل ما هو معلوم لنا اليوم وكل ما هو منتظر منها غداً لا يخرج عن ناموس هذا السرّ فكان العلم الطبيعي اليوم في سره العظيم وفي كلياته الكبرى شيء مقرَّر ناضج لا يحتاج الى اكتشاف سرّ آخر . وما الاكتشافات والاختراعات المنتظرة الا تبسط في العمل وتوسُّع في العلم . ولذلك لا يجوز للمتبحر ان يقول ان الغوامض الطبيعية الباقية كثيرة بمعنى انها غوامض خارجة عن قياس هذا السرّ المعلوم اليوم

أقول ذلك تنشيطاً لك لا تثبيطاً لاني رأيت فيك من حسن الاستعداد الى صحيح العلم وصحة الحكم ما حبب لي مخاطبتك لا لقصد المناقشة بل على سبيل النصيحة وانت في سنّ كله نشاط وآمال والمستقبل اليوم لك واقبل سلام مولٍ

مصر ٥ دسمبر سنة ١٩١٢

الدكتور
شبلي شميل

ولما كنت شديد الرغبة في استقصاء الظواهر النفسية الغامضة كالتنويم المغنطيسي وانتقال الافكار وغيرها كتبت الى الدكتور الفاضل مستفهماً عن تعليل تلك الظواهر بمبادىء العلوم الطبيعية التي يعتقد نضجها فاجابني بكتاب قال فيه :

« انا بقولي لك ان العلوم الطبيعية نضجت لا اريد ان اقول انهم وصلوا فيها الى كل ما يرجى منها أو انه لا يعرض لنا فيها أمورٌ لم نهتد الى كيفية تعليلها على وجه خاص لا يقبل اختلاف نظر او خروجاً فيها عنها . وانما اردت ان اقول ان كل ما الطبيعة من جماد ونبات وحيوان حتى الانسان وافعال العقل الذي هو « افراز » لغا

جملة الذين يطلبون العلم لاثبات بعض المبادىء المقررة في ذهنهم . وضع الدكتور شميل اساساً لآرائه وابحاثه ان مبادىء العلم الطبيعي المعروفة كافية لتعليل غوامض الكون فيجب ان يدخل تحتها كل معلوم ومجهول . اليست هذه طريقة القدماء في الانتقال من القواعد العامة المقررة الى الحوادث الخاصة المفردة لتطبيقها عليها (deduction) ؟ مع ان فضل العلم الحديث يرجع الى جمع الحقائق المتفرقة وترتيبها واستخراج القوانين العامة منها (induction)

هذه هي الطريقة الفضلى لتعليل الظواهر النفسية الغريبة . وقد ذكرت ذلك في المقالة الاخيرة عن انتقال الافكار حيث قلت : « اننا لا نزال نجهل ماهية النفس وعلى العلم اليوم ان يوالي جمع الحقائق حتى يتمكن في المستقبل من تعليل تلك الظواهر »

قد يقول الدكتور ان التسليم بوجود نفس يضاد ما نعرفة من العلوم الطبيعية ولذا يجب رفضها بتاتاً

ولكن لننظر في ذلك من الوجهة المادية نفسها : يعتقد الماديون ان العالم كان خلواً من الحياة ثم نشأت الحياة فيه من المادة . افلايجوز ان يأتي وقت تنشأ فيه من الحياة قوة جديدة « نسميها النفس » والفرق بين المادة والحياة اكبر من الفرق بين الحياة والنفس

لا اعني بكلامي هذا اثبات وجود النفس وانما اريد ان العلم في الوقت الحاضر قاصر عن اثبات ذلك أو نفيه . وان كان كثيرون من العلماء يجزمون بوجودها كما يجزم آخرون بعدم وجودها . ولكن غرضي ان وجود نفس (ولا اعني بها شيئاً معيناً محدوداً) لا يناقض العلم وان هناك مجالاً واسعاً للبحث والاستقصاء

واملي بعد ما تقدم ان يعذرني القراء اذا اظهرت تردداً أوشكا في مسائل غامضة كالتي تصديت للكتابة فيها . اذ لا نعرف حقائق مقررة ثابتة سوى الحوادث المفردة (facts) فهي يقينية وليس كذلك تعاليلها . فالباحث يجمع حوادث متفرقة لا ريب عنده فيها بحد ذاتها فاذا اراد ربطها واستخراج قانون شامل يعللها به فتعليله تقبل الاخذ والرد . ويزيد رجحان تعليله كلما كثرت الحوادث المؤيدة له . وقد لا يبلغ درجة اليقين ابداً . فمبادىء العلم الطبيعي بعضها بلغ درجة من الرجحان تقرب من اليقين ولكن كثيراً منها لا يزال قابلاً للنقض

الوحيد المعقول حتى الآن لاصل الكائنات وبيان صلاتها

واقول اخيراً بعلاقة الظواهر النفسية باعمال الدماغ . اي ان احوال العقل من تفكير وشعور وتخيل وغير ذلك يقابلها احوال مخصوصة في الدماغ

قد يظن القارىء بعد ما تقدم انهُ لم يبق وجه للخلاف بيني وبين حضرة الدكتور. والحقيقة ان الموافق على المبادىء المتقدم ذكرها لا يتحتم عليه ان ينكر كل شيء غير المادة وظواهرها لان مجال البحث لا يزال واسعاً . فالذي يقول ان طالب العلم يجب ان يترك ما علق في ذهنه من مبادىء مقررة بدون اثبات قد يرجع الى بعض تلك المبادىء اذا تحقق صحتها . ومن يسلم بوحدة النواميس الطبيعية وشمولها ما في الكون قد يعترف بجهله بعض تلك النواميس . والذي يعترف بفضل العلوم الطبيعية كالطبيعيات والكيمياء وعلوم الحياة وبصحة مبادئها لا يجوز له ان ينفي مبادىء العلوم الاخرى اذا كانت مبنية على احكام العقل . فاعتقادنا علاقة الدماغ باعمال العقل لا يعني حتماً ان تلك الاعمال « يفرزها » الدماغ كما تفرز الغدد اللعابية اللعاب . ولا شك في ان كثيرين من العلماء اليوم مع قبولهم تلك المبادىء لا يرجعون بكل شي الى المادة وحدها . وكنه الخلاف في نظري يرجع الى هذا السؤال :

« ما هو مقدار السنن الطبيعية التي كشفت لنا بالنسبة الى ما لا يزال غامضاً منها ؟ »

يرى الدكتور شميل ان العلم الطبيعي قد احاط بنواميس الكون الرئيسية ولا محل لنواميس غيرها . فالمبادىء المقررة اليوم هي في نظره كافية لتعليل كل الظواهر التي تبدو لنا . وبما ان مذهب النشوء والارتقاء هو اهم المبادىء الطبيعية المتعلقة بعالم الاحياء فكل الظواهر التي تبدو فيه — ومنها التنويم المغنطيسي وانتقال الافكار وما شاكلهم — يجب ان تطبق عليه وتعلل به لانها لا تخرج عن كونها احوال مخصوصة من الدماغ مهما يكن من غرابتها وصعوبة ادراكها بهذا الشكل . انهُ يبحث في هذه الظواهر وهو يعتقد ان لا بدَّ من تعليلها بالعلوم الطبيعية اذ لا محل عنده لنواميس غير نواميسها المعروفة

ولكن لماذا هذا القيد ؟ لماذا يحتم حضرة الدكتور ان يعلل تلك الظواهر بالمبادىء القليلة التي نعرفها ؟ قد يصعب على الناس عادة قبول امر جديد لا علاقة له بما الفوه أو علموه . ولكن العالم الباحث يستعد لقبول كل غريب جديد . والا فهو داخل

صحة العائلة

زمن الفطام

يعطف الطير على فراخه عطف الام على طفلها فينقطع الى اسعافها واسعادها لا يبالي بالمشاق ولا يكترث بالاخطار التي يتعرض لها في سبيل غذائها . يلتقط حبوب الحقل ويعود بها الى وكره حيث يوزعها على صغاره بالسواء

ويهبط على عين ماء فيأخذ منها ما يستطيع اخذه ليبرد به حرَّها . وقد يقع هدفاً لسهم يقضي عليه وهو في جهاده الشريف او يكتب له البقاء فيظل مثابراً على تأدية ما نسميه نحن بالواجب الى ان يأتي الزمن الذي تصبح به صغاره قادرة على اعالة نفسها فيمسك عن اسعافها وتغدوهي مسؤلة من ذلك الوقت عن اشباع جوفها واطفاء غليلها . والحاجة تدفعها الى المخاطرة فتنشر اجنحتها وتطير مع امها سعياً وراء الرزق حتى تصيبه . لاعيب ولا شائبة في نظام هذا الحي الصغير في تربية اطفاله وقدانارت الطبيعة بصيرته فتعلم العطف على صغاره وادرك الواجب عليه نحوها فقام به خير قيام بغير ان ينتحل المعاذير فيعهد بتربيتها لسواه أو يتركها وشأنها للتقادير . كان يجلب لها الطعام ويساعدها على مضغه وهي صغيرة فلما نما ريشها واشتد ساعدها اجبرها على الخروج من اكنافها بامساكه عن جلب قوتها الضروري لحياتها فطارت لتقع على قوت تتناوله وماء تطفي ظمأها به

ان هذه العناية بالصغار قد اغفلها عدد كبير من الامهات . فالمثريات منهن تتخلين عن اطفالهن الى المرضعات فلا يعرفن عنهم شيئاً — ولا هن امهات يتأثرن لكلامنا . والمتوسطات فئتان فئة مالت الى الاقتداء بالمثريات وفئة اقتدت بالفقيرات . وهؤلاء اقرب الى الامومة الصادقة لكنهن ابعدعن الحقيقة الواجبة . فالام من هذه الطائفة اعمتها المحبة لطفلها واضلها العطف عليه عن تفهم ما يجب عليها نحوه فساءت اليه وهي لا تدري . اشركته بطعامها وهو في الشهر الثاني أو الثالث من عمره . وتساهلت معه في ارضاع ثديها وقد بلغ السنة الثالثة أو الرابعة . اعرف غلاماً بلغ السادسة وهو لا يزال يكب على صدر امه كانه في الشهر السادس . ان معدل وفيات الاطفال في السنة الاولى اكثر

وقد لحظ عليَّ الدكتور شميل ابهاماً بعدان كنت واضحاً صريحاً فلم يكن ذلك مني مجاملة للرأي العام لاني اضن بالعلم ان يكون العوبة في ايدي مدونيه . ولكنني لا ارى بدًّا من التردد عند ما انتقل من بسط الحقائق الثابتة الى تعليلها فلا اقدر ان اكون دائماً « صريحاً نفياً أو اثباتاً » ولكنني الجأ احياناً الى الشك والاقرار بالعجز واقول بكل اخلاص « لا ادري » . وحسبي عذراً على ذلك اني لست أول تائه في اسرار هذا الكون العجيب

اميل زيدان

عشرة آلاف كلمة على بيضة

كتب الينا رصيفنا علي بك ناصر الدين صاحب جريدة الصفاء التي تصدر في لبنان عن شاب مجتهد اسمه نسيب افندي سعد زين الدين اللبناني كتب نحو عشرة آلاف كلمة على سطح بيضة بخط متقن توشك العين المجردة ان تقرأه . واركز البيضة على لولب يدار في كرة من الزجاج . واللولب مغروس في ظهر نسر من البرونز باسط جناحيه وواقف على شمعدان من مادة تشبه الحجر المجزع . وتشتمل تلك الكتابة على ما لا يسعه الا عدة صفحات . فعلى قمة البيضة الطغراء السلطانية ثم تمهيد في ما بعث الكاتب على كتابة هذا الاثر يزيد على عشرة اسطر بقطع الهلال . ثم فاصلة وبعدها مواد القانون الاساسي كلها باللغة التركية ثم هذا المواد في اللغة العربية . فتاريخ اعلان الدستور للمرة الاولى والثانية . وفقر مسهبة بين الكاتب فيها ما يعنيه بوضع تلك البيضة على قوادم النسر تدخل في بضعة اسطر . تليها قصيدتان لرئيس تحرير الصفاء في الدستور والجيش العثماني ابياتهما ٥٩ بيتاً . ثم تاريخ كتابة هذا الاثر وخريطة الممالك المحروسة واسماء امهات المدن العثمانية

ومما يستحق الاعتبار ان الكاتب لم يستعن بالمكبرات في كتابته . ومع ذلك فالاحرف كثيرة الوضوح حتى حلقات العين والهاء والواو فضلاً عن نظافة الفراغ بين السطور أو الجمل . وللكاتب آثار كتابية غير هذه تستوقف الخاطر فانه كتب مرة ٦١ كلمة على حبة أرز ونال بذلك الجائزة الاولى من معرض زحلة منذ بضع سنين فهو مفطور على الدقة اليدوية ولو أتيح له تربية هذه الموهبة في بعض الصنائع الدقيقة كان من النابغين . ولا مجال لهذه المواهب الا في أوربا

يجب عند مباشرة الارضاع بها ان تكون كمية اللبن والماء متعادلة كما قدمنا .
وقد يصعب على الام في البدء ان تعود طفلها على غير لبنها . ولكن الجوع الذي
خرج فراخ الطير من اكنانها يساعدها على اقناعه بقبول الرضّاعة والتسايم لمشيئتها
ومتى الف الطفل غير لبن امه يطبخ له من انواع الدقيق مثل الفوصفتين أو الاروروت
بقليل من اللبن والماء وجبةً في كل اربع وعشرين ساعة لمدة اسبوع . وتزاد الوجبة
وكميتها في الاسبوع الثاني مع تقليل الرضاعة بالنسبة للزيادة الداخلة على طعامه من
الدقيق . وعلى هذا المنوال يقطع الطفل الرضيع مدة الفطام بلا عناء أو مشقة

وفطام من عاش على الرضاعة يبدأ عندما يبلغ الشهر الثالث عشر ويتناول غذاءه
في الشهر الخامس عشر من الفنجان ولا بأس من ارضاعه مرة في المساء

واليك نظام تغذية الطفل من الشهر ١٢ الى ١٤

(١) الساعة السادسة ونصف صباحاً : لبن ٦ الى ٧ اواق طبية ممزوجة
باوقيتين الى ثلاث اواق طبية من ماء الشعير او الرز

(٢) الساعة التاسعة صباحاً : عصير البرتقال ٢ الى ٣ اواق

(٣) الساعة العاشرة صباحاً : لبن جزءان وجزء من ماء الشعير أو الرز أو
الاوتميل من ١٠ الى ١٢ اوقية

(٤) الساعة الثانية بعد الظهر : عصير لحم خروف اوقية واحدة الى اوقيتين .
وبياض البيض المسلوق قليل الاستواء . وبعد مدة يعطى بيضة كاملة ولبن يضاف الى
مثله نصفه من ماء الرز ٤ الى ٦ أواق

(٥) الساعة السادسة : مثل وجبة الساعة العاشرة صباحاً

(٦) الساعة العاشرة مساء : وجبة الساعة السادسة ونصف صباحاً . ولا يجوز
اعطاء الطفل بين الوجبة والاخرى غير الماء القراح

نظام تغذية الطفل من الشهر ١٤ الى ١٨

(١) في الساعة السادسة ونصف صباحاً : لبن ٨ الى ١٠ أواق

(٢) الساعة التاسعة صباحاً : عصير الفاكهة ٣ أواق

(٣) الساعة العاشرة صباحاً : ملعقة كبيرة وبعد بضعة ايام تزاد الى ثلاث ملاعق
من الاوتميل أو الاروروت أو الفوصفتين يطبخ ثلاث ساعات ويضاف ثلاث أواق من
لبن القشطة وملح . واذا لم توجد القشطة يعوض عنها بزيادة كمية اللبن عن ثلاث أواق
مع زيادة الدقيق وبسكويت

عدداً منها في السنة الثانية . وأكثر من الاثنين في الاشهر الثلاثة الاولى واسباب ذلك كله الاخلال في نظام تغذيتهم وقصر نظر في كيفية انتقالهم من لبن الثدي الى غيره من الغذاء حسب ما يقتضيه الحال والسن

يفطم الطفل عن الثدي تدريجاً لا دفعة واحدة مراعاة لصحته وصحة الام معاً . والفطام فجأة يقود أحياناً الى تلبك المعدة وسؤ الهضم . ولا ينتظر حدوث هذه النتيجة الاَّ في ظروف خاصة مثل ان يعطى المفطوم لبن غير ممزوج بالقدر اللازم من الماء أو طعام لا قبل لمعدته بهضمه . وتجنب الفطام في فصل الصيف افضل ولكن اضراره لا توازي الاضرار الناجمة عن الاستمرار في ارضاعه من الثدي بعد الوقت المناسب . ومعظم الامهات يرضعن اطفالهن سنتين أو أكثر وبعضهن يقتصرن على ارضاع اطفالهن بضعة اشهر فقط لما يعتريهن من الضعف والسقم في زمن الرضاعة . على ان القاعدة الصحية للطفل وللام ان يتدرج الطفل الداخل في الشهر التاسع الى الفطام باستبدال وجبة من لبن امه بالرضَّاعة وفيها لبن البقر على نسبة النصف لبن والنصف ماء مع كمية قليلة من السكر في كل اربع وعشرين ساعة في الاسبوع الاول . اما في الاسبوع الثاني والثالث فيعطى وجبتين من الرضَّاعة في كل اربع وعشرين ساعة . وفي الشهر الحادي عشر يقلل قدر الماء الى ثلث كمية اللبن وتزاد الوجبات الى ان يبلغ الحول

و يلاحظ غالباً على الاطفال في هذا الزمن وقوف نموهم بدون سبب واضح . ولا يظهر لنا ذلك الا بالميزان لعدم وجود عوارض مرضية ظاهرة . فاذا تأكدنا نقص وزن جسده فالفطام فجأة مفضل في هذه الظروف على الاخذ به تدرجاً . والاستاذ هولت ذكر حادثة عن طفل خسر ثلاث ليبرات بمدة قصيرة وكان عمره ستة اشهر فقط . ولم يصحب هذا الهبوط عوارض مرض من الامراض فمنعه عن الثدي وفي بضعة اسابيع استعاد ما كان قد خسره من الوزن وظل نموّه مستمرًّا . وظهر بعد ذلك ان امه كانت حاملاً

والفطام فجأة يحسن في ظروف كثيرة ولا سيما في اثناء الامراض التي قد تنتاب الام كالتيفويد والتهاب الرئتين أو داء السل أو التهاب الثدي ونحوها . والشائع بين امهاتنا اذا اصيب أحد الثديين بالتهاب كان الثدي الملتهب نصيب الطفل . فيلتزم بالتقامه لتخفيف التهابه . وتكتفي الام بهذا العلاج حتى يتبين لها علاج اصلح . والمفطوم عن الثدي ينتقل الى الرضاعة فينطبق عليه نظام سائر المغتذين بهذه الآلة

بحيرة تشاد وكلاهاري . ولا سيما بين زمبيزي ولوكوغا وفي الحبشة وأعالي النيل

﴿ تطهير البنك نوط ﴾ نظراً لتداول هذه الاوراق بين أيدي الناس على اختلاف طبقاتهم ولا سيما في أميركا اخترع أحد الاميركان آلة لغسلها وتطهيرها بحيث لا تخسر شيئاً من خصائصها . والآلة المذكورة تستعمل الآن في بنك وشنطن

﴿ دوار البحر ﴾ لا يزال الاطباء يبحثون عن علاج لهذا الدوار . وقد أشار الدكتور بروينكل الالماني أن يعالج بالنيتروغليسرين وهي المادة التي يصنع منها الديناميت. وتعليله ان الدوار سببه تشنج الاوعية الدموية فتضيق ويقل توارد الدم فيها الى الدماغ . وهذه المادة تبطل ذلك التشنج فينطلق الدم بسهولة . وقد جرب ذلك بمحلول الترينترين في الكحول يؤخذ نقطاً في الماء المقطر

﴿ نفق تحت المانش ﴾ خليج المانش بين انكلترا وفرنسا كثير الانواء عسر السلوك ولذلك اقترح بعضهم منذ ربع قرن قطعه بنفق تحت البحر تمر فيه القطر الحديدية بين المملكتين . واعترض هذا المشروع موانع عديدة اكثرها سياسي . أما وقد تمكنت العلائق السياسية بين فرنسا وانكلترا الآن فقد عاد الانكليز الى اقتراحه ورفع أحدهم المستر روز سميث تقريراً الى الحكومة بين فيه الفوائد الناجمة عن هذا المشروع للدولتين في حالي السلم والحرب وسينظر البرلمان الانكليزي في مشروعه

﴿ مسابقة في الاختزال ﴾ أصبح الاختزال (ستينوغراف) من المهن الرائجة في أوربا لتناول أقوال الخطباء وغيرهم بالضبط . فاجريت مسابقة باميركا في عدد الكلمات التي يمكن تدوينها في وقت معين فاستطاع أسرعهم أن يكتب ٢٧٩ كلمة في الدقيقة

﴿ برج الرين ﴾ أخذ مهندس الماني اسمه زيخ في رسم بناء حديدي على طرز برج ايفل علوهُ ٥٠٠ متر سماه برج الرين. وبرج ايفل علوه ٣٠٠ متر فقط

﴿ كواكب جديدة ﴾ ان اهتمام الفلكيين بتصوير الكواكب بالالات الخاصة بذلك ساعد على كشف كواكب جديدة . كما اتفق لمرصد كلية هرفارد في بيرو فانهم اكتشفوا مجموع نجوم قرب المجرة عددها ٣٩ نجماً

﴿ ماسة كبيرة ﴾ عثروا في منجم بريمية في الترانسفال على ماسة وزنها ١٦٤٩ قيراطاً من العيار المتوسط . وهي من حيث حجمها الماسة الثانية في العالم . والاولى ماسة جولينان التي وزنها ٣٠٣٢ قيراطاً

﴿ اثقل أدمغة البشر ﴾ المشهور ان بين ثقل الدماغ والذكاء نسبة متبادلة فاذا زاد وزن الدماغ على المتوسط كان صاحبه أقرب الى الذكاء . ومتوسط ثقل دماغ

(٤) الساعة الثانية بعد الظهر : عصير لحم الخروف أوقيتان وبيضة برشت وملعقة رز مطبوخة جيداً ومرق دجاج أربع أواق

(٥) الساعة السادسة بعد الظهر: ثلاث ملاعق كبيرة من الارروت أو الفوصفتين تطبخ نصف ساعة يضاف اليها لبن وملح بكمية كافية

(٦) الساعة العاشرة مساء : لبن ٨ أواق الى ١٠ أواق

ومن الشهر ١٨ الى ٢٤ يتدرج الطفل الى الطعام الجامد ويقلل كمية اللبن مع المحافظة الشديدة على الاوقات التي اعتاد أن يتناول طعامه فيها . أما الطفل الذي نشأ على الثدي والرضاعة فزمن فطامه يبدأ في الشهر العاشر ويمشي عليه نظام المفطوم عن الثدي الى ان يبلغ الحول . ثم يعامل على الطريقة التي تقدم بيانها . والام الفاضلة تبرهن لنا صدق عطفها على ولدها باحترامها القواعد الصحية في تربيته . اما اللثم والضم والتقبيل وحدها فلا تبعد عنه علة ولا تشفي لنا غلة

الدكتور اندراوس شخاشيري
حكيم كرنتينة نخل
(نخل)

باب الأخبار العلمية

✻ انقراض الفيل والاسد ✻ كان الفيل الافريقي منتشراً في صقلية وأسبانيا وانقرض منهما قبل زمن التاريخ . وكان في زمن الفينيقيين لا يزال كثيراً في شمالي أفريقيا يسرح أسراباً وقطعاناً في رباط . ثم طارده القرطاجيون والرومان فنفر الى أواسط أفريقيا . فلا يوجد الآن في شمالي بحيرة تشاد ولا جنوبي كلاهاري . حتى هناك فانه قليل الا في الغابات البعيدة عن مطامع المستعمرين . ولا يلبث أن ينقرض ان لم يلتفت الانسان الى تربيته والاحتفاظ بنسله . وتكون علة انقراضه احرازه مالا يمكن للانسان الحصول عليه الا بعد قتله ليزين به موائده ومقاعده . ولهذا السبب كان الاسد أصبر على البقاء منه لكنه آخذ بالتناقص . كان في زمن هيرودوتس كثيراً في بلاد اليونان وظل الى أيام العرب منتشراً في فلسطين وحوران . وقد تقلص ظله عن الهند ولم يبق له أثر في غير العراق العجمي . وانقرض في أوروبا وشمالي أفريقيا وجنوبيها ولم يبق الا بين

اخبار اجتماعية

﴿ بين موسكو وباكين ﴾ عادت روسيا الى التفكير في ايصال خطها الحديدي الى باكين بحيث يمكن الوصول اليها في اربعة ايام . وقد خططته واخذت تسعى في انشائه وسيكون وسيلة لاحياء كثيرٍ من البقاع المهجورة

﴿ استهلاك الشاي في العالم ﴾ وضع بعضهم احصاء لغلة الشاي واماكن استهلاكها وهاك خلاصة ذلك :

اماكن الاستغلال بالكيلوغرام	
١٢٣٢٠٠٠٠٠	الهند
٨٥٠٠٠٠٠٠	سيلان
٢٢٩٠٠٠٠٠	جاوى
١٩٤٠٠٠٠٠	اليابان
١١٦٠٠٠٠٠	جزيرة فرموسا
٠٥٣٦٠٠٠٠٠	الصين
١٤٠٠٠٠٠	ناتال
٣١٧١٠٠٠٠٠	

اماكن الاستهلاك بالكيلوغرام	
١٣٤١٠٠٠٠٠	انكلترا
٦٢٥٠٠٠٠٠	اميركا الشمالية
١٨١٠٠٠٠٠	اوسترالازيا
٦٦٠٠٠٠٠	جنوبي افريقيا وشماليها
٤٩٨٠٠٠٠٠	روسيا
١٥٩٠٠٠٠٠	سائر اوربا
٣٦٠٠٠٠٠	ايران
١٧٥٠٠٠٠٠	الهند والصين وغيرهما
٣٠٩١٠٠٠٠٠	

﴿ أشعر أمم الارض ﴾ نعني الشَعر وليس الشِعر فاغزر امم الارض شعراً هم قبائل العينو في اليابان وهنود اميركا الشمالية . وقد درس بعضهم طبائع العينو فذكر عن غزارة شعورهم ما يدهش . قال ان شعر اكتافهم رجالاً ونساء منسدل على ظهورهم ولحى الرجال تغطي صدورهم

﴿ الخطر الاجتماعي على الامة الفرنساوية ﴾ كتب الدكتور لوينتال في مجلة الريفو الفرنساوية مقالة ضافية في الخطر الذي يهدد الامة الفرنساوية بسبب قلة المواليد وقابل بين مواليدها سنة ١٩١٠ و١٩١١ فوجد نقصاً في المواليد وزيادة في الوفيات وكانت نسبة المواليد ١٩.٧ في الالف سنة ١٩١٠ فصارت ١٨.٧ سنة ١٩١١ فبعد ان كان عدد المواليد ٧٧٤٣٥٨ اصبح ٧٤٢١١٤ اما الوفيات فزادت اكثر من

الاوربي ١٣٩٠ غراماً وبين المشاهير جماعة زاد ثقل أدمغتهم على ذ

ثقل الدماغ بالغرام	
٢١٠٢	ايفان توجنيف الروائي الروسي
١٩٣٥	يوسف بوني المتشرع الفرنساوي
١٨٣٠	جورج كوفيه الطبيعي «
١٧٨٥	شيلر الشاعر الالماني
١٧٥٨	بطلر السياسي الاميركي

لكنهم وجدوا كثيراً من العظماء لا يزيد وزن أدمغتهم على ا الادمغة جماعة ذكاؤهم دون المتوسط

﴿ تعلية خزان أصوان ﴾ تم بناء خزان أصوان من ع الحكومة أن تزيد سعته لزيادة الري ففعلت بالامس واحتفلت ؛ بافتتاحه بحضور الجناب العالي الخديوي . وخلاصة ما أدخلوه من حائطاً ثخانته ستة امتار و١٨ سنتمتراً خلف البناء الموجود لتعلي يكون علو هذا الحائط ١١٤ متراً عن سطح البحر . فيكون اعلى من امتار . وكانت سعة الخزان ٠٠٠ ٠٠٠ ٩٨٠ متر مكعب فصارت نح متر مكعب. فكأنها زادت ٠٠٠ ٠٠٠ ١٣٢٠ متر مكعب . وهي تـ من الارض فوق ما كان الخزان يرويه من قبل . راجع ما كتب على العموم وخزان اصوان على الخصوص في الهلال السادس من

احسن الطرق لارسال الدراهم

الى ادارة الهلال بمصر

احسن الطرق لارسال الدراهم الى ادارة الهلال ان تر ادارة البريد في معظم ممالك الارض تقبل ارسال الحوالات الما يكن بدٌّ من ارسال الحوالات على البنوك فلتكن على احد بنـ لندن وليس على بنوك اميركا لانها تحملنا خسارة ووقتاً في قبض بأس من ارسالة لكن افضله عندنا الفرنساوي والانكليزي والر

العربية والفارسية . صدَّر الكتاب باسماء الكتب التي عوَّل عليها ثم افاض في اصل البرامكة من عهد المجوسية وفصل الكلام في اسلامهم واعمالهم من برمك فخالد فيحيى فالفضل وجعفر . واسباب سقوطهم وما نجم عن ذلك . وذيل الكتاب بما يروى عن البرامكة من الاحاديث والقصص والتعليلات عن اصل اسم برمك . وقائمة باسماء الكتب الافرنجية التي بحثت في البرامكة وفهرس ابجدي . وهو اوفى كتاب في تاريخ هذه الاسرة مبني على بحث ونظر ويطلب من مطبعة لرو بباريس وهذا عنوانها :

Ernest Leroux, 28 Rue Bonaparte, Paris (VI)

﴿ التشريح الجراحي والعلاج الجراحي ﴾ للدكتور محمد افندي عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب فضل خاص على آداب اللغة العربية بما ينقله اليها من الكتب الطبية بعد ان تقاعد ارباب الاقلام عن ذلك بسبب اهمال هذه اللغة في المدارس الطبية بمصر والشام . فقد مرَّ على تعليم الطب باللغات الاجنبية في هذه المدارس بضع وعشرون سنة لم يظهر في اثنائها الا كتب قليلة لبعض النطاسيين من محبي هذا اللسان . والدكتور محمد افندي عبد الحميد من اكثرهم عملاً في هذا السبيل . فانه اصدر عدة كتب في مواضيع طبية مختلفة ذكرنا بعضها في الهلال . وبين ايدينا الآن كتابان احدهما في « التشريح الجراحي » لمؤلفيه تريفس وارثركيت ترجم الجزء الاول منه ودقق في النقل واتقان الرسوم التشريحية الملونة في ٢٦٠ صفحة . والثاني « العلاج الجراحي » تأليف وليم روز والبرت كارلس صدر الجزء الاول من الترجمة العربية مزيناً بالرسوم هو يبحث في البكتريولوجيا والعدوى والمناعة والالتهاب وفحص الدم والتقرح والغنغرينا . والكتابان متقنا الطبع يطلبان من مكتبة الهلال وثمن كل منهما ١٠ غروش والبريد غرش

﴿ New Practical Grammar ﴾ هو كتاب في الانكليزية لتعليم اللغة العربية الدارجة بمصر . تأليف سقراط سبيرو بك صاحب القاموسين الانكليزي العربي والعربي الانكليزي لهذه اللغة . وقد وضعه على نسق خاص لتسهيل تعلم اللغة المصرية الدارجة لعارفي اللغة الانكليزية . ويمتاز بتصوير الالفاظ العربية باحرف افرنجية وايراد الامثلة والتمارين . ويطلب من محل لوزاك وشركاهم في لندن وهذا عنوانه :

Luzac & Co.,46 Great Russel St. London W. C.

﴿ وصايا الوطن العشر ﴾ تأليف اميل فاكهه احد اعضاء المجمع العلمي الفرنساوي . وقد نقلها الى العربية ابراهيم افندي سليم نجار الكاتب المعروف خدمة

ذلك النقص : كانت نسبتها في الالف ١٧،٩ فصارت ١٩،٠٦ اي ان عدد الوفيات كان ٧٠٣٢٧٧ فاصبح ٧٧٦٩٨٣ نفساً ويعتقد الكاتب ان سبب قلة المواليد تحريض العامة على الاكتفاء بالنسل القليل من وجه اقتصادي وليس عن عجز جنسي في الامة كما ظن بعضهم . وبحث عن سبب كثرة الوفيات فلم يجد لها سبباً سياسياً ولا صحياً ولا دينياً ولم يتقرر عنده السبب الحقيقي . ولكنه يعلق اهمية كبرى على نقص المواليد وزيادة الوفيات خلافاً لسائر الامم المتمدنة . فان الروس مواليدهم في الالف ٤٤،٨ ووفياتهم ٣١،٠٧ والبلغار مواليدهم ٤٢ ووفياتهم ٢٣ فهم من أسرع الامم نموًّا . والرومانيون مواليدهم ٤١ ووفياتهم ٢٤ والسرب مواليدهم ٣٩ ووفياتهم ٢٩ والنمسا مواليدها ٣٣.٥ ووفياتها ٢٢،٨ وقس على ذلك

❋ اضخم امرأة في العالم ❋ توفيت امرأة في مونتريال كندا وزنها ٧٨٠ رطلاً اقتضى لوضعها في الضريح ان تنقل بالآلات الرافعة وابى اصحاب عربات الدفن نقلها

مطبوعات جديدة

❋ طبقات الامم ❋ تأليف القاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي . وهو من الكتب النادرة التي تعرَّض فيها كتبة العرب لوصف علوم الامم . نحو كتاب الفهرست لكنه اوجز منه وعلى اسلوب آخر . يبحث في العلوم عند الهند والفرس والكلدان واليونان والروم والمصريين والعرب والاندلسيين وبني اسرائيل . وقد اقتبس منه ابو الفرج الملطي وابن ابي أصيبعة وحاجي خلفة وغيرهم . وكانت النسخ الباقية الى الآن نادرة منها اثنتان في المتحف البريطاني واخرى في ليدن . ووقف الاب لويس شيخو اليسوعي على نسخة عند بعض الوراقين فنشرها تباعاً في مجلة المشرق ثم في كتاب على حدة وبذل جهده في ضبطها وذيلها بمقابلات بين هذه النسخة ونسخ المتحف البريطاني واصلاحات وخمسة فهارس للمواضيع واعلام الرجال واعلام الشعوب والمذاهب والامكنة والبلدان واسماء الكتب وجملة ذلك نحو ١٥٠ صفحة . فنثني على الاب شيخو لما يبذله من العناية في خدمة آداب اللغة العربية بما يؤلفه او ينشره جزاه الله خيراً

❋ Les Barmacides ❋ هو كتاب في تاريخ البرامكة واحوالهم الفه في اللغة الفرنساوية المستشرق الفرنساوي لوسيان بوفا معوّلاً فيه على المآخذ التاريخية

فاستجمعت سيدة الملك قواها واسترجعت رشدها واطرقت وهي تتأمل بعبارة حاضنتها فرأت الحق معها . ولكن الحب سلطان مستبد لا يذعن للحق ولا يعرف الصواب . وانما يلذ له الاستبداد بلا سبب والفتك بلا حساب . ولا يحلو الحبّ الا ان يكون مستبدًّا ومتى اذعن للاحكام العقلية والاقيسة المنطقية أو الاعتبارات الاقتصادية صار معلماً أو تاجراً أو فقيهاً . وانما هو سلطان مطلق لا يقيده دستور ولا يردعه خوف من عقاب . فهو لا يسأل عما يعمل ورعيته راضية باستبداده تعدُّ ظلمه عدلاً وتحسب عسفه رفقاً — ذلك كان شعور سيدة الملك في تلك اللحظة . كان عقلها يدلها على مكان الخطأ وهي لا تريد ان تراه . فاسترسلت في عواطفها ونظرت الى ياقوتة والاعتراف على شفتيها والانكار في عينيها وقالت « صدقت يا خالة . . ولكني لا اظنه يفعل ذلك . . لا . . لا ولكن مهما يكن . . فاني لا ارى سبيلاً الى غير ما ذكرت فدبريني برأيك .. »

فتحيرت ياقوتة في الجواب ورأت الحديث قد طال وتوالت الغرائب التي كشفت لها في تلك الليلة فعزمت على استخدام الوقت للتفكير على انفراد لعلها تهتدي الى حلّ يرضي سيدتها ويوافق ضميرها . فترامت على يدي سيدتها تقبلهما وهي تقول « خفّفي عنك يا مولاتي . اني امتك افديك بروحي .. كوني مطمئنة وقد تعبت اليوم من هذا الحديث وآن الرقاد فتوسدي فراشك . وامهليني لانظر في الامر ولا بأس عليك في كل حال . فان اخاك حفظه الله لا يجبرك على من لا تحبينه . وانا اعلم منزلتك عنده . لكن لا بد من تدبير طريقة لمشاهدة عماد الدين .. توسدي فراشك وها اني ذاهبة وسافكر فيك كثيراً الليلة على الخصوص .. واما انت فلا اظنك تفكرين بي . » وضحكت لمداعبتها ثم قالت « فكري بمن تحبين » . فاستلطفت سيدة الملك تعبيرها لانها كان من اقصى امانيها ان توافقها ياقوتة على اعتقادها وتشعر معها بما في قلبها فيهون عليها كل شيء . فسرّي عنها واطاعت حاضنتها في الرقاد وذهبت ياقوتة أيضاً الى رقادها

الفصل السابع عشر

خزانة الجوهر

قضت سيدة الملك بقية الليل بين اليقظة والمنام لفرط قلقها وافاقت في الصباح التالي على صوت المؤذن لصلاة الصبح ولم يكن يطلب منها القيام للصلاة لكنها لم تعد

للناشئة العثمانية . لان مؤلفه حلل فيه حب الوطن وعلاقة المرء به تحليلاً علمياً كانه كيماوي يحالل مادة بين يديه . وهو يطلب من مكتبة الهلال وادارة المقطم وثمن النسخة خمسة غروش والبريد نصف غرش

❊ Succes in English Composition ❊ هو كتاب تعليمي لطلاب اللغة الانكليزية تأليف محمد افندي خيرت من متخرجي مدرسة الحقوق الخديوية وناظر مدرسة بنهاوعباس افندي عبد الفتاح استاذ اللغة الانكليزية فيها . وهو يشتمل على فوائد لفظية ومعنوية مقسم الى دروس لها تمارين تلائم طلاب هذه اللغة من ابناء هذا القطر

❊ دروس الفقه ❊ ان لمحيي الدين افندي الخياط الكاتب المعروف في بيروت عناية خاصة في تأليف الكتب المدرسية في المواضيع الهامة . وقد ذكرنا مؤلفاته المدرسية في التاريخ الاسلامي والصرف والنحو . وبين يدينا كتابه في دروس الفقه وهو يشتمل على ثلاثة فصول في ٣٤ درساً فصل فيها عقائد الاسلام واحكام العبادات على الطريقتين العقلية والنقلية مع السهولة والدقة ويطاب من المكتبة الاهلية في بيروت

❊ روزنامة سيدة التلة وتقويمها ❊ صدرت روزنامة سيدة التلة وتقويمها لسنة ١٩١٣ بقلم الاب افرام حنين الديراني الحلبي اللبناني وتطابان منه في دير القمر لبنان

❊ تذكار اليوبيل ❊ كتابٌ وضعه رزق الله افندي نعمة الله عبود في سيادة المطران اثناسيوس عطا الله متروبوليت حمص وتوابعها للروم الارثوذكس بمناسبة مرور ٢٥ سنة منذ تولى مطرانيـــة حمص . ضمنه تاريخ ابرشية حمص وترجمة سيادة المطران واعماله ومشاريعه الخيرية وحفلة يوبيله وما قدم له من الهدايا والتهاني . والحق يقال ان افضال سيادته العمرانية في بلاد حمص على الخصوص واثار همته وغيرته في نفوس الطائفة الارثوذكسية على العموم اشهر من ان تعرف . فانه قدوة الرؤساء في السهر على مصلحة الرعية من الوجهة الاجتماعية التعليمية بانشاء المدارس والجمعيات والجرائد . وبث روح النشاط وتربية النفوس وتهذيب الاخلاق . وقد عرفنا ذلك فيه منذ انشأنا الهلال ولا يزال مثابراً عليه الى الآن . فهو جدير باحتفاء رعيته وغيرهم من ابناء الوطن السوري . وبين ادباء الناشئة السورية طائفة حسنة من ثمار غرسه جزاه الله خيراً

❊ الدين والاسلام او الدعوة الاسلامية ❊ صدرت الطبعة الثانية من الجزء الاول لهذا الكتاب بقلم محمد افندي الحسيني آل كاشف الغطا النجفي . ويشتمل على سوانح في الاسلام وابحاث في اثبات الصانع ومزايا العدل ومباحث في القضاء والقدر وغير ذلك ويطلب من مطبعة العرفان بصيدا (سوريا) وثمن الجزء ١٢ غرشاً

قالت « نعم يا سيدتي . ولا حاجة الى تبديل ثيابك لانك تذهبين الى ذلك المكانَ في دهليز يوءدي اليه لا تجدين فيه احداً . . هلم بنا » قالت ذلك واشارت اليها ان تمشي فلفت رأسها بملاءة لازوردية اللون . ومشت وهي تفكر في ماذا عساه ان يكون الغرض من هذه الدعوة في ذلك النهار

خرجتا من قصر النساء الى دهليز اخلاه الخدم والجواري . فمرت سيدة الملك ولم تجد احداً في طريقها حتى اتت خزانة الجوهر . وهي غرف عديدة نصبت فيها الخزائن والرفوف واقيمت في ارضها الارائك فوق الطنافس . ولم تكن دخلت تلك الدار من عهد طويل . ولكنها كانت تسمع بما تحوي من الذخائر النفيسة والجوهرات الثمينة وتعلم انها أُخذت في ايام المستنصر بالله ابي تميم لما غاب على امره منذ نحو مئة عام . ولم تكن تتوقع ان تجد فيها شيئاً من الجوهر يستحق الذكر

وصلت الباب فاستقبلها الحاجب وادخلها واشار الى ياقوتة بالانصراف فانصرفت . اما سيدة الملك فدخلت وعيناها شائعتان تبحثان عن اخيها . فرأته جالساً في صدر القاعة الوسطى وحده على مقعد وقد تخفف بعمامة صغيرة وبيده سبحة يعد حباتها وهو مطرق يفكر . فلما انبأه الحاجب بمجيء اخته رفع بصره اليها وهشّ لها واخذ يرحب بها فترامت عليه وسألته عن صحته فقال « اني والحمد لله في خير وعافية وكيف انت ؟ »

قالت « طالما كان امير المؤمنين سالماً فانا سالمة ابقاه الله لنا ركناً وسنداً » قالت ذلك وهي تقرأ في وجهه خبراً جديداً . لكنها تجاهلت وخاطبته وهي تقعد على وسادة بالقرب منه قائلة « اني لم ادخل هذه الدار منذ سنين عديدة وآخر مرة دخلتها كنت طفلة ولا اذكر اني علمت ما فيها و ... »

فقطع كلامها قائلاً « وماذا عساك ان تعلمي ؟ يكفي ان تسمعي بما كان فيها قبل عهد جدنا الامام المستنصر رحمه الله .. انظري الى هذا الصندوق »

فنظرت اليه وهو متقن الصنعة وعليه نقوش فظنته يستلفت نظرها الى نقشه فقالت « انه جميل »

قال « لا أعني جمال ظاهره ولكنني أعني ما كان فيه من الحجارة الكريمة . أخبرني والدي رحمه الله انهم اخرجوا منه في زمن المستنصر سبعة امداد زمرد قيمتها ٣٠٠٠٠٠ دينار تخاطفها الناس »

فدهشت من ذلك وقالت « ان ذلك غريب نادر »

تستطيع رقاداً . فجعلت تتقلب على الفراش وافكارها تائهة. وتذكرت اخاها واحبت ان تعلم حاله بعد ذهابه من عندها هل شفي مما كان فيه . فنهضت من الفراش والتفت بمطرف من الخز التماساً للدفء وخرجت من غرفتها الى دهليز يؤدي الى شرفة تطل على مصلى الخليفة فرأت اخاها قد خرج للصلاة فاطمأن بالها عليه . وهي عائدة الى غرفتها استقبلتها الحاضنة وسألتها عن حالها واخذت تحادثها وتوانسها ومشت معها الى غرفتها واعانتها في لبس ثيابها وامرت باعداد المائدة وجاست اليها وهي تقول « اطمئنك عن صحة سيدي امير المؤمنين فانه في خير »

قالت « عرفت ذلك من خروجه للصلاة واحمد الله على ذلك . ولكنني احب ان اراه .. »

قالت « سترينه الليلة بعد رجوعه من قصر الذهب والفراغ من مهام الدولة .. هيا بنا الى الطعام الآن »

فمشت الى غرفة المائدة فتناولت الطعام وهي تتوقع ان تفاتحها ياقوتة بالحديث عن عماد الدين فلم تفعل فاستحيت هي ان تذكره . وقضت نصف ذلك النهار وهي تتشاغل بشؤون مختلفة . واحست بعد الغداء بميل الى الرقاد من فرط تعب الامس فتوسدت فراشها فنامت ملء جفونها . وافاقت وقد هدأت اعصابها وهان عليها ما هي فيه بالنسبة الى ما كانت عليه من التعب ــ لان تعب الاعصاب يزيد صاحبه قلقاً ولا يريه الامور الا من وجهها الاسود

فنهضت من الفراش وقد اشرق وجهها وعاد اليه ابتسامه وصفقت تطلب الحاضنة فابطأت عليها . ثم جاءتها وفي وجهها خبر نخفق قلب سيدة الملك عند رؤيتها ولم تصبر عن الاستفهام عما وراءها فقالت ياقوتة « ما ورائي الا الخير يا سيدتي .. هلمَّ بنا »

فاجفلت وقالت « الى اين ؟ »

قالت « الى خزانة الجوهر »

فاعرضت عنها اعراض المنكر لما يسمعه وقالت « اين الجوهر ؟ انهم لم يتركوا فيها شيئاً »

قالت « انهم اخذوا كثيراً وتركوا كثيراً . لكنني لا ادعوك للجوهر يا سيدتي وانما اريد ذهابك الى تلك الخزانة لملاقاة سيدي امير المؤمنين فانه انفذ في طلبك الي على ان توافيه الى تلك الخزانة لسبب لا اعلمه »

قالت بلهفة « اخي يطلب ذهابي لملاقاته هناك ؟ »

فتوسمت من كلامه شيئاً يعنيه لسبب طرأ عليـه فقالت « ماذا تعني يا أخي ؟ عاذ الله ان يكون ما تشير اليه . . لا يتمتع بهـذه الذخائر سواك وسوى اولادك . . » الت ذلك واختنق صوتها رغم ارادتها لكنها تجلدت وهمت ان تتم كلامها فلحظت في عيني اخيها شيئاً كالدمع وهو ينظر اليها نظر المستعطف . ثم قال « انت لا تريدين ان تبقى هذه التحف لنا »

الفصل الثامن عشر

بين خطيبين

فادركت ما يشير اليـه من تمنعها عن قبول ابي الحسن زوجاً لها بعد ان تكفل بقتل صلاح الدين . فاحست بوخز الضمير واثر فيهـا الاسلوب الذي اختاره اخوها لمعاتبتها . لكنها لا تستطيع ان توافقه ولا تعتقد ان ابا الحسن يستطيع القيام بوعده ولم تجد الوقت مناسباً للدفاع في تلك الساعة فقالت « انت تعنفني يا اخي على امر ليس في طاقتي .. فانا قد عاهدت نفسي ان لا اتزوج .. واذا كان ذلك الرجل يقدر على شيء فليفعله ثم نرى ما يكون »

فرأى في جوابها شبه الرضى فقال « انما المطلوب قبل كل شيء ان تظهري الرضى به ليقدم على العمل .. أليس كذلك ؟ كيف يتصدى لهذا الخطر وهو يرى هذا الرفض ؟ » . قال ذلك وهو يبتسم ويهش ليسترضيها فكادت ان تغلب على امرها واوشك ان يحملها حبها لاخيها على ان توافقه في ما يريد . لكنها ما لبثت ان تصورت ابا الحسن فنفرت منه وتذكرت عماد الدين فاختلج قلبها في صدرها وتوردت وجنتاها

فظنها اخوها تريد اجابته لكنها تستحي فقال « ما الذي يضرُّك ان تجيبي طلبي وهذا الرجل اكفأ انسان لك .. فضلاً عما وعدنا به من الخير ... قولي انك ترضينه خطيباً لك . . واذا كنت تحسبين قبولك به مصيبة فانها مصيبة صغرى .. » وابرقت عيناه كأنهما تنطقان بسرّ يكتمه . وتشاغل بعدّ حبات مسبحته

فاطرقت سيدة الملك واعملت فكرتها في كلام اخيها فخافت ان يصح ظنها فقالت « ماذا تعني يا اخي بالمصيبة الصغرى وهل هناك مصيبة اكبر منها ؟ »

قال « ولو اردت ان اذكر لك اسماء ماكان من التحف في هذه الدار لاستغرق سردها فقط عدة ساعات وانما اذكر عقداً من الجوهر قيمته ثمانون الف دينار بيع يومئذ بالفي دينار . واخذوا من خواتم الذهب والفضة فقط نحو ١٢٠٠ خاتم فصوصها من الجواهر المختلفة فيها ثلاث خواتم ذهب مربعة على كل منها ثلاثة فصوص أحدها زمرد والاثنان ياقوت سماقي ورماني بيعت باثني عشر الف دينار . غير ما اخرجوه من الجواهر ونحوها فانها كانت تحصى بالويبة وتكال بالكيل . منها ويبة جواهر مشتراة في الاصل بسبعماية الف دينار باعوها بعشرين الف دينار . وطاوس ذهب مرصع بالجوهر عيناه من ياقوت احمر وريشه من زجاج المينا المجرى بالذهب على الوان ريش الطاوس . غير التحف المتوارثة عن الخلفاء او المنقولة الينا من العباسيين وغيرهم [1] ورقع الشطرنج أحجارها من الجوهر والذهب والفضة والعاج . كل هذه ومئات مثلها اخذت في نكبة المستنصر ولا فائدة من الكلام الآن . . »

فانقبضت نفس سيدة الملك مما سمعته وقالت « ان مصيبتنا قديمة يا أخي . . ولا فائدة من التذكار الآن » قالت ذلك وهي تتعجل ما في خاطر اخيها عن سبب استقدامها اليه

فقال « صدقت . . ولكنني اطمئنك ان أولئك اللصوص لم يأخذوا كل ما كان لنا فان بعض خواصنا واهل بطانتنا المخاصين يومئذ احتفظوا لنا ببعض ماكان من الذخائر ولا يزال مخبأً الى الآن » قال ذلك ونهض الى خزانة داخلة في الحائط لا تستلفت الناظر اليها ففتحها بمفتاح استخرجه من جيبه ومدّ يده فاخرج منها حقاً فيه عقد من الجوهر يبهر النظر دفعه اليها فتناولته وجعلت تقلبه فقال لها « خذيه جربيه على عنقك »

فتراجعت واعادته الى الحق . فمد يده واخرجه والبسها اياه في عنقها وقال « هذا لك »

فارادت أن ترجعه فمنعها وقال « خذيه انه لا يليق باحد سواك . . » واستخرج من حق آخر خاتماً حجارته من الزمرد والياقوت نحو الذي ذكره والبسها اياه في اصبعها . فلم يعجبها منه هذا الكرم ولحظ استغرابها فقال « لا تستغربي ما ترينه فان في هذه الخزائن تحفاً أخرى لا يعلم بها سواي وسأدفعها كلها اليك لئلا تذهب كما ذهبت تلك »

---

(١) المقريزي ٤١٤ ج ١

قال « لكنه لا يصدق الا اذا ذكرنا الخطيب لئلا يحسبنا نكذب لنتخلص منه .. سأقول له انك مخطوبة لابي الحسن »

فابتدرته قائلة « كلا. لا تقل هذا .. لان ذلك لا يكون ابداً » ولم تمالك عن هذا التصريح وقد ارتفع صوتها رغم ارادتها

فبان الغضب في وجهه وقال « كنت اجاملك وألاطفك قبل هـذا المشكل . اما الآن فلا ارى لرفضك معنى بعد ان بينت لك السبب .. ليست هذه شعائر الاخت المحبة لاخيها . وانت تعلمين ما وعدنا ابو الحسن به . ولاسيما الآن بعد ان يعلم ان صلاح الدين مناظره فيك فانه يزداد اهتماماً في تنفيذ غرضه .. قولي انك قبلت به والا ضعف اعتقادي بتعقلك وصدق محبتك . واعلمي مع ذلك ان امير المؤمنين يخاطبك ويطلب ذلك منك وهو وليّ أمرك » قال ذلك بشيء من السلطة

فعظم ذلك التهديد عليها وهبت الحمية في صدرها ورجعت اليها عزة نفسها فنظرت الى اخيها نظر العاتب وقالت « تهددني بما لك من السلطة عليّ .. وبانك ولي امري ؟ ان هذا لا يغير شيئاً من عزمي . واذا شئت ان تنفذ هذه السلطة من نفسك فافعل . واما انا فيستحيل عليّ القبول بذلك المنافق المرائي .. وربما فضلت صلاح الدين عليه عند الضرورة . ولكنني لا أريد هذا ولا ذاك .. »

فدهش العاضد لهذا التصريح وقال « ألى هذا الحد بلغ من جسارتك وتخاطبينني بهذه القحة ؟.. اظنني اخطأت لاني شاورتك في الامر . وكان لي ان لا استشيرك لاني ولي امرك من جملة وجوه . . وانا فاعل ما اراه خيراً لك . اذ يظهر لي انك متمسكة بالخطأ لغير سبب اعلمه . . لم يبقَ الاّ ان تخرجي للسوق وتختاري لك زوجاً من المارة وابناء السبيل ! . ليس ذلك من شأن بنات الخلفاء . . ان العناية جعلتك من طبقة الملوك وميزتك بالنسب الشريف فلا يجوز لك الاقتران بغير الاكفاء . وهذا ابو الحسن ابن عمنا وهو اكفأ انسان لك . يكفي الآن .. » قال ذلك وتحفز للمسير كانه قال ما لا يقبل نقضاً ولا ابراماً

اما هي فظلت واقفة واوشكت ان تسقط على الارض من التأثر لانها لا تقدر ان تبوح بما في خاطرها بعد ان رأت اخاها يكبر تفضيلها صلاح الدين فكيف لو علم أنها تحب خادمه . فرأت السكوت في تلك الحال اولى وصممت ان تفعل ما يحلو لها ولو خالفت الشرع والعرف . فلما رآه يتحرك للمسير مشت بهدوء وسكينة ولم تفه بكلمة فظنها شعرت بسلطته عليها فقبلت . فكتم فرحه وظل على اظهار الغضب والعتب

قال « أكبر منها يا اختي ان يطلبك رجل اعجميٌّ من غير اهلك لا قبل لنا بردّ طلبه .. فهمتِ ؟ »

قالت « ماذا تعني ؟ من يتجاسر على هذا الطلب ؟ »

قال « يتجاسر عليه الذي تجاسر على سلب حقوقنا من ايدينا واستبد بالامور دوننا ونحن احياء .. الرجل الذي نخاف صوته ونحسب لحركاته الف حساب .. ألا يستطيع هذا الرجل ان يطلب ؟ واذا طلب من يردُّه ؟ »

فبغتت واستبعدت ما يفهم من كلام اخيها فقالت « صرّح بما تقول .. هل تعني صلاح الدين ؟ »

قال « نعم اياه اعني .. فما قولك ؟ »

فتراجعت وقد اصطكت ركبتاها وارتعدت فرائصها ولم تمالك عن القعود على المقعد وقد امتقع لونها واوشك الدم ان يجمد في عروقها وسكتت

فقعد اخوها بجانبها واحاط ذراعه حول كتفيها ليلطف من بغتتها وقال « اني ازعجتك بهذا الخبر ولكنك احرجتني .. ولا تظني الامر قد نفذ .. انه لم يطابك صريحاً بعد .. ولكن رجلاً من خاصته جاءني في هذا الصباح وفاجأني بهذه المصيبة بعد ان مهد الكلام بمقدمات طويلة عريضة الى ان قال « ان السلطان صلاح الدين يريد ان يتشرف بهذا القران فاحب ان يسألك على يدي قبل الاقدام على الطلب لعل هناك مانعاً »

فقالت « وماذا اجبته ؟ »

قال « هممت ان اجيبه بانك مخطوبة لابي الحسن لعلمي ان هـذه الحجة تكفي للنجاة من هذه الورطة لكنني استمهلته في الجواب الى الغد لاسألك وقد اخترت هذا المكان للمقابلة حتى لا يكون معنا ثالث .. ها اني قد اطلعتك على جلية الامر فما رأيك .. ألا ترين القبول بابن عمنا اولى ؟ . » ولم يكن العاضد ينتظر منها غير القبول فلما ابطأت في الجواب وهي مطرقة كرر السؤال

أما هي فكانت تفكر في طريقة للنجاة من هذه الورطة لانهـا تفضل الزواج بصلاح الدين ولا بابي الحسن لـكنها تفضل عماد الدين على كليهما . وحدثتها نفسها ان تصرح له بما يكنه ضميرها فخافت العاقبة . فلمـا كرر أخوها السؤال قالت « صدقت ان الاحتجاج بكوني مخطوبة قد يرجع صلاح الدين عن عزمه .. قل اني مخطوبة اذا شئت ولا تذكر لمن »

فتنهدت وهي تتجلد وقالت « كنا على موعد من امر عماد الدين نعم .. ماذا رأيتِ ؟ وماذا دبرت ؟ »

قالت « لم ارَ شيئاً ان الامر لك .. وانا طوع ارادتك ماذا تريدين ان افعل ؟ قولي وانا فاعلة حالاً »

فنظرت اليها نظرة اخترقت احشاءها وقالت « اريد ان يأتي عماد الدين الى هنا في هذه الليلة .. »

قالت « في هذه الليلة ! ولماذا ؟ »

قالت « لا تسأليني عن السبب .. انت تقولين انك طوع ارادتي وهذه هي ارادتي. اريد ان ارى عماد الدين الليلة »

قالت « لك علي ذلك .. خففي عنك الآن وارجعي الى رشدك واحكي لي عما جرى لك اليوم مع سيدي امير المؤمنين »

فلما اطمأن بالها من جهة استقدام عماد الدين خف قلقها فجلست وامرت حاضنتها ان تجلس وقصت عليها ما دار بينها وبين اخيها من اوله الى آخره. فأثر ذلك في رأيها ورأت سيدتها اخطأت بمقاومة الخليفة ولكنها لم تجسر على تخطئتها فاظهرت انها ترى رأيها على نية ان تعود الى البحث معها في الامر بعد قليل فطمأنتها انها تفعل ما تريده وغيرت الحديث وشغلتها بمهام اخرى

الفصل العشرون

عماد الدين

قد علمت من حديث العاضد واخته أن صلاح الدين بعث يخطب سيدة الملك شفاهاً وسبب ذلك ان عيسى الهكاري لما خرج من دار العلم سار توّا الى صلاح الدين واسرع في مقابلته على انفراد في خلوة وتطرق في الحديث الى خطبة اخت الخليفة واقنعه بما تقدم من الادلة السياسية فاستحسن صلاح الدين رأيه فاستمهله ليشاور اباه فنهاه عن مشورته اذ ربما اقتضى رأيه ملاطفة الخليفة وهم لا يرون ذلك . واذكر الهكاري بسعيه في مصلحته منذ عرفه . فقال صلاح الدين « اننا قابضون على ازمة

وحالما خرجت من الباب رأت حاضنتها تنتظرها في الدهليز فرافقتها الى غرفتها وقد لحظت الحاضنة تغيراً بيناً في وجهها فاصبح همها استطلاع الخبر

اما سيدة الملك فانها صممت على عمل لا يخطر لحاضنتها ولا غيرها وفضلت البقاء على كتمانه لئلا تحول ياقوتة دون انفاذه . خطر لها ان تستقدم عماد الدين وتفرّ معه من قصر اخيها وتنجو من ذلك الاسر . ولكنها لا تستغني عن ياقوتة في البحث عنه واستقدامه فعزمت على كتمان ذلك عنها

اما ياقوتة فانها تهيبت من غضب سيدتها . ورغم ما لها من الداله عليها لم تجسر على مخاطبتها . فاخذت تتدرع الى استطلاع حالها بالتجاهل فحالما دخلت الغرفة قالت لها « ما لي ارى سيدتي غاضبة .. ما الذي اغضبها ؟ اني ارى في جيدها عقداً من الجوهر وفي اصبعها خاتماً من الزمرد والياقوت لو كانا لي لزالت عني هموم الدنيا »

فانتبهت سيدة الملك الى العقد والخاتم وكانت قد نسيتهما لفرط قلقها فنزعت العقد من عنقها والخاتم من اصبعها ورمت بهما الى الارض وجاست على السرير وهي تتنهد

فالتقطت ياقوتة العقد والخاتم وهي تقول « ما بالك يا سيدتي .. ما الذي اغضبك ؟ اذا كان هذا العقد قد غيرك اعطيني اياه »

قلت « خذيه .. بل هاتيه .. » واسترجعته من يدها ووضعته في جيبها مع الخاتم

فابتسمت ياقوتة على سبيل المداعبة وقالت « اذا كنت قد غضبت من امير المؤمنين فما هو ذنبي يا سيدتي وانا اتفاني في خدمتك ؟ »

فاظهرت الارتياح الى قولها وكظمت غيظها وقالت « بارك الله فيك دعيني الان»

قالت « لا . لا اتركك حتى تقولي ماذا جرى بينك وبين مولانا امير المؤمنين »

قالت « انه مولاك وليس مولاي »

قالت « انه مولانا بحكم الله اطال الله بقاءه »

قالت « اطال الله بقاءه لكنه . . » وسكتت وقد شرقت بدموعها

فقالت ياقوتة «ما بالك قد غيرت عادتك معي لماذا لا تشكين اليّ همك لعلي استطيع خدمتك بشيء . الم نكن على موعد للنظر في امر عماد الدين ؟ »

فلما سمعت اسم عماد الدين سرّي عنها وهان عليها الصبر والتفتت الى ياقو وابتسمت وعيناها تلمعان من الدمع فاثر منظرها في ياقوتة واكبت على يديها تقبل وتقول « بالله لا تغضبي يا سيدتي.. لا تعامليني بالجفاء .. افصحي لي عما يكنه ضمير وانا امتك افديك بروحي . . قولي لا تخافي »

قال « كنت عازماً على ان اسألك عنه لانه وقع من نفسي موقعاً جميلا واتوسم فيه الشجاعة والبسالة ولا اظنه الا بالغاً مقاماً رفيعاً بين رجالك »

قال « وكيف اذا رأيت مهارته بركوب الخيل وخبرت اخلاقه الحميدة . يكفي استهلاكه في سبيل خدمتي انه يحبني حباً مفرطاً فلو قلت له القِ نفسك في النار لفعل . . »

قال « احرص عليه وقدمه . . »

قال « اني لا اترك فرصة تمر الا اكرمته بها وهو الآن من حرسي ويستحق أن يكون من كبار القواد لكنه لا يزال صغير السن وسيكون له شأن . . وقد سرني انك توسمت فيه ما توسمته انا وتحققته بالاختبار . . »

فقال نجم الدين « هل زوجته ؟ »

فقال « اردت تزويجه بجارية جميلة فلم اجد فيه ميلاً للزواج »

فهز نجم الدين رأسه وقال « تلك هي مناقب اصحاب المطمع طلاب السيادة ينصرفون بكليهم الى تلك المطامع . . فاحتفظ بالشاب »

وهما في ذلك سمعا قرع الطبول استعداداً للسباق فجلس صلاح الدين مع ابيه على اريكة نصبوها لهما بين يدي القصر تشرف على حلبة السباق وفوقها مظلة من الحرير الملون . واطلق الفرسان الاعنة وكان عماد الدين على فرس ازرق يمتاز عن سائر الافراس يعرفه الناظرون عن بعد ولحظ نجم الدين انه يفوق سائر الفرسان بالخفة واللباقة . ولعبوا العاباً عديدة وتسابقوا وتراموا وكفة عماد الدين راجحة في كل لعب

قضوا في ذلك بضع ساعات وصلاح الدين جالس مع ابيه تحت تلك المظلة . ثم اخذ الفرسان يتوافدون للمرور امام المظلة لالقاء التحية وصلاح الدين يثني على مهارتهم ويكلمهم بما يقتضيه المقام حتى جاء عماد الدين فامره صلاح الدين أن يترجل ويأتي الى ابيه فترجل ووقف بين يدي نجم الدين وقوف الاحترام . فقال له « يا عماد الدين ستكون رجلاً مقداماً ويسرني انك حائز على اعجاب سلطانك »

فاكب عماد الدين على يدي نجم الدين يقبلهما وقال « اني عبد لمولاي السلطان أفديه بروحي . . واذا قدر لي ان اكون شيئاً مذكوراً فيكون ذلك من فضله . . لا لاستحقاقي . . »

فربّت له على ظهره وتناول خنجراً كان في منطقته ودفعه اليه وقال « احتفظ بهذا الخنجر تذكاراً مني »

فاكبر عماد الدين هذا الاكرام من والد صلاح الدين وهو يعلم ان صلاح الدين

الدولة نفعل بها ما نشاء من عزل وتولية واموال وغيرها فكيف نطمع بالخلافة . وهذا لم يقدم عليه احد قبلنا من غير العرب واخاف ان نطلب الزيادة فنقع في النقصان .. »

فقال « لا اعهدك ضعيف العزم يا مولاي اذا كنت لاتعرف احداً طاب الخلافة من غير العرب الا يجوز ان تطلبها انت .. أو تمهدها لاولادك بسبب الاقتران باخت الخليفة ؟ وزد على ذلك ان سيدة الملك من اجمل النساء خلقة فضلاً عن ذكائها ودهائها. واما الخلافة فاذا طلبتها واحوجنا النسب القرشي فانه ميسور لان كثيرين من الصحابة القرشيين تفرقوا بالفتح ونزل بعضهم في بلاد الاكراد فقد يكون جدك متسلسلاً من احدهم » قال ذلك وهو يظهر الجد . وادرك صلاح الدين انه يهون عليه ادعاء الخلافة بزواجه باخت الخليفة واذا لزم النسب القرشي انتحل له نسباً فيهم . ولكنه لا يزال يتهيب من الاقدام على الخطبة فلما رأى الحاج عيسى قال له « اذا لم يكن بدٌّ من العمل برأيك فاجعل ذلك منك على سبيل الاختبار بلا كتابة مني .. »

قال « اني فاعل ذلك من عند نفسي فاخاطب الخليفة في رغبتك وأرى ما يكون .. »

قال « حسناً » وذهب الهكاري في تلك الساعة الى العاضد واطلعه على ذلك باسلوب لطيف فاستمهله في الجواب كما رأيت

اما صلاح الدين فانه بعد ذهاب الهكاري من عنده خلا بنفسه وراجع ما دار بينهما فرأى انه تسرع في الامر وكان ينبغي ان يكاشف اباه به قبل الاقدام عليه . لكنه أجل ذلك حتى يعود الهكاري بالجواب وهو لا يزال في حل من الامر . وبعد قليل أتاه غلام يدعوه الى الطعام مع ابيه في الجانب الآخر من قصر اللؤلؤة فمضى . وهم على الغداء قال نجم الدين يخاطب ابنه صلاح الدين « يا يوسف لم ار عندهم اهتماماً بميادين السباق . لا ينبغي ان تترك رجالك يرتاحون طويلا انشيء لهم الميادين للمسابقة على الخيول فانهم بذلك تتقوى ابدانهم ويشتغلون عن الدسائس »

قال « صدقت يا ابي ونحن لا يمضي اسبوع لا نجري فيه سباقاً فمن فاز بالسبق قدمناه وخلعنا عليه . واحب ان اجرب ذلك بين يديك في هذه الساعة وسأختار من رجالي أمهرهم في الركوب » ونادى عماد الدين فاتى مسرعاً وخفة الروح ظاهرة وجهه والشجاعة تتجلى في عينيه والنشاط ظاهر في انتصاب قامته وامتلاء عضله . فوقع نظر نجم الدين عليه استلطفه فاطال النظر فيه وصلاح الدين يأمره ان يستعد للسباق مع آخرين سماهم . فاشار عماد الدين مطيعاً وانصرف فتحول صلاح الدين الى ابيه وهو يبتسم ابتسام الاعجاب وقال « كيف رأيت هذا الشاب يا ابي ؟ »

نقلبه بين اليقظة والمنام . واذا هو يسمع وقع خطوات فهبَّ من رقاده وتسمع فلم يسمع شيئاً فغلب على خاطره انه يسمع هاجساً . ونظر الى السماء فعلم ان الفجر قريب ورأى انه لم يعد قادراً على الرقاد فلبس ثيابه . وحالما لاح الفجر خرج ليطل على غرفة صلاح الدين فرآها مقفلة وكل شيء هادئ والحراس بالباب كالعادة فعاد الى غرفته

ولم تمض هنيهة حتى سمع صلاح الدين يناديه فلباه ودخل غرفته فرآه جالساً على سريره بلباس النوم وقد اخذته الدهشة . فاسرع اليه وحياه فصاح فيه صلاح الدين « ما هذا ؟ » واشار الى الوسادة عند رأسه . فتقدم عماد الدين فرأى خنجراً مسلولاً عليه آثار دم قديم قد أُلقي عند موضع رأس صلاح الدين من الوسادة . فاجفل وصاح « من فعل هذا يا سيدي ؟ »

قال « لا ادري .. لكني صحوت في هذه الساعة فرأيت الحال كما تراها » فاطرق عماد الدين يفكر فوقع بصره على شيء عند قدمي السرير فاذا هو غمد ذلك الخنجر فتناوله وتأمله فلم يذكر انه يعرف صاحبه . وهو يتفرس فيه رأى في جوفه بطاقة استخرجها ودفعها الى مولاه ففضها وقرأها فبانت البغتة في عينيه ثم دفعها الى عماد الدين وصفق . فدخل عليه احد الغلمان فامره ان ينادي الامير نجم الدين والده حالاً

اما عماد الدين فانه قرأ البطاقة واعاد قراءتها وتناول الخنجر وتأمله واعاد النظر فيه فقال صلاح الدين « كيف يدخل الناس عليَّ وانا نائم داخل هذا القصر والابواب موصدة ولا يشعر احد من الحراس ؟ »

فاحس عماد الدين ان التوبيخ موجه نحوهُ لانه اقرب الحراس اليه فارتج عليه من شدة التأثر . وهمَّ ان يجيب واذا بنجم الدين قد دخل فلما رآهما في تلك الحال تناول البطاقة وقرأها واذا فيها :

« من احد مريدي سيد الاسماعيلية الى يوسف صلاح الدين

« اعلم يا يوسف انك وان اقفلت عليك الابواب واقمت الحراس لا تقدر ان تنجو من القصاص .. اراك قد بالغت في القحة وتطاولت واستبديت وظلمت ونسيت شيخ الجبل زعيم الاسماعيليين . لو اردت قتلك الليلة لما ابقيت عليك ولكنني عفوت عنك وانا منذرك ان تصاح من سيرك . ولا تطمع ان تعرف من انا فان ذلك بعيد المنال اذ قد اكون اخاك أو خادمك أو حارسك وقد اكون خيطاً في عمامتك أو شعرة في رأسك وانت لا تدري وانما اطلب منك ان تلزم حدكَّ والسلام »

فاستولى السكوت على الجميع لحظة . ثم اشار نجم الدين الى عماد الدين ان يقفل

نفسه يهابه فترامى على يديه يقبلهما . وكان صلاح الدين يخاطب بعض الفرسان فلما فرغ من خطابه تحوّل الى ابيه فوجده يخاطب عماد الدين فانبسطت نفسه لاعجابه بذلك الشاب وقال « يسرني انك راضٍ عنه »

فقال نجم الدين « وهو جديرٌ بذلك وارى ان تقدمه وتجعله من خاصتك »

قال « هو من حرسي كما قلت لك »

قال « احب ان يلازمك ولا يفارقك ليلاً ولا نهاراً وان تكون له دالة الصديق فيدخل عليك بلا اذن »

فالتفت صلاح الدين الى عماد الدين وقال له « امر والدي بذلك فانت من الآن لا تفارقني في حل ولا ترحال » ونهض ومشى مع ابيه نحو القصر وعماد الدين يتبعهما . وامر صلاح قيم القصر ان يختص عماد الدين بغرفة قرب غرفته ففعل واصبح عماد الدين لفرط امتنانه لا يعرف كلاماً يؤدي به ما في خاطره ولكنه اضمر ان يتفانى في خدمة مولاه — ويغلب في صادقي المودة والمخلصين في اعمالهم ان يكون لسانهم قصيراً فيعبرون عن شعورهم بالعمل دون الكلام

الفصل الحادي والعشرون

امر غريب

ولم يكن لهم في ذلك اليوم شاغل هام فبعد العشاء ذهب كل الى غرفته . وقضى نجم الدين ليلته في غرفة ابنه صلاح الدين يتحادثان في شؤون كثيرة ترجع الى علاقة مصر بنور الدين . ثم انصرف الى فراشه

بات صلاح الدين تلك الليلة كعادته وهو يفكر في امر مصر ومطامعه فيها حتى غلب عليه النعاس فنام وقد اطفئت مصابيح القصر واطمئن الحراس . الا عماد الدين فانه شعر بعد ان اختصه صلاح الدين بقربه انه يجب ان يكون اكثر يقظة وسهر على حياته . فبات وهو يفكر في ذلك فحلم . لفرط قلقه ان صلاح الدين يناديه فنهض مذعوراً واصاخ بسمعه فلم يسمع شيئاً فحدثته نفسه ان ينهض ويتسمع فخاف ان يقلق مولاه وهو على يقين انهُ سمع ذلك في الحلم . فعاد الى فراشه وقد طار نومه وكثر

القواد والملوك — كانوا يقتلون ولا يعرف قاتلوهم . او اذا عرف لا يبالي ان يقتل في سبيل تنفيذ امر مولاه . . . »

وكان صلاح الدين مصغياً لما يسمعه بكل جوارحه فقال « كأني سمعت بشيء من هذا القبيل ولكنني لم اكن اصدقه اذ لا يعقل ان يعرض الرجل نفسه للقتل على هذه الصورة تنفيذاً لامر مولاه فقط »

فاعترض عماد الدين وعيناه تتقدان وقد هاجت الحمية في رأسهِ وقال « بلى ياسيدي . هذا امر معقول . ان الرجل ليفدي مولاه بروحه اذا كان يحبه ويحترمه »

فادرك نجم الدين غرضه وقال « بارك الله فيك يا بني لكن مثلك قليل واكثر الناس يفعلون ذلك طمعاً في شيء . اما الفدائيون هؤلاء فانما يفعلون ما يفعلونه لمجرد طاعة رئيسهم . وقد اختلفوا في سبب هذا التفاني فيقول بعض العارفين ان حسناً هذا كان يستهويهم بالسحر او يسقيهم الحشيشة التي تأخذ بالعقل . ولذلك عرفوا بالحشيشية او الحشاشين ومهما يكن السبب فان وجود هذه الطائفة خطر على كبار الرجال

« وكان مقرها في زمن ابن الصباح هذا في قزوين بعيدة عن هذه الديار . اما الآن فان مركزها في جبل السماق من اعمال حلب لهم فيهِ معاقل وحصون ولهم دعاة في الاطراف ولهذه الطائفة تاريخ طويل قبل انتقالها الى الشام خلاصتهُ ان الرئاسة انتقلت بعد ابن الصباح الى غيره وغيره وكان رابعهم في ألاموت منذ نحو خمسين سنة يسمى حسناً ايضاً ويضيفون الى اسمه قولهم « على ذكره السلام » وكانت دعاته قد انتشرت في الشام والافرنج قد فتحوها فقربوا الاسماعيلية واستعانوا بهم على المسلمين في مواقع كثيرة سرًّا وجهراً . فاذن لهم ملك الافرنج صاحب حلب ان يقيموا في جبل السماق (جبل النصيرية) ونزلوا باناس وزعيمهم يومئذ اسمه بهرام . وفي ايامه تمكنوا من الفتك بطائفة من الملوك والقواد بمصر والشام منهم الملك الافضل امير الجيوش بمصر يقال انهم فعلوا ذلك به لانه استبد بالآمر باحكام الله . وبلغني ان الآمر تغاب على بهرام وقتله لسبب لا اعلمه لعله ساءه قتل امير الجيوش وان كان قتلهُ دفاعاً عنه — وطافوا برأس بهرام في شوارع القاهرة هذه — وقتلوا ايضاً كثيرين من الافرنج بحجج مختلفة منهم ريمون صاحب طرابلس ولهم بجبل السماق عدة قلاع حتى الآن منها مصياف ومرقب وعليقة والرصافة وغيرها يعتصمون بها . اما زعيمهم الآن فاظنه ادهى الرؤساء جميعاً اسمه راشد الدين سنان بن سليمان اصله من البصرة . خدم رئيس الاسماعيلية في ألاموت . وتفقه بالعلم والفلسفة ثم انتقل الى الشام واقام في حلب وهو اعرج . وتظاهر بالتقوى والتدين فاجتذب

الباب وان يجلسوا في خلوة لا يدخل عليهم احد . ففعل وقلبه يتقد غيظاً وقد ساءه على الخصوص حدوث هذا الامر في الليلة الاولى التي تولى بها الحراسة الخاصة واصابه الجمود لا يدري ما يقول . وادرك نجم الدين قلقه فناداه وابتسم له وقال « لا تضطرب يا بني ولا يداخلك خوف أنكم لا تعرفون هؤلاء القوم ولا اظن يوسف يعرفهم »

فقال صلاح الدين « اذكر اني عرفت عنهم شيئاً . . . ولكن اي الاسماعيلية هؤلاء . وما هذه الجسارة . كيف يستطيعون الدخول عليَّ في غرفة نومي والحرس حولي .. صدقوا لم يكن يمنعهم شيء من قتلي .. »

فصاح عماد الدين « خسئوا .. ان ذلك بعيد عنهم .. انهم لاينالون من مولاي السلطان شعرة قبل ان يقتل زعيمهم اللعين »

فقعد نجم الدين وامر عماد الدين ان يقعد وقال « هل تعرف من هو هذا الزعيم ؟ »

قال « كلاَّ يا سيدي .. ومهما يكن من شأنه .. »

الفصل الثاني والعشرون

الاسماعيلية

فقطع نجم الدين كلامه وقال « تمهل يا شاب واسمع ما سأقصه على يوسف من خبر هذا الطاغية الذي يسمي نفسه رئيس الاسماعيلية وهم بالحقيقة الحشيشية » ووجه خطابه الى صلاح الدين وقال « اعلم يا بنيَّ ان الاسماعيلية او الباطنية أو الحشيشية طائفة من الشيعة لها بالدولة العبيدية علاقة قل من يعرفها ولذلك احببت ان افصلها لك . ان مذهب الاسماعيلية كان مذهب هذه الدولة عند الفتح وقد نصروه ولا سيما الحاكم بامر الله فانه احياه ونشره بمساعدة رجل فارسي اسمه حمزة الدرزي

وفي ايامه ظهر رجل فارسي اسمه حسن بن الصباح له حديث طويل مع نظام الملك وعمر الخيام لامحل له هنا [1] فانشأ حسن هذا جمعية من الفدائيين واقام في جبل ألاموت قرب قزوين منذ اكثر من مئة سنة . وكان يغري رجالهُ على الفتك بمن شاء من كبار الرجال ومن جملة الذين قتلوهم نظام الملك وزير السلاجقة وكثيرون .

(١) راجع الهلال ٩ سنة ١٩

العامة بذلك ـ ولا تجد شيئاً يستهوي العامة مثل الدين . وبلغني من بعض رجالنا هناك ان سنان هذا كان يجلس على صخر يعظ وهو جامد كالصخر . فكثر دعاته وكانت دعوته لهم ان يتعاونوا فتغلب على عقولهم بالدهاء أو السحر لا اعلم حتى جعلوا اموالهم مشتركة بينهم ـ حتى النساء والبنات . ثم منعهم من ذلك

« وبلغ خبره الى رئيس الاسماعيلية يومئذ في جبل السماق واسمه ابو محمد فاستقدمه اليه . وبعد قليل خلفه واستلم زعامه هذه الطائفة منذ بضع سنوات فقط . وقد سمعت خبره قبل سفري بقليل وهو الآن صاحب السطوة والكلمة النافذة وقد التف حوله الوف من الدعاة الفدائيين وهم يفدونه بارواحهم . اذا امر احدهم بقتل امير او ملك تنكر ودخل في خدمة ذلك الامير او الملك بصفة سائس او خادم اوحارس . ولا يزال يترقب الفرص حتى تسنح له ويغمد خنجره في صدره .. فالحمد لله انهم لم يفعلوا ذلك هذه المرة ولكن تهديدهم هذا أثقل وقعاً من القتل »

الفصل الثالث والعشرون

التبرع

وكان صلاح الدين في أثناء سماع الحديث مطرقاً يفكر وعماد الدين يراعي حركات نجم الدين بعينيه ويتلقف الفاظه باذنيه وقدهاجت اريحيته وجاشت الحماسة في صدره . فلما فرغ نجم الدين من الكلام نظر الى عماد الدين فرأى عينيه يكاد الشرر يتطاير منهما فتجاهل

اما صلاح الدين فقال « لابدّ من وسيلة نتخذها لتجنب شر هذه الطائفة .. انا غير متفرغين لمراقبتها »

فتصدى عماد الدين قائلاً « ان مراقبتها لا تفيد شيئاً ولا بدّ من قطع دابرها . قال ذلك وعيناه تدلان على ما يعنيه من العزم الاكيد

فاجابه نجم الدين « ما ذا تعني ؟ »

قال « اذا أذن لي بابداء الرأي فعندي ان احسن دواء لهذا الداء ان يقتل رئيس هذه العصابة فتتفرق عصابته . . »

نقد فلسفة دروين ودحض شبهات المعطلين

كتاب عربي سوف يظهر للنـاس رافلاً بتعبيراته اللطيفة وتحقيقاته الشريفة مستوفياً لما تقتضيه الجهة العلمية والجهة الدينية الفه بعض العلماء والافاضل في النجف الاشرف من العراق العربي

١٠—٢٠—٦ (السيد علي بن السيد محمد الاصفهاني)

(طرابلسا وما فرعلى يد) ثمن النسخة مجلدة ١٠ غروش والبريد غرشان



مجلة تاريخية اجتماعية علمية ادبية صحية

سنتها عشرة اشهر

وتعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب تهديه الى المشتركين في آخر السنة

لمنشئها

جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ٨٠ غرشاً في القطر المصري و ١٠٠ غرش في الخارج تدفع سلفاً

AL-HILAL

Social, Historical, Scientific & Literary Review

EDITED BY

GEORGE ZAIDAN *M. R. A. S.*

SUBSCRIPTION: 26 Fr. OR 5 DOLLARS PER ANNUM

Vol. XX. N° 6

1 March, 1912

AL-HILAL Printing Office, Cairo

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر

حنا كركروشركاه

بشارع كلوت بك نمرة ٩ بجوار لوكاندة المؤيد

محل مبيع وتصليح ساعات وفونوغرافات

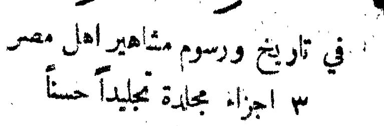
مستعد لمعاملة من يقصده باسعار متهاودة مع الاتقان ومن جرب تأكد ذلك بالبرهان

لوكاندة نصار

من الدرجة الاولى بحيفا تتعهد براحة النزيل سعرها معتدل ويخصم منه للعائلات ولمن يطيل الاقامة

سلسلة ندريس

وهو اسهل كتاب لتعليم اللغة التركية لاشتماله على القواعد والتمرينات التي تسهل على الطالب تعليم اللغة المذكورة ثمنه ١٥ غرشاً او اربعة فرنكات واجرة البوسطة نصف فرنك ويطلب من مكتبة الهلال بالفجاله بمصر



مرآة العصر

في تاريخ ورسوم مشاهير اهل مصر

٣ اجزاء مجلدة تجليداً حسناً

وهو الكتاب الوحيد الحاوي لتاريخ ورسوم كبار القوم بمصر فيجد فيه القارئ لذة وفكاهة وهو انما يقرأ تاريخاً شاملاً مفيداً والكتاب رسومه تزيد عن ١٢٥ رسماً متقنة الطبع عبارة عن معرض رسوم ثمنه ٥٠ غرشاً صاغاً واجرة البريد ٤ غروش ويطلب من ادارة ومكتبة الهلال بالفجالة بمصر

فلسفة النشوء والارتقاء

للعلامة الشهير الدكتور شبلي شميل

نزف الى عشاق الادب هذه المجموعة النفيسة المشتملة على ارقى المباحث من عمرانية واجتماعية وطبيعية وعلمية وتاريخية وادبية وسياسية وانتقادية وفكاهية . وهي تقع في جزئين كبيرين وعدد صفحاتهما ٧٠٠ صفحة وثمن المجموعة ٤٠ غرشاً او عشرة فرنكات ونصف والبوسطة فرنك ونصف. وتطلب من ادارة ومكتبة الهلال بمصر

ثمنها ٨ غروش صاغ والبريد غرش بادارة ومكتبة الهلال بمصر

(المستطرفات) ثمنه مجلداً ٥ غروش صاغ والبريد غرش بادارة ومكتبة الهلال

اراضي للمبيع

في جهات قريبة واسعار موافقة

يوجد قطعتا ارض قرب المدرسة التوفيقية بشبرا ومثلها قرب محطة سكا كيني

فمن رام مشترى شيء من ذلك فليخابر ادارة الهلال بمصر

تاريخ دول الاسلام

(تأليف رزق الله منقريوس الصدقي بالمنيا) ١-٢٠-١٠

اجابة لطلب الكثيرين قد خفضنا ثمن هذا السفر النفيس من ٧٥ غرشاً الى ٥٠ غرشاً النسخة الكاملة (ثلاثة اجزاء في ١٢٢٨ صفحة بها ٥٧ رسما) واجرة البريد ٤ غروش والكتاب يطلب من المؤلف بالمنيا ومكاتب الهلال وهندية والتأليف والعباسية والكمال بمصر وجورجي افندي غرزوزي والمؤيد بالاسكندرية والعمومية والجامعة ببيروت

الدليل الى البرازيل

كتاب ادبي اجتماعي انتقادي ثمن النسخة ٦ غروش صاغ والبريد غرش واحد ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة بمصر

﴿ ميت يتكلم ﴾ (قول المعرب) رواية ميت يتكلم من الروايات القليلة التي تمتعت بالانتشار واحرزت رضى جمهور القراء فانها طبعت طبعة أولى منذ ست سنين فلم تنقض سنة بعد ذلك حتى نفدت نسخها وكثر عدد الراغبين في اقتنائها غير ان الموانع حالت وقتئذ دون اعادة طبعها . اما مغزاها فهو ان الحكام قد يخطئون وتنفذ احكامهم ظلماً اذا اخذوا بظواهر الامور واغفلوا بواطنها الخفية فكم من بريء اودع غيابة السجن لاشتباه القضاة في امره واجتماع الدلائل والبينات الظاهرة على الصاق الجريمة به ثم تكشفت ظلامته فاهتدى القضاة الى ضلالهم وخرج من سجنه طاهر الجيب مبرءاً من كل عيب وصدق فيه قول الشاعر

غيري جنى وأنا المعذب فيكم   فكأنني سبابة المتندم

ثمن النسخة ٥ غروش صاغ والبريد غرش واحد

(مخطوط نابوليون) (رواية) تعريب نقولا رزق الله في ٣ اجزاء ثمن الجزء الواحد ١٠ غروش صاغ والبريد غرش ونصف بادارة الهلال بالفجالة بمصر

جموعة
ومكتبة
ادارة وم

﴿ كتاب مرآة العصر في سير ورسوم مشاهير مصر ﴾ ثمنه مجلدا ١٠٥ ... ريد ٤

الهلال

الجزء السادس من السنة العشرين

اول مارس (اذار) سنة ١٩١٢ و ١٢ ربيع اول سنة ١٣٣٠

عمر بك لطفي

العالم القضائي والمصلح الاقتصادي

ولد سنة ١٨٦٨ وتوفي سنة ١٩١١

تمهيد

يمتاز هذا العصر في الشرق عما تقدمه من العصور بظهور النوابغ في الاصلاح الاجتماعي او الاخلاقي او الاقتصادي . وكانت مطامع اصحاب المواهب قبله تتجه الى المناصب السياسية او الشهرة العلمية لتقيد الشؤون الاجتماعية بالتقاليد الموروثة ولاتكل الامة في شؤونها الاقتصادية او السياسية على حكومتها . فلم يكن يتصدى احد من رجال الامة الى الاهتمام في شيء من ذلك حتى انبثت الروح الدستورية في الناس واشربت نفوسهم بالحرية واطلع العقلاء على ما يشوب هذا المجتمع من النقص فعملوا على السعي في اصلاحه . واتخذ كل منهم طريقاً في الوصول الى ذلك الاصلاح . واعترضتهم عقبات تختلف وعورة باختلاف مايسعون في اصلاحه وما اعدوه من الوسائل لتمهيدها . فمنهم من افلح ومنهم من فشل فشلاً كليًّا او جزئيا على نسبة اغراضهم وقواهم . ولا يشترط في فضل الرجل ان يتم نجاحة في سعيه وانما فضله في اخلاصه وتفانيه في ذلك السعي . وقد نبغ غير واحد [illegible]ال الاصلاح في هذا العصر فدوَّن التاريخ فضلهم . وفيهم في

عمر بك لطفي

في اوائل شبابه



من يستنكف ان يرشح ابناءه لها وبعضهم من تلاميذالفقيد فاحب ان ينزع هذا الاعتقاد من نفوسهم فطلب من الحكومة وهو وكيل لمدرسة الحقوق ان تقيد اسمه في سجل المحامين ويؤذن له في الرافعة كما يجري في فرنسا . فقيدت اسمه سنة ١٨٩٣ فلما خرج من المدرسة تفرغ للمحاماة . وكان فيها مثالاً لصدق اللهجة وقوة العارضة وطهارة الذمة بما يصح ان يكون مثالاً لطلاب هذه الصناعة . وما زال عاملاً فيها حتى توفاه الله في اواخر السنة الماضية

وكان لموته رنة اسى شملت الناشئة المصرية على الخصوص وسائر اهل القطر المصري على العموم لما عرفوه من اياديه البيضاء في خدمة المصالح العامة في انشاء الاندية والنقابات والجمعيات وتأليف الكتب والقاء الخطب . فاحتفلوا بتأبينه في نادي المدارس العليا وأبّنه اعضاء النادي لانه رئيسه وابّنه ايضاً نواب عن المحامين وعن مدرسة الحقوق وعن المدارس والجمعيات والنقابات التي له فضل في انشائها او تنشيطها كما سيجيء

أعماله

اولاً — في سبيل العلم

كان رحمه الله واسع الاطلاع في المواد القضائية مع نظر وانتقاد . لا يكتفي بحفظ القواعد لكنه كان ينظر فيها ويستخرج النتائج النافعة . وقد جعل وجهته في بحثه رفع شأن الشرع الاسلامي واظهار ما اشتمل عليه من الاحكام الراقية في كل موضوع . فكانت فاتحة اعماله في هذا السبيل ان الحكومة المصرية انتدبته سنة ١٨٩٤ لينوب عنها في مؤتمر المستشرقين في جنيف فالف للمؤتمر كتاباً باللغة الفرنساوية موضوعه « الدعوى الجنائية في الشريعة الاسلاميه » ثم الف غيره وغيره . وهذه اشهر مؤلفاته :

١ الدعوى الجنائية في الشريعة الاسلامية : كتبه في اللغة الفرنساوية وقسمه الى اربعة اجزاء الاول في الاتهام بالشريعة الاسلامية والثاني في درس الدعوى الجنائية من حيث اقامتها وغير ذلك . والثالث الاحكام وطريق الطعن فيها . والرابع طرق التنفيذ . ومهد الكلام في قوانين العرب الجاهلية ووجه عنايته على الخصوص لنزع الاعتقاد السائد في اوربا ان الشريعة الاسلامية تقصر قواعدها عن ان تتناول مقتضيات التمدن الحديث واتى بالبراهين الكثيرة على نقض هذا الاعتقاد . وافاض في بسط سائر اجزاء

مصر الشيخ محمد عبده وقاسم امين ومصطفى كامل وقد ترجمناهم في الهلال وفي تراجم مشاهير الشرق . ونحن مترجمون الآن مصلحاً اقتصادياً اتخذ في الاصلاح سبيلاً آخر نعني عمر بك لطفي

ترجمته

نشأته الاولى

اصله من اسرة مغربية وفدت على الديار المصرية في زمن محمد علي باشا . وكان رئيسها من وجهاء بلاده يمثل دولة المغرب الاقصى لدى الحكومة المصرية . ولد عمر بك رحمه الله في الاسكندرية سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧) وتلقى العلم في مدرسة الجمعية الخيرية هناك وانتقل الى القاهرة فاتم دروسه بمدرسة الفرير . ثم دخل مدرسة الحقوق وتخرج فيها حتى نال شهادتها سنة ١٨٨٦ فبرز لعالم العمل وصدره مملوءٌ بالآمال وله همة عالية فتدرج في المناصب بسرعة غريبة . فنبغ واشتهر وامتاز في مدة قصيرة كما يتضح مما يلي

فاستخدم اولاً في قلم قضايا الحكومة مدة قصيرة ثم في مكتب سعد باشا زغلول وهو يتعاطى المحاماة . واشتغل مدة اخرى في النيابة العمومية . ثم انتدبته الحكومة لتدريس القانون الروماني في مدرسة الحقوق الخديوية في عهد رئيسها المرحوم فيدال باشا . ثم توفي فيدال وظلت المدرسة حيناً بلا رئيس وهو يدير شؤونها ريثما صدر الامر بتعيينه وكيلاً لها ومدرساً لقانون العقوبات وتحقيق الجنايات . وفي سنة ١٨٩٠ افضت رئاسة المدرسة الى الموسيو شارل تستو فكان الفقيد خير عون له يشتغل بهمة ولذة لانه كان يشاهد ثمار ما يبثه في تلامذته من الاخلاق العالية فضلاً عن الدروس القضائية . لكن ذلك لم يدم طويلا فتوفي الرئيس سنة ١٩٠٢ وخلفه الموسيو جران مولان فلم يأتلف عمر معه . فاستقال آسفاً على ضياع ماكان يرجوه من خدمة الشبيبة المصرية بطريق التعليم

نشأته الثانية

فلما ترك التدريس تاقت نفسه الى الاشتغال في الفن الذي قضى شبابه في درسه وقد اتقنه واحبه نعني القضاء — وهو من المهن العلمية التي لا يشغف بها الا اصحاب العقول الراجحة نظراً لما تفتقر اليه من اعمال الفكرة والقياس العقلي والنظر المنطقي فاختار الاشتغال بالمحاماة . وكان بعض الوجهاء لايقدرون هذه الص[illegible] حق قدرها وفيه

بعمل كبير استعانوا به او شاوروه فيه ولا سيما اذا كان في سبيل مصر او الاسلام . ولما جاء غصبرنسكي المصلح الروسي منذ بضع اعوام بمشروع المؤتمر الاسلامي لقي من الفقيد عوناً كبيراً وقد تصورا معاً ومعهما رصيفنا محمود بك حسيب صاحب مجلة المجلات العربية كما ترى في هذا الرسم



محمود بك حسيب غصبرنسكي عمر بك لطفي

على ان ثمار سعيه ظهرت في المشروعات المصرية لصالحة الامة الاقتصادية او الاجتماعية بانشاء الاندية والجمعيات والنقابات مما لم يسبق له مثيل في هذه الديار . وهي في نظرنا اشدّ تاثيراً في رقي المجتمع المصري اجتماعياً واقتصادياً

نادي المدارس العليا

واول اعماله من هذا القبيل الاخذ بناصر نادي المدارس العليا وتحمل عبء رئاسته وهو يشتمل على نخبة الشبيبة المصرية من العلماء والادباء المتخرجين من المدارس العليا والتجهيزية . وصاحب الفكرة في تأسيس هذا النادي الدكتور عبد العزيز نظمي الطبيب المشهور وهو اقترح على طلاب المدارس العليا انشاء ناد خاص بهم فلقي اقتراحه اصغاء [illegible] جماعة منهم عقدوا جلسة عنده اقروا فيها على انشاء النادي

الكتاب. وكان لكتابه هذا وقع عظيم لدى علماء القانون في اوربا وكتب اليه جماعة منهم يهنئونه على ذلك الفوز . وقرظته جرائدهم احسن تقريظ فاشتهر اسمه بسبب ذلك الكتاب في اوربا شهرة واسعة واهل وطنه لا يعلمون عنه الا قليلاً

٢ حرمة المساكن : هي رسالة بالفرنساوية ايضاً بين فيها ان تحريم انتهاك حرمة المساكن ليس من مخترعات الشرائع الحديثة بل له اصل ثابت في الشريعة الاسلامية واسند قوله الى القرآن والحديث

٣ حق المرأة : رسالة بالفرنساوية طبعت بمصر سنة ١٨٩٧ هي خلاصة خطاب القاه على مجمع السيدات في جنيف ابان فيها حقوق المراة في الشريعة الاسلامية وقارن بينها وبين ما للمرأة الغربية وان الاسلام خول المراة حقوقاً لا تزال المراة الافرنجية محرومة منها

٤ حق الدفاع : رسالة مستخرجة من مجموعة مقارنة القوانين بالفرنساوية ابان فيها مشروعية حق الدفاع في الشريعة الاسلاميـة وهي ترمي الى الغرض المتقدم ذكره

٥ كتاب الامتيازات الاجنبية : في اللغة العربية وهو اول كتاب عربي بهذا الموضوع صدره بمقدمة في اصل الامتيازات الدولية بمصر قبل المحاكم المختلطة وآخر في الامتيازات بعدها . وفصل في سريان القانون الجنائي على الحوادث التي تقع خارج القطر . ويتخلل البحث انتقاد يدل على اعتدال وروية

٦ الوجيز في شرح القانون الجزائي : قسمه الى جزئين الاول يشتمل على القواعد العمومية في قانون العقوبات اقتداء بما فعله الاستاذ جارو . ويشتمل الجزء الثاني على تحقيق الجنايات وفيه ابحاث جليلة في الجريمة وماهيتها واقسامها واركان الجرائم وما يتعلق بذلك . وفي العقوبة وماهيتها واقسامها واحكامها والكتاب يدخل في ٤٠٠ صفحة كبيرة يدل على علم مؤلفه

٧ انشاء شركات التعاون بمصر : هي آخر ما كتبه رحمه الله دونها في الفرنساوية وبعث بها للمؤتمر القضائي الدولي لشركات المساهمة وشركات التعاون الذي عقد في بروكسل سنة ١٩١٠ وقد نشرت في مجموعة ذلك المؤتمر

ثانياً — في سبيل الاجتماع والاقتصاد السياسي

ولم تقتصر خدمته على تأليف الكتب فقد كان بين جنبيه قلب يتقد غيرة على امته ووطنه . واشتهر بذلك بين اصدقائه ومريديه فا كتسب ثقة[illegible]صبحوا اذا هموا

ابتياع الحاصلات المصرية راساً مع اصحابها بمصر بدون ان يتوسط بينهما المرابون او المضاربون . فعزم على انشاء نقابة عامة تجمع النقابات الزراعية المصرية يؤلف منها لجنة تنوب عنها لهذا الغرض فعاجلته المنية . لكن بلغنا ان نادي المدارس آخذ في اخراج هذا الفكر الى حيز العمل

ومن مشروعاته في سبيل خير الامة المصرية الاقتصادي انشاء شركة التعاون المالي وشركة التعاون المنزلي في الاسكندرية ومثلها في المنصورة وبني سويف والمنيا ومنوف وحلوان . وانشأ نقابة عمال الصنائع وغيرها

وقد نال رحمه الله من علامات الشرف الفرنساوية وسام الاكاديمة ووسام المعارف العمومية من درجة اوفيسيه . ووسام اللاجيون دونور من درجة شفاليه ومنحته الحكومة المصرية النيشان المجيدي الثالث

رثاء شوقي

ونختم المقال في هذه الترجمة بقصيدة قالها شوقي بك شاعر الامير في رثاء هذا النابغة وهي :

اليوم اصعدُ دون قبرك منبراً	وأقلد الدنيا رثاءك جوهرا
واقصّ من شعري كتاب محاسنٍ	تتقدم العلماء فيه مسطرا
ذكراً لفضلك عند مصر واهلها	والفضل من حرماته ان يذكرا
العلم لا يُعلي المراتبَ وحده	كم قدَّم العمل الرجالَ واخرا
والعلم أشبه بالسماء رجاله	خلطت جهاماً في السحاب وممطرا
طفنا بقبرك واستلمنا جندلاً	كالركن ازكى والحطيم مطهرا
بين التشرف والخشوع كأنما	نستقبل الحرم الشريف منوَّرا
لو انصفوك جنادلاً وصفائحاً	جعلوك بالذكر الحكيم مسورا
يا من اراني الدهر صحة ودّه	والودُّ في الدنيا حديثٌ مفترى
وسمعت بالخلق العظيم روايةً	فاراني َ الخلق العظيم مصورا
ماذا لقيت من الرقاد وطوله	انا فيك القى لوعة وتحسرا
نمْ ما بدا لك آمناً في منزلٍ	الدهرُ اقصر فيه من سنة الكرى
ما زلتَ في حمد الفراش وذمه	حتى لقيت به الفراش الاوثرا
لا تشكونَّ الضرَّ من حشراته	حشرات هذا الناس اقبح منظرا
يا سيد النوادي وحامل همه	خلَّفتــه تحت الرزية موقرا
شهد الاعا...كم سهرت لمجده	وغدوت في طلب المزيد مشمرا

واخذوا يهتمون في جمع النقود على يد لجنة عينوها لذلك . فلما اجتمع لديهم المال اخذوا يبحثون عن رجال اكفاء للقيام بادارة هذا العمل . فعقدوا جلسة في قاعة مدرسة الطب انتخبوا فيها لجنة من نخبة اهل الوجاهة والفضل وكيلها عبد الخالق باشا ثروت . وسكرتيرها محمد علي دلاور بك . وامين صندوقها الدكتور عبد العزيز نظمي وامين مكتبتها حافظ افندي عفيفي . فاهتمت اللجنة في انتخاب رئيس يصلح للقيام بهذا العمل الجليل فوقع انتخابهم على صاحب الترجمة وكانت ثقتهم في محلها لان هذا النادي يضم بين جناحيه نخبة الادباء والفضلاء . وقد افتتح رسمياً في افريل سنة ١٩٠٦ في حفلة حضرها طائفة من كبار الموظفين والمستشارين ونظار المدارس والاعيان . وقبيل اعلان الافتتاح بساعات قليلة جاء بلاغ من دولة البرنس عبد المنعم ولي عهد سمو الخديوي المعظم يعلن رغبته في الاشتراك فيه . فكان لذلك وقع عظيم وتوطدت الامال بنجاح هذا العمل وقد نجح واتى بفوائد جمة في جملتها انه اثار الغيرة في صدور الادباء على انشاء اندية اخرى من نوعه . وما زال الفقيد رئيساً له حتى توفاه الله وهو يتفانى في سبيل خدمته

النقابات الزراعية

ومن مشروعاته لمصلحة الامة ايضاً انشاء النقابات الزراعية . نبهه الى ذلك ما رآه من اشتداد الازمة المالية سنة ١٩٠٧ وما كان يتكبده الفلاح من ظلم المرابين والمضاربين . فاخذ يبحث عما يضمن نجاة هذا القطر من مثل هذه الازمة في المستقبل فارتأى ان يقتدي بما فعلته المانيا وايطاليا في مثل هذه الحال فأقرّ على انشاء النقابات الزراعية . تتشكل النقابة في كل بلد من اوجه اهله وتجمع مالاً تدينه للفلاحين او المزارعين الصغار بفائدة معتدلة لابتياع التقاوي والمواشي مما يحتاج اليه الفلاح لموسمه القادم فينجو بذلك من الفوائد الفاحشة التي كان يتكبدها في هذا السبيل . واخذ في تحقيق هذه الامنية ولا يخفى ما يقتضيه ذلك من السعي لادخال هذه الفكرة في اذهان المزارعين غير اسفاره الى اوربا لدرس هذا المشروع . فرحل الى اوربا سنة ١٩٠٩ ومكث في ايطاليا مدة يدرس المشروع نظرياً وعملياً ثم اتى فرنسا فسويسرا . ولما عاد اخذ يبث هذا الفكر في انحاء القطر لا يبالي بما يلاقيه من المشاق وقد فاز بما اراده فانشئت النقابات المشار اليها واتت بثمار حسنة تتضاعف مع الزمان

وآخر مساعيه في سبيلها انه عمل على ايجاد علاقة تجارية راساً بين [illegible]ارعين المصريين والمصانع الاوربية بواسطة تلك النقابات على امل ان تخابر الم[illegible]ذكورة بشأن

القرود

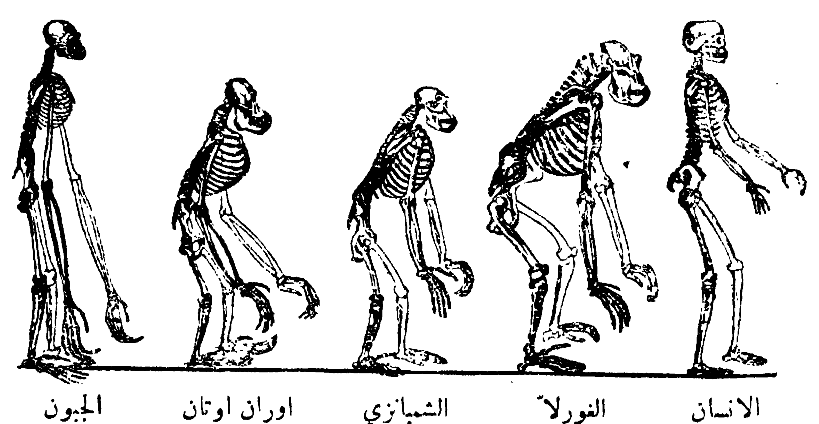
الشبيهة بالانسان

لحضرة انيس افندي الخوري المقدسي م • ع • [1]

لم ار بحثاً علميًّا في هذا الشأن جامعاً بين الحقيقة والفكاهة كالبحث الذي اعتمده في هذه المقالة . وهو للعلاَّمة هكسلي جمع فيه ما رواه العلماء الرحَّالون وما اختبرهُ بنفسه عن هذه القرود . فرأيت ان انقله الى العربية طمعاً بما فيهِ من اللذة للخاصة والتفكهة للعامَّة لاسيما . والمنشور بين ظهرانينا في هذا الموضوع قليلٌ يكاد لا يذكر واكثره خرافيٌّ لا صحة له

نظرة عامة

القرود الشبيهة بالانسان اربعة هي : « الجبون » و « والاوران اوتان » و « الشمبانزي » و « الغورلا » وانما اطلق عليها هذا اللقب دون غيرها من القرود لخصائص مشتركة بينها سنأتي على اهمها ــ وهذه صور هياكل الانواع الاربعة المتقدم ذكرها بالمقابلة مع هيكل الانسان :



الانسان الغورلاّ الشمبانزي اوران اوتان الجبون

(١) ان لها في كل فك اربعة قواطع ونابين واربعة اضراس كاذبة وستة اضراس حقيقية فيكون مجموع ما لها في الفكين ٣٢ سناً . اما اسنان « الحليب » فعشرون

---

(١) خطبة تليت في جمعية حلقة الادباء في المدرسة الكلية السورية الانجيلية (بيروت)

وكم انقيت الكدّ واستدفعته ورميت عدوان الظنون فاقصرا
ولبثت عن حوض الشبيبة ذائداً حتى جزاك الله عنه الكوثرا
شبان مصر حيال قبرك خشعٌ لا يملكون سوى مدامعهم قرى
جمع الاسى لك جمعهم في واحد كان الشباب الواجد المستعبرا
لولاك ما عرفوا التعاون بينهم فيما يسرّ ولا على ما كدرا
حيث التفتَّ رأيت حولك منهم آثار احسان وغرساً مثمرا
كم منطق لك في البلاد وحكمة العقل بينهما يباع ويشترى
تمشي الى الاكواخ ترشد اهلها مشي الحواريين يهدون القرى
متواضعاً لله بين عبادهِ والله يبغض عبده المتكبرا
لم تدر نفسك ما الغرور وطالما دخل الغرور على الكبار فصغرا
في كل ناحية تخط نقابة فيها حياة اخي الزراعة لو درى
هي كيمياؤك لا خرافة (جابرٍ) تذر المقل من الجماعة مكثرا
والمال لا تجنى ثمار رؤوسه حتى يصيب من الرؤوس مدبّرا
والملك بالاموال امنع جانباً واعز سلطاناً واصدق مظهرا
انا لفي زمن سفاه شعوبه في ملكهم كالمرء في بيت الكرا
اسواك من اهل المبادي من دعا للجد او جمع القلوب النفرا
الموت قبلك في البرية لم يهبْ طه الامين ولا يسوع الخيرا

***

لما دُعيت اتيت انثر مدمعي ولو استطعت نثرت جفني في الثرى
ابكي يمينك في التراب غمامة والصدر بحراً والفؤاد عضنفرا
لم اعط عنك تصبراً وانا الذي عزيت فيك عن الامير المعشرا
ازنُ الرجال ولي يراعٌ طالما خلع الثناء على الكرام محبرا
بالامس ارسلت الرثاء ممسكاً واليوم اهتف بالثناء معنبرا
غيرتني حزناً وغيَّرك البلى وهواك يأبى في الفؤاد تغيرا
فعليَّ حفظ العهد حتى نلتقي وعليك ان ترعاه حتى نحشرا

« شوقي »

وتان . والثانية الهيلوباتيس وهي طائفة الجبون . والثالثة مختلف فيها فبعضهم يسميها تروغلوديتس ويجعل الشمبانزي والغورلاً نوعين منها . وبعضهم يجعل هذين النوعين طائفتين مستقلتين اي يجعل هذه القرود اربع طوائف لا ثلاث . والطائفتان الاوليان بستوطنان اسيا اما الاخيرة فوطنها افريقيا — ولنبدا بالاسيوية منها

١ — طائفة الجبون

المعروف من هذه الطائفة ستة انواع منتشرة في الارخبيل الاسيوي من جاوى وسومطره الى بورنيو وملقا وسيام وبعضها في الهند وهي اصغر القرود الشبيهة بالانسان اجسامها نحيفة جداً واكبرها لا يبلغ طوله اكثر من ثلاث اقدام وبعض القدم . قال الدكتور سولومون ملر وهو عالم ثقة زار الارخبيل الاسيوي ودرس بنفسه طبائع هذه القرود درساً مدققاً . وقد اعتمدناه في كثير من الحقائق بهذا الشأن — ان



الجبون

الجبون جبليٌ يحب السكنى على جوانب التلال والمنحدرات ويقضي اكثر وقته على الاشجار فاذا جاء المساء نزل الى السهل ومشى فيه جيوشاً جرارة . لكنه اذا ابصر قادماً كرَّ مسرعاً الى الجبال يتوارى في اوديتها المظلمة

ولهذا القرد صراخ يصم الآن ومما قاله الدكتور ملر عن احد انواعه المسمى

ي كل فك منها اربعة قواطع ونابان واربعة اضراس

(٢) الفاصل بين المنخرين ضيق ولذلك تراهما يشبهان منخري الانسان من حيث انحدارهما وانفتاحهما نحو الاسفل

(٣) الذراع في هذه القرود اطول من الساق على النسبة الآتية :

الجبون ١ ١/٤ : ١ الاوران ١ ٤/٩ : ١ الشمبانزي ١ ١/١٦ : ١ الغورلا ١ ١/٥ : ١

(٤) تنتهي اطرافها بايدٍ لها ابهام شبيهة بابهام الانسان الا ان هذه في قدم الانسان اكبر منها في القرود واقل التواءً وحركة

(٥) لا اذناب لهذه القرود ولا اكياس خدية كما لغيرها . ووطنها جميعها النصف الشرقي من الكرة الارضية اي اسيا وافريقيا

والجبون اصغرها واخفها واطولها اطرافاً بالنسبة الى جسمه فاذا انتصب مست يداه الارض وهما اطول من قدميه . ومن مميزاته انه ليس لشعره لون خاص تعرف به افراده بل هي على الوان شتى وان له ما للقرود الدنيا من الاستاه المتصلبة

اما الاوران فذراعه لاتصل الى اوطأ من كعبه وابهام يديه ورجليه قصيرة جدًّا وقدماه اطول من يديه وهو مغطى بشعر اسمر ضارب الى الحمرة

واذا انتصب الشمبانزي وصلت يداه الى ما تحت الركبة فقط لكن ابهامه كبيرة ويداه اطول من قدميه . شعره اسود وجلد وجهه اسمر ضارب الى الصفرة

الغورلاَّ اذا انتصب لا تصل يداه الى ابعد من منتصف ساقه . اما ابهامه فكبيرة وقدماه اطول من يديه . وجهه اسود وشعره اربد ابرش

هذا جل ما يقال عن تلك القرود بوجه عام على اننا سنحاول هنا وصفها طائفة طائفة مستندين في ذلك على العلماء الذين ربوا هذه الحيوانات او عاشروها ودرسوا اخلاقها ثم كتبوا ما عرفوه عنها مما شاهدوه بانفسهم . ولا يسعنا هنا الا ان نقول ان المصادر التي كان الباحثون يرجعون اليها في معرفة طبائع القرود اكثرها خرافي لا دليل علميَّ على صحته . اذ قلما يتفق ان يقوم شخص له ما لواليس Wallace من القوى الجسدية والادبية فيخاطر بنفسه في غابات اسيا واميركا ويدقق في وصف ما رآه وسمعه ثم يستخرج من كل ذلك نتيجة ملؤها السداد والحكمة . نعم قلما يقوم رجل كهذا الرجل خصه الله بكمال القوى العقلية والمادية . ولذلك لا تزال معرفتنا عن هذه القرود ناقصة وان تكن اثبت مما كانت عليه قبلاً

قسم العلماء هذه القرود الى ثلاث طوائف : الاولى سيميا وهي طائفة الاوران

يستعمل يديه الا للتوازن . الا انه اذا كان على الاشجار استعمل يديه ورجليه معاً للتسلق فتراه ينتقل من غصن الى آخر بسرعة عجيبة ورشاقة يعجز عنها الوصف

واليك ما رواه المستر مارتن المذكور عن احد القرود في مسارح الحيوانات قال — « يضيق نطاق اللغة دون التعبير عن خفة هذا الحيوان ورشاقته العجيبة . فانه يثب من غصن الى آخر بسرعة البرق فبينما نراه متدلياً باحدى يديه من احد الاغصان اذا هو يثب الى غصن آخر فيمسكه بيده الاخرى وما هو الا ان يامسه حتى يثب الى غيره ويقطع بوثبته مسافة تتجاوز ثمانية عشر قدماً ويستمر على هذه الحال ساعات متوالية لا يظهر عليه فيها تعب او عياء — ولا غرابة فيما رواه ديفوسل من ان بعض هذه القرود يثب مسافة اربعين قدماً وثبة واحدة – ومن غريب امره انه قد يمسك غصناً بيد واحدة ثم يدور حوله في الفضاء بسرعة لا تصدق . ومن غرائبه انهم افلتوا عصفوراً في القسم الذي كان الجبون فيه فجعل القرد يراقبه وهو طائر ثم ما لبث ان رمى بنفسه في الهواء فامسكه بيد وامسك احد الاغصان باليد الاخرى . وبسرعة البرق قطع راسه ونتف ريشه ثم رماه الى الارض ولم يأكله

« ورمى بنفسه مرة مسافة ١٢ قدماً الى احدى النوافذ الزجاجية فظن الجميع ان الزجاج متحطم لا محالة على ان الواقع كان غير ما ظنوا لان القرد تمكن من التمسك بالبراويز الضيقة الكائنة بين الالواح الزجاجية فلم يسقط الى الارض ولا كسر الزجاج ثم كرَّ راجعاً الى حيث كان »

والظاهر ان الجبون لطيف المعشر غير شرس الطبع لكنه اذا اغتاظ يصبح وحشاً كاسراً ونابه حادة جداً يعض بها عضاً أليماً . فقد عضت احدى اناث هذا الحيوان مرة رجلاً عضة كانت القاضية عليه . وهو يأكل الحشرات ولا يستطيب لحم الحيوانات الاخرى الا انه قد يأكله احياناً . قال المستر بنت انه شاهد سيامانع يأكل ورلاً حياً (سقاية او سعلاية)

والجبون يشرب ببلّ اصابعه في الماء ثم يلحس الماء عنها بلسانه وهو ينام جالساً لا متمدداً

ومما رواه ديفوسل واكده لنا ان اناث هذه القرود تأتي بصغارها الى الماء فتغسل لها وجوهها بالرغم عن صياح الصغار وتمنعها . وهذه القرود اليفة انيسة متى دجنت والظاهر ان لها شيئاً من الوجدان كما يستدل من قصة رواها المستر بنت قال :

« للجبون الذي عندي ميل الى نقل الاشياء من محلها ووضعها في محل آخر

سيامانغ « ان صراخه هائل جدًّا وكانك تسمعه يصيح على هذا النمط « جويك — جويك — جويك — ها — ها — ها — ها ها ها ها ! » ويمكنك لارتفاع صوته ان تسمعه الى مسافة نصف فرسخ ومتى صرخ اتسع الكيس الغشائي الواقع تحت البلعوم (كيس الحنجرة) وانتفخ جدًّا ثم يعود الى حالته الاصلية متى عاد الى السكوت »

وعن المستر ديفوسل « ان صراخ هذا القرد يسمع الى اميال بعيدة » وقال المستر مارتن « ان صراخ الجبون يصم الآذان » ووصفه المستر واتر هوس وهو موسيقي ومن علماء الحيوان « بان صوته يزري باشد اصوات المغنين الذين سمعهم الى الآن » وهذا الحيوان اخف من الانسان كثيراً وقامته لا تجاوز نصف قامة الانسان طولاً وهو يمشي منتصباً والادلة على ذلك كثيرة نجتزئ ببعضها :

قال المستر جورج بنت يصف النوع المسمى هيلوباتيس سندكاوس وكان رباه عنده « يمشي هذا القرد منتصباً في السهل فيستعين بذراعيه على حفظ الموازنة . وذلك انه يدلي ذراعيه الى الارض فيتوكا عليهما توكا او يرفعهما عمودياً في الهواء ويسرع في مشيته لكنه يتمايل كالسكران فاذا سابقه عدوٌّ سريع سبقه الا اذا تمكن من الوصول الى احدى الاشجار فانه يتسلقها بسرعة البرق . ومتى مشى منتصباً ادار قدميه وساقيه الى الخارج فتراهما كالقوس وهذا هو سر تمايله »

وقال الدكتور بورو في وصف النوع المسمى هورلاك « انه يمشي منتصباً في السهل ويحفظ توازن جسمه برفع يديه الى ما فوق راسه لكنه يثنيهما عند الرسغ قليلاً ثم يسرع متمايلاً من جانب الى جانب فاذا اضطر الى الاسراع الشديد ارخى يديه وسار يثب وثباً »

وعن الدكتور و نسلو لويس « ان هذا الحيوان لا يمشي الا على قدميه وانه يستعمل يديه لحفظ الموازنة فقط وهو لا ينقل القدم قبل الاخرى على نحو ما نفعل نحن في المشي لكنه يجمعهما معاً ثم يثب بهما وثباً » . والدكتور ملر المار ذكره يؤيد ذلك

ومن اقوال المستر مارتن الذي قضى وقتاً طويلاً في درس هذا القرد ومراقبته « ان الطبيعة مع تجهيزها الجبون بما يكفل له البقاء على الاشجار لم تحرمه مع ذلك من المقدرة على المشي منتصباً وهو كالشمبانزي يضع اخمص القدم دفعة واحدة على الارض وينقله كذلك »

فيستدل من جميع ما ذكر ان هذا الحيوان يمشي منتصباً في اكثر الاحيان وا

ولا يوجد في سواهما . واكثر وجوده في اعماق الغابات بعيداً عن الجبال والسكان . وقلما يعيش الذكر والانثى معاً الا في فصل التزاوج اما في ما عدا ذلك فالانثى تستقل بنفسها يصحبها صغارها والحوامل منها تنقطع في محل منفرد تبقى فيه الى ان تلد

والظاهر ان نمو الاوران بطيء ولذلك يطول دور طفوليته فيبقى في حجر امه وتحت رعايتها زمناً طويلاً فاذا تسلقت الام الشجرة جعلت طفلها بين صدرها والشجرة وصعدت به الى حيث تريد . ولا يعلم تماماً زمن بلوغ الاوران وانما يرجح انه لايبلغ قبل العاشرة او الخامسة عشرة من عمره . وهو يعمر الى الاربعين او الخمسين وليس له ما للجبون من الخفة والرشاقة . بل هو بليد خامل لا يحركه الا الجوع فاذا شبع عاد الى خموله وكسله ومتى جلس قوّس ظهره واطرق يتفرس في الارض وكثيراً ما يفعل ذلك وهو متمسك باحد الاغصان الدانية ويظل على هذه الحال ساعات متوالية كانه صنم لا حياة فيه

وهو يقضي اكثر اوقاته على الاشجار لا ينزل الى الارض الا عند المساء . فاذا احسّ بخطر تغلغل بين الاشجار وتعمق في ظلمات الغابة . وقلما يبرح مكانه اذا لم يضطر الى ذلك ولايبيت في اعالي الشجر خوفاً على نفسه من قرس البرد وشدة الريح . ومبيته اشبه بعش الطائر يصنعه بشبك الاغصان بعضها ببعض ثم يحمل اليه احمالا من الاوراق المتساقطة من الاشجار

والاوران ينام طويلا لا ينهض من منامه قبل ان تعلو الشمس في قبة السماء . وعلى رواية بعضهم انه ينهض الساعة التاسعة صباحاً وينام الساعة الخامسة مساء . ومتى نام استلقى على ظهره او جنبه واضعاً راسه على يده فاذا اشتد البرد غطى جسمه باوراق الاشجار التي يفترشها . وهو يفضل الجلوس على الاغصان الرفيعة والسبب على ما يظهر ان استه غير متصلبة كاستاه سائر القرود ولا عظام حوضه منبسطة كعظام احواضها بل هو في ذلك شبيه بالانسان . ومتى تسلق الاشجار صعد عليها بكل تأن كانه انسان يخاف على قدميه ان تدميا ولا يثب كسائر القرود من غصن الى آخر بل ينقل يديه ورجليه تباعاً كما يفعل الانسان . ولا يتوكأ على غصن الا متى هزه وتيقن قوته واذا اراد العبور الى شجرة غير التي هو فيها لوى غصناً طويلاً من الثانية فيربط به الاولى ثم يزحف عليه زحفاً الى المكان المقصود

وهو يمشي على الاربع واذا جوري جرى مسرعاً في اول الامر لكنه يدرك حالاً . وهيأته ماشياً اشبه بهيئة شيخ احنت ظهره الايام فصار يمشي متوكئاً على عصاه .

واكثر ما يفعل ذلك بقطع الصابون وقد عاقبته على ذلك مراراً فلم يرتدع . ففي احد الايام كنت جالساً اكتب في غرفتي والقرد معي في الغرفة اذا به قد تسرق الى المغسلة واخذ قطعة من الصابون كانت هناك فرايته يتاصص وقلت في نفسي اصطبر حتى ارى ماذا يفعل بها . ثم انه مشى بها متمهلاً وهو يلحظني خلسة ليرى اذا كنت عارفاً بصنعه ام لا . فجعلت اكتب متظاهراً باني مشغول جدًّا وكان هو من حين الى اخر ينظر الي نظرة الخوف والحذر حتى اذا وصل الى منتصف الغرفة ناديته بهدؤ خوفاً عليه من بغتة الرعبة فاذا به اسرع بقطعة الصابون ووضعها في محلها الاول »

ولا ريب ان في عمل كهذا شيئاً غير الغريزة ـ وجداناً عرف به الخطأ من الصواب واذا لم يكن هذا العمل من مظاهر الادراك فما هو الادراك اذن ؟

٢ — طائفة الاوران اوتانه

اصدق الروايات التي نعرفها عن هذا القرد رواية الدكتور سولومون ملر والدكتور سخليجل الالمانيين ولقد اعتمدناهما فيما نكتبه عن هذه القرود واضفنا الى اقوالهما نتفاً من اختبارات والس وبروك وغيرهما من العلماء الطبيعيين



الاوران اوتان

يندر ان يزيد طول الاوران على اربع اقدام طولاً على ان جسمه ثقيل جدًّا محيطه لا يقل عن ثلثي طوله وهو يستوطن سهول سومطره وبورنيو ومنخفضاتهما

هذه القرود وجد اختلافات كثيرة من حيث الحجم والشكل فلا ترى اثنين متشابهين في ذلك . والفرق بينها في انحدار الوجه وشكل الفم والانف وحجم الجمجمة كالفرق بين الافريقي والاوربي من حيث الوضوح

فيستنتج مما ذكرناه عن القرود الاسيوية وهو ما اجمعت عليه العلماء ما يأتي :

(١) ان لهذه القرود قوة على السير منتصبة او نحو ذلك دون ان تتوكا على اذرعها

(٢) ان صراخها عال جداً وقد يسمع الى مدى ميل او ميلين

(٣) انها متى هيجت اصبحت شرسة جداً وشديدة البطش

(٤) انها تبتني لها مضاجع كالاعشاش تبيت فيها

وسنأتي على وصف النوعين الآخرين في الهلال القادم

واحة سيوا

جغرافيتها وتاريخها واهلها وسائر احوالها

كثر تحدث الناس عن الواحات لعلاقتها بالسنوسيين القائمين لنصرة الدولة العثمانية في طرابلس الغرب ونظراً لتوسط واحة سيوا بين مصر وطرابلس راينا ان نأتي على خلاصة ما يعرف عنها نقلاً عن اوثق المصادر واحدثها فنقول :

جغرافيتها

مساحتها ومياهها وزراعتها

الواحات على الاجمال بقاع خصبة في وسط البادية كالجزر في البحار وهي عديدة في صحراء افريقيا اشهرها في هذه الايام واحة جغبوب التي كان يقيم فيها السيد السنوسي وواحة الكفرة التي يقيم فيها الان . وواحات اوجيله وجالو وسيوا وغيرها

اما سيوا فانها في منخفض من الارض . وليست هي بلد او قرية ولكنها تتألف من قرى ومغارس منتشرة في مسافة ثلاثين ميلاً طولاً من الشرق الى الغرب في خمسة اميال عرضاً من الشمال الى الجنوب فمجموع المساحة نحو ١٥٠ ميلاً مربعاً لا يزرع منها الا ربعها والباقي رمال وجبال

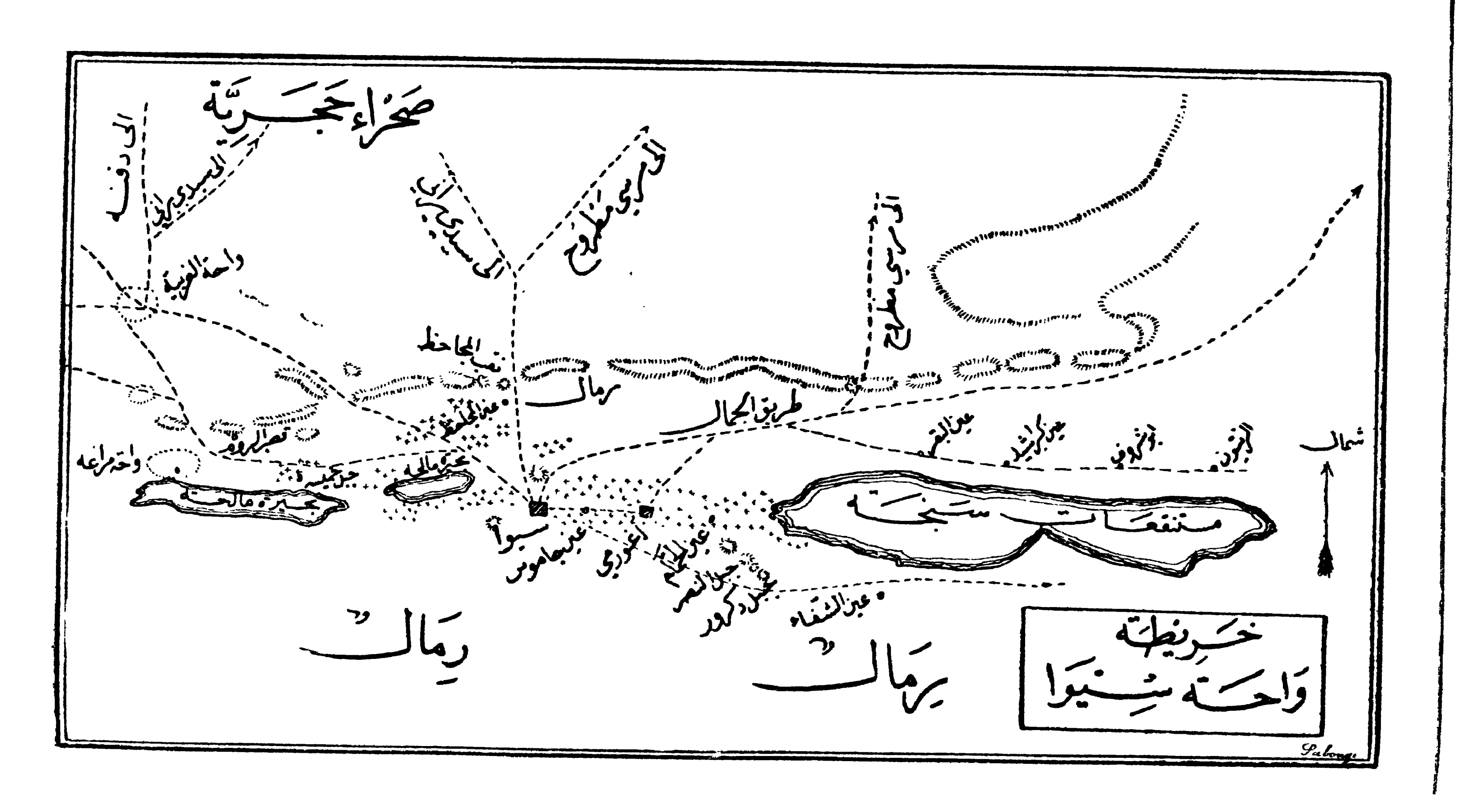
ولا يقف الاوران على اخمص قدميه بل على جانبيهما الخارجية وذلك بعكس اليدين فانه يتوكا على جانبيهما الداخلية

ولذراعيه الطويلتين فائدة اخرى غير المساعدة على المشي فانه يستعملهما لتناول طعامه من الفواكه من حيث لا يستطيع الوصول بنفسه . وهو نباتي لا يفترس الحيوان وقد يدجن اذا أخذ صغيراً على انه في الطبيعة حيوان شرس حذور . وقد اثبت بعضهم انه اذا جُرح هاج هيجاناً مخيفاً وهجم على عدوه بخنق شديد وويل لعدوه اذا لم يركن الى الفرار حالاً . ومع شدته قلما يسرع الى مهاجمة الصيادين ولا سيما اذا كان معهم اسلحة نارية لكنه يحاول الانزواء عنهم بين الاوراق الكثيفة في اعالي الاشجار . قال بعضهم وللاوران عدوٌّ يدانيه في البأس والبطش وهو التمساح فانه قد يفترسه على ضفاف الانهار . على ان هذا القرد يتغلب عليه احياناً فيشق حنكه ويرمي به الى الارض جثة بلا روح

قال الدكتور ملر واصفاً ذكراً من هذه القرود طوله اربع اقدام كان في قفص تحت مراقبته « لهذا الحيوان قوة هائلة وهو شرس مراوغ غدار فاذا اقترب احد من قفصه وقف على مهل ثم ثبت نظره فيه ومدَّ يده ببطء بين القضبان الحديدية متظاهراً بالهدوء والسكينة ولكنه لا يلبث ان يثب بسرعة البرق فيقبض على وجهه قبضة لا يعرف هولها الا من ذاقها »

اما ادراكه فكبير ولو رآه كوفيه العالم الشهير لغير اعتقاده في « ان ادراك القرد ليس ارقى من ادراك الكلب الا قليلاً » وحاسة السمع فيه حادة جداً اما بصره فضعيف وهو يستعمل شفته للمس والشرب فيقلبها بحيث تصبح كالاناء ثم يملأها شرابا

ويُعرف الاوران في بورنيو باسماء كثيرة لا يزال العلماء على اختلاف فيها . فمنهم من يقول انه انواع مختلفة ومنهم من يقول بل هو اصناف من نوع واحد . وقد فحص والبس نوعاً يسمى « مياس باباس » فقال « يعرف هذا النوع بكبر جسمه وباتساع وجهه وانتهاء جلد الوجه فيه بزوائد لحمية فوق العضلات الصدغية . وقد قست خمسة منه فوجدت طولها يتراوح بين ٤ اقدام وقيراط واحد و٤ اقدام وقيراطين . ومحيط جسمها بين ٣ اقدام و٣ و٧ قراريط ونصف . وطول الذراعين وهما مبسوطتان بين ٧ اقدام وقيراطين و٧ اقدام و٦ قراريط . اما الشعر فيختلف في لونه وطوله باختلاف الافراد . وقد يختلف في القرد الواحد في اقسام جسمه المختلفة . وليس ثمت فروق عظيمة بين هذه القرود تحملني على تسميتها انواعاً . على ان من درس الجمجمة في


خريطة
واحة سيوا
شمال
صحراء حجرية
الى دفنه
الى السيدي براني
الى مرسى مطروح
واحة الزيتون
طريق الجمال
رمال
سيوا
مستنقعات سبخة
بحيرة مالحة
واحة مراغه
قصر الروم
عين الشفاء
رمال
رمال

تنتهي سيوا في الشرق بقرية يقال لها الزيتون وفي الغرب بواحة مراغة يتخللها مغارس وعيون وبحيرات كما ترى في الخريطة بالصفحة المقابلة

ويغلب في البقاع المزروعة هناك ان تعلو سائر ارض الواحة بضع اقدام خلاف المألوف في سائر البقاع الزراعية فانها تكون غالباً في المنخفضات ليسهل جر الماء اليها . واما في سيوا فانها عالية ويحيط بكل حقل او مزرعة سياجٌ من سعف النخل يفصلها عن الرمال . وبين المزارع طرق مرصوصة تخترق الرمال يسير عليها الناس والدواب

واهم الواحات هناك ثلاث : واحة سيوا في الوسط يليها واحة اغورمي في الشرق ومراغة في الغرب ويتخلل ذلك ويجاوره كثير من البحيرات والعيون . فالبحيرات اهمها بحيرة كبيرة في الشرق ماءُها مستنقع سبخ يمتد الى جوار الزيتون . وفي غربي واحة سيوا بحيرة خميسة وراءها جبل خميسة ثم بحيرة مراغة . وكلها مالحة ينصب فيها الماء من ينابيع حولها غير ما ينتهي اليها مما يبقى بعد ري الارض المجاورة

واما العيون والينابيع فانها كثيرة تزيد على مئة عين لا يستخدم منها للشرب والري الاَّ ثمانون ويغلب في العين ان يكون قطرها ٣٠ — ٨٠ قدماً وعمقها نحو ٢٠ قدماً . والماء على الاجمال صافٍ يتصاعد من اسفله الى سطحه فقاقيع تتسارع متناسقة توهم الناظر ان الماء يغلي . على ان بعض الينابيع ماؤها حار اهمها عين الحمام بقرب غورمي وعين الجاموس (او تاموس) بجانبها يغتسل فيهما الناس ويخالط مياه سائر الينابيع املاحٌ يختلف مقدارها باختلاف الينابيع . واعذب المياه كافة ماء عين الشفاء على اربعة اميال شرقي سيوا . ويحيط ببعض الينابيع احجارٌ متناسقة كالسور لا تزال باقية من زمن الرومانيين . ولبعض الينابيع احواض يخزنون فيها الماء لاستخدامه عند الحاجة . لكن العادة ان يجري الماء من النبع الى الحقول فيرويها وينصرف ما يفيض منه الى البحيرات ويستقر فيها واهم العيون مرسومة في الخريطة

وتقسم الارض الزراعية في سيوا الى عزب يمتلكها الاغنياء لكل عزبة عين ترويها وقد يشترك بضعة اشخاص في عزبة واحدة . واهم حاصلاتها التمر والزيتون يحملونهما الى الخارج . واما سائر الغلال فتصرف في سيوا نفسها وفي جملتها العنب والتين والمشمش والليمون الحلو والبرتقان والرمان . وفيها من الخضر والافاويه البامية والباذنجان والقرع والطماطم والكرفس والبصل واللوبياء العريضة والثوم والنعناع والفجل والبهار ويكثر فيها البرسيم فضلاً عن القمح والذرة والشعير. والنخيل عندهم قصير لكنهُ مثمر وهو ثمانية اصناف لكن اكثره من الصعيدي

واما طرقها فانها على غير نظام واكثرها ضيق وفيها ما لا يزيد عرضه على متر وناهيك بالانحدارات الوعرة . وترى وانت ماشٍ فيها مداخل المنازل الى اليمين واليسار صغيرة لا يزيد ارتفاع بعضها على اربع اقدام . والابواب مصنوعة من جذوع النخل وبعض الطرقات مسقوفة بتلك الجذوع ايضاً . ولذلك فيختلف مقدار النور هناك . وقد يكون بعضها مظلماً في رابعة النهار ويستقي اهل البلدة من آبار اهمها بئر احمد وبئر شامي

وخارج سيوا (البلدة) بقاع بعضها مدافن او مقامات . ففي الشمال مقام سيدي سليمان وليّ سيوا يجتمع عنده السيويون في الاحتفالات . وبجانبه جامع حديث العهد بنته نظارة الاوقاف . وفي بلدة سيوا ١٢ مسجداً قديماً وزاوية للسنوسي وزاوية للمدني . وفي الشرق ساحة للبيع والشراء وهي السوق فيها اكواخ كالحوانيت ترى رسمها في الشكل . واكثر الباعة من العرب . وعلى نصف ميل نحو الجنوب آثار المركز القديم اي مقرّ الحاكم وعدد سكان سيوا ٣٥٠٠ نفس

اما اغورمي فهي على ميل ونصف من سيوا نحو الشرق قائمة على صخر عال مشرف من الجهات الاربع . يتفجر من اسفله ١٢ عيناً بعضها حار مالح وبعضها عذب بارد . وفيها كثير من شجر النخيل . طرقها اعرض قليلاً من طرق سيوا لكن ابنيتها ونوافذها وترتيبها مثل سيوا تماماً . ولها مدخل واحد وفي وسطها بئر تعرف ببئر اغورمي ماؤها عذب . وعدد سكانها ٧٥٠ نفساً

سكانها

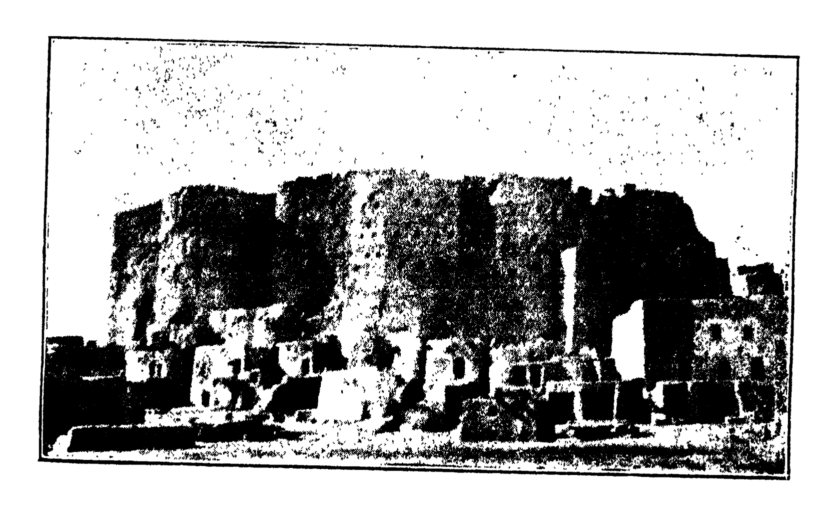
اجناسهم

اختلف علماء الانسان في اصل السيويين والاكثر على انهم من البربر سكان شمالي افريقيا . يستدلون على ذلك من لغتهم ويزعم اهل بلدة سيوا ان اهل اغورمي من قوم يعرفون بالزراني (النصراني ؟) وعدد سكان واحة سيوا على آخر تقدير نحو ٤٥٠٠ نفس رجالهم طوال القامة فوق المعتاد فيهم طائفة سود البشرة لاختلاطهم بالسودانيين وتزوجهم بالجواري السود . ولكن الغالب في الوانهم السمرة الصفراء . وهم قصار الانوف رقاق الشفاه صغار الذقون شعورهم مسترسلة مظلمة لكنها غير سوداء الا في الفتيات فانهن يدهنّ شعورهنّ بالزيت ويتزينّ باقراط من الفضة كالحلق الكبيرة في اذانهن ويتقلدن اطواقاً من الفضة حول اعناقهن . الجمال فيهن

بلادها وقراها

اهم بلادها اثنان سيوا واوغورمي واهمهما سيوا التي تسمى تلك البلاد بها . وهي مبنية على مرتفع من الارض تظهر المشرف على الواحة عن بعد كالتل الكبير من الحجارة السمراء كانها قطعة واحدة بيوتها متراكبة طبقة فوق طبقة او هي تتدرج في مواقعها في سفح ذلك التل فتظهر كانها مؤلفة من ثماني طبقات أو اكثر . تخترقها نوافذ صغيرة متناسقة في اشكال مثلثة نافذتان في الاسفل وواحدة بينهما في الاعلى

والبلد بجملته كالحصن له مدخل واحد كان قديماً في الشمال تحت الجامع العتيق . وهو ضيق منحوت في الصخر الذي بنيت البلدة عليه . الى يسار الداخل فيه سجن قديم منقور في الصخر فوقه مخزن الاقوات وقت الحصار . وقد اهمل هذا المدخل



ابنية سيوا من جهة الشرق وفي اسفلها منازل وحوانيت

الآن واستعاضوا عنه بمكان آخر بالقرب منه . ولم يكن لسيوا مدخل غير هذا الباب فلما استقر الامن فتحت فيها منافذ اخرى . على ان بعض السيويين اخذوا في البناء خارج البلدة على الرمال كما فعل اهل مصر القاهرة بعد اخذهم باسباب التمدن الحديث فعمروا شبرا والفجالة والعباسية ونحوها . والسيويون يبنون منازلهم بالحجارة والقرميد يجعلون جدرانها ثخينة في الاسفل ثم تدق نحو الاعلى حتى يخشى تداعيها لكنهم يقوونها بجذوع النخل بين اجزائها ويندر ان يبيضوها من الخارج . ولذلك فان المقبل على سيوا تظهر له سمراء اللون

والصحية . عادات الزواج عندهم تشبه ما في فلاحي القطر المصري لكن الطلاق بينهم كثير لان مقدار المهر ستة ريالات فقط . وهم يحبون الرقص والضرب على الطبل والقيثار (العود) والنفخ بالزمور . منازلهم صغيرة وفرشها حقير . يتعاطون الشاي بكثرة ويضيفون اليه النعناع أو يشربون منقوع النعناع وحده

عاداتهم وخرافاتهم

هم راسخو الاعتقاد بالسحر والعين مثل سائر العامة ولكنهم اعرق في ذلك من سواهم نظراً لبعدهم عن اسباب المدنية والتعليم . فلا تجد منزلاً او شجرة او عيناً الا وعليها تعويذة او تميمة تقيها العين الشريرة . واكثر تعاويذهم من جماجم الجمال او القردة وقرون الغزلان او عظام اخرى أو بعض انواع الاغصان او حزم الاعشاب او شقف الخزف . ولا يخلو رجل من تعويذة او حجاب يعلقه في عنقه او في ذراعه

اذا مات الرجل حجبوا امرأته عن الناس اربعة اشهر وعشرة ايام وعليها لباس ابيض في غرفة لا يدخل عليها فيها الا فتاة تحمل اليها حاجياتها لكنها لا تمكث معها . فاذا انقضت تلك المدة اغتسلت في عين جاموس ويعلنون على الناس يوم مجيئها والساعة التي ستخرج فيها فلا يظهر احد في الطرق حتى تعود الى منزلها

اما الجان والعفاريت فلا يخلو منهما راسٌ ولا فكر . فهي عندهم تسكن الينابيع وتخرج من تحت الارض وقد يخرج عفريتهم من البئر ويتصاعد ويتطاول حتى يبلغ عنان السماء أو يظهر بشكل خروف او حمار وربما ضرب على الطبل او نفخ بالزمور او رقص . . .

ويقابل العفاريت « الملائكة » وهم يسكنون تحت الارض او في السماء فاذا اصيب احد الناس بمرض عقدوا حوله مجلساً من عجائز النساء يوقدنَ ناراً يطبخن عليها اكلا يأكلنه ويتركن منه جانباً للملائكة . ويحرقن البخور وتأخذ عجوزة العجائز بالتعزيم وتطلب من الملائكة ان تشفي ذلك المريض وتغنيه . فاذا بقي شيء من الطعام المتروك الى اليوم التالي عدوا ذلك فالاً حسناً واطعموا المريض شيئاً منه . واذا غاب عن رشده يحملون ثيابه مع بعض النقود الى وكيل سيدي سليمان فينام بها ليلة ثم تعاد الى المريض فيشفى

وتذهب طالبات الزواج الى بئر احمد ليلاً وينضحن انفسهن بمائها فيقترب زواجهن ولا بد من اغتسالهن ليلة الزواج في عين جاموس . واكثر علاجاتهم الطبية من الوصفات القديمة المشهورة بين عامة الشرقيين

قليل ولكن يندر ظهورهن للناس . والسواد غالب في عيونهن وقد تجد فيهن عيوناً زرقاء او شهلاء ولكن نادراً . ويغلب في المرأة السيوية السمن وامتقاع اللون لانزوائها وقلة الحركة . ولباسهن جميعاً على زي واحد ولون واحد هو الازرق المخطط يحملون نسيجه من الجيزة . واكثراشتغالهن بصنع السلال وهن ماهرات فيه

اما الرجال فالغالب فيهم لبس الأثواب البيضاء او الزرقاء من القطن . وفوقها الجبة تشبه العباءة بتخطيطها والشيوخ والوجهاء يلبسون الثياب العربية البدوية

ويقسم السيويون من حيث الدين الى السنوسيين في الغرب اتباع السنوسي وهم ثلاثة اخماس الاهلين . والمدنيين في الشرق اتباع محمد ظافر المدني نزيل الاستانة وهم ما بقي . على انهم ينقسمون ايضاً الى الشرقيين والغربيين وكل منهما خصم للآخر ينازعه ويحاربه . وهو انقسام قديم لا يعرف اوله . اما اهل اغورمي فانهم على الحياد ينظرون الى ذلك الخصام عن بعد . وآخر نزاع جرى سنة ١٨٩٦ قتل فيه كثيرون ـ وذلك ان رئيسي الحزبين الشرقي والغربي حسونه منصور وموسى عثمان تخاصما في بعض الايام وافترقا وكل يضمر الشر للآخر . فاوعز حسونه الى احد مريديه ان اقتل ابن اخ عثمان . فاطاع وقتله فهاج حزب عثمان وقتلوا القاتل ودمروا داره حرقاً وبعد ذلك بيومين بينما كان الغربيون ذاهبين الى الغيط تعرض لهم الشرقيون واوسعوهم ضرباً فعاد هؤلاء بحماسة وتجمهروا واشتبك القتال بين الفريقين يومين . ثم خرجوا الى ظاهر البلدة لكي يتسع لهم مجال الطعن والضرب . وهناك حمي وطيس الحرب فقتل من الشرقيين ٧٥ ومن الغربيين ٨٤ وجرح كثيرون من الجانبين ولو لم يدخل شيخ جغبوب ويصلح بين الفريقين لافنيا بعضهما بعضاً . وتوسط في الصلح ايضاً شيخ نافذ الكلمة اسمه محمد منصور شيخ السراحنة في الغرب وهو من الراغبين في الامن وتأييد سلطة الحكومة توفي سنة ١٩١٠ فانتخب مكانه ابنه الشيخ عمران

والعرب هناك ينظرون الى السيويين بعين الاحتقار لكنهم يخافونهم لاعتقاد فيهم المهارة في السحر. والسيويون يعاملون العرب بالحذر وهؤلاء يقيمون في المضارب خارج سيوا . على ان السيويين ينظرون بعين الاحترام والولاء الى جغبوب لانها مقام الشيخ السنوسي وكثيراً ما يتقاضون الى شيوخها اذا اشتد الخصام بينهم . وكذلك يفعل اكثر اهل الصحراء . واشتهر اهل سيوا بفساد الآداب لكنهم اخذوا في اصلاحها بعد شيوع السنوسية بينهم . يقلّ فيهم القارئون ولعل هذا من اسباب فساد احوالهم. ولذلك فالحكومة المصرية جديرة بان تنشئ لهم مدرسة ترقي احوالهم الادبية

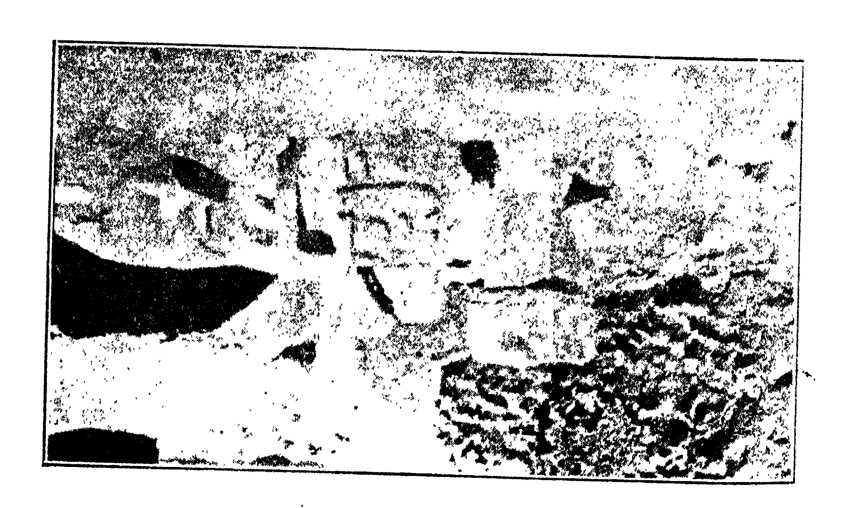
زالت تابعة لليونان الى ايام الاسلام . ففتحت في زمن عمر بن الخطاب على يد خالد . وكان خالد قد جاء البهنسا وخافه ملك مصر فاستنجد ملك سيوا فانجده بجند اهلكته العواصف في الصحراء . فلما بلغ ذلك الى ملك سيوا اخربها وردم اثارها وافسد مياهها لان السحرة اخبروه ان المسلمين سيفتحونها وينتفعون بمائها

ويقول السيويون ان الامام علياً فتح سيوا وقتل ملكها وكان اسمه رشام وينكر ذلك اخرون . وانتقلت سيوا الى المسلمين وهم قليلون وبعضهم من بني هلال والبرابرة وذكر الراوي تاريخاً آخر للقسم الشرقي من سيوا وتاريخاً للواحة الداخلة والخارجة وأطال في تاريخ سيوا الحديث على الاسلوب الذي قدمناه

اثارها

من اهم آثارها بقايا هيكل ينسب لجوبتير امون على ميل ونصف شرقي سيوا على احجاره كتابات هيروغليفية وبجانبه عين ردمت تعرف بعين الشمس .

ومن اثارها القديمة في جبل دكرور كهوف منحوتة في الصخر تسمى تناسور وفيه ست اساطين مربعة وبجانب الاساطين والوراء نقش باللغة اليونانية باحرف كبيرة



قصر الروم وعليه نقوش يونانية

وفي جبل مصابرين على نصف ميل شمالي سيوا تل له شكل يستلفت النظر لانه مغطى بالقبور او هي قبور منحوتة . وتسمى لذلك جبل الموتى . والقبور عبارة عن غرف تحت الارض مثل سائر قبور الفراعنة في مصر مستطرقة بعضها الى بعض ولها

تاريخها

تعدُّ سيوا من بلاد مصر القديمة فقد عاصرت دول الفراعنة . ولما فتح الاسكندر مصر في القرن الرابع قبل الميلاد اراد الشخوص اليها لزيارة معبدها فقيل له ان الطريق وعر قليل الماء . فلم ينثن عن عزمه فركب من الاسكندرية وقضى في الصحراء اياماً ومعه جماعة من رجاله فقاسوا جهداً شديداً من العطش والتعب ولو لم يدركهم الله بالمطر لماتوا عطشاً فزاروا المعبد وعادوا . ويقال ان الفرس لما فتحوا مصر قبل الاسكندر انفذوا الى سيوا جنداً لاخضاعها فلم يرجع منهم مخبر . ويظن انهم هلكوا بريح عاصفة غطتهم بالرمال فماتوا خنقاً

ويندر ذكر سيوا في تاريخ الاسلام والظاهر انها قلما خضعت لاحكامهم حتى تولى المغفور له محمد علي باشا ولاية مصر فانفذ اليها جنداً بقيادة حسن بك المعروف بالشماشرجي سنة ١٢٣٥ ﻫ ومعهم طائفة من البدو فافتتحوها وما زالت في حوزة الحكومة المصرية حتى الان

وقد نقل الكبتن ستانلي مندوب الحكومة المصرية الصحي الى سيوا في العام الماضي تاريخ سيوا كما يرويه الوطنيون — قال انه رواه له الشيخ عمر مسلم احد اعيان سيوا عن اوراق عنده خلاصتها :

ان اقدم رجل تولى سيوا ملك من اخميم الطالب ارسل اناساً من غرب مصر ليرودوا البلاد . فاعجبتهم سيوا فارسل ابنه في جند ومهندسين وبنائين واخذ ببناء المدينة فبنوها ورفعوا خبرها اليه فامرهم بحراثتها وزرعها ففعلوا . وصارت مملكته تمتد من برقة الى الصحراء واصوان والنوبة . واستشار السحرة والمنجمين فاشاروا ببناء هيكل ام بيضة (هيكل جوبيتر امون) وصار مزاراً للناس من اقصى الارض . وصنع الملك تمثالاً في الهيكل سماه سيوا ومنه اسم البلد وكانت تدعى قبل ذلك سنتريا . وكان في قرة الخزينة التي تدعى الان اغورمي اناسٌ اسمهم الطوات ودربي . ثم انقسمت سيوا الى مملكتين شرقية وغربية كان مقر ملك القسم الشرقي في خميسة . وامتدت سيوا في تلك الايام الى الاسكندرية ونوبيا وبلد الكفار . وبين سيوا والاسكندرية مسافة ١٢ يوماً كانت ماهولة في ذلك الزمان

وقال : ان اول من ملك سيوا كان يونانياً مسيحياً استنجده ملك طرابلس الغرب مرة فانجده بثمانين الف فارس بقدّ واحد وسنّ واحد ولون واحد وانتصروا . وما

جمع التكسير . والاعداد كالاعداد العربية الاَّ الواحد فهو عندهم « ايجين » والاثنان « سن » والعشرون « ايجنسين » . واسم الاشارة « هذا » للمذكر « اغروك » وللمؤنث « اختوك » وهذه الضمائر :

انا	نيش	نحن	انشيني
انت	شيك	انتم	انكنم
هي	انتاتت	هم وهن	انتن

وهاك مثالاً من تصريف الفعل عندهم في فعل « يفلا » ذهب

اذهب	جافلاغ
تذهب	تفلات
يذهب	يتيفال
نذهب	جانفيل
تذهبون	تفاليم
يذهبون	تفالين

وقس على ذلك مما يطول بنا شرحه

تاريخ الصناعة بمصر

في عهد محمد علي

كانت الصناعة في مصر قبل محمد علي باشا مثل بقية اخواتها من المرافق على حال الاندثار والانقراض ولا بدع في ذلك على بلاد اختلف عليها الظالمون وتقسمها الحكام المدمرون . فما كنت ترى رقعة في طول هذا القطر وعرضه الا وعليها ظالم يصبح اهلها بالعذاب ويمسيهم بالارهاق ويخترع لهم كل يوم من فنون الضرائب والجبايات اشكالاً والواناً ان لم يسلط الاغارة على حوانيتهم لانتهاب ما نشروا من السلع والعروض وعلى دورهم لاستلاب ما ادخروه من الاموال والاعلاق . فلمن كان يعمل الصانع وصنعته نهب مقسم ؟ والى من يبيع التاجر وسلعته نهب مباح . ولقد اوماً المرحوم علي باشا مبارك الى هذه الحال في بعض كتبه فسطر عنها ما نصه « وانعدمت الصنائع من

مدخل واحد وعلى بعضها بقايا هيروغليفية وفيها كثير من العظام البالية . وبعض القبور في شمالي الجبل المذكور يسكنها العرب . وفي قرة البلد في غربي سيوا وفي خميسة وعين الجاحظ وغيرها قبورمن هذا النوع

وهناك اكمة من الاحجارالمنحوتة بين خميسة ومراغة على سبعة اميال من سيوا تعرف بقصر الروم عليها نقوش بالاحرف اليونانية مصبوغة سوداء وبجوارها قبور كثيرة وامثال هذه الاثار متفرقة في اماكن اخرى (انظر الرسم)

لغتهم

للسيويين لغة خاصة بهم هي من لغات البربر سكان شمالي افريقيا . لكنها كثيرة الشبه بالعربية لكثرة ما دخلها من الفاظها . كما حدث في لغة النوبة في اعالي النيل ولكن لغة سيوا اقرب كثيراً الى العربية . على ان السيويين يتكلم اكثرهم اللغة العربيـة وتكاد لغة سيوا تصير عربية ولكن اللفظ فيها يختلف كثيراً . وقد نشر الكبتن ستانلي في تقريره المشار اليه قائمة كبيرة من الالفاظ السيوية كالمعجم وفسرها بالانكليزية هذه امثلة منها في العربية :

عربي	سيوي	عربي	سيوي
فوق	سنيتج	حمار	ايسيت
نصيحة	انيشا	خالة	اخا
خائف	ارفيا	عاطل	اشمل
عفش	دّباش	شعير	تمزين
زاوية	لودا	فرشة	ايلانين
حول	جنبينو	امام	ازدات
سهم	سد	خلف	ازفير
نائم	يnديم	احسن	كويس
يقظ	يتبعا	تحت	سديغ

وعلامة التأنيث عندهم التاء تضاف في اول اللفظ مثـال ذلك « فوناس » ثور « تافوناس» بقرة « اتشا » عطشان « تتشا » عطشانة . وقد تلحق التاء في الآخر كما في العربية . والجمع يصاغ باضافة « ين » او « ينا » الى المفرد وعندهم صيغ كثيرة

وحشدهم في القلعة سنة ١٢٢١ هـ وجمع لهم ما تفرق في الشوادر من الخشب والحديد فشرعوا في صنع آلات الحرب وصب المدافع وما يلزمها من العربات والعجلات

ولما اصدر السلطان محمود فرمانه سنه ١٢٢٤ هـ بتأييد محمد علي وبقائه على ولاية مصر وامره فيه باستخلاص مكة والمدينة من ايدي الوهابيين راى ان ينشيء عمارة بحرية مركبة من خمس عشرة سفينة لتسير بالجنود في البحرالاحمر فامر بقطع ما يلزم لبنائها من اشجار التوت والنبق في الوجهين القبلي والبحري . واقام على ساحل بولاق ترسانة كبيرة وصلها بالمعامل المختلفة وحشد اليها الآلاف من الصناع وتم فيها بناء تلك السفن وحملت على ظهور الجمال قطعاً الى السويس حيث انشيء فيها دارالصناعة تم فيها تركيب تلك السفن واعدادها

ثم انشأ رحمه الله المعامل الكثيرة لغزل القطن بعد ما ادخل زراعته الى القطر المصري وامر بغرس الكثير من شجر التوت حتى اذا نما وعظم اتى له من الشام وغيرها باهل الخبرة في تربية دود القز . وشيد معامل الحرير حتى اصبح من الحاصلات المصرية وباتت صناعته من جملة الصناعات الوطنية

واقام كذلك معامل الجوخ وغيره من مختلف الاقمشة والبسط والطرابيش والزجاج والشمع واستخراج الزيوت والاعطار وعمل الصابون وتكرير السكر وطبع السيوف وصب المدافع وصنع سائر الاسلحة النارية والسكاكين والمطاوي والساعات وطقوم الخيل وسبك المعادن وتركيب الاحجار الثمينة والتجليد وصناعة الورق وغير ذلك مما لا يكاد يبلغه الاحصاء من المعامل المتعددة التي بثها في كثير من بلاد القطر بعد ان استقدم اليها في اول الامر من يدير شؤونها من مهرة المعلمين والصناع باوربا

ومع انشائه رحمه الله مدرسة للصنائع واخرى للمعادن فقد بعث البعوث في هذه الاثناء من نجباء الطلبة المصريين الى اوربا لاتقان وجوه الصناعات حتى تستغني البلاد بهم في اقامة صناعها وادارة معاملها عن الاستعانة باليد الاجنبية

واشار في هذا الباب بالحكمة البالغة وهي انه لا يبتاع المصري سوى صنعة بلاده ولا يتخذ في جميع حاجاته الا ما كان صادراً عن معاملها . وجعل نفسه القدوة الحسنة في ذلك فكان لا يقبل من تجار الاجانب ما يعرضونه من انواع السلع والاسلحة الا باقل مما ينفق على امثالها في المعامل المصرية ويؤثر عليها الصناعة الوطنية بالغاً ثمنها ما بلغ موقناً بأنه اذا انفق عشرة دراهم على السلعة الوطنية فهي داخلة بجملتها في جيوب المصريين وان هو اخذ مثلها من الاجانب بخمسة فهي خارجة برمتها من ايديهم .

القطر الا الدنيء وانحصرت صنائعه بعد السعة في قزازة الكتان والصوف وعمل الضبب بعد ان كانت القزازة في مصر من اشهر الاعمال في الاقطار وكذا النجارة والسباكة فلم تزل تتقهقر ويرحل الصناع لتسلط الفقر وكثرة الهرج وموت البارع جوعاً حتى انمحت آثارها وعمت هذه الاهوال جميع انحاء القطر » اه

ولم يبق هناك من اثر للصناعات سوى صناعة الحصر والاحذية البلدية (المراكيب)

أما صناعة النحاس فقد كاد ينمحي اثرها من البلاد واصبحت آنية النحاس مما يعتز به الوجهاء ويتنافس في اقتنائه الامراء حتى لقد كان الكثير منهم يطبعون اسماءهم والقابهم على حواشيها اعتزازاً بها وافتخاراً باقتنائها . فاذا وقع شيء منها لمن دونهم فتلك الذخيرة الكبرى تدخر في جملة اعلاقهم ونفائسهم وكانت اعلى ما يتنازعه وراثهم من ابنائهم وحفدتهم

واما الصياغة فاحر بمن عزعليهم النحاس ان لا يسيل بين ايديهم النضار . واخلق بمن كانت تشق جلودهم وتسمر آذانهم حتى يخرجوا الى الحكام ما دسوا من الدراهم في جوف الجدران او خلال السقوف ان لا يطرحوا تحفهم وحلية نسائهم بين ايدي الصاغة على وضح الطريق

وكان عامة الناس يسرجون بالزيت في بيوتهم اما الكبراء الذين كانوا يتخذون الشمع فقد كانوا يصنعونه في دورهم

واما فنون العمارة والبناء التي اشتهرت بها مصر من قديم الزمان وبلغ الصناع فيها اقصى حدود البراعة والاتقان فقد تغير لها الدهر فيما تغير . ولا عجب في هذا ما دام اهل البلد كانوا اخوف الناس ان تظهر عليهم آثار النعمة بتشييد البناء واتخاذ القصور وما دام الصناع كانوا على وجل من تسخيرهم للعمل في ابنية الامراء من غير اجر ولا جزاء

هذا بعض ما يقال عن الصناعة الوطنية في مصر لاخر عهد المماليك حتى اصبح اكثر ما يباع وما يشرى من واردات البلاد الاخرى . وكان ارباب الحوانيت في الاسواق لا يأمنون على بضائعهم من الاغارة عليها فكانوا يلجئون الى انتحال النسبة الى بعض الامراء على جعل معلوم يقدمونه لهم في مقابلة حمايتهم بالانتماء اليهم فكان الباعة يغالون في الاسعار حتى يتيسر لهم اخراج ما التزموه للامراء ثمناً لصيانة متاجرهم

استلم محمد علي باشا زمام الحكم في مصر وشأن الصناعة على ما تقدم فنظر اليها نظرة الطبيب الحاذق وصرف همه الى احيائها فبدأ بالتقاط من بقي من ارباب الصنائع

الانسانية في مهدها

او تاريخ الانسان قبل زمن التاريخ

١ - ظهور الانسان ونمو اللغات ونشوء الصناعات

قلما نفكر ونحن في القرن العشرين بما كان عليه اباؤنا الاولون من طرق المعيشة على اختلاف مظاهرها . وانما ننصرف الى مدنية اليوم فننظر الى الانسان كما هو الان ولا يهمنا البحث في كيف توصل الى حاله الحاضرة — على ان درس الانسان في حاله الاولى وتتبع تاريخ تدرجه في سلم الانسانية ونشوء علومه ومعارفه وما اكتنف ذلك النشوء من الظروف والاحوال — ذو فائدة عظمى والماضي مرآة المستقبل فاذا احطنا بتاريخ نشوء المدنية وارتقائها ووقفنا على السنن التي سار التقدم بمقتضاها هان علينا قياس الماضي على الحاضر فننظر الى مدنية اليوم بعين الحكمة والاختبار فيكون حكمنا في مستقبلها اقرب الى الصواب

قضى الانسان قروناً قبل زمن التاريخ وهو اشبه بالحيوان منه بالانسان . وقد سمينا هذه المدة « الانسانية في مهدها » لان انسان تلك الايام طفل بالنظر الى انسان اليوم . وسنراه كالطفل لم يكن يفقه شيئاً في البدء ثم اخذ في الارتقاء فتعلم اللغات واخترع الآلات وحرث الارض وازاح اللثام عن قوى الطبيعة واستخدمها ووضع العلوم والفنون المختلفة . او بكلمات اخرى سنراه كيف وضع اساس المدنية

نسب الانسان

اول ما يتبادر الى الذهن عندما نرى طفلا ان نسأل «من هم اباؤه ومن اين هو؟» ثم « ما عمره ؟ » — واذا سألنا العلم الحديث مثل هذه الاسئلة عن الانسان الطفل اجابنا عن السؤالين الاولين بلسان مذهب النشوء والارتقاء الذي يقول ان الانسان ارتقى بواسطة الانتخاب الطبيعي عن نوع احط منه — ولا حاجة بنا الى الافاضة في الادلة على ذلك بل يكفينا ان نلقي نظرة الى الانسان (اولاً) من حيث تركيب جسمه فنرى انه والقرود من فصيلة واحدة لانهما يتفقان في الخصائص الفيسيولوجية والتشريحية التي يتوقف عليها تقسيم عالم الحيوان اليوم . فالانسان من هذا القبيل اقرب الى ارقى انواع

وبذلك راجت الصناعة المصرية رواجاً عظيماً وشاع استعمالها بين الناس شيوعاً كاملاً

ومن آثاره رحمه الله في الصناعة انشاء المطبعة الكبرى ببولاق التي شاع ذكرها في الخافقين ونشرت من الكتب ما لا يبلغه العد في فنون الحرب والسياسة والطبيعة والتاريخ والجغرافيا وعلوم الدين والادب والحكمة وغيرها

واقام للمدارس العسكرية خاصة مطبعتين اخريين احداهما في الجيزة والثانية في طره طبع فيهما العدد الكبير من كتب القوانين في اللغتين العربية والتركية ليزيد رجال عسكريته فقهاً في علومهم واتساعاً في مداركهم

ولم تقف همة محمدعلي عند نشر الصناعة في القطر المصري وحده بل تجاوزته الى اتخاذ المعامل والمصانع في دنقلة والخرطوم وقد اسس في الخرطوم سنة ١٢٢٩ دار صناعة واسعة واقام بها معامل للنجارة والحدادة وغيرها . وفيها انشئت السفن العظام حتى صارت الخرطوم من ذلك الحين محطة لجميع التجارات السودانية

وفي سنة ١٢٤٢ انشأ « دار صناعة الاسكندرية » فتمت في عام ١٢٤٥ وكان بها خمسة (مزلقات) لصناعة السفن واقيم فيها اربعة عشر مصنعاً وبلغ المشتغلون فيها ثمانية آلاف من الشبان المصريين الذين تخرجوا على مهرة المعلمين الاوربيين وانتهت المراكب التى صنعت فيها من الجودة والاتقان الى حد اصبحت تضارع معه اعظم السفائن لاعظم دول البحار في ذلك الحين

اما فنون العمارة والبناء فلم يكن حظها من عناية محمد علي باضعف من حظ غيرها فلقد بني من القناطر والجسور واقام من التكنات والقصور ما لا يحيط به العد ولا يبلغ مداه الوصف وقد كتب التاريخ انه اول من ادخل المباني الرومية في الديار المصرية (شيخ جامع القلعة) (مجلة الملاجيء العباسية)

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال : العدد ١ من سنة ٩ و٣ و٨ من سنة ١٥ و١ و٢ و٦ و٨ من سنة ١٦ و١ و٨ و٩ من سنة ١٧ و١ و٢ و٣ من سنة ١٨ و١ و٢ و٧ من سنة ١٩ فمن كان لديه هذه الاعداد او بعضها يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه



بقايا الانسان منذ ٢٠٠٠٠ سنة

ادوار نشوئه رايناه يتدرج في هذه الطرق مبتدئاً بالحركات والاشارات فالاصوات فالكلمات فالكتابة

ان القول المأثور « الحاجة ام الاختراع » ينطبق على اللغات كما ينطبق على غيرها . فالانسان تكلم لاضطراره الى التفاهم التماساً للتعاون على الطوارىء الطبيعية . هذا هو الراي الشائع بين علماء اللغات وقد جاهر به الفيلسوف الشاعر لوكريتيوس منذ قرون قال « سبب وجود اللغة افتقار الانسان اليها » — واللغة تشتمل على قاعدة واحدة في نشوئها وهي « كلمات جديدة لتصورات جديدة » فهي بهذا الاعتبار من الظواهر الطبيعية ترتقي وتنحط تبعاً لناموس النشوء والارتقاء — و « تنازع البقاء وبقاء الانسب » فهذه النواميس تسري على الكلمات كما تسري على الكائنات الحية

الكتابة

هي اللغة في شكل محسوس منظور وقد شرح فلاسفة اللغة كيفية نشوء الحروف الكتابية كما يأتي : كانت الكتابة في الاصل رسوماً تمثل الاشياء فيفهمها كل من يطلع عليها فاخذت هذه الرسوم تتحول شيئاً فشيئاً الى اشارات مختصرة لا يفهمها الا من تلقنها . وما زال عددها يقل حتى انحصرت في بضع عشرات وهي ما نسميه بالحروف ولا يزال فيها اثار من اصلها التصويري

القرود من قرب هذه الاخيرة الى الانواع المنحطة عنها . ومذهب النشوء والارتقاء لا يدعي ان الانسان ارتقى عن القرد لكنه يقول ان كليهما تفرعا من نوع متوسط بينهما وهو ما يسمى بالحلقة المفقودة . (ثانياً) من حيث القوى العقلية . وعلاقة الانسان بالحيوان ظاهرة فيها مثل ظهورها في اعضاء الجسم . فاذا قابلنا طفلاً مع صغير من صغار الحيوانات القريبة من الانسان راينا الاخير ارقى من الاول من حيث الادراك والتعقل وان كليهما حاصلان على القوى العقلية . فالشعور والتصور وقوة مقارنة الافكار سواء فيهما . وقد ثبت ان الحيوانات يمكنها ان تحصر قواها العقلية في دائرة محدودة من الافكار المتقاربة — او بكلمات اخرى يمكنها ان تميز وتحكم . لكنها لا تتعدى عالم المحسوسات والانسان يمتاز عنها بانه يتجاوزه الى عالم النظريات والتخيلات فهو وحده يمكنه ان يفكر في مثل الحياة والموت واصل الكون وسبب الوجود وغايته . ومع ذلك فلدى الحيوانات قوى اخرى تساعدهم على زيادة اختباراتهم كحب الاطلاع وقوتي العد والقياس واللغة (ونعني باللغة واسطة التفاهم) وبالاجمال فان الفرق بين عقل الانسان وعقل الحيوان نسبيّ لا نوعيّ

عمر الانسان

لا يسمح لنا المقام ان نتوسع في هذا الموضوع فنقول بالاختصار ان عمر الانسان ما زالوا الى القرن التاسع عشر يقدرونه بما ورد في المصادر المدونة . اي ان عمر الارض والانسان جميعاً لا يتجاوز ستة الاف او سبعة الاف سنة . ولكن علم الجيولوجيا يناقض ذلك ويجعل عمر الانسان (وهو حديث بالنسبة الى غيره من المخلوقات) يتراوح بين العشرين الف والمئة الف سنة وعلماء الاثار واللغات يؤيدون الجيولوجيا في ذلك

طرق التعبير — اللغة

ومن اهم ما احتاج اليه الانسان في طفولية عمرانه التفاهم بالتعبير عما يخالج نفسه من الم وسرور وحب وغضب ونحو ذلك فكان افتقاره هذا داعياً الى تولد اللغة

وطرق التعبير خمس : ١ الحركات والاشارات ٢ الاصوات ومنها نشأ (٣) الكلام ٤ التصوير ومنه نشأت (٥) الكتابة

والطريقتان الاوليان يشترك فيهما الانسان والحيوان . اما الثلاث الطرق الاخيرة فلا تتعدى الانسان فهو المخلوق الوحيد المتكلم والمصور والكاتب . واذا رافقنا طفلا في

وبديهي ان يستعمل الانسان الحجر قبل سواه لهذا الغرض .وبالاختبار علم ان الصوان اقسى انواع الحجارة . فصنع منه ادواته واسلحته على شكل اعضائه لانها اول ما يتبادر الى الذهن فكانت مدقته (الشاكوش) على شكل رجله والآلات الحادة الاطراف على شكل اظافره وقواطعه .



كيف كانوا يصطنعون الادوات الحجرية قبل التاريخ

وكانت هذه الادوات في البدء خشنة غير متناسبة فحسنها تدريجياً بصقلها وتهذيبها . وقد يسمى الزمن الاول الذي كان يستعمل فيه الانسان الحجار « الدور الحجري » وهو قسمان الدور الحجري الاول والدور الحجري الثاني . وفي هذا الاخير تجاوز الحجر الصواني الى غيره من الانواع . وكان يستعمل ايضاً مع الحجارة الاخشاب والعظام والقرون الكبيرة

اللباس

يحمل الحيوان لباسه على ظهره بصورة الحراشف او الريش او الشعر . ولكن الانسان على الاجمال لا بدَّ له من اصطناع لباس يلتف به يقيه شر البرد . ومن اقدم البسته ورق الشجر وجلود الحيوانات . وقد وقف الباحثون على آلات لسلخ الحيوانات تدل على ان الانسان كان يستخدم جلودها كساء له . ويرجح انه كان يلينها قبل لبسها . ويعتقد احد علماء الالمان ان الانسان كان يتصل الى ذلك بدق دماغ الحيوان في داخل الجلد فيتلطف سطحه بهذه الطريقة . ثم اخترع الانسان الغزل لاصطناع الخيطان واعطته الطبيعة معلماً ماهراً في هذا الفن نعني نوعاً من الطيور يسمى الطير الخياط



صورة ما يخطر للانسان ان يكتبه ليدون حادثة جرت له قبل اختراع الكتابة . خلاصتها ان اعداء جاءوا من البحر وبعد مسير ٣ ايام نزلوا الشاطيء صباحاً

وبعض القبائل المتوحشة كالاسكيمو والتسوكتسو وسكان اميركا الوسطى وغيرهم لا يزالون في دور الكتابة التصويرية الى اليوم

النار

الانسان هو الحيوان الوحيد الذي يستخدم النار ولم يقف المكتشفون حتى الان على قبيلة لا تستخدمها — قال داروين : « ان النار اهم ما حصل عليه الانسان بعد النطق » — ولا شك ان فكرة النار اتت الانسان بمشاهدة مصادرها الطبيعية كالبرق والبراكين والينابيع الزيتية الفجائية الالتهاب . وكان الانسان الاول يولد النار باحدى الطريقتين التاليتين :

الاولى : حك نوعين مختلفين من الخشب ويرجح ان هذه الطريقة نشأت من ملاحظة الحرارة التي تتولد في اثناء صقل الخشب

الثانية : تصادم حجرين من الصوان فتتطاير منهما شرارة تقع على مادة سهلة الالتهاب فتشعلها — ويظن اللورد افبري ان الانسان توصل الى هذه الطريقة في اثناء اصطناع ادواته الحجرية لان ذلك يستوجب احتكاك الاحجار وتوليد الشرر منها

الالات والاسلحة

كان الانسان في تلك الايام محاطاً بالاخطار لا يأمن على حياته من الحيوانات المفترسة فاضطر الى سلاح يساعده على مقاومة اعدائه ولم يكن لديه غير اظافره ويديه واسنانه وكان يستعين بالاحجار والاغصان اليابسة ولكنه يمتاز على سائر الحيوانات بخصائص مكنته من صنع الاسلحة والآلات المختلفة واستعمالها نعني (اولاً) وقوفه على طرفين من اطرافه بحيث يمكنه ن يستعمل الطرفين الآخرين و (ثانياً) نعومة يديه وسهولة حركات انامله وقابليها للتعليم

وما عدا هذه المساكن البرية فقد لجأ الانسان ايضاً الى البحيرات ليكون في ما من من هجمات الحيوانات المفترسة . وقد وجدوا بقايا من امثال هذه المساكن في بحيرات سويسرا وغيرها

الملاحة

ولا بد للانسان قبل سكنى الماء ان يعرف شيئاً عن الملاحة . وابسط ما يستعمل لهذه الغاية جذوع الاشجار . فاذا ربط جزعين فاكثر معاً استطاع ان يحمل عليها اثقالاً كبيرة — ثم علم انه اذا انتفخت جلود بعض الحيوانات بحيث تمتلىء هواء يمكنها ان تحمل حملاً كبيراً . فتوصل الى وضع اربعة من هذه الجلود المنتفخة في زوايا الجذوع المرتبطة فتصير قادرة ان تحمل عدة اشخاص — ومثل هذا المركب يمكن للرجل ان يرسله فوق الماء ويسبح خلفه ويسوقه دفشاً امامه كما هي العادة الى اليوم عند بعض القبائل المتوحشة

ثم ان الاختبار علم الانسان انه اذا استعمل جذعاً مجوفاً يسعه يقدر ان ينتقل عليه سابحاً وهذه اول سفينة تخيلها العقل البشري وهي اساس فن الملاحة — وقد وقف النقابون على سفن يختلف طولها من مترين الى خمسة امتار في اماكن مختلفة من اوربا يرجع تاريخها الى الدور الحجري الثاني

الحيوانات الداجنة

الملاحة من الفنون الخاصة بجنس الانسان ولكن تربية الحيوانات والانتفاع بها لا يحصران فيه فان النمل مولع بمادة حلوة يجمعها نوع من الهوام يستخدمه النمل في جمعها فلا يكتفي بان يفتش عن تلك الهوام في الاشجار بل هو يأسرها ويأخذها الى مساكنه فيحتفظ بها ويحتلبها بان يضرب بطنها فتخرج تلك المادة الحلوة فيتناولها

واول حيوان استخدمه الانسان — على ما نعلم — هو الكلب . وما برح من ذلك الحين خادماً اميناً له . ثم الثور والماعز ونحوهما ثم استخدم الفرس والحمار وبعض الطيور

الملح

لا بد للانسان من كمية معينة من الملح لحفظ جسمه فكان في البدء يحصل على هذه الكمية من اللحوم التي كان يتغذى بها — ثم علم ان الرماد فيه ملح فاستعمله لذلك — ثم أخذ يستخرج الملح من المستنقعات قرب الشواطىء حيث يبخر الماء عنها ويبقى الملح



الانسان في العصر الحجري

يكتسي بالجلد ويدافع عن نفسه باساحة صنعها من الصوّان

بخيط اوراق وكره بخيط يغزله من القطن . وبعد الغزل تعلم الحياكة ويظن ان الاوتار اللحمية كانت تقوم عنده مقام الخيط في اول الامر . ويؤيد هذا الرأي ان استعمالها شائع حتى اليوم بين الاسكيمو لربط ملابسهم

المأوى

يرجح ان الانسان في الدور الحجري الثاني كان يبني اكواخاً على الاشجار كما تفعل بعض القبائل المتوحشة في سومطرة والهند الجنوبية اليوم فهو بذلك يعمل عمل القرود — فالغورلا والشمبانزي والاوران اوتان يقضون لياليهم في اكواخ يبنونها على الاشجار

ولا شك ان الانسان كان يلجأ ايضاً الى المساكن الطبيعية كالمغائر والكهوف وجذوع الاشجار الكبيرة المجوفة — وقد وجدوا ادوات ومصنوعات متنوعة في كثير من المغائر تدل على سكنى الانسان لها

والادلة كثيرة على ان الانسان سكن باطن الارض في الزمن قبل التاريخ وقد ذكر زينوفون الكاتب اليوناني في رحلته الشهيرة انه وجد في ارمينيا قوماً يسكنون حفراً كالآبار مداخلها ضيقة . وعثروا على مثل هذه المساكن في اماكن مختلفة من اوربا وجدوا فيها بقايا تدل على ان ساكنيها عاشوا في الدور الحجري الاول

وكان الانسان يبني ايضاً اكواخاً من الطين مربعة الشكل في كل زاوية منها عامود وبين العواميد جسور من الخشب . وعلى هذا الهيكل الخشبي كان يصب الطين الممزوج بالقش

في سبيل الهلال الاحمر

ثلاث قصائد تليت في احتفال الهلال الاحمر في ٢١ يناير الماضي ننشرها حسب تلاوتها :

قصيدة الامير شكيب ارسلان

سلا هل لديهم من حديث لقادم ... عن الغرب يروي فيه غلة هائم
وهل وردتهم عن كريم مقامه ... جسام المعالي في لطاف النسائم
وهل نظروا من نحو (برقة) موهناً ... فلاحت لهم منها بروق الصوارم
تألق في ليلي ظلام وقسطل ... فترسل سحب الدمع من طرف شائم
مواطن اخوان تملوا من الردى ... كؤوساً تساقوها بملء الحلاقم
دفاعاً عن الاوطان ان حفاظها ... لدى كل عصر كان اولى المكارم
بلاد تولوها بحق وحوزة ... لها كل حام طارد كل حائم
تهيبهم فيها العدو معالناً ... فجاء دبيب اللص في جنح قاتم
ولين في اقباله من اهابه ... وهل يخدع الانسان لين الاراقم
فما فزعوا الا وعصم ديارهم ... فرائس في كف العدو المهاجم
فثاروا وما كانت ثعالب رومة ... من العرب اكفاء الليوث الضراغم
وحسبك منهم كل قوم نمتهم ... ارومات قحطان ونبعة هاشم
ونعم سقاة الموت هم كلما بدت ... بروق المواضي في رعود الغماغم
وكم وقفوا يستنصفون عدوهم ... وهزوا من الاملاك جذع المراحم
فلما رأوا عجز الدليل تطلبوا ... لدى الصارم البتار صدق التراجم
فلم يك حد السيف كاليوم قاضياً ... ولا العهد مثل الان احلام حالم
ولا طال نوم السيف الا تيقظت ... عيون الدواهي منه عن جفن نائم
اخلاَّي سوق للمنايا مقامة ... تباع خفافيها غوالي الجماجم
وقد وهبوها لم يضنوا بمنفس ... حناطاً لاوطان لهم ومحارم
فهل لكم في سوق (برّ ورحمة) ... تسومون فيها باقيات المغانم
غياثاً لملهوف ونصراً لصارخ ... وضمداً لمجروح وقوتاً لصائم
فما خمدت نار العظائم مرة ... لعمرك الا بانصباب العزائم
كفى (بالهلال الاحمر) اليوم هادياً ... لمن حار في ليل من الخطب داهم
واكرم بام المحسنين التى زرى ... جداها بلج العيلم المتلاطم

الزراعة

ليست الزراعة من الصنائع الخاصة بالانسان فان النمل الذي ذكرنا انه يربي بعض الهوام يعرف ايضاً كيف يزرع بعض الاعشاب المفيدة له . ومن المرجح ان الانسان بدا يستعمل النبات للغذاء في الدور الحجري الاول . ولكن لا نعلم اذا كانت تلك النباتات برية او مزروعة . ووجدوا في احد الكهوف بفرنسا كمية من القمح وبذوراً من بقايا الدور الحجري الثاني . ويدلك ذلك على ان الانسان اتخذ في هذا الدور مساكن ثابتة لان الزراعة تستوجب الاستقرار لتعهد الزرع . ولم يكن لدى الانسان يومئذ آلات حديدية يحرث بها الارض وانما كان يستعمل عصياً من الخشب لهذه الغاية

هذا شيء من حالة الانسان قبل التاريخ . نستدل عليه بما بقي من اثاره او بالقياس على القبائل المتوحشة الآن . وسنأتي في مقالة أخرى على وصف الحالة الاجتماعية والعلمية والدينية في تلك الايام

(المدرسة الكلية في بيروت) اميل زيدان

جذلان هينة عليه جراحه وجراحه في قلب كل غضنفر
ضمدت باهداب الجفون وطالما ضمرت باعراف الجياد الضمر
عواده متمسحون بردنه كالوفد مسح بالحطيم الاطهر
وتكاد من نور الاله حياله تبيض أثناء (الهلال الاحمر)

***

يا بنت الهامي دعاء معظم لسماء عزك في البرية مكبر
توفيق مصر وأنت اصل في الندى وفتا كما الفرع الكريم العنصر
انتم جمال الشرق زين ملوكه لا زال بيتكمو جمال الاعصر
لكمو الندى آثاره وحديثه شغل السميع ونور عين المبصر
النيل فجَّر مشرعين وعيلماً وتفجرت يمناكِ خمسة ابحر
احييت في فضل الملوك وعزهم ما مات من ام الخليفة جعفر
ان الذي قد ردَّها واعادها في بردتيك اعاد فيَّ البحتري
فنظمتْ ما نثرتْ يمينك شاكراً لا يحسن الاحسان ما لم يشكر
اني رايت على الرجال مظاهراً فعلمت ان الفضل كل المظهر
وعلمت ان من النساء ذخيرة غير الثناء لنفسها لم تذخر
لما توليت (الهلال) رفعته بين السها شرفاً وبين المشتري
ولكم دعوت نساء مصر لصالح فنهضن فيه يقلن عائشة اؤمري
فكأنهنَّ عقائلٌ من هاشم وكانك الزهراء فوق المنبر

قصيدة خليل افندي المطران

كم بطل امسى ولم يسمر تحت هلال الرحمة الاحمرِ
هوى صريعاً لم تدله يدٌ في مطعنٍ منه ولا منحر
ولو تغشَّاه العدى لانثنوا مُقبلهم يعثرُ بالمدبر
لكن دهته من علٍ كُتلةٌ مرسلة من قاذف مبحر
هبت وقد مدت شظايا لظى ناشبة في الجو كالمنسر
ثم ارتمت تصدع من صادفت في المرتمى من حيث لم ينظر
لهفي على العاني وما يتشكي كأن ما في الصدر في المغفر
اوهت رجوم الغيب اضلاعه لكن نبت عن نفس مستكبر

سليلة الهامي فمن كل جانب ... لها صيب نحو البحور الخضارم
وحق لقوم امطرتهم هباتها ... بان يأملوا قرب انفراج المآزم
وحاشا بلاداً انتم عن يمينها ... يفتّ باعضاء لها ومعاصم
تخيلتها شوقاً على بعد دارها ... تصافحكم بالقلب لا بالبراجم
وكيف ترون الخفض في ظل نعمة ... ولم يك مثل الخشن صوناً لناعم
واخوانكم بالغرب صرعى مقيلهم ... ظهور المزاكي او بطون القشاعم
لقد حوصروا براً وبحراً وامطروا ... بجمر المنايا من سواد الغمائم
نعم اننا من امة عربية ... تكافح عنها عاديات الاعاجم
ولو انصف الاقوام في حقهم رأوا ... مواساتهم فرضاً على كل آدمي

قصيدة شوقي بك

جبريل هلل في السماء وكبرِ ... واكتب ثواب المحسنين وسطرِ
سلْ للفقير على تكرمه الغني ... واطلب مزيداً في الرخاء لموسرِ
وادع الذي جعل (الهلال) شعاره ... يفتح على امم الهلال وينصر
وتولَّ في الهيجاء جند محمد ... واقعد بهم في ذلك المستمطر
يا مهرجان البر انت تحية ... لله من ملاء كريم خير
هم زينوك بكل ازهر في الدجى ... والله زانك بالقبول الانور
حسنت وجوهك في العيون واشرقت ... من كل ابلج في الاكارم ازهر
كثرت عليك اكفهم في صوبها ... فكأنها قطع الغمام الممطر
لو يعلمون (السوق) ما حسناته ... بيع الحصى في السوق بيع الجوهر
جبريل يعرض والملائك باعةٌ ... اين المساوم في الثواب المشتري
ومجاهدين هناك عند معسكر ... ومن المهابة بين الف معسكر
موفين للاوطان بين حياضها ... لا يسمحون بها وبين الكوثر
عرب على دين الابوة في الوغى ... لا يطعنون القرن ما لم ينذر
الفوا مصاحبة السيوف وعودوا ... اخذ المعاقل بالقنا المتشجر
يمشون من تحت القذائف نحوها ... لا يسألون عن السعير الممطر
في اعين البارىء وفوق يمينه ... جرحى نجلهم كجرحى خيبر
من كل مممون الضماد كانما ... دم اهل بدرٍ فيه او دم حيدر

منطاد جوٍّ فارس راجل | خوّاض بحر في الدجى مبصر
قلت لقد حــلّ المصاب الذي | يوقظها يا نفس فاستبشري
ما لشعوبٍ جمدت باعثٌ | كالحطب مهما يطوها تنشر
يا امتي درّك در العلى | وانبــة بالطارف المنكر
كوثبك المعهود من سالف | ايام يأبى العزم ان تصبري
جافيت مهد الذل معتزة | فطاولي الدنيا ولا تقصري
عودي الى مجدك محسودة | وفاخري محمودة وانخري
سودي كما سدت قديمــاً بلا | حدّ من الشم ولا الابحر
ما بك صعلوك فايٌّ بدا | امر له في الناس فليأمر
وكل قدم فيك او عالم | ما شاء ان يكبر فليكبر

***

الله في ابطالك الصيد من | دهاة حرب غيب حضر
اذا عدا فارسهم اسفرت | عن ملك ثائرة العثير
يهاجم المدفع في غيله | كالقشعم الساطي على قسور
فمــا درى المطلق الا وقد | اصبح في اصفاد مستأثر
والليث غنمٌ في يدي غانم | يحمل كالشيء الخفيف الذرى
فان مشى راجلهم طاوياً | مئزرهُ فالحتف في المئزر
كالفهد ان يقفز وكالهر ان | يهبط وشبه الحوت ان يعبر
وحيث يحلل راقباً صــيده | غاب على الصيد فلم ينفر
يكتمه موضعه فهو في | حشاه كالذمة لم تخفر
ولا يروع القوم من بطشه | ادهى من البغتة اذ ينبري
حيث الثرى ما عهدوا ظاهراً | لكــنه ذو خطر مضمر
والغور صاغي الاذن والغار ذو | انسان عين دار في محجر
فبينما هم في ضــلال وقد | تهادت الاظهر بالاظهر
اذ خذتهم صيحة من عل | تنقض او تطفر من مطفر
فافترقوا واستبقوا شزباً | ناجين من قارعة المحشر
لكنما تسبق ابصارهم | ايدٍ تقر الجأش في الخور
نفطية الوهج ترى حليها | من دمهم والجو كالعنبر

في حين ان الليث ان يدمه راجمه من الم يزأر
والسيف ان يثلم له صلة وصلة اوجع ان يكسر
وكهرباء الغيم ان تصطدم بذات برق مثلها تجأر
اما صريع الحرب من جندنا فيأنف البث وما يمتري
لو ضارعت قوته عزمه لاقى المبيدات ولم يدحر
منتفياً بأس العوادي به كما انتفى العنصر بالعنصر
انظر الى الآسي ملماً به يجيل فيه طرف مستعبر
حزناً على ذاك الجريح الذي يجف سقماً في الصبى الانضر
وذلك المجد طريحاً على مهد الضنى في سيب مقفر
تحت سراج حائل راجف انّى تخطره الصبا يخطر
يضيء خطفاً ودماء الفتى تقذف بالنير فالنير
في نكتة الياقوت من نضحها وفدٌ كوفد الحومة المسعر
لو لم يكن حرٌّ كفى حرها او لم يكن ضوء كفى ما تري
ابطالنا الصرعى جعلنا ندي كل شجاع منكم عبقري
هيهات يغني ناعم خامل من خشن يوم التنادي سري
أثرتم المثلى لكم خطة ومن يخير في المنى يختر
فكان اسمى الفخر ما ابتعتم وكان ادنى العيش ما نشتري
اجراً وفاقاً والعلى فدية ولا علىً في خدعة الميسر
هل يستوي مستبسل منجد وآمنٌ يقمر في مقمر

***

يا معشر العرب الكرام الاولى بهم اباهي كلَّ ذي معشر
يا امة انكرت تفريطها انكار لا قالٍ ولا مزور
يصدق من يوقظ حبا له وقد غنى عن طارىء منذر
كم بتُّ استشفع منها لها ونومها من ريبه مسهري
سهران لكنّ رجائي بها مؤانسي في ليلي الاعكر
كالكوكب الثابت في قطبه يسطع في فكري وفي منظري
عاتبتها حتى اذا روعت بطيف شرّ اشعث اغبر


نعمان الخوري

جاءنا بالامس نعي المرحوم نعمان الخوري قنصل فرنسا في مراكش . فانه من اولئك الاذكياء النشيطين الضاربين في الارض في سبيل الرزق من طريق السياسة فنال منها حظاً واحرز عند الفرنساويين مقاماً رفيعاً

ولد في بكاسين بلبنان سنة ١٨٥٦ من عائلة وجيهة وتلقى العلم في المدرسة الوطنية للمرحوم المعلم بطرس البستاني حتى اتقن اللغات العربية والتركية والفرنساوية والانكليزية فضلاً عن سائر العلوم . والبستاني رحمه الله اول من انشأ مدرسة وطنية في سوريا وكان كثير السهر على تربية اخلاق تلامذتها واكثر المتخرجين فيها كانوا من النابغين . وكان في المرحوم نعمان ميل الى الادب فظهرت في الجنان وغيره مقالات من قلمه . ثم استدعي الى باريس للمساعدة في تحرير جريدة البصير وكانت فرنساوية النزعة على عهد غمبتا فلما سقط هذا تعطلت الجريدة . وكان نعمان قد عرف بين رجال السياسة فادخلوه في خدمتها فتعين اولاً في حكومة تونس تدرج فيها حسب استعداده واجتهاده وصدق خدمته الى مترجم اول القنصلية وانتقل بهذه الوظيفة الى القاهرة سنة ١٨٩٤ وارتقى الى فيس قنصل فيها سنة ١٨٩٦ ومنها انتقل بهذا المنصب الى سيواس ثم الى عدن والحكومة الفرنساوية تزداد ثقة به وتذكر صدق خدمته في اوامرها الرسمية . فاهدته سنة ١٩٠٢ وسام الاكاديمية من درجة اوفيسيه • ثم انتقل الى قنصلية جدة ومنها الى هرر في الحبشة . ثم رقوه الى قنصل من الدرجة الاولى في مراكش سنة ١٩١٠ مع وسام اللجيون دونير . فادركته الوفاة في ذلك العام فشق نعيه على الحكومة الفرنساوية لانها كانت شديدة الثقة باخلاصه . وابنته الجرائد الفرنساوية احسن تأبين ورثاه كثيرون من ادباء الفرنساويين في الصحف وغيرها . وقد جمع ذلك كله احد اصدقائه الفرنساويين (الموسيو ريفول) في رسالة نشرها بالفرنساوية دوّن فيها الشهادات الرسمية وغير الرسمية التي صدرت بشأن الفقيد من كبار رجال الدولة الفرنساوية الذين عرفوه او عاملوه وغيرهم رحمه الله

لا تطلق الشداذ الا على تزكية المخبر للمخبر
وان يسبوا سائقيهم الى ما حضروا من رائع المحضر
يا امتي مثل الدفاع الذي دافعتهِ في الدهر لم يذكر
منه اعلمي انك ان تجمعي وناوأتك الجن لم تقهري
ثم اعلمي انك ان تجمعي طالبة اقصى المنى تظفري
حبا لجرحاك وبرًّا بهم ما المال غير الثمن الايسر
ظل هلال الخير من فوقهم ويد ذات الشرف الاطهر

نعمان الخوري

ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٩١٠

السوري زكي نشيط يأبى الضيم وفيه نزوع الى العلى فلا يبالي بالاسفار في سبيل الرزق . وقد عرف بذلك من اقدم ازمنة التاريخ فان اجداده الفينيقيين اشهر امم التاريخ بالاسفار للتجارة والاستعمار. لكنه اضطر الى الرحلة في اواخر القرن الماضي على الخصوص فراراً مما لحق بلاده من العسف في عهد الحكومة البائدة . فتسابق السوريون الى النزوح لا يبالون اين تحط بهم الرحال فاذا نزلوا بلداً لم يصيبوا فيه نجحاً نزحوا الى سواه . فتفرقوا في مشارق الارض ومغاربها واكثر اشتغالهم بالتجارة فانشأوا البيوت التجارية في القارات الخمس وسابقوا ارقى امم الارض . فنهم كبار التجار في اكبر ممالك اوربا واميركا واوغلوا في افريقيا واسيا الى اقصاهما حتى الترانسفال والسنيغال وغانة وزنجبار ومداغسكر وفي اليابان والصين وجزائر الهند واوستراليا وزيلاندا وغيرها . ولما كان غرضهم الارتزاق بعرق الجبين فاذا توسموا رزقهم في بلد اتخذوه وطناً لهم وخدموه جهد طاقتهم . وهم من اقدر الامم على تطبيق احوالهم على الوسط الذي يقيمون فيه من حيث الزي والعادات حتى الاخلاق فانك تجد السوري المقيم في فرنسا مثلاً قد اكتسب اخلاق الفرنساويين حتى تحسبه واحداً منهم بزيه وكلامه وحركاته وملامحه وكذلك المقيم في انكلترا او اميركا او مصر او غيرها

ومن السوريين طائفة نزحت لغير الاتجار فنالوا المناصب في السياسة او الادارة او العلم اوغيرها ترجمنا منهم المرحوم سليم دي نوفل في السنة الحادية عشرة من الهلال . وقد

١١ : يعفى عن الجرائم السياسية التي حدثت حتى تاريخ الاتفاق في الجبال وتترك البقايا
١٢ : لما كان أهالي نواحي صولان وارحب وهم في حال فقر فالحكومة لا تأخذ منهم الاموال مدة عشرة اعوام بشرط المحافظة على الطاعة والصداقة للحكومة السنية
١٣ : لا تكلف الحكومة اهل اليمن بتكاليف غير التكاليف الشرعية
١٤ : اذا وقعت شكاية من ظلم الجباة وقدمت الى الحكومة او الحكام او اذا حدث سوء استعمال ما تجري الحكومة والحكام التحقيق وتنفذ الحكومة الحكم الذي يصدره الحكام
١٥ : يقدر الاهالي الزيود ان يقدموا الهدايا الى الامام وتقدم هذه الهدايا اما توًّا او بواسطة مشايخ الدولة او الحكام
١٦ : يدفع الامام اعشار اراضيه

باب السؤال والاقتراح

النهضة القبطية

﴿ بيروت ﴾ محمد افندي سعيد الحسيني

نقرا في الصحف المصرية مقالات ومجادلات بشأن المجلس الملي القبطي فما هو هذا المجلس وما هو اصل الخلاف

﴿ الهلال ﴾ الامة القبطية من جملة الامم الشرقية الناهضة ويتصل نهوضها بالبطريرك كيرلس الرابع المتوفى سنة ١٨٦١ وقد ترجمناه في السنة الاولى من الهلال . وترجمه ايضاً جرجس افندي فيلوثاوس عوض صاحب المجلة القبطية في كتاب يدخل في نيف و٢٠٠ صفحة سماه ذكرى مصلح عظيم لمضي ٥٠ سنة على وفاته . فيه تفاصيل هامة

وكيرلس الرابع اول من اسس مدرسة قبطية وكان التعليم عالة على الحكومة المصرية وذلك هو شأنه الى الان . فهو اول من انشأ مدرسة اهلية بمصر سنة ١٨٥٥ اما المسلمون فاقدم مدارسهم الاهلية لا يتجاوز تأسيسها سنة ١٨٩٠ والذي بعث الاقباط

الاتفاق

بين الحكومة العثمانية والامام يحي باليمن

وقفنا على صورة الاتفاق الذي عقد بين الحكومة العثمانية والامام يحي صاحب اليمن على اثر الحرب الاخيرة فآثرنا نشرها خدمة للتاريخ وهي :

١ : عقد اليوم هذا الاتفاق بين حضرة الامام المتوكل على الله يحي بن محمد حميد الدين وبين الفريق عزت باشا قومندان القوات اليمنية لاصلاح البلاد التي هي فعلاً تحت ادارة الحكومة السنية التي يسكنها جماعة الزيود وهي صنعاء وعمران وحجة وكوكبان وحجور وانس وذمار ويريم وجهات حراز وتعز ورداع وما حولها

٢ : ينتخب الامام الحكام لتطبيق احكام الشرع الصادرة على الزيود وفقاً للمذهب الزيدي ويبلغ الولاية ذلك . ولكي لا يحدث تأخير في اشغال هؤلاء الحكام ترسل الولاية بلا تأخير مراسلاتهم الى الاستانة ويبدل الحكام على هذه الصورة ايضاً

٣ : تتألف محكمة عالية للنظر في الشكاوي التي ترفع اليها على يد الامام وتعرضها على الحكومة

٤ : يكون مركز المحكمة العالية في صنعاء ويعين الامام رئيسها واعضاءها وتصادق الحكومة على تعيينهم

٥ : يجتهد الفريقان في التوفيق بين اراءهما في احكام الاعدام التي يصدرها حكام الشرع واذا لم يوفقا الى ذلك يرسل الحكم الى دار المشيخة في الاستانة لتصادق عليه ويقرن بالارادة السنية . وذلك في اثناء اربعة اشهر فقط ثم ينفذ الاعدام

٦ : اذا ساءت احوال احد الحكام يبلغ الامام الولاية ذلك مع تعيين الاسباب

٧ : تعين الحكومة الحكام لاهل المذهبين الشافعي والحنفي ما عدا اهل جبال اليمن

٨ : اذا وقعت دعاوي مختلطة بين اهالي المذاهب تؤلف محكمة مختلطة من الزيود والشوافع لحل الخلاف

٩ : تعين الحكومة موظفاً باسم مباشر للمحافظة على الحكام الشرعيين الذين يجولون في النواحي والقرى فيشبهون المحاكم السيارة

١٠ : يقوم الامام باعمال الاوقاف والوصايا

الزمخشري وابن مسكويه

﴿ بيروت ﴾ راغب افندي القباني

ارغب اليكم ان تفيدوني عن اسم مؤلف كتاب « مقدمة الادب في لغة العرب في علم اللغة على ابواب الصرف » وعن مجمل ترجمة حياته

﴿ الهلال ﴾ هوابو القاسم محمود بن عمرالزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ صاحب المؤلفات العديدة في كل فن . وسنأتي على ترجمته ووصف كتبه واماكن وجودها في كتابنا تاريخ اداب اللغة العربية في المكان الملائم لذلك . ونقول مثل ذلك لحضرة حسين افندي امام النحاس بمصر جواباً على سؤاله عن ترجمة ابن مسكويه

عكا وتاريخها

﴿ لكسبري بنسلفانيا باميركا ﴾ نقولا افندي ابراهيم نصر

﴿ الهلال ﴾ اجبنا على مثل سؤالكم في الهلال الاول من السنة التاسعة عشرة

باب التقريظ والانتقاد

الرحلة اليابانية

لسمو الامير محمد علي باشا شقيق الجناب الخديوي

من الحكم المأثورة « اذا اراد الله بالناس خيراً جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم » وقالوا « الناس على دين ملوكهم » ولا خلاف في ان اشتغال الملوك والامراء بالعلم ينشطه ويقوي اصحابه ويزيد الرغبة فيه . ومن امرائنا الراغبين في العلم سمو البرنس محمد علي باشا شقيق الحضرة الفخيمة الخديوية . وله ميل خاص الى الرحلة لدرس الاخلاق واستطلاع اسباب المدنية والمقابلة بين احوال الشرق والغرب . فرحل الى سوريا واليابان وغيرهما ونشرما شاهده وهومشتغل في وضع تأليف نفيس عن الشرق والشرقيين



يعقوب بك نخله

من رجال النهضة القبطية لانشاء المجلس وتأسيس المدارس

على السبق في التعليم الاهلي هو ما بعث سائر مسيحي الشرق على ذلك — نعني اختلاطهم بالاجانب اصحاب الارساليات الدينية ولتعويل المسلمين على مدارس الحكومة . فالمدارس القبطية الاهلية اليوم نحو عدد المدارس الاسلامية مع ان نسبة الاقباط الى المسلمين كنسبة ١ : ١٦ وبينها مدارس للبنات انشئت سنة ١٨٧٦

فالتعليم اخرج من الاقباط طبقة من المفكرين نهضوا لاصلاح شؤونهم الطائفية فأخذوا يسعون في انشاء مجلس من اعيان الطائفة يشارك رجال الكنيسة في ادارة الاوقاف الطائفية .وقاسوا في سبيل ذلك مشقات هي طبيعية في الجهاد للتخلص من التقاليد . لكنهم فازوا واسسوا هذا المجلس سنة ١٨٧٤ ثم توالت عليه احوال وانقلابات مرجعها الى النزاع بين الاصلاح والتقليد

وتوسط في التسوية بين الطائفة والاكليروس المرحوم بطرس باشا غالي وتوسطت الحكومة مراراً وتوسط ايضاً المرحوم الايغومانوس فيلوثاوس وهو من كبار العلماء في الطائفة القبطية . وتخلل ذلك حوادث ذكرناها مفصلاً في السنة الرابعة عشرة من الهلال صفحة ٢٤٥ وما بعدها

قام فريقٌ من متعلمي المسلمين في الهند او الصين لقربه منهم وسرعة التفاهم بينهم لامكن تعليمهم وصارت هذه الامة العظيمة كلها او جلها اسلامية . ولا يخفى ما في ذلك من جميل الفوائد التي تعود على المسلمين بالخير العميم والنفع العظيم » اه

وبالجملة فان هذه الرحلة تدل على علو الهمة والغيرة على مصر واهلها . وانما ينقصها إن تطبع طبعة عامة ليستفيد جمهور القراء منهــا وان تشفع بخريطة وتزين بالرسوم لتم الفائدة . فنرغب الى سموه في ذلك

رباعيات عمر الخيام

ترجمتها العربية

لوديع افندي البستاني

عمر الخيام عالمٌ فارسي نشأ في خراسان باواخر القرن الخامس للهجرة وبرع في العلوم الطبيعية والرياضية والف فيها وكان مع ذلك شاعراً فيلسوفاً واسع الخيال نحا في شعره منحى ابي العلاء المعري في فلسفة الوجود والنظر في حكمة الخلق — وهو الشعر الحقيقي الصادر عن شعور صحيح . فنظم في الفارسية مقطعات سماها الرباعيات ادهشت من اطلع عليها من علماء اوربا فنقلوها الى السنتهم نظماً ونثراً وشرحوها . واقدم من فعل ذلك فتزجرالد الشاعر الانكليزي سنة ١٨٥٩ ثم اشتغل في ذلك عشرات من العلماء والعالمات بين ترجمة وشرح ودرس وانتقاد . الا العربية فلم نعرف احداً نقل هذه الرباعيات اليها في اثناء التمدن الاسلامي . ولم تزل مغلقة على ابناء هذا اللسان حتى عني وديع افندي البستاني بنقلها اليــه نظماً في مقطعات سماها السباعيات . ونشرها مصدرة بمقدمة ضافيــة ذكر فيها ولادة ذلك الفيلسوف ونشأته وعلومــه واعماله وفلسفته وشعره والرباعيات في اللغات الغربية وفي اللغة العربية . وذيلها بشروح وتعاليق وزينها برسوم تمثل خيال ذلك الشاعر في منظوماته . هذا مثال من شعره ومعه الصورة التي مثل ذلك الخيال بها قال :

امسِ ابصرتُ جارنا الخزافا   يجبل الطين كيف شاء اعتسافا
ويكيل المقدار منه جزافا
وكأني اسمعت بين يديه   صوت ذات مظلومة تشتكيه
آه رفقــاً فانت طينٍ وماءُ   ايها المرء لا تسمني العذابا

وبين يدينا الان رحلة سموه الى اليابان وصف فيها سفره من مصر الى اليابان عن طريق سبيريا فمر بتريستا الى فينا فموسكو وما وراء ذلك في سبيريا . فاخترقها في القطار الحديدي الى منشوريا حتى نزل البحر عند فلاديفوستك ومنها بحراً الى اليابان . وزار اهم مدنها ومعابدها وقلاعها ودرس احوال اهلها واخلاقهم ودياناتهم وكل ما يتعلق بهم . ووصف ما مرّ به من المدن في سبيريا وغيرها وصف رحالة نقاد. ويظهر من خلال ذلك تعلق دولته بالعادات الشرقية والاداب الاسلامية ورغبته في رفع شأن مصر . فانه لم يذكر امراً رآه او عادة شاهدها الا اشار الى ما يقابلها في مصر او في اوربا مع ملاحظة تدل على صدق نظر ورغبة في الاصلاح . ومن اجمل ما توسمناه في هذه الرحلة تحاشي الامير حفظه الله الافاضة في ما لقيه من الحفاوة والاكرام . ولم يذكر من ذلك الا ما اقتضاه سياق الرحلة

على انه لم يغفل شيئاً مما يرى فيه فائدة للمطالع او المسافر حتى اجور النقل والحمل ومعاملة التراجمة والبحرية . واذا وصف بلداً احاط بتاريخها واحصائها واحوالها الاجتماعية والدينية والمدنية . وقد افاض على الخصوص في وصف طوكيو ويوكوهاما وما يجاورهما . وفي الكتاب فصل في المواسم عند اليابانيين جزيل الفائدة . وختم الكلام بخلاصة ما رآه هناك . ومن ملاحظاته الانتقادية ما جاء في كلامه على ديانة اليابانيين قال:

« وبهذه البلاد دينان الشنتوية وهي الديانة الاولى لليابانيين مبنية على عبادة ارواح الموتى وقوى الطبيعة ثم البوذية . وفيها نفر قليل من المتنصرين الكاثوليك او البروستانت الذين ادخلهم في النصرانية المرسلون بعد جهادهم المدة المديدة والاعوام العديدة . وقد امتاز اليابانيون بحرية الفكر وذكاء القريحة . فلو وجدت بعثة اسلامية وذهبت الى تلك البلاد لوجدت آذاناً صاغية وقلوباً واعية وامكنها ان تدخل كثيراً منهم في الديانة الاسلامية لما اشتملت عليه هذه الشريعة الغراء والملة السمحاء مما يرشد الانسان الى مكارم الاخلاق وجميل الصفات حتى يفوز بخيري الدنيا والاخرة . وهذا وان كان امراً واجباً قد امر به الله تعالى في قوله جل شأنه (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فانه قد جرت العادة في علماء الاسلام لا سيما المتأخرين منهم انهم لا يتعبون انفسهم للانتقال من جهة الى اخرى لنشر الشريعة الاسلامية وبث التعليمات الدينية كسلاً منهم وحبا للراحة او خوفاً على انفسهم او لقلة ذات يدهم . ولذلك لا يتوهم متوهم انهم يرحلون الى هذه البلاد البعيدة ويقضون بها الاعوام العديدة كما فعل هؤلاء المرسلون وغاية ما يتوهم انه لو

لست شيئاً بعد الممات فهبني لست شيئاً قبيله واصطحبني
نقتل الوقت لذة وانشراحاً ونمولاً ونشوة وانطراباً
واذا جاءك الملاك المخوف وهو ساق في العالمين يطوف
وعليه من الدياجي سجوف
فاجرع الكأس لا تهدْ جزوعاً فقضاء لا بدَّ من ان تطيعا
وهي كاس الردى وكل نديم شارب سؤرها مضيع صوابا
ايه خيام حين هذي السماء يتولاك حكمها والقضاء
انت تقضي وللوجود البقاء
عند ذاك الساقي المخلد يملا كاس هذا الوجود ندًّا ومثلا
انَّ راح الساقي المخلد اروا ـ حُ بكاس الوجود تطفو حبابا

وبالجملة فاننا نشكر لبستاني افندي هذه الخدمة لاداب اللغة العربية . ونحث الادباء على مطالعة كتابه . وهو يطلب من مكتبتي الهلال والمعارف بالفجالة وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرش

تاريخ علم الادب

عند الافرنج والعرب

لروحي بك الخالدي

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب سنة ١٩٠٤ والمؤلف يومئذ قنصل جنرال الدولة العثمانية في بوردو وقد نال الاستبداد من نفوس العثمانيين وقيد اقلام احرارهم فلم نعد نسمع غير اصوات المتزلفين او المتملقين . واذا تكلم الحرُّ تكلم همساً واذا كتب اخفى اسمه ولاسيما اذا كان من موظفي الحكومة — ولو كان موضوعه في الادب او الطب لان الجواسيس يحولون كل معنى الى المكائد والدسائس . وابت نفس صديقنا الخالدي مؤلف هذا الكتاب الا ان ينشر ثمار درسه وبحثه فعهد بذلك الى الهلال على ان تنشر بلا توقيع . فنشرناها مقالات متوالية والقراء يسألوننا عن اسم كاتبها ويتشوقون لمعرفته . فلما طبعناها في كتاب على حدة تقدمنا اليه ان يأذن بنشر اسمه في صدر الكتاب فاكتفى بالاشاره الى موطنه فوضعنا بدل اسمه لفظ « المقدسي » نسبة الى القدس الشريف مسقط رأسه



ايهذا الخزاف قد فقت حذقا ولقد فزت في الصناعة سبقاً
لك صيت يذيع غرباً وشرقا
انما ارفق فسوف تطلب رفقاً من حريف تزول انت ويبقى
فبقايا الاسلاف ما انت منه صانع ما يحير الالبابا

ما جزافاً ما قد اراق السقاة لا لعمري بل تلكم صدقات
انما الترب يا ندامى رفات
فليريقوا فتلكم القطرات لكبود تذيبها الحسرات
وليريقوا لعلها مطفئات لوعة في الثرى تؤجج التهابا

عدمٌ آخر الوجود فصاحي هات راحاً اغدو بها غير صاح
وأدرها ريحانة الارواح

للمطالعة . غير ما عني بتلخيصه ووصفه من مؤلفات هوكو وبسط ما حوته من الفوائد الفلسفية والادبية ومقابلة ذلك بما عند ادباء العرب

والخلاصة ان هذا الكتاب من الذخائر النفيسة التي لا يستغني عنها اديب . فلما نفدت نسخ الطبعة الاولى استأذنا حضرة المؤلف في اعادة الطبع فاذن لنا خدمة للادب العربي وقد اعلن الدستور وصار المؤلف من اعظم اركانه فلم يبق ثمة باعث على التكتم فطبعناه وصدرناه باسمه وزيناه برسمه ليتم التعارف بينه وبين القراء المعجبين بأدبه وفضله والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٥ غرشاً والبريد غرشان ونصف

علامة الاستفهام

(؟)

عربية ام افرنجية

المشهور ان هذه العلامة (؟) التي توضع في آخر الجملة للاستفهام او الشك قد اقتبسناها من اللغات الافرنجية . فهل هي تولدت عند الافرنج او ورثوها من اسلافهم الرومانيين او هي مقتبسة عن العرب في جملة ما اقتبسوه عنهم من الارقام والعلامات

والجواب على ذلك صعبٌ لذهاب خبر هذه العلامة في ثنايا القرون ولا يعلم الافرنج تاريخها علماً صريحاً ولا شاع استعمالها عندهم قبل الاجيال الاخيرة ولم يذكروا الباعث على وضعها على هذه الصورة . على اننا وجدنا لها اصلاً عند العرب لانهم استعملوا علامة مثلها منذ نحو الف سنة يسمونها الضبة يوضع في آخر الجملة او فوق الكلمة للدلالة على الشك في صورتها او معناها

وذلك انهم كانوا يستخدمون لفظ « صح » يوضع فوق الكلمة او في آخر الجملة لتأكيد صحتها . واقتطعوا نصفهُ الاول وهو حرف الصاد (ص) للدلالة على الشك فيضعونه فوق اللفظ الذي يشكون فيه . وقد ذكر ذلك ياقوت في معجم الادباء في اثناء ترجمة ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الاندلسي المعروف بابن الافليلي في عرض الكلام عن المراد بوضع (صح) فوق الحرف قال :

« وانما قصدوا بكتبهم على الحرف (صح) انه (الكاتب) كان شاكاً في صحة اللفظة فلما صحت له بالبحث خشي ان يعاوده الشك فكتب عليها (صح) ليزول شكه فيما بعد . ويعلم انه لم يكتب عليها صح الا وقد انقضى اجتهاده في تصحيحها . واما



روحي بك الخالدي

الوكيل الاول لمجلس المبعوثان ونائب القدس الشريف فيه (سابقا)

ومؤلف هذا الكتاب

فأحرز هذا الكتاب اعجاب القراء الادباء في العالم العربي وغيره . فحملنا ذلك على اعادة طبعه رغبة في نشر علم الادب بين قراء العربية ونحن في اشد الاحتياج اليه . ولا سيما على الاسلوب الذي توخاه المؤلف من المقابلة بين الآداب العربية والافرنجية وبيان ما اقتبسه الافرنج من آدابنا واساليبنا مما لم يتصدَّ للبحث فيه احد قبله — ولم نر احداً تصدى له بعده . فضلاً عما يتخلل ذلك من الفوائد التاريخية والقواعد الاجتماعية عن الادب العربي وتاريخه وما تقلب عليه من الاطوار تبعاً للسياسة والاجتماع . وتاريخ الادب الفرنساوي من اول عهده الى زمن فيكتور هوكو وما ادخله فيه هذا النابغة من التعديل نقلاً عن الاسلوب العربي في الشعر والادب وصل اليه عن طريق اسبانيا . وناهيك بسهولة عبارة الكاتب وتناسقها مما يرتاح اليه القارىء ويجد فيه لذة وشوقاً

وفريدريك الثاني وكافور ولنكلن : اعظم منظمي الدول الحديثة المانيا والنمسا وانكلترا وفرنسا واميركا وايطاليا

١٢ غليليو ونيوتن ولافوازيه وفولتا وفاراداي : اعظم رجال العلوم الحديثة الفلك والطبيعيات والكيمياء والكهربائية



لويس مويار

مكتشف اجنحة الطيارات وحركاتها

ولد سنة ١٨٣٤ وتوفي سنة ١٨٩٧

مرَّ على الانسان ادهار وهو يفكر في اختراع آلة يحلق بها في الجو ولم يوفق الى مراده الا في الاعوام الاخيرة فاخترع انواعاً من الطيارات فيها المفرد والمزدوج وغيرها وصفناها في غير هذا المكان . وهي مبنية على تقليد الطائر في شكل جناحيه وحركاتهما وقد وجدوا بالبحث ان الفضل في وضع اساس هذا الفن يرجع الى رجل فرنساوي اسمه لويس مويار لم ينتبه اليه الناس الا من عهد قريب فعرفوا قدره ودونوا فضله على الطيران ونصبوا له تمثالاً في مصر لانه درس هذا الاختراع فيها

ومما يعرف من ترجمة حاله انه ولد في ليون سنة ١٨٣٤ وتوطن الجزائر واشتغل فيها بالزراعة . وكان مزاولته الاقامة في الخلاء نبهت فيه التفكير في حركات الطيور وتطبيقها على ما يتمناه الانسان من التحليق في الجو . ثم جاء مصر سنة ١٨٧٣ وتعين

الضبة التي صورتها (ص) فانما هي نصف (صح) كتبها على شيء فيه شك ليبحث عنه فيما يستأنفه فاذا صحت له اتمها بحاء فيصير (صح) ولو علم عليها بغير هذه العلامة لتكلف الكشط واعادة كتابة صح مكانها » اه

ولا يخفى تقارب الصورة بين علامة الاستفهام والحرف صاد المقطوع — وما هو الا ان يقلب هذا الحرف عمودياً فيصير (؟) ويتكيف بكثرة الاستعمال حتى يصير هكذا (؟) كما تكيفت (صح) في العربية بطول الاستعمال فصارت ؟

ومع ذلك ، فنحن لا نجزم بتخلف هذه العلامة عن الصاد المذكورة لكننا راينا باعثاً على الظن فنشرناه ريثما تتيسر لنا ادلة اخرى

اعظم رجال التاريخ

كتبنا في الهلال الماضي آراء بعض المشاهير في من هم اعظم رجال التاريخ وذكرنا الذين نالوا اكثرية الاصوات . وقد وقفنا على قائمة لفريدريك هريسن احد كبار المفكرين من الانكليز ذكر فيها خمسين عظيماً رتبهم حسب انواع اعمالهم وتأثيرها في نظام الاجتماع من اقدم ازمنة التاريخ الى الآن فاعجبنا تقسيمه وآثرنا نقله وهو :

١ موسى وبوذا وكونفوشيوس ومحمد : مؤسسو اعظم الاديان الالهية
٢ هوميروس واشيلوس وفيداس : اعظم رجال الشعر والتمثيل عند القدماء
٣ سقراط وافلاطون وارسطو وارخميدس : مؤسسو الفلسفة والآداب القديمة
٤ الاسكندر ويوليوس قيصر : مؤسسا الممالك الشرقية والغربية
٥ القديسون بولس واوغسطين وبرنار : اعظم رجال النصرانية
٦ شارلمان والفريد الاعظم ولويس التاسع : اعظم رجال الاجيال الوسطى
٧ دانتي وشكسبير وكلدرون وموليير وغوطي : اعظم شعراء الامم الحديثة ايطاليا وانكلترا واسبانيا وفرنسا والمانيا
٨ ميشال انجلو ورفائيل وموزار : مؤسسو فنون النحت والتصوير والموسيقى
٩ كولمبوس وغوتنبرج وفرنكلين ووط وستيفنسن : اعظم رجال الاكتشاف والاختراع
١٠ ديكارت وباكن وكانت وكونت : واضعو اساس الفلسفة الحديثة
١١ لوثير ووليم الساكت وريشليو وكرومويل وبطرس الاكبر ووشنطون

الاحزاب في مجلس الامة العثماني ويحث النواب على المؤازرة والاتحاد وترك الاضغان والاحقاد وان يكونوا يداً واحدة في ما ينفع الوطن المقدس عند التئام المجلس في دورته الثانية . وينشر تلك القصيدة في اشهر الصحف والمجلات لعل مبعوثينا الجدد ينتفعون بها فان شاعرنا المشار اليه له قوة شعرية تنبه الشعور وتأخذ بمجامع القلوب . ولنا الامل الوطيد بان حضرته يجيب التماسنا حباً بالمنفعة العامة التي تنتج من تأثيرها والله ولي التوفيق

البصرة — امين عالي

باش اعيان

باب الاخبار العلمية

﴿ الانفاق على الجند ﴾ وضع بعضهم مقالة في ما تتكبده دول اوربا من النفقات في سبيل التجنيد وخصوصاً في البحر . وقابل بينها وبين احوالها التجارية مع الدول الاجنبية ووضع الجداول لايضاح ذلك . وهذا جدول في الفرق بين نفقات الدول على التجنيد البحري سنة ١٩٠٢ و١٩١١ وهو :

اسم الدولة	نفقاتها البحرية سنة ١٩٠٢ بالجنيه	نفقاتها سنة ١٩١١ بالجنيه
انكلترا	٣٥ ٢٢٧ ٨٣٧	٤٤ ٨٨٢ ٠٤٧
الولايات المتحدة	١٦ ٠١٢ ٤٣٨	٢٧ ٨٤٨ ١١١
المانيا	١٠ ٠٤٥ ٠٠٠	٢٢ ٠٣١ ٧٨٨
فرنسا	١٢ ١٨٤ ٦٨٣	١٦ ٧٠٥ ٣٨٢
روسيا	١٠ ٤٤٦ ٣٩٢	١٣ ٢٧٠ ٣٧٦
ايطاليا	٤ ٨٤٠ ٠٠٠	٨ ٣٧٩ ٩٤٠
اليابان	٣ ٧٠٥ ٢٧١	٨ ٧٠٣ ٠١٥
النمسا	١ ٩٥٤ ٦١٧	٥ ١٥٢ ٣٨٢

وبمراجعة هذا الجدول يتبين لك ان اكثر الدول اهتماماً في التجنيد البحري المانيا وانكلترا والولايات المتحدة . وان انكلترا اكثر الدول انفاقاً على ذلك تليها الآن الولايات المتحدة فالمانيا . واذا قابلنا ذلك بما تكتسبه تلك الدول من التجارة الخارجية

معلماً للرسم في مدارس الحكومة وقلبه عالق في الطيران فكان يقضي اكثر اوقاته بمراقبة حركات الطيور المصرية ولا سيما الحداة لانها كثيرة في المدن وكيفما التفت رآها باسطة جناحيها في الهواء . فبنى اختراعه على حركات اجنحتها وصنع آلة طار بها لكنه سقط وجرح . واطلع المهندس الاميركي شانوت على عمله فامده بالمال ليواظب عليه فطال انتظاره . فمات موياز سنة ١٨٩٧ فقيراً لا يعرفه احد لكنه خلف كتابين في هذا الموضوع احدهما « مملكة الهواء » الفه سنة ١٨٨١ وهو في اشد الضيق . والآخر « الطيران بلا حركة » . وقد بيعت اوراقه سنة ١٩١٠ بمبلغ ٣٢ فرنكاً . وظهر كتابه الاخير مطبوعاً بالامس بعناية الموسيو كورنيه واستلفت انتباه الناس الى فضل الرجل على فن الطيران فاهتم سراة القاهرة ورجال الفضل بنصب تمثال له في واحة عين شمس اعترافاً بفضله . وقد رفعوا الستار عن ذلك التمثال في ٢٥ فبراير الماضي في احتفال شائق حضره البرنس فؤاد باشا بالنيابة عن الجناب العالي ومعظم الوزراء وكبار الموظفين ونخبة والوجهاء والادباء والعلماء ونواب عن جمعيات الطيران فتليت الخطب في اطراء هذا الرجل وتقرير فضله

والتمثال نصفي قائم على قاعدة مستطيلة مربعة الشكل على احد سطوحها الجانبية تمثال نسر باسط جناحيه . تحته هاتان الكلمتان « عليك بالجراءة » وعلى السطح الاخر ثلاثة ابيات فيها اشارة الى فضل الجوهري وابن فرناس وكلاهما من العرب ولهما فضل السبق في فن الطيران سنأتي على خبرهما في فرصة اخرى . وهذه هي الابيات :

ان يركب الغرب متن الريح مبتدعاً ما قصرت عن مداه حيلة الناس
فان للشرق فضل السبق نعرفه للجوهري وعباس بن فرناس
قد مهدا سبلاً للناس تسلكها الى السماء بفضل العلم والباس

وعلى اسفل القاعدة صورتان بارزتان احداها تمثل موياز مكسور الرجل من السقوط والاخرى تمثله مفكراً في الطيران

اقتراح

على شوقي بك

التمس من حضرة خديوي الشعراء وشاعر الخديوي سعادة احمد شوقي بك الشاعر الاجتماعي الكبير ان يجود من بنات افكاره بقصيدة اجتماعية يصف بها حالة

مطبوعات جديدة

﴿ الاجنحة المتكسرة ﴾ هي رواية خيالية غرامية لجبران افندي خليل جبران النابغة السوري باميركا في الخيال الشعري الفلسفي . وقد نقلنا امثلة من منثوراته الشعرية غير مرة واعجب القراء بتصوراته العالية ـ سميناه النابغة لانه نبغ في ذلك من عند نفسه وقد طبع على الشعر وفي خياله ميل الى انتقاد نظام الاجتماع ولا يكاد يخلو قوله من نظر فلسفي ونقد اجتماعي بشكل الخيال الشعري وفيه ما لا يقل منزلة عن ارقى تصورات علماء الادب والاجتماع في اوربا وهو لا يزال في مقتبل العمر . والنبوغ في هذا الضرب من الادب نادر في كل امة ولا سيما في العربية لكساد هذه البضاعة بيننا . فلا يظهر بها الا من تعشقها وعاناها للذة يلاقيها فيها — واحرِ بمن يتعشق عمله ان ينجح فيه . والرواية التي بين ايدينا شعرية غير منظومة ضمنها حكاية غرامية يتخللها تشريح العواطف على اسلوب راقٍ وهي تنتهي بموت مفجع يُترك به بطل الرواية مرتمياً على قبر عروس الرواية سلمى يبكيها ويرثيها . والكتاب يطلب من جريدة مرآة الغرب في نيويورك وهذا عنوانها 93 Washington street

﴿ خالد ﴾ وهذه رواية خيالية فلسفية لنابغة سوري آخر يعرفه قراء العربية بما ظهر في الهلال وغيره من مقالاته الاجتماعية او في الكتب المستقلة نعني امين افندي ريحاني فانه مشهور بارائه الخصوصية في الخليقة والوجود والاجتماع وهو يكتب ذلك في العربية وفي الانكليزية . ويعد من الطبقة الراقية بين كتاب اللغة الانكليزية وقد نقل بعض اشعار ابي العلاء اليها في كتاب ذكرناه في غير هذا المكان وراج بين قرائها . وبين ايدينا الآن كتاب آخر في تلك اللغة ضمنه ابحاثاً يرويها على لسان رجل سماه « خالد » ولد في لبنان وتثقف فيها وسافر الى اميركا فوصف ما شاهده فيها كما يراها الغريب بعين النقد . فلم يغادر شاردة الا وصفها من العادات والاخلاق حتى السياسة وغيرها . ويتخلل ذلك كثير من آراء صديقنا الريحاني الفلسفية في الوجود ونظام الاجتماع اختلف الادباء في نصيبها من الصواب . لكنهم مجمعون على بلاغة اسلوبه في اللغة الانكليزية بدليل اقدام الطابعين من اهل تلك اللغة على نشر مؤلفاته — فضلاً عن سعة خياله فيها . وربما عدنا الى نقد آرائه في فرصة اخرى

﴿ دروس التاريخ الاسلامي ﴾ ظهر القسم الرابع من هذا الكتاب لمؤلفه الشيخ محيي الدين افندي الخياط الكاتب المعروف وهو يشتمل على مجمل تاريخ الدولة

راينا انكلترا اكسبها تليها المانيافالولايات المتحدة ففرنساعلى هذه النسبة — مع اعتبار مايلحق الدولة من النفقات الحربية المذكورة في كل مئة من تجارتها الخارجية واليك صورة ذلك :

الدولة	نفقاتها البحرية سنة ١٩١١	مقدار تجارتها الخارجية	تقديرها في المئة
انكلترا	٤٤ ٨٨٢ ٠٤٧	١ ٥٩٥ ٧٥١ ٠٠٠	٢٫٨١
الولايات المتحدة	٢٧ ٨٤٨ ١١١	٥٩٥ ٩٨٦ ٠٠٠	٤٫٦٨
المانيا	٢٢ ٠٢١ ٧٨٨	٧٤٠ ٧٩٨ ٠٠٠	٢٫٠٧
فرنسا	١٦ ٧٠٥ ٣٨٢	٤٣٥ ٧٠٩ ٠٠٠	٥٫٧٣
روسيا	١٣ ٢٧٠ ٣٧٩	١٩١ ٠٩٠ ٠٠٠	٦٫٩٥
ايطاليا	٨ ٣٧٩ ٩٤٠	١٩٩ ١٤٣ ٠٠٠	٤٫ ٢
اليابان	٨ ٨٠٣ ٠١٥	٨٢ ٦٩١ ٠٠٠	١٠٫٦٤
النمسا	٥ ١٥٢ ٣٨٢	٢١٠ ٨٢٢ ٠٠٠	٢٫٤٤

فيظهر من هذا الجدول ان اليابان تنفق على بحريتها اكثر من سواها بالنظر الى تجارتها الخارجية . ثم روسيا ففرنسا وان انكلترا مع كونها اكثر الدول انفاقاً على اساطيلها فان النسبة بين ذلك ومقدار تجارتها الخارجية يكاد يكون اقل من سائر الدول

﴿ مكتبة من الاحجار ﴾ ذكرنا في غير هذا المكان مكاتب من القرميد اكتشفها النقابون مابين النهرين بين انقاض بابل واشور . ولكن في الصين مكتبة من الحجارة انشأتها الحكومة في باكين في القرن العاشر قبل الميلاد وسمتها مدرسة ابناء المملكة وهي كالجامعة الوطنية مؤلفة من الواح حجرية قد نقشت عليها خلاصات العلوم للمطالعة . وفي شيان فو وشنسي مكتبة من هذا النوع ايضاً

﴿ المعلمات ﴾ يتناقص عدد المعلمات في مدارس اوربا كل عام عما قبله لكنهن يتكاثرن في اميركا وهن يستولين هناك على احسن الرواتب

﴿ تناقص المواليد في المانيا ﴾ اخذت المواليد تتناقص في المانيا في الاعوام الاخيرة . فقد مرَّ عليها عشرون عاماً والمواليد فيها فوق المليونين كل سنة وبلغت ٢ ٠٧٦ ٦٦٠ سنة ١٩٠٨ فتراجعت في سنة ١٩٠٩ الى ٢ ٠٣٨ ٣٥٧ وهبطت سنة ١٩١٠ الى ١ ٩٨٢ ٨٣٦ نفس وقد شغلت خواطر الالمانيين بسبب ذلك

ونظر ابو حامد في ما يعمله اذا نفدت حيلته فارسل خاصته الى مكان بعيد عن المعسكر من جهة الطريق المؤدي الى مصر اعد فيه ما يحتاج اليه من وسائل النقل حتى اذا نجحت مكيدته فرّ الى مصر يلاقي فيها سالماً ويتمان مهمتهما بمساعدة صاحبها بفتح القيروان وادخالها في حوزة الخليفة العباسي . ويكون ذلك سهلاً عليه بعد قتل الخليفة العبيدي وقائده . لكنه ظل خائفاً من لمياء لئلا تكون مطلعة على بعض سره من من حيث مخابئه ومعداته فاعدّ لهلاكها وسيلة اخرى

الفصل الثالث والثلاثون

موكب الخليفة والسباق

دبر ابو حامد ذلك كله خلسة ولم يشعر به احدٌ وظل مشتغلاً من جهة اخرى باعداد مهمات الاحتفال . وقبل يوم الفطر ببضعة ايام نقلت لمياء الى فسطاط ابيها على ان تزف من هناك الى الحسين في المنصورية على العادة الجارية عندهم . وفي صباح يوم الفطر كان معسكر حمدون غاصا بالسرادقات والاعلام . وبعد الظهر خرج الخليفة بموكبه من قصره في المنصورية وعليه لباس العيد تحف به حاشيته من الامراء والصقالبة . وقد امتطى فرساً من جياد الخيل ومشى بين يديه الامراء والقواد الاَّ قائده جوهر فانه امره ان يسير راكباً بجانبه

فلما اطل موكب الخليفة على ذلك المعسكر خرج حمدون لاستقباله بالاحترام ومشى بين يدي الجواد حتى وقف امام السرادق المعد لجلوسه . فترجل الخليفة وقائده واومأ المعز الى الحسين بن جوهر ان يصعد معهما الى دكة في صدر السرادق مفروشة بالبسط والوسائد . وقد اوقدت مباخر الند والعود في جوانب السرادق وغرست الاعلام ببابه

فجلس المعز في الصدر وامر قائده ان يجلس الى جانبه والحسين بين يديه . وكان الحسين اكثرهم فرحاً وقلبه يطفح سروراً لما اتفق له من الحفاوة في عرسه مما لم يتيسر لسواه . كيف لا وقد خرج الخليفة المعز لدين الله من قصوره الى تلك الساحة اكراماً له ولم يبق في الامراء والقواد الا من حسده على هذه النعمة . وتقدم حمدون للترحاب بالخليفة عند جلوسه واكبَّ على يده كانه يهم بتقبيلها اعترافاً بما خوله من

العباسية . وعلى جدول يبين ازمنة دولة الخلفاء الراشدين والدولتين الاموية والعباسية بالتاريخين الهجري والميلادي . وهو كتاب مدرسي جزيل الفائدة كانت اللغة في افتقار الى مثله ويطلب من مكتبة الهلال

﴿ اساقفة الابرشيات السريانية ﴾ هو كتاب تاريخي لحضرة الفيكونت فيليب دي طرازي في بيروت سماه « السلاسل التاريخية » ذكر فيه تراجم اساقفة الابرشيات السريانية من حين انتمائها الى كنيسة رومية . استخرج ذلك من كتابات مهجورة ورسائل منشورة او كتب حديثة وصكوك قديمة وبراءات . واضاف اليه الحواشي والشروح وزينه بالرسوم الكثيرة فدخل في نحو خمسماية صفحة وهو يطلب من حضرته

﴿ تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق ﴾ ابن مسكويه من اكبر العلماء المفكرين وقد خلف كتباً كلها نظر وفلسفة وعلم سنترجمه ونذكر كتبه في تاريخ آداب اللغة العربية . وانما نشير هنا الى كتاب من مؤلفاته سماه تهذيب الاخلاق ضمنه البحث في النفس وماهيتها وافعالها وكل ما يتعلق بها وفي الخلق وتقويمه ومراتب قبوله وفيه ابحاث فلسفية في العدالة والخير والسعادة والاتحاد والمحبة وامراض النفس وغير ذلك وقد عني بطبعه بحجم صغير للجيب وصححه وعلق عليه محمود افندي ابراهيم هيبة وهو يطلب من المكتبة العباسية بمصر وثمنه خمسة غروش والبريد غرش

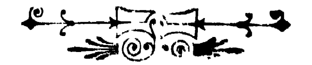
﴿ البرهان ﴾ جريدة سياسية تصدر في طرابلس الشام مرتين في الاسبوع لصاحبها ومديرها المسؤول الشيخ عبد القادر المغربي الكاتب النقاد المشهور. وقد عرفه قراء العربية بمقالاته في الصحف العربية الكبرى بمصر وغيرها . وله اسلوب خاص من السهولة والطلاوة وغزارة المادة والصراحة في القول . وهو من نوادر كتابنا الذين يفصلون في احكامهم بين المسائل العمومية والاغراض الشخصية . وبين المصالح الاجتماعية والجواذب الدينية . بدل اشتراك البرهان ريالان في طرابلس وثلاثة في غيرها

﴿ كرلس الرابع ﴾ هو المصلح القبطي الشهير في اواسط القرن الماضي ويعرف بابي الاصلاح القبطي — عني رصيفنا جرجس افندي فيلوثاوس عوض صاحب المجلة القبطية بتدوين ترجمة حياته مطولاً في نحو ٢٨٠ صفحة بكتاب سماه ذكرى مصلح عظيم لمضي خمسين سنة من وفاته. وقد ضمنه تمهيداً في حال الاقباط قبل هذا الرجل ثم تطرق الى مولده ونشأته الى آخر سيرته. وفصل اعماله الاصلاحية من انشاء المدارس والكنائس وتنظيم الاوقاف وغيرها ويتخلل ذلك تاريخ الامة القبطية في نهضتها الاخيرة وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة سبعة غروش والبريد غرش

فهرع . ولم يمضِ قليل حتى غصت تلك الساحة بالخيول عليها الفرسان بالالبسة الفاخرة على زي اهل سجلماسة . واكثرهم بالالثام على رؤوسهم يغطي معظم الوجه . وعلى اكتافهم البرانس الواسعة نحو ما يلبسه اهل تلك البلاد الى اليوم . وعلى خيولهم السروج المختلفة وفيها القرابيز الفضة المذهبة اوالمنزلة بالعاج . وبينها خيول عارية لا سرج عليها وانما يزينها جمالها الطبيعي . على ان العارفين بطبائع الخيل لا يلتفتون الى ما على الافراس من الكساء وانما ينظرون الى صدورها واعناقها واكتافها ويتفرسون في عيونها . وكان المعز من اكثر الناس معرفة بالخيل فاخذ يتأمل تلك الافراس ويجيل نظره فيها كما يفعل العارف الخبير

وقف الفرسان صفاً واحداً بين يدي السرادق وخيولهم لا تستقرُّ في مواقفها ريثما ادوا واجب الاحترام . ثم اشار حمدون اليهم فاخذوا في اللعب على ظهورها العاباً مدهشة تشغل الخاطر لغرابتها . وفيها ما يبعث على الاعجاب الكثير . لان بعض الفرسان كان يسوق فرسه حتى لا تكاد حوافره تطأ الارض ويعمد وهو في تلك السرعة فيدور حوله حتى يلتصق ببطنه ثم يعود الى ظهره . ورأى غيره يركب فرساً ويسوق آخر الى جانبه وينتقل من ظهر الواحد الى ظهر الاخر والفرسان في اشد السرعة وغير ذلك . فلم يتمالك المعز عن اطراء تلك المهارة ووجه خطابه الى ابي حامد وقال « بالحقيقة ان اهل سجلماسة من امهر قبائل البربر في الفروسية حتى نساءهم فقد بلغني ان فيهن ماهرات يسابقن الرجال »

فتصدى القائد جوهر للجواب وقال « نعم يا مولاي اني رايت ذلك منهن راي العين في بلادهم » والتفت الى ابنه الحسين وابتسم ابتسامة فهم الجميع مراده منها — وهو يعني لمياء على الخصوص . فقال ابو حامد « اظنك تعني لمياء » وهز راسه هزَّ الاعجاب فالتفت المعز وقال « عرفنا لمياء عاقلة حكيمة وسمعنا ببسالتها في ساحة الوغى .. فهل تحسن ركوب الخيل ايضاً ؟ »



الالتفات بتلك الزيارة وقد اخلص النية في طاعته . ثم سأل الخليفة عمن يريد ان يجالسه في سرادقه من الشعراء فاكتفى بابن هاني (متنبي الغرب) وكان حمدون قد اعدَّ له ولامثاله مقاعد في جوانب السرادق

جلس المعز ووراء مقعده صقلبيان يحملان المذاب من ريش النعام كالمظلة فوق رأسه . وهو ينظر الى ما يشرف عليه من السرادقات الاخرى . التي اعدت لجلوس خواصه ورجال حاشيته . واختص بعض امرائه بالجلوس معه في سرادقه . وامام ذلك السرادق ساحة فسيحة قد سويت ارضها وفرشت بالرمال للعب الخيل

ووقف حمدون بين يدي المعز وجعل يقدم له امراء سجلماسة واحداً واحداً ويسميهم باسمائهم وفي جملتهم ابو حامد واختصه عند التعريف بعبارات الاعجاب به واعرب عن اخلاصه للخليفة . فامر المعز ان يكون من جملة الجلوس في ذلك السرادق . ولم يقصر ابو حامد في تأكيد ولائه وولاء سائر امراء البربر لابناء فاطمة الزهراء . وبالغ في الاطراء وهو كما علمت فصيح اللهجة قوي الحجة رغم ما في سحنته من الغرابة . فاعجب المعز به وتوجه نحوه وابدى ارتياحه الى مجالسته

فلما استقر الجلوس بالقوم تصدى ابو حامد للترحيب بالخليفة بالنيابة عن صديقه حمدون فقال « ان صديقي امير سجلماسة يحق له ان يفاخر سائر الامراء بما أُوتيه من تنازلكم لوطء بساطه . بل يحق له ان يفاخر الناس كافة وقد وطئ بساطه ابن بنت الرسول (صلعم) ولعل صديقي حمدون لفرط امتنانه لا يقوى على تأدية حق الشكر»

فاعجب المعز بحديث ابي حامد وقطع كلامه على سبيل التواضع وقال « اننا نقدر الرجال اقدارهم ونحن نعلم فضل صاحب سجلماسة . ومن اخلص الصحبة لنا جعلناه واحداً منا . وان مصاهرته لقائدنا الباسل جعلت له منزلة خاصة من نفسنا »

فتقدم حمدون عند ذلك وقال نحو ما قاله ابو حامد من عبارات الشكر واكد للخليفة انه مخلص في خدمته واستأنف الحديث قائلاً « الا يأمر امير المؤمنين بشيء يسرُّ بمشاهدته من الالعاب »

فاحب المعز ان يزيده استئناساً به فاجابه باللغة البربرية لانه كان يحسنها وقال « كثيراً ما سمعتُ بمهارة فرسان سجلماسة بركوب الخيل فهل يتيسر لنا ان نراهم يتسابقون ؟ » وتبسم

ففرح حمدون بذلك الانعطاف واسرع وهو يشير بيديه فوق راسه اشارة الطاعة . والتفت نحو الوقوف بباب السرادق من الرجال واومأ باصبعه الى واحد منهم

فلما جاء ابوها ليخاطبها بشأن الركوب اخبروه بما فعلت فذهب اليها فوجدها قاعدة على وسادة وحدها وقد اطرقت وبانت الحيرة في عينيها فقال « ما بالك يا لمياء لماذا انت هنا ؟ »

فارادت الجواب فسبقتها الدموع فسكتت

فدنا منها وامسك بيدها فاحس ببرودتها وارتعاشها وقد بالغت في الاطراق فلمحظ الدمع في عينيها فاستغربه . وهو لا يقدر ان يتصور عواطف المحبين لانه لم يذق طعم الحب فقال لها « ما هذا الجنون .. ما بالك ؟ . لماذا تبكين ؟ »

فانتترت منه وقالت وصوتها مختنق « ابكي على سؤ حظي .. يا لتعاستي ! »

فقال « وأي تعاسة ؟ . هل في الدنيا فتاة اسعد حالاً منك ؟ ستزفين بعد ساعات قليلة الى انبل الشبان . وهذا امير المؤمنين قد جاء بنفسه ليكون زفافك على يده . ان الوفاً من الاميرات يحسدنك على هذا الحظ وانت تشكين من سوئه ؟ »

فقالت « اني سيئة الحظ .. دعني الان .. »

قال « كيف اتركك وانا قادم اليك بمهمة من المعز لدين الله .. بلغه انك ماهرة في ركوب الخيل فطلب ان يراك على الجواد »

فلما سمعت قوله شعرت بارتياح لان خروجها على الفرس ينجيها من مضايقة المواشط . وكانت اذا ركبت الفرس اعتزت على صهوته ونسيت كل مصائبها . وهي مع ذلك تحترم ارادة الخليفة . . لكنها لم تجد في نفسها ميلاً الى الخروج في تلك الساعة وهي غارقة في القلق والاضطراب فقالت « كيف يخرج مثلي الى ساحة السباق ؟ ان هذا لم يسمع به »

قال « صحيح لكن امر الخليفة لا يمكن رده . وقد وافق عليه القائد جوهر وابنه الحسين »

فلما سمعت اسم الحسين عادت الى هواجسها وندمت لانها لم تقطع في هذه المسألة من اول الامر — من يوم خاطبوها بهذا الشأن . . كان ينبغي ان ترفض او تقبل اوتهرب او . . ولا ترضخ لذلك التردد شهراً كاملاً حتى اذا ازفت الساعة ضاقت بها الحيلة . .

فلما طال سكوتها ظنها آسفة لخروجها من بيت ابيها ودخولها بيت رجل غريب كما يصيب اغلب البنات في مثل هذه الحال . فامسكها بيدها وانهضها وهو يقول لها « اركبي جوادك وانزعي الاوهام عنك .. انك ذاهبة الى بيت اعظم من بيت ابيك وستزفين الى شاب هو اعظم شبان هذه الديار .. قومي .. هيا بنا .. ان الخليفة في انتظارنا »

الفصل الرابع والثلاثون

لمياء بين المواشط

وكان حمدون واقفاً يسمع ذلك الاطراء بابنته فلم يخطر له ان يعرض على الخليفة رؤيتها على الجواد . لكن ابا حامد غمزه ان يفعل فقال « هل يريد مولانا ان تخرج لمياء على فرسها ؟ »

فقال المعز وهو يحك عثنونه « لا نريد ان نزعجها اليوم لانها في ما هو اهمّ من ذلك » وضحك

فتصدى ابو حامد للجواب وقال « انها لم تركب الخيل من زمان بعيد واذا ركبت اليوم فلعلّها آخرمرة يتأتى لها ذلك ومتى صارت في بيت القائد ربما لايعود يتيسر لها »

فاشار المعز بالقبول وقال « طبعاً نحن نحب ان نراها ولكن لا نعلم اذا كان الحسين يوافقنا . . . » والتفت الى الحسين وابتسم فعد الحسين التفاته نعمة اخرى فاطرق خجلاً

فوقف جوهر بالنيابة عن ابنه وقال « انها امة مولانا امير المؤمنين وسيكون لها الحظ كما يكون لنا في سبيل طاعة امير المؤمنين »

فاسرع حمدون الى فسطاطه ليخاطب لمياء بما جرى وهو يعلم ان خروجها في تلك الساعة من اصعب الامور لانها ساعة التبرج والتزيين . وتصور انه سيجدها بين ايدي المواشط والحواضن يزينَّها ويصلحن من شأنها — ولكن خاب ظنه

لان لمياء لما تحققت اتمام الاقتران وآن الزفاف هاجت عواطفها الكامنة وعادت اليها ذكرى سالم حبيبها الاول . ورغم ما ظهر من ضعفه وتردده فانها ما زالت تحبه وتتفانى في مرضاته . وانما كان قبولها بالحسين موقتاً تنتظر ما يأتي به الغد في اثناء شهر رمضان . فلما جاء عيد الفطر ولم يجدّ شيءٌ وانتقلت الى بيت ابيها لتزف الى الحسين اظلمت الدنيا في عينيها وتحققت انها لا تلبث ان تصير زوجة لرجل وان كانت تحبه وتعجب بمناقبه لكنها لا تزال ترى سالماً اولى بقلبها منه . واعتقدت ان قبولها بالحسين يعدّ في شرع المحبين خيانة . فوقعت في حيرة وظهرت الحيرة فيها على الخصوص في صباح ذلك اليوم لما اتت المواشط لتزيينها واصلاحها . فاستمهلتهن وانزوت في فسطاط ابيها تعمل فكرتها

وقد توارى عنها المعسكر والمنصورية جميعاً والجواد سائر فيها شرقاً جنوبياً

مرت بها دقائق رهيبة خطر لها في اثنائها خواطر عديدة . وفي جملتها ان جموح ذلك الجواد قاتلها لكنه قد ينقذها من ترددها ووخز ضميرهـا . وكانت الشمس قد مالت الى المغيب واخذت الاظلال تستطيل ولمياء توغل في الوعر وتبعد عن العمران

فثبتت نفسها على الجواد كانها قطعة منه وهي لا تخاف الوقوع عنه لكنها تحققت انه اصيب بشيء كالجنون او انه اهيج بوخز او عقار مهيج . لانه لم يكن يعدو في طريق معروف بل كان تارة يهبط وادياً وطوراً يصعد جبلاً والحجارة تتطاير من بين حوافره . ولم يقع بصرها على احد تستنجده او تستأنس به . فعزمت على التحول عن الجواد وهو راكض — ولا يعجزها ذلك لتعودها مثله ولكنها لم تكن تجد ارضاً رملية او ترابية تثب اليها

وهي تفكر في ذلك اصطدم الجواد بصخر فانتثرت هي عن ظهره بقوة الاستمرار وقذفت الى مسافة بضعة اذرع . فوقعت في حفرة هناك قليلة العمق فغابت عن رشدها

ولم تنتبه الى وقد اظلمت الدنيا وظهرت النجوم فارادت النهوض فاحست بالم في جنبها فجسته فلم تجد فيه كسراً وانما هي رضوض . ثم احست بشيء يسيل على عنقها فتلمسته فاذا هو دمٌ بارد . فعرفت انها اصيبت بجروح فتجلدت وتماسكت . ثم توكأت على ما بين يديها ونهضت وهي تستند الى جدار الحفرة . والتفتت الى ما حولها فرات انها في قفر بلقع . ولم تقو على الوقوف فسقطت . فأخذت تفكر بما حل بها وصبرت نفسها ريثما تستريح وجعلت تجس اعضاءها لتتحقق نجاتها من كسر او صدع فوجدت انها سليمة ليس فيها شيء غير الرضوض . وشغلها اضطرابها عن خوف الحشرات المؤذية وهي كثيرة هناك

واخذت تناجي نفسها قائلة « الم يكن من الحكمة ان اصاب بكسر في عنقي بهذه الصدمة فاموت وانجو من متاعبي ؟ . فيكون الله قد استجاب دعائي وانقذني من عذاب التردد .. يا ربي ما العمل الان ؟ »

ثم تزحزحت لتجرب قوتها فسمعت خشخشة ثعبان ينساب بين الاحجار وراءها . فقفَّ شعرها وهمت بالنهوض لتخرج من ذلك المكان — ولم تكن تخاف الثعابين اذا قابلتها في النور لكنها خافت الغدر

الفصل الخامس والثلاثون

لمياء على الجواد

فوقفت ورأت خروجها على الجواد خيراً من بقائها هناك وخطر لها انه قد يرميها فتقتل وتنجو من ذلك التردد. فاطاعته ولبست ثوباً يليق بالركوب ولفت رأسها بلثام تعودت ان تلتف به اذا ركبت. واتوها بفرس من احسن الافراس فركبت وساقته الى الساحة امام سرادق الخليفة . فلما راوها قادمة خفقت قلوبهم وان اختلفت اسباب الخفقان بين اعجاب وهيام ودهشة . وتأمل الخليفة مقعدها على صهوة الجواد فلم يذكر انه راى اثبت منها مقعداً . فالقت التحية ثم ساقت الجواد ذهاباً واياباً فازداد الخليفة اعجاباً برشاقتها . ثم اطلقت للجواد العنان حتى كاد يطير بها . وتوقف سائر الفرسان عن الطراد في ذلك المضمار . واصبح الكل ينظرون اليها يراقبون ذهابها وايابها

قضت برهة في ذلك وهي تلاعب رمحاً في يدها تنقله من يمناها الى يسراها وتتفنن في تدويره وتقليبه مما لم يشاهدوه من سواها . ثم عادت فوقفت في الساحة امام السرادق والجواد يقطر عرقاً . فتقدم اليه بعض الغلمان الواقفين هناك لتلبية الفرسان بما يحتاجون اليه من التقاط حربة سقطت او ابدال رمح كسر. وفيهم من يمسح عرق الخيل او يغسل وجوهها تنشيطاً لها . فتقدم احدهم وبيده وعاء فيه ماء واسفنجة بلها بالماء ومسح وجه الجواد واخذ بتنشيفه ولمياء على ظهره كالجبل الراسخ

ولم يكد الغلام يفرغ من عمله والخليفة يتوقع ان تبقى لمياء واقفة تنتظر امره. فرآها اشارت اليهم اشارة الوداع كأنها راجعة الى خدرها . واذا بالجواد قد عدا بها عدواً سريعاً عن غير ارادتها كانك وخزته بحربة في جنبه . ولم تشأ ان توقفه لئلا يظهر ذلك مظهر الخوف منها . فاطلقت له العنان على ان توقفه هناك وهي بعيدة عن سرادق الخليفة . فظنها اهل السرادق انها فعلت ذلك عمداً على ان تعود راساً الى فسطاطها . اما هي فارادت ان توقف الفرس ولا تراه يزداد الا عدواً على غير هدى كانه اصيب بجنة . وعبثاً حاولت كبح جماحه . ثم راته يوغل بها في الشعب والجبال وهو يشخر ويصهل ويهز راسه . وارادت ان تحوله نحو المعسكر فلم يطعها . وبعد قليل التفتت الى ورائها فرات انها صارت على مسافة بعيدة من المعسكر

« انك كاذب لست قادماً من مصر لان القادم منها لا يأتي منفرداً في هذه الصحراء ... اصدقنا والا قتلناك »

قال « كنت قادماً في قافلة نزلت عند الغروب على ماء هنك واسرعتُ وحدي لتبليغ الرسالة لانها مستعجلة لا بد من ايصالها قبل انقضاء هذا اليوم »

فقال ابو حامد « لا شك انك كاذب بل انت لصٌّ او جاسوس ونحن من رجال الخليفة فاذا كنت صادقاً ادفع لنا الرسالة والخليفة الآن في قصره لا تدركه الا وقد نام»

قال « ان الرسالة خصوصية له وقد امرت ان لا اسلمها الى احد سواه ولو كان ابنه . وقد اوصيت ان ادفعها اليه حال وصولي . واذا كان نائماً ايقظته واذا كان متكئاً لا امهله ان يجلس قبل ان ادفعها اليه . هذا ما امرت به فاذا كنتم من رجال الخليفة كما تزعمون دعوني اذهب في سبيلي »

فقال ابو حامد « اعطنا الرسالة والا قتلناك »

فقال « اقتلوني ولا اسلمها الا لصاحبها »

ولم يتم كلامه حتى سمعت لمياء استلال الحسام ورأت احدهم ضرب ذلك الهجان بالسيف على راسه فسقط عن الجمل قتيلاً . وصاح ابو حامد وهو يقهقه من الضحك « اوصل اليه الرسالة ... او تمهل انكما ستلتقيان في السعير بعد قليل »

والتفت الى القاتل وقال له « فتشه واستخرج الرسالة منه وادركنا فاننا سائقون الى موضع القافلة » قال ذلك وساق جواده وتبعه رجاله الا القاتل فانه ترجل عن جواده ووضع سيفه المسلول على الارض بجانبه حتى يمسحه من الدم بعد الفراغ من تفتيش القتيل

فتحققت لمياء ان تلك الرسالة هامة ولولا ذلك لم يفضل حاملها القتل على تسليمها واعجبتها امانتــه وثباته . وكانت كثيرة الاعجاب بالاخلاق العاليــة . فاسفت لموته واحست بميل الى الانتقام له . وكانت قد تجددت قواها او لعل حماستها نشطتهـا . فتاملت ونهضت وخرجت من الحفرة خلسة وهي تتسرق والرجل مشتغل بالتفتيش حتى دنت من السيف المطروح بجانبه فتناولته باسرع من البرق واطلقته على عنقه فسقط فوق الهجان وثنت عليه بضربة اخرى حتى تحققت موته ثم ازاحته واتمت التفتيش . فوجدت الرسالة وهي عبارة عن اسطوانة من القصب الفارسي فيها الكتاب وكان قد خبأها بين اثوابه . وهمت بالجواد فامتطت صهوته وكانت قد عرفت جهة المنصورية منذ رات الهجان قادماً وحولت شكيمة الجواد نحو معسكر ابيها وقد عادت

الفصل السادس والثلاثون

رسول غريب

وهي تهمُّ بالنهوض سمعت وقع حوافرمسرعة فاسرع الثعبان في الانسياب حتى توارى وخفق قلبها فالتفتت فرات اشباحاً كالفرسان يزيد عددهم على عشرة يسوقون افراسهم . فحدثتها نفسها ان تستغيث بهم ولم تكد تهمُّ بذلك حتى سمعت بينهم صوتاً يقول « هل رايتم احداً ؟ . لا شك انها قتلتْ »

فاجابه الآخر« لا بد من ذلك لاننا راينا الجواد مقتولاً فهل تبقى هي حية ؟ »

وتوسمت في صوت الاول لحن ابي حامد فغالطت نفسها واحبت ان تتحقق ظنها فانزوت في مكانها حتى اقترب القوم منها فقال احدهم « لقد تمت حيلتنا ولا يلبث ذلك الدعيُّ ان يموت هووقائده قبل ان يتناولا العشاء ... انظروا هذا هجان قادم من طريق مصر .. تربصوا له »

فاصبحت لمياء من شدة تأثرها تنتفض كالعصفور بلله القطر . وخانتها قواها وادركت ان القوم ابو حامد ورجاله وانه هو الذي دبر لها هذه المكيدة بشيء وضعوه للجواد في انفه عند غسل وجهه . وحدثتها انفتها ان تصيح فيهم فعلمت انها اذا فعلت قتلوها لامحالة وهي لاتريد ان تموت على يدهم . فتجلدت واخذت تنظر الى الجهة التي تظن الهجان قادماً منها . فرات هجاناً مسرعاً سرعة البرق فاعترضه الفرسان واوقفوه وسأله احدهم قائلا « الى اين يا رجل ؟ »

قال « الى المنصورية »

قال « ومن تريد ؟ »

قال « اريد امير المؤمنين المعز لدين الله »

قال « وما الذي تحمله اليه ؟ »

قال « احمل اليه رسالة من مصر »

قال « اين هي ؟ هاتها . . اننا من رجاله »

قال « لا اسلمها الا اليه . . دعوني اسير في طريقي » قال ذلك وادار زمام هجينه فاعترضوه ومنعوه والحوا عليه ان يدفع اليهم الرسالة وهو لايرضى . فقال له ابوحامد

الى المائدة وقد اضيئت السرادقات بالشموع واحرق البخور في اطرافها ومدت الموائد في اواسطها وعليها انواع الاطعمة . وذهب حمدون الى الطاهي القرطبي الذي تقدم ذكره وبالغ في وصايته حتى يحسن الوقوف في خدمة الخليفة

وقبل التقدم الى المائدة ازفت الصلاة فصلى الخليفة وصلى القوم وراءه ثم جلس كل منهم في مكانه . ومائدة الخليفة لم يجلس عليها الا هو وقائده وابن قائده ووقف حمدون يخدمهم بنفسه بمساعدة الطاهي المشار اليه وغلمان آخرين يحملون الاطباق من المطابخ . ووقف سائر الغلمان بأباريق الفضة والقوارير فيها الجوارشنات او الاشربة الهاضمة وقد شغل حمدون باضيافه عن التفكير بلمياء لاعتقاده انها عادت الى فسطاطها

فبعد ان تقدمت الوان الاطعمة وهي كثيرة ومتقنة احس الخليفة بالعناية التي بذلها صاحب سجلماسة في اكرامهم وظهر له الفرق بين الاطعمة التي تعوَّد تناولها في قصره وما تناوله تلك الليلة . لان العبيديين كانوا الى ذلك الحين لا يزالون ميالين الى السذاجة في الطعام واللباس لاسباب تقدم بيانها . اما حمدون فقد تعود وهو في سجلماسة الترف والتأنق بالاطعمة تقليداً للمروانيين في قرطبة . وكان يبتاع امثال آنيتهم للمائدة من الاباريق والاطباق الفضة والذهب ويوصي الطهاة بمعالجة اللحوم والالوان كما كان الخليفة الناصر يفعل في قصر الزهراء

فلما صار حمدون في الاسر لم يعد يستطيع ذلك التأنق لكنه في تلك الليلة اوصى الطهاة ان يبذلوا الجهد في اصلاح الاطعمة ليدهش الخليفة ويؤكد له حفاوته واكرامه — ذلك ما اوعز به ابو حامد واوصى الطاهي الخصوصي ان يجعل في جملة الاشربة الهاضمة الشراب الذي امره ان يضع السم فيه

فلم يتمالك المعز لدين الله عن ابداء اعجابه بتلك الحفاوة وذكر على الخصوص لذة الاطعمة . فقال له حمدون « اننا تجاسرنا في اخراج امير المؤمنين عن عادته في الاقتصار على الاطعمة البسيطة التي اقتضاها تقشفه الى ما تعوده غيره من الملوك المنغمسين في ملذات الدنيا . وانما فعلنا ذلك على سبيل التجربة فقط »

فقال المعز « قد علمنا ذلك ولا بأس به .. ولكن كيف تأتى لك هذا وانت هنا ؟ »

فقال « عهدت بذلك الى طاهٍ كان من جملة طهاة صاحب قرطبة وهو كثير التفنن » واشار الى الطاهي الواقف في جملة الواقفين وقال « هذا الطاهي يا سيدي اتقن من عرفت من الطهاة للاطعمة »

فالتفت المعز اليه فرآه في انظف ما يكون من الثياب وقد حمل بيده ابريقاً

اليها قواها تحمساً في مصلحة المعزواسرعت في ايصال تلك الرسالة لاعتقادها انها لو لم تكن عظيمة الاهمية لم يؤمر حاملها بايقاظ الخليفة من نومه لتسليمها اليه . وكانت قد تنسمت من كلام ابي حامد انهم اعدوا مكيدة لقتل المعز . فعلمت انها اذا اسرعت انقذت ذلك الخليفة الذي تحبه . وتحترمه فاحست بنشاط وفرح فهمزت جوادها نحو معسكر ابيها وهي لا تراه لكنها علمت مما حولها انها متجهة نحوه . وقد نسيت حالها ولم تعد تفكر بالدم الذي يسيل على عنقها وكان قد جمد وانسد الجرح ولم يغمرها لانه سطحي

اما اهل ذلك المعسكر فكانوا لما راوا لمياء اشارت اليهم اشارة الوداع وركض بها الفرس توهموا انها عزمت على شوط تركض به فرسها ثم تعود الى فسطاطها الذي كانت فيه كما تقدم

وكان ابو حامد هو الذي دبر تلك المكيدة للمياء فدس احد غلمانه بين الموكلين بمساعدة الفرسان واوصاه ان يدس في انف جواد لمياء مادة حريفة تهيجه وتحمله على الركض بغير هدى فهو عند ذلك لا يهدأ حتى يتحطم هو وراكبه

فلما تحقق عمل العقار وراى لمياء قد غابت عن اعينهم وسمعهم يتساءلون عن مصيرها اكد لهم انها ودعتهم ولا تلبث ان تعود الى فسطاطها واخذ يشاغلهم بالحديث وطلب الى حمدون ان يأتيهم ببعض الالعاب الغريبة ليتسلى الخليفة برؤيتها مما لا مثيل له في القيروان واحتال في الخروج من السرادق . وكان قد امر رجاله ان يهيئوا احمالهم ويخرجوا بها من ذلك المعسكر الى مكان يعرفونه بجانب الطريق المؤدي الى مصر كما تقدم

فلما بعد عن المعسكر ركب هو ورجاله واخذوا يبحثون عن لمياء ليتحققوا قتلها وشاهدوا جوادها في الطريق قد وقع قتيلاً بعد ان اصطدم بذلك الصخر وتراجع ودمه يسيل من صدره حتى وقع . فلما رأوه ولم يعثروا بلمياء تأكدوا قتلها في مكان رماها به

الفصل السابع والثلاثون

المائدة

اما حمدون فلما دنا الغروب دعا الخليفة الى العشاء الذي اعده له في السرادق الخاص بمائدته . وذهب الامراء الى موائدهم في السرادقات الاخرى ومشى الخليفة

راحس بدوار شديد فسقط على الارض . فاشتغل الغلمان باسعافه ونقلوه الى فسطاط قريب . والخليفة ينظر الى الكتاب وهو يقول للمياء « من اين هذا » ولم يكترثوا لدوار حمدون لاعتقادهم انه نتج من كثرة الاكل

فقالت لمياء « هو من مكان بعيد وقد امر حامله ان يعطيه للخليفة حال وصوله .. واذا كان نائماً يوقظ واذا كان متكئاً لا يُمهل حتى يجلس قبل قراءته وهذا ما جرأني على ازعاجكم وانتم على المائدة .. »

فدفع الخليفة الاسطوانة الى القائد جوهر ففضها واخرج منها لفافة عرف من شكلها انها من مصر لكنه لم يعهد بينه وبين اميرها صداقة او علاقة توجب مخابرة . ودفع جوهر الرسالة الى المعز لعلمه انه يحب ان يقرأ المراسلات بنفسه . وكان القدح لا يزال في يده فادناه من فيه ليشربه قبل قراءة الرسالة فاسرعت لمياء وابعدت القدح عن فيه وقالت « قد أمر حامل الرسالة ان يمنع اميرالمؤمنين عن كل عمل قبل قراءتها »

فاستغرب المعز ذلك واخذ بالقراءة لنفسه والحضور ينظرون في وجهه وخصوصاً جوهر. فراوا الخليفة قد تغيرت سحنته وبدا الغضب في وجهه . وخامره القلق واما الحسين فكان في اثناء ذلك لا يرفع بصره عن لمياء وقدأ دهشه ما رآه من حالها والدم قد لطخ نقابها وبعض ثوبها . ولم يتجاسر ان يخاطبها في حضرة الخليفة ولا سيما بعد ان راى تغير وجهه . . اطال المعز نظره في الكتاب واعاد تلاوته وهو كالمستغرب لما يقراه . وتطاول الحضور باعناقهم لمعرفة ما حواه الكتاب . لكنهم لم يجسروا على التماس ذلك

وبعد هنيهة اشار الخليفة الى جوهر وابنه ان يضعا الاقداح ودفع الكتاب الى جوهر ونظر الى لمياء وقال لها « اين حامل هذه الرسالة ؟ ادعيهِ الى هنا »

قالت « ان حاملها قتل ياسيدي وكدت اقتل معه ولكن الله اعانني لايصاله اليكم وانا على آخر رمق »

فاشار الخليفة الى من في السرادق ان يخرجوا الا جوهر ولمياء وامر الحجاب ان يمنعوا الناس من الدخول حتى الامير حمدون نفسه ففعلوا . وكان جوهر مستغرقاً في تلاوة الكتاب لنفسه وقد اصابه من الدهشة اضعاف ما اصاب المعز . فلما خلا السرادق من الغرباء التفت الخليفة الى لمياء وقال « اكشفي عن وجهك وقصي علينا خبرك . اني ارى عجباً واقرأ اعجب منه »

فلم يسعها الا الطاعة فرفعت اللثام عن وجهها و[illegible]ق بعضه بعنقها من الدم

من الذهب وقدحاً فابتسم المعز ابتسام من عرف الحق واغضى عنه وقال « بمثل هذه الاطعمة اوهنت عزائم اولئك .. لكن لا خوف علينا لاننا لن نعود الى مثلها بعد الان .. ما الذي تحمله بهذا الابريق ؟.. لم يبق لنا قدرة على طعام »

فتقدم الطاهي وقال « هذا يا سيدي شراب هاضم لا تلبث ان تتناول منه قدحاً حتى تذهب التخمة وتشعر بالرغبة في الطعام ثانية »

قال ذلك وصب منه في قدح من الزجاج منقوش وناوله الى حمدون فاخذ حمدون القدح وجعل يتفرس في ماعليه من النقوش — وهو من جملة آنية ابتاعها من تاجر حملها من قرطبة . ثم نظر الى الخليفة وقال « هذا الشراب الهاضم لم اذقه قبل الان فانه من استنباط هذا الطاهي ولذلك ينبغي لي ان اذوقه قبل تقديمه لامير المؤمنين » او هي عادتهم في الشروع بالطعام قبل ضيوفهم ويعدون ذلك مبالغة في الحفاوة . ثم ادنى القدح من فيه وشربه واخذ يتلمظ ويتذوق ويبدي الاعجاب . وامر الساقي فصبَّ في قدح آخر ناوله الى الخليفة وآخر ناوله الى القائد جوهر وآخر للحسين

الفصل الثامن والثلاثون

قادم مفاجئ

وهمَّ الخليفة ان يتناول الشراب مجاراة لحمدون لان معدته قد امتلأت بالاطعمة والاشربة فازعجه دبيب جواد مسرع وقف بباب السرادق وعليه راكب ملثم والجواد يلهث لهثاً شديداً وقد تصبب العرق عنه من الجهد . وترجل فارسه وهم بالدخول بلا استئذان فمنعه الحجاب فلم يبال واخترق الصفوف ركضاً وبيده اسطوانة من الغاب الهندي حتى دنا من المعز . نخاف القوم ان يكون من جسارته خطر على الخليفة فنهض القائد جوهر والقدح بيده وامره ان يرجع . فلم يبال بل ظل مسرعاً وبانت بقع الدم على لثامه فلما دنا من الخليفة دفع اليه الاسطوانة واشار باصبعه ان يقراها حالاً . فتناولها منه وهو يتفرس فيه وكان الحضور منذ دخل الرسول قد استأنسوا بثوبه وخصوصاً حمدون فانه عرف ابنته من ثوبها فصاح « لمياء ! »

فلم تجبه فلما سمعه الخليفة يناديها انتبه انها قد تكون هي فقال « هل انت لمياء ؟ »

قالت « لا تعمل عملاً يا سيدي قبل ان تقرأ هذه الرسالة »

فلما سمع حمدون صوت ابنته عرفها فاراد ان يدنو منها لمخاطبتها نخانته قدماه

العائشين تحت جناحك اناساً يسعون في الكيد لك ولقائدك ويخابرون صاحب مصر لفتح القيروان والحاقها بخلافة العباسيين . وكنت اذا سمعت ذلك استبعدته اذ لا يعقل ان يسعى احد في ابدال دولة بالية خربة من دولة جديدة زاهية . وحدثتني نفسي ان اكتب اليكم بذلك وترددت حيناً حتى وقفت بالصدفة على امر اطار صوابي واقلقني . وهو ما بعثني على كتابة هذا بوجه السرعة وقلبي يخفق خوفاً من تأخره عن الوقت اللازم — علمت يا سيدي من مصدر وثيق وقد سمعت باذني ان صاحب سجلماسة المقيم في جوارك ورجلاً من خاصته اسمه ابو حامد اتفقا على الكيد بك وبقائدك الباسل على ان ينفذا الحيلة في عيد الفطر المبارك وبعثا الى مصر شاباً من رجالها اسمه سالم يزعم انه ابن ابي حامد اوابن اخيه . فهذا الشاب سمعته باذني يقص خبر المكيدة وهو في حال سكر على امراة تعشقها . ولكي تتأكد صدق قولي فانا اذكر من اسماء الاشخاص الذين استعان بهم في هذه المكيدة فتاة اظنها ابنــة صاحب سجلماسة اسمها لمياء اظهر لها سالم انه يحبها ليستخدمهــا في اتمام هذه المكيدة لانها من المقربين في قصر مولاي امير المؤمنين . ولا يطيعني قلمي على التصريح بما دبر اولئك الملاعين — وقى الله مولانا الخليفة من كيد الكائدين . واذا بلغ كتابي هذا الى سيدي الخليفة قبل عيد الفطر فهو ناج باذن الله . والرسول رجل من المولعين بالحق انصار العلويين ايد الله ملكهم . وانا يا سيدي خادم مطيع لكم ابذل نفسي في سبيل الحق ولا غرض لي غير ذلك والسلام » اهـ

ولم يبلغ جوهر الى اخر الكتاب حتى استولت الدهشة على لمياء واصابها شبه الدوار من الحيرة لاستغرابها ما تسمعه عن سالم . وانكشفت لها مكيدته وتحققت انه كان يخادعها . فاحست من تلك اللحظة بكرهه وتحول حبها الشديد الى كره شديد واصبحت لا تصبر عن الانتقام لنفسها منه .... واطرقت كأنها اصيبت بجمود وشعرت كأن الدم جمد في عروقها واصطكت ركبتاها وتولتها الرعدة . وقد خجلت مما تلي عليها من دخولها في تلك المكيدة . وكيف ان يهوديًّا يبعث بخبرها من مصر غيرة على الخليفة وهي في قصر المعز وقد اطلعت على المكيدة منذ شهر ولم [illegible] به . لكنها التمست لنفسها عذراً انها دافعت حتى انتهت المسألة على هذ[illegible]

مرت هذه الخواطر على ذهنها في لحظة سمعت في اثنائها ا[illegible] يقول [illegible] اين صديقنا صاحب سجلماسة »

فلما سمعت لمياء نداءه تحققت انه انما اراد ان يسأله [illegible] المكيدة وخافت وقوعه

وتغيرت ملامحها من عظم ما الم بها تلك الليلة وازدادت عيناها حدة وبسالة وابراقاً
فقال الخليفة « ما خبرك ؟ من اين أتيت »
فقصت عليه ما جرى لها من اوله الى آخره وهو يسمع ويستغرب وينظر في أثناء الحديث الى قائده كانه يستطلع رايه في ما يسمعانه من الغرائب

الفصل التاسع والثلاثون

نص الرسالة

فلما اتت على آخر الحديث اصبحت في شوق للاطلاع على فحوى تلك الرسالة لكنها لم تجسر على طلب ذلك . اما الخليفة فانه كان يسمع كلامها ويتأمل ما يبدو في عينيها من صدق اللهجة والبسالة . فلما وصلت الى ملاقاة ذلك الهجان وكيف انها قتلت قاتله وحملت الرسالة لايصالها سريعاً وهي مصابة بالجروح والرضوض لم يتمالك ان قال لها « لله انت من فتاة باسلة وصديقة صادقة ــ اتحبين ان تسمعي نص هذا الكتاب فاني اعدك ابنة لي بل انا لا اتوقع من ابنتي او ابني ان يكون غيوراً عليَّ مثل هذه الغيرة .. اقعدي » واشار الى مقعد بجانبه فجلست عليه وامر جوهران يقرا الرسالة فاخذ يقراها وهذا نصها :

« الى امير المؤمنين المعز لدين الله من عبده يعقوب بن كلس

« امابعد فاني ما برحت اذكر نعم المولى وفضله علي وعلى ابائي وانا اترقب الفرص للقيام بما فرض عليَّ في سبيل نصرته لاني وان كنت ذميا لم اتشرف بالاسلام فاني قادر ان ارى وجه الحق بالنظر الى تنازع المسلمين على الخلافة . وهي حق صريح لآل علي ابناء عم النبي وابناء بنته . وانما اختلسها سواهم طمعاً بالدنيا لكن الحق عاد الى نصابه بفضل اجدادك الكرام وسيتأيد على يد الامام المعز لدين الله . ولذلك رايتني لا اذخر وسعاً في نصرة الحق واراقب الفرص في تأدية خدمة تعود على الامام بالنصر [illegible] . علمت بدسيسة اعدها المبغضون لايقاع الاذى بالامام وقائده اعزهم الله [illegible] علمت [illegible] بطريقة غريبة في ليلة من ليالي القدر. فلم انم قبل ان كتبت هذ وبعثت به على جناح السرعة مع رسول غيور اوصيته بجد السير حتى يصل قبل فوات الفرصة . فارجو ان يكون قد فاز بذلك وسلم كتابي هذا الى المولى اعزه الله نصره على اعدائه . وجليِّ [illegible] ير يا سيدي اني علمت من قرائن مختلفة ان بين امرائك

في الاذى لكنها سكتت لترى ما يكون . فاجاب احد الغلمان « ان الامير حمدون نائم منذ نهض عن المائدة »

فقال وقد بان الغضب في وجهه « ايقظوه » ثم التفت الى القائد جوهر وقال « وابو حامد ؟ اليس هو ذلك الرجل الذي قدمه لنا حمدون ؟ احب ان ارى الامير حمدون لاسأله عن تلك المكيدة وان كنت لا اصدق دخوله فيها ولكنه سيفصح عن التفاصيل ونرى ما يكون ... اين هو ؟ ايقظوه »

الفصل الاربعون

حمدون

واذا بغلمان حمدون يتراكضون وقد اخذتهم البغتة وتقدم احدهم الى المعز وقال وهو يغصّ بريقه « لم يستيقظ يا سيدي » واخذ في البكاء . فلما سمعت لمياء بكاءه اسرعت الى حيث ابيها فوجدته مستلقياً على مقعد هناك وقد تغير لونه فازرقت بشرته وغارت عيناه وبانت ادلة الموت في وجهه فصاحت « وا والداه ! ماذا جرى لك ؟ » وجعلت تجس يديه ووجهه فاذا هو ميت لاحراك به . فاخذت تندبه وسمع الخليفة بكاءها فاسرع ومعه القائد جوهر فلما رأيا حمدون تحققا موته وعجبا لما اصابه فامر المعز ان يؤتى بالطبيب حالاً فاتى . وحالما وقع نظره عليه صاح « مات الامير مسموماً . . ماذا شرب ؟ »

فقال المعز اكلنا معاً من طعام واحد الا شراباً صبه الغلام لنا جميعاً فشربه هو و نشربه نحن ولا تزال اقداحنا مملوءة على المائدة .. » ومشى الخليفة الى غرفة المائدة ودل الطبيب على الاقداح فتناول الطبيب قدحاً منها وتأمل السائل الذي فيه قليلا وشمه ثم إستخرج من جيبه مسحوقاً وضع شيئاً منه في ذلك الشراب وجعل يتفرس بما يحد[illegible]ه والجميع وقوف ينظرون . فلم تمض برهة حتى تحول ما في القدح [illegible] [illegible] لون الماء فصاح « ان هذا الشراب سام . . من صنعه ؟ »

[illegible] جنا-قبض على الطاهي الذي تولى تلك الوليمة فلم يقفوا على خبر[illegible] واطرق [illegible] في اثناء ذلك واعمل فكرته في ما رآه من الغرائب في ذلك المساء فانف[illegible] له سا[illegible] [illegible]دون لان[illegible] اشترك بالمكيدة وعلم ان شراب المسموم لم يتناوله

الهلال ٧ / ١٦ Vol. XVI, № 7 السنة ١٦



مجلة تاريخية اجتماعية علمية ادبية صحية

سنتها عشرة اشهر

وتعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب تهديه الى المشتركين في آخر السنة

لمنشئها

جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ٨٠ غرشاً في القطر المصري و ١٠٠ غرش في الخارج تدفع سلفاً

AL-HILAL

Social, Historical, Scientific & Literary Review

EDITED BY

GEORGE ZAIDAN *M. R. A. S.*

SUBSCRIPTION : 26 Frs. OR 5 DOLLARS PER ANNUM

1 April 1908

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٨

HILAL Printing Office, Cairo

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر



الجزء السابع من السنة السادسة عشرة

اول افريل (نيسان) سنة ١٩٠٨ و٢٩ صفر سنة ١٣٢٦

اشهر الحوادث واعظم الرجال



لافاييت

قائد الفرنساويين في الثورة

كيف انه جمع كل السلطات في يده فكان هو صاحب السلطة التنفيذية يوظف العمال حتى افراد الكهنة ويشهر الحرب ويعقد السلم والتحالف ويحشد الكتائب ويدير جميع المصالح . وهو صاحب السلطة التشريعية وكل امر يصدره كاف لاحداث التغيير في سنن الحكومة والقضاء ولاوامره قوة القانون اذ لم يكن في فرنسا شريعة مسنونة سوى العادات القديمة واوامر الملوك . وله السلطة القضائية مبدئيًا وكانت الاحكام تصدر باسمهِ والقضاة معدين لخدمتهِ يقيلهم من مناصبهم (١) او يسترد الدعوى منهم فتفصلها لجنة مخصوصة . وله السلطة المالية ايضًا فيعين المصارف ويضع الضرائب ويجبيها على الشكل الذي يريده

وتوصلاً لقيامهِ بكل هذه السلطات كان يحتاج الى العمال فكان له في العاصمة الوزراء المؤلفون لمجلس الملك (وقد احتفظوا على الالقاب القديمة وهي المستشار للقضاء والمراقب العام للمالية والوزراء لغير ذلك من المناصب العالية) وكان لكل مقاطعة ناظر ونواب الا انهم مجردون من كل حق ذاتي فيوظفون او يقالون من مناصبهم تبعًا لارادة الملك واختياره

وكان الملك وعماله متمتعين بالسلطة المطلقة وكانوا يقولون ان هذه السلطة لا يجب ان تكون استبدادية بل ان على الملك ان يحكم بحسب العوائد القديمة التي يسمونها شرائع المملكة الاساسية الا ان هذه الشرائع الاساسية لم تكن مدونة فلا يتاتى لانسان ان يقول عن ثقة شيئًا من مضمونها

وفي سنة ١٧٨٧ قرر البارلمان انه لا يحق للملك وضع ضريبة جديدة من غير ان يستشير نواب الامة . وكان هذا القرار سنة جديدة اذ ان كلاً من لويس الرابع عشر والخامس عشر وضع ضرائب كثيرة حال كون النواب لم يكونوا قد اجتمعوا منذ ١٦٥ سنة وفي جلسة ١٩ نوفمبر جاء مستشار الدولة مع الملك الى المجلس وصرح فيه باسم الملك عن مبادىء السلطنة فقال ان المبادىء المقبولة من الامة جمعاء تؤيد ان للملك وحده السلطة العليا في مملكتهِ وانه لله تعالى فقط يؤدي الحساب عن حسن قيامهِ بسلطته فالسلطة التشريعية محصورة في شخصه وهو لا يتابع ولا يشارك احدًا فيها . فينتج من هذه السنة الوطنية القديمة ان الملك لا يحتاج الى سلطة غير عادية لادارة شؤون سلطنته وليس بوسع ملك فرنسا ان يتلقى من نواب طبقات الامة الثلاث الا الآراء الصائبة . وانه يبقى ابدًا الحكم السامي لما يبدون وما يشكون . فاعترض البارلمان على الخطاب بملء الاحترام

(١) ولما كانت مراتب القضاء تباع في القرنين ١٦ و١٧ لم يكن في وسع الملك ان يقيل احدًا من لوظيفة حتى يرجع عن منصبه واذ كان الملوك يحتاجون دائمًا الى المال ليتمتعوا بهذا الحق فابث القضاة في مراتبهم يستحيل عزلهم بالفعل ولكن ليس بالحق

الثورة الفرنساوية

سنة ١٧٨٩

ان الثورة الفرنساوية التي انتشبت نارها في اواخر القرن الثامن عشر من اكبر حوادث التاريخ علاقة بالتمدن الحديث وقد هزت العالم وقلبت الافكار وغيرت وجه السياسة وحلت قيود الاستعباد وهي اول نصر حازه العامة على الخاصة فكانت مثالاً لسائر الامم وعبرة لاصحاب السيادة . فاخذت القوى تتوازن والحقوق تتقاضى من ذلك الحين . وما من امة ارادت النهوض او التمست الاصلاح الا كان لها بالثورة الفرنساوية مرشداً يهديها في سبيل الصواب او نذيراً ينبهها الى ما وقعت به تلك من الشطط . وحديث القوم عندنا اليوم « الاستقلال والنهضة والدستور » ونحوها فيحسن بنا نشر اسباب تلك الثورة وما جرت اليه من النتائج نقتطف ذلك من كتاب « تاريخ التمدن الحديث » لسينوبس ترجمة ادارة الهلال تحت الطبع . وهو من افضل الثقات في هذا الموضوع قال :

١ — الحكومة والهيئة الاجتماعية بفرنسا

في اواخر القرن الثامن عشر

النظام القديم

ظلت الهيئة الاجتماعية والحكومة حتى اواخر القرن الثامن عشر تنتهج العادات القديمة التي تالفت شيئاً فشيئاً منذ العصور الوسطى . واذ جعل الفرنساويون خلال هذا القرن يفكرون في المسائل السياسية ويبحثون فيها تبين لهم ان معظم الشؤون التي يعيشون وسط محيطها سيئة تضاد العقل والانسانية وهي التي عملت الثورة على سحقها وعرفها الناس باسم « النظام القديم »

وآخذ النقدة هذا النظام في ثلاثة امور: الاول قيام الملك بالسلطة المطلقة من غير رقيب ولا زاجر . والثاني قيام الهيئة الاجتماعية على التفاوت بين طبقاتها . والثالث اتباع الحكومة السبل الشاذة والاعمال الفاسدة . اما الملكية والسلطة المطلقة فالمراد بها ان الملوك كانوا قد نظموا الحكومة على اسلوب جعلوا به كل السلطة تحت مطلق اوامرهم اعتبر ذلك بملك فرانسا

القول انه لم يكن ثمت من سلطةٍ مستقلةٍ ولا سعي بنشر الاخبار لايقاف المفاسد عند حدها أو على الاقل للاشارة اليها ولم يكن من العمال من يخشى الرأي العام لانهم جميعهم كانوا اقوياء غير مسئولين عما يعملون وانهم ليقتدرون على استخدام سلطتهم في ارضاء اهوائهم والاحسان الى اصدقائهم والتحامل على اعدائهم

وكان الملك يتصرف في دخل الدولة كأنه دخله الخاص ومتى اخذ من الخزينة مالاً فكأنه ينفق من ماله فينفق فضلاً عن نفقات قصره اربعين مليون فرنك يهديها لمن شاء كأنها رواتب رجال البلاط . فان عائلة بوليناك وحدها اخذت منه ٧٠٠,٠٠٠ ليرة . وجملة القول ان كل موجودات الخزينة كانت تحت مطلق تصرفه والتوقيع منه على وصل يمكن حامله من قبض المال . لذلك استحال تنظيم ميزانيــة الدولة تنظيماً قانونياً

وما كانوا يتدبرون في المصرف بحيث يتوازن مع الدخل ولذلك فيبقى الدخل في الغالب أقل من المصرف فيسدون النقص بالاستقراض . وكان وضع الضرائب على خاطر الحكومة وفي كل سنة كان المجلس يقرر المال المرتب على كل ولاية الا ولايات الدولة فكان في وسعها وحدها البحث في مقدار ضرائبها وفي الطريقة التي تتوزع بها على الاهلين حسب اقتدارهم المالي . أما سواها من ولايات فرنسا فكان العمال يقومون بكل الشؤون فيوزع الوكلاء والنظار الخراج على سكان النواحي وكانوا يرون عليهم تخفيفها في الاحايين عن المزارع التي لاصدقائهم فيها املاك واما في القرى فلم تكن توزع على حسب متملكات الاهلين ولا عملاً بسنن مقررة وانما قدر ثروتهم على حسب العادة القديمة . وكان للجباة حق التصديق على اقتدار المزارع وعلى الجزم بما يجب ان يؤديه كل واحد من الاهلين فيزيدون أو ينقصون كما يتراءى لهم . ولهذا جعل الفلاحون يتظاهرون بالفقر والمسكنة لئلا يزيدوا اتاواتهم فيقيمون في البيوت الحقيرة و يخفون مؤنهم

أما المال المضروب على المشروبات والملح فان الحكومة كانت تعطيه بالالتزام لبعض الشركات فيجبيها عمالها ويخوّلون من السلطة مثل ما يخوّل موظفو الحكومة و يدخلون البيوت ليروا اذا كان ثمت ملح اشتراه صاحب البيت من الملح المهرب . اما المهربون (باعة الملح المزوّر) فكان يحكم عليهم بالجلد و بالابعاد فكانوا يقبضون في كل سنة على الفين او ثلاثة آلاف منهم وانتهى الامر بالحكومة في بعض الولايات انها تداركت الخلل فعينت لكل عائلةٍ القدر الذي يحق لها ابتياعه من الملح على انّ هذا الملح معدٌّ للطبخ ولا يجوز استعماله لتمليح جلد الخنزير كل ذلك مما جعل الاهلين يتبرمون و يشكون من جور

والوقار فامرهُ الملك ان يصادق على امره بالاستقراض وطلب الدوك دورليان ان يدوَّن في السجل ان الامر قد سجل بامر جلالته فعارض البارلمان في ذلك لانهُ مخالف للقانون فقال لويس السادس عشر بصوت خافت « سيَّان عندي » ثم اردف هذه العبارة بقوله « نعم انه قانونيٌّ لاني اريدهُ » وحقيقة الحال لم يكن للحكومة قانون غير ارادة الملك واذا تعذر عليه النهوض بجميع سلطتهِ كان الوزراء والوكلاء يحكمون و يستبدون في حكمهم اذ ليس من سنة محدودة يأتمرون بها ولا يشاركهم في سلطتهم انسان

وقد بقي من السلطات القديمة اثران هما البرلمان والحكومات الاقليمية في بعض الولايات ولم يكن للبارلمان من سلطة اخرى غير فصل الخصومات بين الافراد . أما الدعاوي التي كانت تُقيمها الحكومة فانها تُفصل في مجالس خصوصية وفي مجالس الدولة . فليس في وسع البرلمان ردع الحكومة عن مظالمها . أما المجالس الاقليمية فلم تكن قائمة الا في بضع ولايات من مثل بريطان و بوركون و بروفانس ولا نكيدوك والبلاد الصغيرة من بيرانه . وقد انتهى بها الحال الى عقد جلساتٍ تستمر بضعة ايام ليس لها في خلالها مجال للعمل الا تقرير الضرائب العقارية وتوزيعها على الولايات

فلذلك كان عمال الملك ولاة الامر يتصرفون في جميع الامور على اهوائهم وليس للعموم ان يأتوا شيئًا ابدًا حتى ولا ان يرمموا جسرًا او كنيسةً الا باجازة الحكومة وفي معظم الولايات لم يكن فوق مجالس العموم جمعية قط حتى ولا للمشورة بل لم يكن للاهلين من سبيلٍ لتقديم شيء من مطالبهم أو اقتراحاتهم للحكومة

وعلى هذا الطرز كان العمَّال ينهضون بما أُوتوا من السلطة من غير ان يشاركهم فيها احد او يكون عليهم رقيب اذ لم يكن لاحد ان يسيطر على اعمالهم أو ان يخوّل حق الوقوف عليها . ولم يكن من سابقةٍ لاجتماع قومٍ يدعون للتفتيش عن ادارة احدى الولايات أو عن الحكومة العامة في المملكة . ولم يكن من شيءٍ يحاكي مجالسنا العامة أو مجالس النواب . ولم يكن من حق الجرائد البحث في احكام العمال وما يعملون لأن المراقب كان يمنعها وهب انهُ اتيح لها ذلك فلا يتأتى لها الاطلاع على اعمالٍ كانوا يتمونها سرًّا وهذا التستر كان شأن الوزراء واتباعهم وسائر العمال وذلك ان يفصلوا الاحكام و ينهوا الاعمال تحت حجب الخفاء بحيث يستحيل على احد الاطلاع على ما يعملون . وقد قال ناكر « ان فرنسا تساس في صميم الادارات » وكانوا لا يعرفون ايضًا كمية الدخل ولا الخرج وقد ادت القحة بناكر الى ان كان يخرج جداول الحساب خاليـة من كل ضبط ودقة وقصارى

ولم تكن الحرية الشخصية مصونة فكان في وسع البوليس القبض على من شاء من الناس وزجه في السجن ما اراد من الزمن غير مسؤول عما يعمل. وكان يكفيهم ان يكون بايديهم عند القبض على احد الناس امر صادر من الملك اسمهُ في التاريخ «الرسالة المختومة» فمن يقبض عليه بموجب هذا الامر يزج في احد السجون التي لا سلطة للقضاء عليها واشهرها الباستيل في باريز فيبقي الرجل سجيناً فيها حتى يتلقى الحاكم الامر باطلاق سبيله. وكثيرًا ما كان ينسى السجين فيقضي السنين الطوال في السجن كما حدث للاتيد الذي اقام في الباستيل خمساً وثلاثين عاماً لانه اساء الى مدام بومبادور. وكانت تلك الرسائل المختومة بين ايدى الوزراء وموظفيهم يصدرونها ليس لاعداء الدولة فقط بل لاعدائهم الخصوصيين ايضاً و بلغ بهم الامر انهم صاروا يبيعونها ممضاة على بياض فيضع المشتري فيها اسم عدوه و ينفذها عليه. وكثيرًا ما اتخذها الاباء وسيلة للتخلص بها من اولادهم العقوقين. وقد قال مالشارب للويس الخامس عشر سنة ١٧٧٠ «لا يأمن واحد من اهل مملكتك على حريته ان تذهب ضحية الانتقام لانه ما من عظيم بلغ مقاماً يجعله في حرز من بغضاء الوزير وما من حقير يأمن بضعفه من بغضاء كاتب المزرعة» فانحصار الملكية القديمة في شخص الملك وانفرادهُ في ادارة حكومتها افضيا الى استفحال الطريقة الاستبدادية المطلقة التي لا مراقبة تعدلها ولا حق لاحد يصد اعتسافها

طبقات الامة والامتيازات

كانت الهيئة الاجتماعية في العصور الوسطى مؤلفة من طبقات كثيرة لا تتساوى في الحقوق. على ان الملوك لم يهتموا بالغاء هذا التفاوت ليستتب لهم تأييد سلطتهم في رعيتهم ولذلك ظلَّ اهل الطبقات العالية متمتعين بحقوقهم الخصوصية (الامتيازات). وكانت الامة تقسم رسمياً الى ثلاث طبقات لكلٍ منها نيابة تمثلها في مجالس الامة

فكان الكهنة اعلى الطبقات ولهم وحدهم من الاملاك الوسيعة ما يقرب من ربع ارض المملكة فضلاً عما كانوا يضربونهُ مسانهة من المال على الحاصلات مما يسمونهُ العشير ومقداره مئة وخمس وعشرون مليونًا في السنة واما املاكهم فلم تكن تدفع من الضرائب شيئًا ولا تؤدي من الاتاوة الا نحو عشرة ملايين كل خمس سنوات على ما يقرره مجلس الكهنة مرة كل خمس سنوات. وكان من حقوقهم مراقبة المدارس الابتدائية والمستشفيات ودور الاحسان ولهم ان يحفظوا سجلات يدونون فيها العماد والزواج والدفن واشباه ذلك من الاعمال التي كانت تنوب فيها مناب بلديات هذه الايام. فضلاً عن المحاكم الكنسية لمقاضاة رجال الكهنوت المخالفين للقانون الكنسي ولفصل قضايا الزواج

هذه الضريبة وشدتها

مع ان الضرائب في فرنسا لهذا العهد يربو مقدارها على خمس مرات عما كانت في القرن الثامن عشر. فان الاهلين استفدحوها يومئذٍ واستثقلوها بما لا يشعرون بمثله اليوم لانها لم تكن ترمى على الناس بالقسط وباعتبار غنى المفروضة عليهم وكانت تجبى بالجور والعنف . وقس على هذه الضرائب قانون القرعة العسكرية فانه منذ وضعهُ لويس الرابع عشر يفوضُ امر اجرائهِ للعمّال فيعفون منهُ جميع اولاد الاغنياء من الفلاحين

حرية الصحافة والحرية الشخصية

وكان جماعات البوليس الذين انشأهم لويس الرابع عشر أشد وطأة على الاهلين من سائر عمال الحكومة وكانت لجنة المراقبة تفحص كل الكتابات ويبقى حجزها متوقفاً على خاطر المراقب وهواه واذا تورطت المطابع فنشرت مالا يجيزه المراقب أخذ اصحابها بالقصاص الصارم حتى بالسجن المؤبد(الكوريك) وتؤخذ المؤلفات المطبوعة من غير اجازة الى المحاكم فتحكم بابادتها. وفي الاحايين كان يحرقها المباشر اعتبر بما وقع لرسائل فولتير الفلسفية ولرسالة ديدروعن العميان ولكتاب روسو بعنوان اميل . وكانوا يقبضون احياناً على المؤلفين ويزجونهم في الباستيل من غير محاكمة . فقد سجن فولتير فيه مرتين ولهذا هجر فرنسا واقام في لورين وبروسيا وفارني ليكون ثمت آمناً غوائل المراقبة ومكاره السجن وقد زج فرارا في الباستيل لابحاثه عن ملوك الفرنك ولهتكهِ اكاذيب بعض التقاليد المروية عن منشأ الملكية

وجملة القول لم يكن للمطبوعات شيء من الحرية حتى كاد يستحيل نشر الجرائد اليومية لان المقالة لم تكن تُطبع حتى تعرض للتدقيق فيها . أما الجرائد المنتشرة برضا المراقبة فلم تكن تخوض في المباحث السياسية او في الاخبار غيرماتبلغها الحكومةاياه تبليغاً رسمياً . ولم تكن الاديان لتزيد في حريتها على المطبوعات لان المذهب الكاثوليكي كان الزامياً اعتبر بما لفظهُ لويس السادس عشر في يمين تتويجه « اني اقسم ان ابذل بكل امانةٍ جميع سلطتي لكي ابيد من كل انحاء مملكتي كل هرطقة تشجبها الكنيسة » ولهذا لم يكن في وسع البروتستانت او اليهود الاجهار بشعائر مذهبهم . ومنذ منع المذهب البروتستاني في البلاد سنة ١٦٨٥ جعل أتباعه يجتمعون سرًا في الاماكن المنفردة فاذا تأتى للحكومة الاكتشاف على احدى مجتمعاتها حكم على القسوس بالقتل وعلى المجتمعين بالسجن المؤبد

ولم يكن الكاثوليك انفسهم احرارًا لانهُ حظر على اصحاب الفنادق منهم استعمال اللحم يوم الجمعة وفي الصوم ومنع الفعلة عن العمل ايام الآحاد والاعياد

ولم تكن الحرية الشخصية مصونة فكان في وسع البوليس القبض على من شاء من الناس وزجه في السجن ما اراد من الزمن غير مسؤول عما يعمل . وكان يكفيهم ان يكون بايديهم عند القبض على احد الناس امر صادر من الملك اسمهُ في التاريخ « الرسالة المختومة » فمن يقبض عليه بموجب هذا الامر يزج في احد السجون التي لا سلطة للقضاء عليها واشهرها الباستيل في باريز فيبقى الرجل سجيناً فيها حتى يتلقى الحاكم الامر باطلاق سبيله . وكثيرًا ما كان ينسى السجين فيقضي السنين الطوال في السجن كما حدث للاتيد الذي اقام في الباستيل خمساً وثلاثين عاماً لانه اساء الى مدام بومبادور . وكانت تلك الرسائل المختومة بين ايدي الوزراء وموظفيهم يصدرونها ليس لاعداء الدولة فقط بل لاعدائهم الخصوصيين ايضاً و بلغ بهم الامر انهم صاروا يبيعونها ممضاة على بياض فيضع المشتري فيها اسم عدوه و ينفذها عليه . وكثيرًا ما اتخذها الاباء وسيلة للتخلص بها من اولادهم العقوقين . وقد قال مالشارب للويس الخامس عشر سنة ١٧٧٠ « لا يأمن واحد من اهل مملكتك على حريته ان تذهب ضحية الانتقام لانه ما من عظيم بلغ مقاماً يجعله في حرز من بغضاء الوزير وما من حقير يأمن بضعفه من بغضاء كاتب المزرعة » فانحصار الملكية القديمة في شخص الملك وانفرادهُ في ادارة حكومتها افضيا الى استفحال الطريقة الاستبدادية المطلقة التي لا مراقبة تعدلها ولا حق لاحد يصد اعتسافها

طبقات الامة والامتيازات

كانت الهيئة الاجتماعية في العصور الوسطى مؤلفة من طبقات كثيرة لا تتساوى في الحقوق . على ان الملوك لم يهتموا بالغاء هذا التفاوت ليستتب لهم تأييد سلطتهم في رعيتهم ولذلك ظل اهل الطبقات العالية متمتعين بحقوقهم الخصوصية (الامتيازات) . وكانت الامة تقسم رسمياً الى ثلاث طبقات لكلٍّ منها نيابة تمثلها في مجالس الامة

فكان الكهنة اعلى الطبقات ولهم وحدهم من الاملاك الوسيعة ما يقرب من ربع ارض المملكة فضلاً عما كانوا يضربونهُ مسانهة من المال على الحاصلات مما يسمونهُ العشر ومقداره مئة وخمس وعشرون مليونًا في السنة واما املاكهم فلم تكن تدفع من الضرائب شيئًا ولا تؤدي من الاتاوة الا نحو عشرة ملايين كل خمس سنوات على ما يقرره مجالس الكهنة مرة كل خمس سنوات . وكان من حقوقهم مراقبة المدارس الابتدائية والمستشفيات ودور الاحسان ولهم ان يحفظوا سجلات يدونون فيها العماد والزواج والدفن واشباه ذلك من الاعمال التي كانت تنوب فيها مناب بلديات هذه الايام . فضلاً عن المحاكم الكنسية لمقاضاة رجال الكهنوت المخالفين للقانون الكنسي ولفصل قضايا الزواج

هذه الضريبة وشدتها

مع ان الضرائب في فرنسا لهذا العهد يربو مقدارها على خمس مرات عما كانت في القرن الثامن عشر. فان الاهلين استفدحوها يومئذٍ واستثقلوها بما لا يشعرون بمثله اليوم لانها لم تكن ترمى على الناس بالقسط وباعتبار غنى المفروضة عليهم وكانت تجبى بالجور والعنف . وقس على هذه الضرائب قانون القرعة العسكرية فانه منذ وضعهُ لويس الرابع عشر يفوضُ امر اجرائهِ للعمَّال فيعفون منهُ جميع اولاد الاغنياء من الفلاحين

حرية الصحافة والحرية الشخصية

وكان جماعات البوليس الذين انشأهم لويس الرابع عشر أشد وطأة على الاهلين من سائر عمال الحكومة وكانت لجنة المراقبة تفحص كل الكتابات ويبقى حجزها متوقفاً على خاطر المراقب وهواه واذا تورطت المطابع فنشرت ما لا يجيزه المراقب أخذ اصحابها بالقصاص الصارم حتى بالسجن المؤبد (الكوريك) وتؤخذ المؤلفات المطبوعة من غير اجازة الى المحاكم فتحكم بابادتها . وفي الاحايين كان يحرقها المباشر اعتبر بما وقع لرسائل فولتير الفلسفية ولرسالة ديدرو عن العميان ولكتاب روسو بعنوان اميل . وكانوا يقبضون احياناً على المؤلفين ويزجونهم في الباستيل من غير محاكمة . فقد سجن فولتير فيه مرتين ولهذا هجر فرنسا واقام في لورين وبروسيا وفارني ليكون ثمت آمناً غوائل المراقبة ومكاره السجن وقد زج فرارا في الباستيل لابحاثه عن ملوك الفرنك ولهتكهِ اكاذيب بعض التقاليد المروية عن منشأ الملكية

وجملة القول لم يكن للمطبوعات شيءٌ من الحرية حتى كاد يستحيل نشر الجرائد اليومية لان المقالة لم تكن تُطبع حتى تعرض للتدقيق فيها . أما الجرائد المنتشرة برضا المراقبة فلم تكن تخوض في المباحث السياسية او في الاخبار غير ما تبلغها الحكومة اياه تبليغاً رسمياً . ولم تكن الاديان لتزيد في حريتها على المطبوعات لان المذهب الكاثوليكي كان الزامياً اعتبر بما لفظهُ لويس السادس عشر في يمين تتويجه « اني اقسم ان ابذل بكل امانةٍ جميع سلطتي لكي ابيد من كل انحاء مملكتي كل هرطقة تشجبها الكنيسة » ولهذا لم يكن في وسع البروتستانت او اليهود الاجهار بشعائر مذهبهم . ومنذ منع المذهب البروتستاني في البلاد سنة ١٦٨٥ جعل أتباعه يجتمعون سرًّا في الاماكن المنفردة فاذا تأتى للحكومة الاكتشاف على احدى مجتمعاتها حكم على القسوس بالقتل وعلى المجتمعين بالسجن المؤبد

ولم يكن الكاثوليك انفسهم احراراً لانهُ حظر على اصحاب الفنادق منهم استعمال اللحم يوم الجمعة وفي الصوم ومنع الفعلة عن العمل ايام الآحاد والاعياد

ويلي الكهنة والاشراف طبقة الاوساط التي لم تكن تعرف الا بعددها وهي الطبقة الثالثة يراد بها جمهور الامة وتنقسم في ذاتها الى عدة درجات و بينها مراتب جمة ممتازة. فان الملوك كانوا يبيعون مراتب القضاء والمالية فأوجدوا بذلك طبقة رجال الرداء ولهم حق القضاء وجباية الضرائب باسم الملك . وكان بين هؤلاء العمال جماعة نالوا مراتبهم بالارث عن آبائهم فمن تفوّق منهم دخل في مصاف الاشراف . فالمستشارون في البارلمان يصيرون من الاشراف بعد الجيل الثالث اما غيرهم من القضاة وموظفي المالية والكتبة ومحرري المقاولات والمدّعين العموميين فانهم يظلون من غير النبلاء ولكنهم يتمتعون بالاعفاء من الجزية ومن اسكان العسكر كما يتمتع بهِ الاشراف فضلاً عما كان لهم من السلطة التي تخولهم اياها مناصبهم

وتجدنّ بين العملة اليدويين الذين يؤدون الجزية قوماً حائزين على الامتياز بممارسة صنعتهم والبيع في الحوانيت كما كان ذلك الامتياز في الاجيال الوسطى بحيث ان المشتغلين بالحرفة الواحدة يجتمع اساتذتهم ولا يقبلون بينهم طالباً الا بعد مضي بضع سنين في الطلب و بعد اداء رسمٍ يتقاضونهُ . و بما ان دائرة الاعمال كانت ضيقة ادى امتياز الاصطناع الى حصر الاعمال في ابناء الاساتذة واذا حاول واحد من الناس الاصطناع او البيع ولم يكن من الداخلين في احدى تلك الجمعيات عرّض بنفسه للحبس والضبط امواله

وقصارى القول ان الهيئة الاجتماعية كانت مؤسسة على التفاوت والامتياز فاصبح ذلك سبباً لاثارة خواطر الاوساط وجعلوا ينكرون اعتلاء بعض الناس عن بعضٍ بسبب اصلهم وشرعوا يقولون ان الرجل من الاوساط يماثل الآخر من النبلاء ولذلك فهم يطلبون مناصبهم

التشويش والفساد

وكان اعداء الطريقة القديمة ينتقدون على الحكومة تشويش نظامها وقسوتهُ فان تقسيم البلاد الى حكومات ومقاطعات[1] Diocéses وولايات Généralités جرى تدريجاً عن غير خطة عامة وانما بالاضافة والالحاق ولذلك جاء مشوشاً غير منتظم الانتساق فكان بين الولايات ما اتسعت دائرتهُ حتى انهُ يعادل اربعاً او خمساً من مقاطعات هذا الزمن في فرنسا بينما كنت ترى منها ما كان بمساحة ولاية واحدة فقط كمقاطعة اكد مثلاً فانها تحتوي عشرين ناحية ومقاطعة روان تحتوي على ما ينوف

(١) ان كلمة المقاطعة Province التي اعتادوا استعمالها للتقسيم الجغرافي القديم في فرنسا ، تكن الكلمة المستعملة قديما لهذا المعنى

اما النبلاء فكانوا قديماً يملكون كل الارضين تقريباً وقد احرزوا كل السلطة الحاكمة فبقي لهم حتى يومئذ اثر منها . الاَّ ان الفلاحين جعلوا يستملكون الارض شيئاً فشيئاً حتى صاروا يملكون نحو ثلث الارضين واخذوا يحرثون الارض ومع هذا ظلوا على طاعة سادتهم الملاكين القدماء عملاً بالسنن المشروعة منذ القرون الوسطى المعروفة في القرن الثامن عشر بحقوق الاقطاع . ومعظم تلك الحقوق لم تكن في حقيقتها الا اتاوى يسيرة على الاملاك تؤدى لهم مسانهة [1] الا ان بعض الاشراف كان يسرف في اعنات الفلاحين واغضابهم في مقاضاتهم رسوم الطحن وارغامهم على الاذعان لحقوق الصيد وهي توجب عليهم ترك الطيور تجتاح زرعهم ولا يعارضون الصيادين في مطاردتها بين تلك الزروع ولو داسوها باقدامهم

ومن ثمَّ انتقلت السلطة من الاشراف الى عمال الحكومة الا انهُ كان للاشراف ميزة فكان دخولهم في المناصب ايسر منالاً لهم مما هو لغيرهم . فكل وظائف البلاط الملكي كانت تحفظ لهم لانهُ لم يكن دخول القصر مباحاً الا للنبلاء ولا يجوز لسواهم المراتب العالية في الجيش حتى انهُ منذ سنة ١٧٨١ لم يكن يعين بين الضباط الا النبيل وهم وحدهم ينالون وسامات الشرف كوسام الروح القدس والقديس لويس والجدارة العسكرية . وظلوا معافين من الضرائب القديمة ومن الجزية ومن اسكان رجال الحرب

وفضلاً عن هذه الامتيازات القانونية كان النبلاء يعاملون بالاحترام في كل مكان سواء كان في ادارات الحكومة او في المحاكم [2] العمومية . ففي كنائس القرى كان للنبيل كرسي الشرف . وكانت تعطى لهم جميع الوظائف المهمة تفضيلاً لهم عن سواهم وكانوا في كل المجتمعات اسياداً طبيعيين لمن حولهم من غير الاشراف — وحدث لفولتير انهُ تخاصم مرة مع الدوك دي روهان فبينما كان يتناول الطعام يوماً في احد البيوت واذا برجل يدعوه لشغلٍ هامٍ وما خرج لظاهر البيت حتى قبض عليه خدم الدوك واوسعوهُ ضرباً بالعصا فلم يقتدر فولتير على اخذ حقهِ بواسطة الحكومة ولما ازاع الخبر زجَّ في الباستيل ولم يخرج منهُ حتى اشارت الحكومة عليهِ بالابتعاد عن البلاد ليتناسى ما كان

---

(١) ان حقوق القضاء التي كانت للشريف لا تخوله شيئاً من السلطة الحقيقية بل كان يتعين عليه ان يستعين بالقاضي

(٢) وكان الشائع على الالسنة ان النظام القديم يقضي على الشريف المجرم بقطع الرأس وعلى الجاني من غيرهم بالشنق وليس ذلك بالواقع فان القصاص كان يتوقف على نوع الجناية فان اللص الذي يقطع السابلة يعاقب بالشنق ولو كان شريفاً وقد جرى ذلك مرارا

شيء [١] وكان لهم اربع محاكم يعلو بعضها بعضاً بحيث يستطاع استئناف الدعوى من محكمة الى اخرى ولذلك كانت الدعاوي تستغرق السنين الطوال وكان المدعون العموميون والمحامون ومحررو المقاولات يبذلون وسعهم في اطالة مدتها حتى ان القضاة انفسهم كانوا ينتفعون من التطويل اذ يأخذون من المتداعين الاجور على قدر ما تشغل الدعوى من الزمن وكثيراً ما كانت نفقات القضاء تستغرق قيمة الشيء المختلف عليه اما القضاء في الجنايات فعلى النهج القديم . ويبقى المتهم في السجن ما اراد القضاة ويترك للتعذيب ويحاكم سرّاً وليس له ان يعهد بالدفاع الى محام ويحكم عليه قضاة دأبهم ابداً تجريم كل متهم وظلوا على التعذيب البربري القديم كالدمغ بالحديد المحمي والربط بالعمد والجلد بالسياط والشنق والصلب والدولاب

هذه هي العادات التي اتفق لها ان اجتمعت وعرفت باسم النظام القديم [٢] وفي القرن الثامن عشر صار القوم يحسبونها مظالم . ولم يقتصر حسبانها جوراً على الذين اصيبوا منها ولكن شاركهم في استفداحها الذين استفادوا منها كالاشراف والكهنة والاغنياء

٢ ــ الثورة

اصل الثورة

كان عداة النظام القديم يتوقعون من الحكومة ان تنهض للاصلاح من ذاتها على ان وزارة تيركو بينت لهم ان الطبقة الممتازة لن تتخلى عن امتيازاتها من غير مناوأة الذين يعملون على نزع حقوقها لذلك جعلوا يقولون بوجوب الثورة لمحو المظالم وتجديد الدولة

ولم يكونوا يعرفون في بادىء الامر باي الذرائع تحدث الثورة والناس على مراتبهم ينتفعون بصد تيار الثورة فالملك وعماله ينفعهم صدها استبقاء لتسودهم المطلق والممتازون احتفاظاً بامتيازهم وليمرحوا في تفوقهم . على ان الحكومة والممتازين كانوا قد جمعوا في ايديهم كل القوى حتى التسلط على المستائين فمنعوهم الكلام . وفي سنة ١٧٨٧ جاء فرنسا

---

(١) بقيت في فرنسا بقية من النظام القديم لانه كان من جملة الذين نهضوا بالثورة بعض المتشرعين الذين امتعضوا للاصلاح العام في القضاء على ان عداد المتشرعين قل جداً وصارت المحاكمة اكثر اختصاراً واصبح التقاضي مجاناً

(٢) ان بعض السنن من النظام القديم متصلة بزمن الاقطاع والبعض الآخر وهو القسم الاعظم منه وضع في القرن السادس عشر على عهد الملكية المطلقة الا ان المستنيرين من رجال القرن الثامن عشر كانوا يكرهون العصور الوسطى ولذلك اعتادوا ان ينسبوا اليها كلما يكرهون وكانوا يحسبون كل السيئات مهما كان نوعها من اعمال زمن الاقطاع

عن السبعمائة — ولم تكن تلك الاقسام تشترك في شؤون المصالح بل كانت كل واحدة منها تقيم اعمالها المدنية والعسكرية على حدة غير ملتفتةٍ الى الاخرى فارتبك الحال وتشوش على شكل لا مثيل له

واحتفظت كل واحدةٍ من تلك الولايات بعاداتها واقيستها واوزانها ومساحتها ولم يكن لها قانون عام ولا عرفت شيئاً من الحقوق العمومية فاصبحت تجارة الولايات وعلاقاتها بعضها مع بعض من اعسر الاعمال وزد علي ذلك ان البلاد القائمة على الحدود كانت كأنها منفصلة عن سائر المملكة لانهم ابقوا فيها بعد ضمها الكمارك القديمة التي كانت من قبل فعدم الانتساق في التقسيم والتباين اوجب التلبك في الاعمال والعاقة في تيسير الاشغال فاستاء المستنيرون وطلبوا التقسيم على هيئة متناسقة وان توحد العادات والموازين والمكاييل

وظلت السلطة في فروع الادارات المختلفة تتبع النهج القديم على ما فيه من الجور والعنف. فكانت المالية توزع الضرائب على نمطٍ يبهظ بثقله عاتق الفقراء من الناس وبقيت الجزية سائرةً على نهج القرن الخامس عشر ومثلها الضرائب الموضوعة ايام لويس الرابع عشر كمال الاعناق والخمس فانها ضربت على ان يشترك في ادائها الممتازون وصارت كرفيقاتها لا ترمى عليهم بالقسط وفاز النبلاء بان تخلصوا منها . اما جباية هذه الضرائب فالقي عبئها الثقيل على كاهل الآخرين فكانت تؤدى بالعنف حتى اذا ابى المكلف الاداء اقام الجابي في بيته ينفق من ماله . ولم يكن الجباة من العمال المأجورين بل من اهل القرى الذين يجبرون على تحصيل مال الضرائب مجاناً على انهم يسألون عما يتعذر عليهم جبايته وفوق هذا كان عمالها يموهون على الناس بالسلطة الممنوحة لهم من الحكومة فيأخذون منهم اكثر من المتعين عليهم . اما الدعاوي التي كانت تقام بينهم وبين سائر الناس فتنظر فيها مجالس المالية الخصوصية وتلك كان من مصلحتها الاخذ بناصر الضامنين . وكان الحشدة في الجيش يجندون الفرق بالعنف ويسمونها المتطوعة ويقيمون على تدربهم بالشدة حتى اذا اخلَّ الجندي بشيء كان قصاصه الضرب بالعصا

اما القضاء فظلَّ علي النسق الذي كان عليه في القرن السادس عشر فكانت مناصب القضاء تؤخذ بالرشوة او بالارث الا ان اصحابها يضطرون الى التعرض للامتحان قبل ان يتولوها ولكن لم يعرف انهُ رفض في الامتحان واحد ولو كان جاهلاً غرًّا بل يستوي في حكمه الذين يعلمون والذين لا يعلمون . اما في القرى فلبث القضاء على حاله القديم بايدي الاشراف وكان قد بقي لهم من السلطة ما يكفي لاعنات المتخاصمين من غير ان ينفعوهم في

ارتباك الحكومة لمراقبة اعمالها والبحث في سياستها ولعرض مساعدتهم عليها — وكانت الحكومة تريد المساواة (على الاقل في الضرائب) مع بقاء سلطتها المطلقة وكان الاعيان يريدون نشر الحرية السياسية مع بقاء الامتياز وهكذا كان الذين يهمهم بقاء النظام القديم على حاله عوضاً عن ان يتحدوا للدفاع عنه جعلوا يختصمون وكل فريق منهم يحاول الايقاع بخصمه . وتوالى على الحكومة مقاومات ثلاث وهي :

(اولاً) ان الاعيان الذين جمعهم كالون رفضوا التصديق على مطالبه فأُقيل وأُديل منهُ بلومان دي بريان فاراد وضع ضريبة جديدة وعقد قرض جديد . الا انهُ رغب في تأمين الدائنين " وذلك " يقضي بتسجيل امر الاستقراض في بارلمان باريز

(ثانياً) رفض البارلمان في باريز التصديق على القرض مالم يؤت بالبرهان على الحاجة الماسة للاستقراض . فتجاوز بذلك حد سلطته اذ لم يكن له الحق الا بابداء شكواه الى الملك وليس له ان يحاجه في اوامره ومن ثمّ شعر المجلس بان الشعب في باريز يعضده فاعلن ان الامة التي يمثلها نوابها لها وحدها الحق بالمصادقة على ما يضع الملك من الضرائب ولذلك فهو يرجو الملك ان يجمع نواب مملكته (هذه الآراء كانت مستمدة من انكلترا الا انها لم يعمل بها في فرنسا منذ قرنين) فترددت الحكومة في اختيار الطريقة التي تنتهجها وسعت في تسكين الاستياء بوعودها لنواب الامة آخذة شيئاً من الاصلاح بان ارجعت الحقوق المدنية للبروتستانت وانشأت مجالس المقاطعات لمساعدة النظار ومراقبتهم وحاولت ان تحمل البارلمان على الموافقة بابعاده الى ترويه ثم بحضور الملك لجلساته واخيراً بانتزاعها منه حق التصديق على الاوامر الملكية

(ثالثاً) انحازت حكومات الولايات ومجالس المقاطعات الى البارلمان واعترضت على استبداد الوزراء وظهرت الفتن ايضاً في بريتان وبروفانس والدوفنيه وقد اثارها النبلاء المستمر لهم الامتيازات ومع ذلك اتحد الاشراف في الدوفينه مع الاوساط واستعادوا نظام الولايات القديم الذي الغي في القرن السابع عشر وطلبت حكومات فيزيل الحرية السياسية ليس فقط للدوفينه بل لكل فرنسا ولهذا يمكن حسبان هذه الفتن طلائع الثورة

فزعزعت هذه المقاومات اركان النظام القديم واخذ الناس يتباحثون في هذه الشؤون في جميع مجتمعاتهم وكادت مراقبة المطبوعات ان تبطل عملها فطبع في سنتي ٧٨٧ او ١٧٨٨ الوف من الرسائل في انتقاد السلطة المطلقة والامتيازات ونشاء عن ذلك رأي عام كان يتزايد قوة ورسوخاً واتفق ان رجع يون الى فرنسا سنة ١٧٨٨ فوجد البلاد مضطربة

ارثور يون الجوالة الانكليزي فقال « ان الاهلين يتحدثون بشؤون بلادهم اقل مما يتحدثون عن احوال هولاندا » وما مرَّ على كلامه العامان حتى حدثت الثورة فدلَّ ذلك على ان سير الفتنة كان سريعاً جدًّا والسبب في ذلك ان الحكومة والاشراف عوضاً عن ان يتعاونوا على كبح المستائين شرعوا يتخاصمون في ما بينهم حتى تولاهم الوهن جميعاً

وكان الداعي الى اختصام الفريقين المسئلة المالية وذلك ان الحكومة كانت منذ نصف قرن تنفق من الاموال ما يزيد على دخلها حتى صار النقص عادة مألوفة في ميزانيتها والدين يتراكم مع الايام . ومما زاد في الطين بلة حرب اميركا الذي اتمَّ تضعضع توازنها المالي اذ انفقت في سبيل تلك الحرب نحواً من نصف مليار فرنك وجعلت تسدد هذا النقص بالاستقراض فاستدان ناكر في خلال خمس سنوات ٤٥٠ مليوناً (فضلاً عن الاربعين من السلفيات وخمس واربعين مليوناً من البيوع) واستدان خلفه كالون ٦٥٠ مليوناً فربا هذه القروض جعل الميزانية تزداد نقصاً حتى بلغ الثمانين مليوناً سنة ١٧٧٣ ومئـة واثني عشر مليوناً سنة ١٧٨٧ وكان يمكن لهذه الخطة ان تستمر جارية لو بقيت المالية بادارة ماليّ ماهر مثـل ناكر لانهُ يعرف كيف يحصل على النقود حيث سبق له فاكتسب ثقة الماليين باخراجه لهم سنة ١٧٨١ ميزانية الدولة بشكل يلمح منه زيادة الدخل على النفقة [1] ولكن ما عتم ان حان الوقت فرفض الماليون اقراض الحكومة خشية افلاسها ولم يعد للحكومة من سبيل للحصول على المال اللازم لها الا بالرجوع الى طريقة تيركو وهي تخفيض النفقات بالغاء الرواتب والوظائف التي لافائدة منها وزيادة الدخل بوضع ضريبة يستوي في ادائها الغني والفقير. ذلك ماطلبهُ كالون على انهُ يقتضي لاتمام هذا الطلب عقد مجلس للبحث في الاصلاح فجمعت الحكومة هذا المجلس من الاعيان الذين اختارتهم حاسبة انهم يصادقون عليه ومثل ذلك زعم العامة وطفقوا يهزأون من الاعيان بان يبيعوا قطعاً خشبية القطعة منها باربعة دراهم . وهي صور متحركة ذات مفاصل تشير برأسها اشارة الايجاب

ولكن تعارضت في هذه القضية منافع الحكومة والممتازين فكان يعوز الحكومة الغاء الامتيازات المالية لتزيد ايراد ضرائبها واصرَّ الاعيان ان لا يؤدوا الضرائب وقد استفدحوا امرها وتخيلوها تحط من شأنهم — وبذلت الحكومة جهدها في حفظ سلطتها المطلقة من غير مراقبة وما استشارت الممتازين الا للمصادقة على اقتراحها وكان الممتازون يغتنمون

(١) كانت هذه الزيادة واهية وانما وضع الميزانية تطميناً للناس كأنه اعلان يدعوهم به لادائه وقد كشف ميرابو عن حالة المالية النقاب في تلك الاونة

من ذلك ولم يرتضوا منهم

فصار من واجب الحكومة تعيين الشكل الذي يتفاوض به النواب · وكان لها اما ان تعمل على خاطرها فتحصر الاصلاح وتؤيد جانب الممتازين او تحدث التغيير فتعضد الامة فاصبحت الحكم بين الممتازين ومن بقي من الامة · وكان عليها ان تبت الحكم فيها لأحد الفريقين ولكنها لم تكن تجسر على بث رأيها حتى انها وهي المطالبة بفض الخلاف كان الوزير ناكر يتظاهر بالحياد غير متشيع لفريق دون آخر الا انه عاد فمنح الاوساط حق مضاعفة عدد نوابهم من غير ان يفصل مسألة الاقتراع الشخصي ولم يعط حكماً فاصلاً للمجلس بشيء من الحقوق

وجرى انتخاب نواب المجلس بحيث ان كل طبقة في كل بلدة او موضع انتخبت نوابها على حدة فكان الكهنة والاشراف ينتخبون نوابهم مباشرة [1] وكان انتخاب العامة لنوابها على درجتين وذلك ان يجتمع أهل كل قرية وينتخبوا عنهم نواباً ثم يأتون قصبة المقاطعة و ينتخبون نواباً عنهم وكل جمعية من تلك الجمعيات تضع لائحة حسب العادة القديمة تتضمن شكاياتهم وما يطلبون للاصلاح ·وكانت تلك المطالب متشابهة في كل ما يتعلق بالحكومة العامة لاسيما وان نواب المدن كانت قد تلقت مثالاً للمطالب التي يرغبون فيها وقد اتفقت الطبقات الثلاث على اعتبار النواب العموميين جمعية من وظيفتها تمثيل الامة واجمعوا على طلب اصلاح المالية ووضع دستور مكتوب يكفل للامة حقوقها ويحدد سلطة الحكومة وطلب نواب الاوساط فوق ذلك الغاء الامتيازات وان تجمع الطبقات الثلاث الى هيئة واحدة يكون الاقتراع فيها شخصيًا اما الحكومة فلم تتخذ اقلّ تدبير لادارة المجلس وخصائصه · وفي ٥ مايو من سنة ١٧٨٩ فتحت الحكومة الجلسات في فارسايل من غير ان تجزم في النهج الواجب اتباعه ولا في الشؤون التي يبحث فيها

الجمعية الوطنية

فاشتبك الخصام بين الفريقين على الهيئة التي يتشكل بها المجلس فالحكومة عملاً بالعادة القديمة اجلست نواب كل طبقة على حدةٍ فلم يرضَ نواب الاوساط عن هذا التفريق لانهُ متى عمل بهِ جرى الاقتراع حسب الطبقات ولذلك ابوا الاشتراك بالمفاوضة قبل ان تقرّر مسائل الاقتراع ورفض الكهنة والاشراف الانضمام الى نواب الاوساط · والحكومة خلال ذلك تزداد ميلاً لعضد الاعيان واستمر الانقطاع عن العمل ستة اسابيع حتى نهض

(١) كان للمطارنة وبعض الاعيان حق بالعضوية لمجرد كونهم ممتازين بدرجتهم الكهنوتية او بنبالتهم

وسمع الاهلين في كل مكان يتحدثون بدنو الثورة وهذه الخواطر والاحاديث سابقات لسنة ١٧٨٩ ولم تتمكن الحكومة من ايجاد المال حتى للانفاق على امس حاجاتها ولم يبق في خزينتها نصف مليون فرنك فوعدت بعقد جلسات البارلمان سنة ١٧٩٢ الا انها استدعت النواب في ٥ مايو من سنة ١٧٨٩ وتوقفت عن وضع دينها في خلال ذلك

النواب العموميون

ورغبة في الحصول على المال اذعنت الحكومة لطلب اسعاف الامة ولعقد اجتماع نوابها لكن بقي عليها حل مسألتين مهمتين

(الاولى) هل يمثل النواب في المجلس طبقات الهيئة الاجتماعية ام الامة باسرها ؟ وهل يؤلف المجلس كسابق عادته من الطبقات الثلاث (الكهنة والاشراف والاوساط) وكل طبقة تتباحث وتقرر لوحدها ؟ فاذا تألف المجلس على هذا الشكل حصلت الطبقتان الممتازتان (الكهنة والاشراف) على الاكثرية ضد نواب القسم الثالث — اوهل يسيرون على منهاج جديد يمنح فيه نواب القسم الثالث من القوة ما يناسب اهميتهم ؟ وقد حسب اشياع حزب الاوساط ان نسبة عدد حزبهم في الامة الى عدد غيرهم من الاحزاب الاوساط كنسبة ٩٩ الى ١٠٠ ولذلك يرون من العدل ان يمنحوا من القوة ما يعادل قوة تينك الطبقتين وبهذا يكون لهم من النواب في المجلس قدر ما يكون للطبقتين معاً — ذلك ما كانوا يسمونهُ مضاعفة القسم الثالث وان يكون الاقتراع مشتركاً لتكون اصوات نواب الاوساط موازية لاصوات نواب الممتازين وهذا ما اطلقوا عليه اسم الاقتراع الفردي

(الثانية) ما هي الشؤون التي يتفاوض بها النواب ؟ أفي القضايا المالية فقط ؟ ام في كل الادارة ؟ وهل يجب اقتصارهم على البحث في اصلاح الضرائب ؟ او يكون من حقوقهم البحث في الاصلاح العام لسائر الشؤون ؟

على ان هاتين القضيتين كانتا متلازمتين فان رجال الامتياز كانوا يرتضون بقبول اصلاح الضرائب الا انهم كانوا يريدون المحافظة على ما لهم من الامتياز فاذا جرى الاقتراع حسب النظام القديم تبقى لهم الاكثرية وحصروا الاصلاح ضمن الاعمال المالية اما العامة فيريدون الاصلاح العام فاذا جرى الاقتراع الفردي صارت الادارة اليهم فاحدثوا انقلاباً . فوقع الخصام بين الممتازين ونواب الاوساط سنة ١٧٨٨ وهكذا اصبح البارلمان والاشراف الذين جاؤا ليحاربوا السلطة المطلقة يحاربون لتعزيز الامتيازات طالبين ان يستدعى النواب ليقترعوا على الطرز القديم (الانتخاب حسب الطبقات) فاستاء الشعب



الجياع الثائرون

وخشي الباريزيون بطش الجند بهم ولذلك منعوهم من الدخول الى باريز ومن ثم تألفوا جماعات للدفاع وكان للملك في العاصمة حصن منيع عند مدخل ضاحية سانت انطوان يقال له الباستيل جعلوه سجناً للمذنبين السياسيين يزج فيه كل من صدرت ضده رسالة مختومة فضمّ كثيرين من رجال العلم والكتبة المجيدين وكان السجناء في تلك الاونة قليلي العدد ولم يكن حماته الا نفر من العاجزين واخرون من السويسيين على ان ما اتى هؤلاء من الظلم والقسوة جعلهم مكرهة الشعب ورمزاً للسلطة الاستبدادية

ومنذ تقلد الباريزيون السلاح حملوا على الباستيل وكان عسكر الدولة في باريز قد صار يومئذ فرقتين احداهما الحرس الفرنساوي الذي لطول عهده في العاصمة امتزج بالاهلين حتى اذا نشبت نار الثورة عضد الثائرين بدلاً من مناواتهم ولهذا تمكن الباريزيون من حصر الحصن الملكي . وكان في جملة زعماء الهاجمين واحد من صغار القواد في الفرقة الملكية للحرس الفرنساوي . فلما سلم حاكم الباستيل اخذ الحصن وللحال شرع القوم

نواب الاوساط فاتخذوا قاعدتين فاصلتين وذلك انهم اعلنوا في ١٧ يونيو امكانهم الاستغناء عن نواب الطبقتين الاخيرتين لانهم هم ممثلو الامة وقد اطلقوا على اجتماعهم اسم الجمعية الوطنية يعنون بذلك ان حق المفاوضة باسم الشعب الفرنساوي منوط بنواب العامة . ثم استدعوا نواب الطبقتين الممتازتين الى حضور جلساتهم على ان يكون لهم حق الاقتراع بالتساوي

وفي ٢٠ يونيو اغلقت الحكومة القاعة التي يجتمع فيها نواب الاوساط فقصدوا مكان لعب الاكرة وا قسموا الايمان ان لا يفترقوا حتى يسنّ دستور الدولة مؤسساً على المبادئ القويمة . وكان ذلك بمثابة تصريح انهُ لا يمكن للملك حلّ الجمعية . وبذلك صار نواب العامة سلطة كبرى مستقلة

وعولت الحكومة يومئذ على ان تضع بياناً للمفاوضة وكان ذلك في جلسة ملكية عقدت في ٢٣ يونيو طلب فيها الملك اصلاح الضرائب والاحتفاظ بالامتيازات . وكان الملك يريد الاحتفاظ بالفروق القديمة بين طبقات الامة الثلاث لان بها يرتبط افرادها ارتباطاً محكماً بنظام المملكة . فوجد الاوساط هذا البيان غير واف بالمقصود فبدأوا بالتمرد على الملك اذ أبوا ان يخرجوا من القاعة عقيب قراءة الاعلان

فاستفحل الخصام يومئذ بين السلطتين . فعزمت الحكومة ان تنصر الممتازين والجمعية الوطنية معاً على انها كانت تستند الى التقليد والقوة المادية ومع انهـا مختلة فقد شعرت بتخلي الرأي العام عنها ناهيك بانحياز الباريزيين الى الجمعية الوطنية وتطرق الوهن الى آحاد الممتازين ثم انضم بعض صغار الاعيان والكهنة الى العامة وشرعوا يجلسون معهم في المجلس ولذلك سلم الملك لهم وامر الباقين من نواب الطبقتين الممتازتين بحضور جلسات الجمعية الوطنية

الباستيل

وكان قد بقي للحكومة يومئذ القوة العسكرية وهي قادرة على استخدامها لفض الجمعية الوطنية عملاً بما اشار به الملكيون على لويس السادس عشر وخشي اشياع الثورة انصاعه لتلك الآراء لاسيما وان الحكومة جمعت الكتائب في فرسايل وتريد ان تسيرها الى باريز حيث كان الاضطراب في اقصى درجاته . وكان موسم عام ١٧٨٨ ماحلاً جدًّا فهرع الى باريز جماعات البائسين الجياع وعصابات اللصوص الاشقياء اتوها من الضواحي ومنهم العملة من اهل سانت انطوان وسانت مارسو وكلهم تألبوا يداً واحدة لمقاومة الحكومة

جماعات من اهل المدائن حراساً للدفاع عن شؤونهم • واذ شاع في الارياف بين الفلاحين ولاسيما في الشرق ان الجمعية الوطنية أطلقت الحرية للناس اخذ القوم بها على ما أحبوا منها على ان التكاليف التي كانت تبهظ بثقلها الظهور فهي المرتبات السنوية والسخرة المعينة للاشراف وهي ما يسمونها حقوق الاقطاع

فشرع الفلاحون يهاجمون قصور الاشراف ويأخذون الدفاتر التي كانوا يدونون فيها الاتاوات والسجلات ويطعمونها للنار وفي اماكن كثيرة نهبوا القصور واساؤا الى الاشراف وتوعدوهم شراً

ولما اتصلت اخبار هذه الفتن بالجمعية الوطنية عزمت على سن قانون يتكفل بتأمين البلاد وجرى البحث في امر هذا المشروع في جلسة التأمت في الليلة الرابعة من اوغسطس بحثوا فيها بتسكين الاضطراب في الولايات وتوطيد الحرية السياسية وتامين الملاكين على حقوقهم الصحيحة

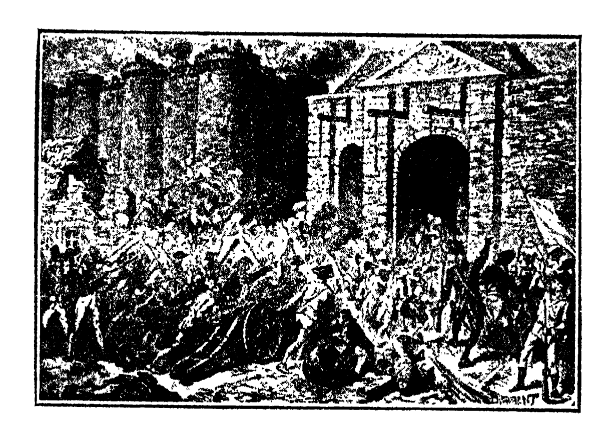
فنهض نفر من الاشراف وطلبوا ان يعلن ان حقوق الاقطاع ستفتدى من العامة وان السخرة والرق الشخصي يلغيان من غير تعويض فقام نائب من بريتون وقال ان الشعب قد احرق القصور لتحترق فيها الصكوك المؤيدة حقوق الاقطاع وان من الواجب الاعتراف بجور تلك الحقوق التي أحرزت في زمن الجهل والظلام فاثار هذا الخطاب خواطر النواب وجعل الكثيرين من الطبقات الممتازة ينهضون الواحد اثر الآخر ويعرضون التنازل عن امتيازاتهم

فقابلت الجمعية ما عرضوه بملء التحمس وقررت الغاء التفاوت بين الوطنيين من سكان العاصمة والولايات وبذلك ابطل الامتياز في التوظيف والغي قضاء الاشراف وحقوق الصيد وبرج الحمام وعدم حق التصرف بالملك والعشور وامتيازات املاك الدولة والمدن والقرى وابتياع المناصب بالرشوة وامتيازات اصحاب الحرف

وعملت وساماً (مدايل) احياءً لذكر الاتحاد والولاء بين جميع الطبقات ولالغاء كل الامتيازات ولما ظهر من خلوص كل الافراد الذين سعوا في سعادة الامة ورفاهها فكانت الليلة الرابعة من اوغسطس قد قضت دفعة واحدة على كل الفروق الفاصلة بين الطبقات وأتيح فيها تأسيس هيئة اجتماعية جديدة على دعائم المساواة

وكتب ما تقرر من المباديء في هذه الليلة في لائحة بديء فيها هكذا « ان الجمعية الوطنية الغت النظام الاقطاعي الغاءً تاما »

يهدمونه ويرقصون طرباً بين انقاضه • وليس اخذ الباستيل في ذاته بالامر الخطير انما مجده زعماء الثورة وحسبوه فوزاً مبيناً لانه كان رمزاً الى استظهار الامة بالقوة على الحكومة الملكية والحق يقال ان الملك احسّ من نفسه بالانقلاب على امره وكان يومئذ (الرابع عشر من يوليو) في فارسايل مع الجمعية الوطنية فجاء الجمعية في اليوم التالي وقال « ثقة مني بامانة رعيتي امرت الكتائب بالانسحاب عن باريس وعن فرسايل فافوضكم واكلفكم اعلان سكان العاصمة بذلك »



الهجوم على الباستيل

ومن ثم انسحب وقام اعضاء الجمعية في اثره الى قصره بين تهاليل الجماهير من الخلق وعزف الموسيقى التي كانت تتغني بانشودة مطلعها « اين يمكن ان يكون افضل لك من حضن عائلتك » ومع ان الملك عدل عن استخدام جنده لمقاومة الباريزيين والجمعية الوطنية فان البايزيين تقلدوا السلاح وتألفوا حرساً وطنياً تحت أمرة لافاييت من اشياع الجمعية الوطنية • فانتقلت القوة من الملك الى الجمعية

واصبحت هذه الجمعية المعززة من الباريزيين منفردة بالسلطة الحقيقية ولذلك حسب اخذ الباستيل تاريخ بدء الثورة وهو الرابع عشر من يوليو لسنة ١٧٨٩ وهي السنة الاولى للحرية

(الليلة الرابعة من اوغسطوس) : منذ الاستيلاء على الباستيل تداعت اركان الحكومة الملكية في فرانسا كلها وعمّ الخلل جميع فروعها ولم يبق من البوليس من يحافظ على الراحة وتوطيد الامن في البلاد ولذلك جعل يطوف البلاد عصابات من اللصوص للسلب وتكتب

اثار التمدن الاسلامي

٣ – اثاره العلمية في التمدن الحديث

قد تقدم في كلامنا عن آثار التمدن الاسلامي الاجتماعية ان معظمها يتعلق بالشرق وشعوبه . واما آثاره العلمية فانها قاصرة على الغرب واهله ونعني بها تأثير ذلك التمدن في اوربا قبل نشوء تمدنها الحديث . لان اهم عوامل هذا التمدن مقتبسة من ذاك او قائمة على انقاضه كما قام التمدن الاسلامي على انقاض التمدنين الروماني والفارسي – سنة الله في خلقه . ولا يسع المقام هنا تتبع كل عامل من عوامل التمدن الحديث الى مصدره في التمدن الاسلامي فنقتصر على بيان العوامل العلمية وهي اهمها وربما اتينا على غيرها في فرصة اخرى . وقد تعود كتابنا اذا ذكروا فضل العرب على اوربا اكتفوا بالاشارة الى ذلك اجمالاً كقولهم « ان الغرب اخذ علومه من الشرق او من العرب » ولم نجد بينهم من عين العلوم التي اخذوها او الكتب التي نقلوها ليكون القول ارسخ في الذهن واثبت للفهم اذ قد يُحمل ذلك القول الاجمالي على المبالغة فلا يعتد بهِ – ونحن متهمون بالميل الى المبالغة في الاقوال والمفاخرة بالاسلاف ! ولذلك فاننا آتون في ما يلي بما يتسع له المقام من الفوائد التي اصابها اصحاب التمدن الحديث من المسلمين باحتكاكهم بهم في ابان تمدنهم او بما تعمدوه من الاخذ عنهم فنذكر العلوم التي اقتبسها الافرنج عنهم والكتب التي نقلوها من العربية الى السنتهم ومن نقلها ومتى

١ – احتكاك الافرنج بالمسلمين

نشأ التمدن الاسلامي في الشرق ونقل اصحابه علوم اليونان والفرس والسريان والهنود الى لسانهم ونظموا الحكومة وانشأوا المدارس والمستشفيات والمراصد والمكاتب في بغداد والبصرة والكوفة ودمشق والقاهرة وفي طليطلة وغرناطة وقرطبة واهل اوربا غارقون في غياهب الاجيال المظلمة يشتغلون بالنزاع والخصام وقد اقفلوا على كتب اسلافهم في الاديار والمعابد فقلَّ من يلتفت الى بحث او درس الاَّ ان يكون من قبيل الجدال في مذهب ديني لم يبق من حقيقته غير الالفاظ . وقد انحصرت معارفهم بما يحيط بهم الاَّ بصيصاً اتصل بهم ممن جاورهم من العرب في الاندلس واطراف ايطاليا وفرانسا واذا سمعوا عن امم الشرق فانما يسمعون غمغمة اضعف البعد صوتها فاختلطت مقاطعها وانقلبت معانيها .

نهاية النظام القديم

ان النظام القديم كان يشوبه ثلاث خصال

الاولى : انه كان للملك السلطة باجمعها من غير مراقبة فكان السيد المطلق

ثانياً : كان اهل المملكة منقسمين الى ثلث طبقات لا تتساوى في الحقوق

الثالثة : ان اعمال الحكومة كانت جارية على السنن القديمة بما فيها من التشويش والغلطة

فالجمعية الوطنية بانتزاعها السلطة من الملك وبالغائها الامتيازات هدمت سلطة الملك المطلقة ولاشت التفاضل بين الوطنيين ومن ثم اخذت على نفسها تجديد بناء الحكومة على شكل واحد بسيط منتظم

ولما آلت على نفسها تجديد الدولة بدأت بهدم فرانسا القديمة ورغبت قبل الاخذ بترميم البناء الجديد ان تطهر الموضع من اثار الماضي فاعملت على الغاء كل النظام القديم حاسبة ذلك اولى من اصلاحه • ولذلك ابطلت كل المناهج القديمة التي ورد في مطالب المنتخبين ان فيها جوراً وحيفاً ثم توجت الدستور الجديد بالبيان الآتي :

« ان الجمعية الوطنية لرغبتها في تطبيق الدستور الفرنساوي على المبادىء التي اعلنتها الغت الغاء باتاً جميع السنن التي تخدش الحرية والمساواة في الحقوق »

فلم يبق لديها ميزة للنبلاء ولا لاصحاب الاقطاع ولا للحسب الموروث ولا لاختلاف الطبقات ولا تعترف بشيء من حقوق الاقطاع ولا بالقضاء الموروث ولا بالالقاب ولا بالمقامات والمراكز الناجمة عنها ولا بنظام الفوارس ولا بغير ذلك من سيادة الا لعمال الدولة حين اتمام وظائفهم • وليس ثمت من رشوة او ارث لمطلق الوظائف العمومية وليس لجماعة من الامة او الواحد من الاهلين اقل امتياز ولا خروج عن الحق العام الذي يناله كل واحد من الفرنساويين ولا تعتبر رئاسة المهن ولا جماعات الحرف والصنائع ولا تعترف الشريعة بالنذور الدينية او بغيرها من المواثيق والعهود التي تنابذ الحقوق الطبيعية او الدستور

ومنذ سنة ١٧٨٩ بطلت كل الشؤون القديمة مثل مجالس الملك ومجلس الحكومة والنظار والبرلمان والمحاكم والضرائب والالتزام واعلن ان املاك الكهنة من جملة املاك الوطنيين وهكذا لم يبق شيء من النظام القديم



او قرطبة او غيرها في حل معضلة فلسفية او علمية او طبية . فلا
ب تعليم ابنائهم على مدارس المسلمين فيرسلونهم الى مدرسة قرطبة
نرسل نحن ابناءنا الى كمبريدج او اوكسفورد . وقد بدأ
لعرب من القرن العاشر للميلاد ولم يفرغوا منها الا بعد انقضاء
لبيان :

— المترجمون من العربية الى اللاتينية

علوم العرب الى السنتهم ولا سيما اللاتينية خمسة قرون (من
شر) فنبغ عشرات من المترجمين نقلوا مئات من الكتب في
والالهيات وغيرها ولو اردنا تفصيل اعمالهم لضاق بنا المقام
ر الترجمة المشار اليه الى اربعة اطوار : الاول طور التمهيد
ور طليطلة العام لاشتغال الافراد بالترجمة من عند انفسهم .
ب قشتالة لانه انشأ مجمعاً لنقل تلك الكتب على نفقته . والرابع
ل تلك العلوم

: يبدأ هذا الطور بالقرن العاشر للميلاد واول من وصل
با سلفستر الثاني في اواخر القرن العاشر . وكان قبل البابوية
التعليم الى رتبة الاسقفية وتنقل في ابرشيات عديدة حتى بلغ
لعاً على اكثر علوم عصره باختلاف مواضيعها لانه قضى مدة
علم في مدارسها وهو اول من انتبه الى نقل علوم المسلمين الى
فنقل جانباً من كتب المنطق والفلسفة والنجوم وغيرها وقد
معاً

فع المتوفى سنة ١٠٥٤ م وقد قرأ العلم في كتب المسلمين وان لم
اليه كتبهم تعلم بها الموسيقى والهندسة والنجوم ونقل كثيراً منها
مضها

الم شرقي اسمهُ قسطنطين الافريقي قضى شبابهُ في المغرب
ع ويدرس ثم انتقل الى سالرنو في ايطاليا وفيها المدرسة
رجم الى اللاتينية اهم كتب العرب في الطب والفلسفة مما نقلهُ
من عند انفسهم في العلاج والعقاقير ومنها كتب خاصة بالرمد

فاساؤا الظن بالشرق والشرقيين والاسلام والمسلمين · وزادهم نقمة وحقداً ما كان يقاسيه بعضهم من المسلمين في الاندلس من حرب او فتح · حتى اذا هاجهم صائح الجهاد لانقاذ بيت المقدس لبوه وحملوا على الشرق بخيلهم ورجلهم عدة حملات عرفت بالحملات الصليبية

فتح الافرنج بيت المقدس سنة ١٠٩٩ واستبدوا فيهِ الى سنة ١١٨٧ ثم ظلت الحروب سجالاً بينهم وبين المسلمين في سوريا حتى خرجوا منها سنة ١٢٩١ فرأوا في اثناء ذلك من احوال الشرقيين مالم يعرفوه — رأوا علماً وسياسة ونظاماً وادارة قد ننتقدها اليوم ونرى فيها نقصاً ولكنها من ارقى ما بلغت اليه الدول في تلك الاعصر · فلما خرجوا من سوريا رجعوا وفي انفسهم اثر حسن حملهم على التشبه باولئك الغالبين فاخذوا يفكرون في الخروج من ظلماتهم وليس بين ايديهم من اسباب الانارة غير ما الفه العرب او ترجموهُ او لخصوه فأخذوا بنقله الى لسان العلم عندهم وهو اللغة اللاتينية · على ان بعضهم زاد نقمة على من بقي في اوربا من المسلمين نعني الاندلسيين فعملوا على اخراجهم بالقوة انتقاماً لما اصابهم في سوريا وكانوا قد فتحوا بعض مدائنهم فاتموا فتحها جميعاً في اواخر القرن الخامس عشر للميلاد وخرج المسلمون منها وهو آخر عهدهم بها

واتفق في اثناء ذلك قيام آل عثمان في اسيا الصغرى وقد شاهدوا رجوع الافرنج عن الشرق مدحورين فاستخفوا بهم وطمعوا في بلادهم فحملوا على اوربا من جهة المشرق كما حمل عليها العرب في صدر الاسلام من جهة المغرب · فاكتسحوا بعضها وفتحوا القسطنطينية في اواسط القرن الخامس عشر وهي يومئذ مجتمع العلماء والحكماء وخزانة العلم والفلسفة فهرب اهلها من وجه الاتراك واوغلوا في اوربا ومعهم كتبهم وعلومهم · وشعر الافرنج من ذلك الحين بحاجتهم الى الاتحاد ونبذ الشقاق لئلا يغتالهم الغرباء فاتحدوا اوتسالموا ونهضوا للاصلاح ـ وذلك طبيعي على اثر كل حرب او ثورة فآل نهوضهم الى انشاء التمدن الحديث وهم انما تنبهوا من بعد احتكاكهم بالمسلمين في الشرق وفرار علماء اليونان اليهم من القسطنطينية

وكانوا قد اخذوا في تمهيد السبيل لهذا التمدن قبل ذلك الفتح ببضعة قرون بما كانوا يتعلمونه في مدارس الاندلس او ينقلونهُ من كتبها الى اللاتينية او غيرها · كانهم نهضوا يلتمسون الرقي السياسي والعلمي معاً فحملوا على المسلمين في مدائنهم وعمدوا الى اقتباس علومهم من مدارسهم وهم ينظرون الى الشرق يومئذ كما ننظر نحن اليوم الى اوربا فكانوا يرجعون الى العرب في تقرير الحقائق وحل المشاكل وكثيراً ما كان قياصرة القسطنطينية اوغيرهم من ملوك

سائر ملوك اسبانيا على السيادة فقد تفرغ لخدمة العلم فجمع اليه المترجمين والمؤلفين كما فعل خلفاء العرب في بغداد قبله بضعة قرون واستحثهم على نقل العلوم لمنفعة الامة على نفقته . وتمتاز الترجمات التي نقلت على يده بانها لم تنقل من العربية الى اللاتينية رأساً بل نقلت اولاً الى اللغة الاسبانية القشتالية ومنها الى اللاتينية وظل بعضها في القشتالية . وانشأ الفونس مدرسة كبرى جامعة في بلنسية هي اول جامعة في اسبانيا فعل ذلك اقتداء بجيرانه العرب ونقلت هذه الجامعة بعد ذلك الى سلمنكة

واستقدم الفونس جماعة من علماء العرب الاندلسيين الى عاصمته للاستعانة بهم في مشروعه فاحضر ابن راجل والقبيعي من طليطلة وقربهما اليه وسماها استاذيه . واستقدم ابن موسى ومحمداً من اشبيلية . ويوسف بن علي ويعقوب ابن سنا من قرطبة . وبعث الى غسكونية والى باريس فاحضر نحو خمسين عالماً وعهد اليهم الاشتغال في نقل كتب العلم فقضوا في نقلها نحو نصف قرن وهو ينفق فيهم ويخلع عليهم ويقوم بما يحتاجون اليه من مرافق الحياة لهم ولاهلهم . واشهر اولئك النقلة يهوذا بن موسى وربي ساج وصموئيل ليفي من اليهود وفرنان الطليطلي وغيرهم

رابعاً ✻ طور سائر اوربا ✻ : ونريد به العصر الذي اشتغل الافرنج فيه بنقل كتب العرب خارج الاندلس . وكل نقلة هذا الطور في اوربا الا اثنين احدهما اتيان الانطاكي في انطاكية والآخر فيليب الطرابلسي في طرابلس . وعمل بعض ملوك اوربا عمل الفونس القشتالي فجمع المترجمين اليه ونشطهم . وممن فعل ذلك فريدريك الثاني صاحب المانيا وايطاليا المتوفى سنة ١٢٥٠ وهو من اعظم نوابغ القرون الوسطى وكان محباً للفلسفة يقرب العلماء والفلاسفة ويكاتبهم . واشهر الذين اجتمعوا تحت لوائه من النقلة ميخائيل سكوت الانكليزي ترجم نحو عشرين كتاباً . وسار منفريد بن فريدريك على خطوات ابيه فكان من جملة النقلة عنده هرمان الالماني واتيان المسيني ومنفريد نفسه ترجم كتاباً لارسطو بقلمه . واقتدى بهما شارل دنجو بفرنسا واليه رفعت ترجمة الحاوي للرازي نقلها فراغوت اليهودي

وكان عصر اولئك الملوك زاهياً كما كان عصر الزهو العباسي ثم تقاعد الناس عن العمل لانهم اكتفوا بما لديهم وعمدوا الى التأليف كما فعل العرب . وآخر من عرفنا اسماءهم من المترجمين غير الذين تقدم ذكرهم ارمينكو وفيلنوف وكرومر وسمعان الجنوي وبنافينوس وغيرهم . ويزيد عدد المترجمين الذين علمنا بهم على خمسين مترجماً

والحميات وغيرها وسيأتي ذكر اهمها واسماء مؤلفيها

ثانياً ﴿ طورطليطلة العام ﴾ : اصبحت طليطلة في القرن الثاني عشر للميلاد بمن امها من الافرنج للترجمة او التأليف كما كانت بغداد في القرن التاسع على عهد الرشيد والمأمون بمن اجتمع فيها من التراجمة واهل العلم السريان والفرس والهنود . وبين النهضتين فرق عظيم لان نقلة العلم في العصر العباسي كانوا يجتمعون في بغداد على الغالب بامر الخلفاء وفيهم نخبة الادباء والعارفين باللغتين اليونانية والعربية لما كان الخلفاء يبذلونه من المال في استقدامهم واستثمار قرائحهم . واما في طليطلة فكان طلاب المعرفة يقدمون على العمل في اثناء ذلك الطور من تلقاء انفسهم وقلّ منهم من يتقن العربية فجاءت منقولاتهم الى اللاتينية اقل ضبطاً ووضوحاً مما نقل للعرب قبلهم من اليونانية الى العربية

وكانت طليطلة في ذلك القرن حافلة بالعلماء والفلاسفة وفيها جماعة كبيرة من الفرنساويين شخصوا اليها واقاموا فيها للاستفادة ماديا وادبيًّا . واكثر طلبة العلم يومئذٍ من الكهنة او الرهبان وفي جملتهم ريمون اسقف طليطلة اقام فيها من سنة ١١٣٠ الى سنة ١١٥٠ وهو اول من اشتغل بنقل العلوم من مصدرها الاصلي في طليطلة واخذ ينشرها في اوربا . بدأ عمله على يد اثنين احدهما يعرف العربية العامية والآخر يعرف اللغة اللاتينية فكانت منقولاته الاولى ضعيفة مشوشة ثم اشتغل الذين جاؤا بعده باتقان اللسان العربي وضبط الترجمات . وترجم ريمون كتباً في الفلسفة والنجوم وغيرهما فلما انتشرت في اوربا رغب الناس في مثلها فتقاطر الطلبة الى طليطلة من سائر اقطار اوربا واشتغل بعضهم في نقل القرآن واشتغل الآخرون في نقل العلوم على اختلاف مواضيعها . واشهر اولئك النقلة افلاطون الطيبوري وادلار الباطي و يوحنا الاشبيلي وكونديسالفي وهرمان الدلماتي ومرقس الطليطلي وروبرت الرتيني ودانيال المورلي . واكثرهم عملاً جيرار الكرموني وقد ناهزت ترجماته ثمانين كتاباً جمعت علوم القدماء على الاجمال في المنطق والفلسفة والرياضيات والنجوم والطبيعيات والكيمياء والتنجيم وغيرها بعضها لليونان كارسطو وارشميدس واقليدس وبطليموس وابقراط وغيرهم وبعضها للعرب كالفارابي وثابت بن قرة واولاد موسى والخوارزمي والكندي والفرغاني وجابر بن افلح وما شاءالله وابن الهيثم وكلها منقول عن العربية . وظلت طليطلة قرنين وهي ملتقى طلبة العلم ونقلة الكتب

ثالثاً ﴿ طور الفونس ملك قشتالة ﴾ : هو احد ملوك اسبانيا الذين حاربوا العرب في القرن الثالث عشر ويسمونه « الحكيم » لانه مع ما كان من محاربته العرب ومنافسته

والكتب العربية التي نقلوها الى اللاتينية طائفتان (١) الترجمات وهي التي نقلها العرب عن اليونان وابقوها كما هي فهذه نقلها الافرنج من العربية لكنهم نسبوها الى مؤلفيها الاصليين فلا نتعرض لذكرها (٢) المؤلفات التي الفها المسلمون من عند انفسهم بعد درس علوم القدماء وهي القسم الاهم . والعلماء اليونان الذين نقل الافرنج كتبهم عن العربية اشهرهم ارسطو وافلاطون وابقراط وجالينوس واوقليدس وارشميدس . واما علماء العرب فقد تقدم ذكرهم واليك امثلة من الكتب التي ترجمها الافرنج وبجانب الكتاب اسم مؤلفه واسم مترجمه وبعضها لم يعرفوا مترجمه كما ترى :

اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه	اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه
السمع والبصر	الكندي	الكريموني	الاغذية	الرازي	الكريموني
الغاية	»	»	علل المفاصل	»	مجهول
الاحكام	»	»	امراض الجلد	»	»
التوحيد	»	»	الترياق	»	»
الاسباب المختلفة	»	مجهول	الجدري والحصبة	»	»
مستقبل المعرفة	»	»	القانون	ابن سينا	الكريموني
خصائص العناصر	الفارابي	»	قلب الانسان	»	فيلنوف
السمع الطبيعي	»	الكريموني	الارجوزة في الطب	»	ارمنكو
المنطق	»	»	شرحها	»	»
مطلع العلم	»	كنديسالفي	الشراب	»	الباغوس
اقسام الفلسفة	»	»	النفس	»	الاشبيلي
العلوم	»	الكريموني	ما بعد الطبيعة	»	كونديسالفي
العقل والمعقول	»	مجهول	الطبيعيات	»	»
الكيمياء	»	»	السماء والعالم	»	»
الحاوي	الرازي	فراغوت	مختصر الحيوان	»	سكوت
المنصوري	»	الكريموني	التعريفات	»	مجهول
الضوء	»	»	الكيمياء	»	»
الاقسام	»	»	الحجر الفلسفي	»	»
المدخل في الطب	»	»	الحدود	»	»

٣ — الكتب المنقولة من العربية

بلغ عدد الكتب التي نقلوها نحو ٣٠٠ كتاب نقلت من اللغة العربية الى اللاتينية رأساً الا قليلاً نقل بواسطة لغة قشتالة وقليلاً بواسطة العبرانية . وتقسم الكتب المذكورة حسب مواضيعها على هذه الصورة :

عدد الكتب المترجمة	مواضيعها
٩٠	في الفلسفة والطبيعيات
٧٠	« الرياضات والنجوم
٩٠	« الطب
٤٠	« النجامة والكيمياء

فهذه الكتب نقلها الافرنج الى اللاتينية ثم نقلوا بعضها الى السنتهم . وتبلغ الكتب المذكورة نحو ضعفي ما نقله العرب من علوم القدماء الى لسانهم فلو تحاسب الشرق والغرب قبل نهضتنا الاخيرة لكان الغرب مديناً لنا لان العرب لم ينقلوا من كتب القدماء اكثر من ٢٠٠ كتاب نحو ثلثيها فقط نقل من اليونانية والباقي من الفارسية والهندية والسريانية فيكون عدد الكتب التي اخذها الشرق من الغرب نصف التي اخذها الغرب منه . لكن الغرب وفى ما عليه في نهضتنا الاخيرة بما اخذناه من اسباب التمدن الحديث . ونقلة العلم في العصر العباسي لم يزيدوا على ثلاثين مترجماً . اما نقلة التمدن الحديث فقد زادوا على خمسين . ويقال نحو ذلك في عدد المؤلفين اليونانيين الذين نقل العرب عنهم وعدد المؤلفين العرب الذين نقل الافرنج عنهم فاليونانيون لم يزد عددهم على بضعة عشر عالماً واما المؤلفون العرب الذين نقل الافرنج عنهم فيزيدون على بضع عشرات هذه اسماء اشهرهم :

في الفلسفة : الكندي وقسطا بن لوقا والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وابن باجه وابن الطفيل وما شاالله وابن جبريل وحنين بن اسحق والسرخسي وغيرهم

وفي الرياضيات والنجوم : ثابت بن قرة واولاد موسى والخوارزمي وابن الهيثم والفرغاني والبتاني وجابر بن افلح والبتروجي وابن الصفار والقبيصي والزرقالي وغيرهم

وفي الطب : سرابيون الاكبر والاصغر وماسويه الاكبر والاصغر والرازي وابن الجزار والزهراوي وعلي بن عباس وعيسى بن علي والميموني وابن سينا وابن زهر واسحق الاسرائيلي وابن بطلان وابن جزلة وغيرهم

اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه
الجبر	ابو كامل شجا	الكريموني
الاسطرلاب	ابن الصفار	مجهول
المثلثات الكروية	جابر بن افلح	»
النصرانية والاسلام	البتروجي	سكوت
زاد المسافر	ابن الجزار	قسطنطين
المدخل في النجوم	القبيصي	الاشبيلي
الشفق	ابن الهيثم	الكريموني
المختصر	سرابيون	»
الحميات	ماسويه	مجهول
الجراحة	«	فراغوت
الايساغوجي	حنين	مجهول

اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه
المنطق	السرخسي	مجهول
النفس والروح	قسطا بن لوقا	الاشبيلي
التعاويذ	«	« فيلنوف
اللاهوت	جابر	الكرموني
الانواء	ابن العوام	»
الزيج	الزرقاني	»
السموم	الميموني	المسيني
النجوم	الفرغاني	الكريموني والاشبيلي
زهر النجوم	البلخي	الاشبيلي
الاختبار	»	مجهول
الرمد	»	«

هذه الكتب كلها من مؤلفات العرب غير ترجماتهم التي لم يحدثوا فيها تغييرًا ونقلها عنهم الافرنج ولم نتعرض لذكرها . اما التي ذكرناها فانها من مؤلفات العرب وليست هي كل ما نقلوه . واكثرها موجود في المكاتب الدولية الكبرى في اوربا كالمكتبة الاهلية بباريس ومكاتب اوكسفرد وكمبردج و برلين ولندن وفينا ورومية ومنشن وغيرها . وهي هناك حتى الان معروضة لمن يريد الاطلاع عليها . و بعضها قد ترجم غير مرة ومنها طبعت ترجمته اللاتينية ونشرت مرارًا كالقانون لابن سينا وكتاب النجوم للفرغاني والحاوي للرازي وارجوزة ابن سينا في الطب والتيسير لابن زهر ومعظم مؤلفات ابن سينا وابن رشد والفارابي . و بعضها نقل الى اللغات الافرنجية الحية كالانكليزية والفرنساوية والالمانية والايطالية وغيرها . و بعض هذه الترجمات قد ضاع اصلها العربي وتقادم العهد عليها قبل ان ينتبه الناس لضبط اخبارها فذهب كثير من اسماء مترجميها واختلطت اسماء بعض المؤلفين بالبعض الاخر لان نقلتها لم يضبطوا تلك الاسماء ضبطًا حسنًا فوقع فيها التحريف وتغيير شكلها وابتعدت عن الاصل بعدًا كثيرًا وهذه اشهر الاسماء المحرفة :

ابو الحسن ابن بطلان	Ellchasen Ellimitar	ابن وافد	Eben Guefith
ابو القاسم بن علي الموصلي	Canamusali	ابن زهر	Avenzoar

اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه
المنطق	ابن سينا	مجهول
الفلسفة الاولى	«	«
الكليات	ابن رشد	ارمنكو
شرح ارجوزة ابن سينا	«	«
الادوية المفردة	«	ماين
الترياق	«	مجهول
السموم	«	«
شرح السماء والعالم	«	سكوت
« النفس	«	«
القوى الطبيعية	«	«
الرجم	«	«
الماجسطي	ثابت بن قرة	«
الاوزان	«	«
تركيب الدوائر	«	«
التصور	«	الاشبيلي
السيارات	«	مجهول
الثوابت	«	«
التقارب والتباعد	«	«
الدائرة المثمنة	«	«
التناسب	«	«
أحكام النجوم	ماشاالله	الاشبيلي
احكام القرانات والممازجات	ماشاالله	«
الاسطرلاب	«	مجهول
الدائرة	«	الكريموني
البول	اسحق الاسرئيلي	قسطنطين
الحميات	اسحق الاسرائيلي	قسطنطين
العناصر	«	الكريموني
الاغذية	«	«
الحدود	«	«
الجراحة	الزهراوي	«
الرق	«	سمعان الجنوي
النظر والعمل	«	مجهول
التصريف	«	«
الملكي	علي بن عباس	قسطنطين
تقويم الابدان	ابن جزلة	فراغوت
« الصحة	ابن بطلان	«
تذكرة الكحالين	عيسى بن علي	مجهول
التيسير	ابن زهر	بتافينوس
البسائط	سرابيون	سمعان الجنوي
صناعة جالينوس	ابن رضوان	الكريموني
الكتب الاربعة	«	بامر الفونس
الطبيعة ومابعدها	الغزالي	كونديسالفي
الزيج	الخوارزمي	ادلار الباطي
المدخل	«	«
الجبر	«	الكريموني
الهندسة	اولاد شاكر	«
ينبوع الحياة	ابن جبريل	كونديسالفي
حركات النجوم	البتاني	الطيبوري
مئة مسألة	«	مجهول
الزيج	«	اوبرت الرتيني
القانون	«	بامر الفونس

الحديثة . فالعرب اول من استخدم المرقد (البنج) وقد اخذه الافرنج ولا يزال متبعاً في الطب وان اختلفت المواد المستعملة للتبنيج . وهم اول من استخدم الكاويات في الجراحة ووصفوا علاج اليرقان وهم اول من عالج خلع الكتف برد المقاومة واول من قدح العين اي عالج ظلام العدسة البلورية بعملية الكتركتا ولا تزال باقية . واشاروا بتفتيت الحصاة غير ما وصفوه من الامراض كالحصبة والجدري وكثير من آرائهم لا تزال متبعة

ومن اثارهم في هذا التمدن علم الكيمياء الحديث المبني على التجربة والعمل فانه من موضوعات العرب . وهم اول من استحضر العقاقير على الطريقة الجديدة بالتقطير والترشيح والصيدلة ايضاً من مبتكراتهم وهم اول من انشأ حوانيتها وقد اخذها الافرنج عنهم ولا تزال شائعة عندهم . واهم المستحضرات الكيماوية من مكتشفات العرب كالحامض النتريك والكبريتيك والنتروهيدرو كلوريك والبوتاسا وروح النشادر وحجر جهنم والسليماني والراسب الاحمر وملح الطرطير وملح البارود والزاج الاخضر والكحول والقلي والزرنيخ والبورق وغيرها وكلها من اهم المواد الطبية الكيماوية التي لا يستغنى عنها في الطب او الصيدلة او في المعامل الكيماوية وغيرها من مصانع الاكتشاف والاختراع

ناهيك بما بقي من آثار هذا التمدن في علم النبات فان الافرنج بنوا اكثره على كتب العرب واساس الزراعة الحديثة من كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية وهو منقول عن العربية كما تقدم . غير ما اخذوه عن العرب من احكام النجوم وقواعدها فقد تغير كثير منها ولكن آثارهم لا تزال باقية في اسماء بعض الكواكب وغيرها من مصطلحات ذلك العلم . وغير القواعد الرياضية التي اخذها الافرنج من كتب العرب ولم تتغير ولا يزال اسم Algorism شاهداً على ذلك وهو تحريف « الخوارزمي » ويعبرون به عن فرع خاص من الرياضيات ومن هذا القبيل الجبر فانه من اصل عربي يشهد بذلك اسمه العربي عندهم

واهم اثار التمدن الاسلامي الرياضية الارقام فهي هندية الاصل اخذها العرب عن الهنود واخذها الافرنج عن العرب فنحن نسميها هندية وهم يسمونها عربية . وللعرب زيادات في كل العلوم التي نقلوها عن اليونان فصلناها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي

ومن آثار العرب في العلم الحديث انهم حفظوا كثيراً من تواريخ الامم الشرقية التي لولاهم لضاع اكثرها ولا سيما تاريخ العرب والفرس والهنود وغيرهم . والعرب اول من وضع المعجمات التاريخية والجغرافية واول من الف موسوعات العلوم (دائرة المعارف) التي يسميها الافرنج انسكلوبيديا وعنهم اخذها الافرنج ولا تزال باقية عندهم الى الآن

ابن جبريل	Avicebron	الرازي	Razés
ابو بكرابن طفيل	Abubacer	ابو القاسم الزهراوي	Abulcasis
ابن باجة	Avenpace	ابن سينا	Avicenne
ابو معشرالبلخي	Aboumasar Abalachi	ابن رشد	Avirroés
ابن الهيثم	Alhacem	الغزالي	Algazel
ابواسحق النقاش الزرقالي	Arzachel	ابن داود	Avendaut

٤ — آثار العرب في تمدن الافرنج

فنهضة اوربا لانشاء التمدن الحديث تعدّ من آثار التمدن الاسلامي للاسباب التي قدمناها · وقد يعترض على ذلك بأن العلوم التي اقتبسها الافرنج من العرب ليست من موضوعاتهم وان الافرنج لم يستفيدوا منها الا في اول نهوضهم ثم تغيرت او ابدلت بالعلوم الحديثة المبنية على المشاهدة والاختبار بعد الاكتشافات الطبيعية الحديثة وعلى علم المكروب والكيمياء وغيرها وان العلوم القديمة لم يبق شيء منها واننا انما اشترطنا في صدر هذه المقالة ان لا نعد من آثار التمدن الاّ ما كان باقياً الى الآن

والجواب على ذلك : اولاً ان هذه العلوم مع كونها منقولة في الاصل من امم اخرى فقد رقاها العرب وتوسعوا فيها وادخلوا بعضها في بعض فوصلت الى الافرنج ولها صبغة خاصة بالعرب فلا يصح نسبتها الى اصحابها الاصليين الاّ ما بقي منها على اصله فهو ينسب الى صاحبه اليوناني او الفارسي كالجغرافية والمجسطي لبطليموس وكتاب البلدان لابقراط والصناعة الطبية لجالينوس وسر الاسرار والخواس والسياسة وغيرها لارسطو والهندسة لاوقليدس · وقد نقل منها الافرنج في اثناء تلك النهضة نحو نصف ما نقلوه عن العرب ولم نتعرض لذكره · على ان للعرب فضلاً حتى في ما ترجموه حرفياً لان بعض الاصول التي نقلوا عنها ضاعت ولم يبقَ سبيل الى تلك العلوم الا من الترجمات العربية · ومن المؤلفين اليونانيين الذين ضاعت مؤلفاتهم و بقيت ترجماتها العربية تموخارس وارستلوس ومنيلاوس وثاوون · ومن هذا القبيل كتاب كليلة ودمنة فان اصله الفارسي ضاع وعوّل الافرنج في نقله على ترجمة ابن المقفع العربية وكذلك كتاب الفلاحة النبطية فقد نقله ابن وحشية عن السريانية وضاع الاصل فنقله الافرنج عن العربية وقس على ذلك

ثانياً : ان للعرب اكتشافات علمية وطبية وطبيعية لم يكن القدماء يعرفونها وقد اخذها الافرنج في جملة ما اخذوه ولا تزال باقية الى الآن عندهم رغم الاكتشافات

الادبية . وكان ذلك قاصرًا تقريبًا على المسلمين ولا سيما من حيث الشعر واللغة جريًا على سنة الاستمرار ولما جاءنا التمدن الحديث وقد حملهُ الينا نصارى الغرب كان نصارى الشام اسبق الى اقتباسه من المسلمين

واذا اعملنا الفكرة في تاريخ هذه النهضة في الشام على الخصوص رأيناها مرت في نموها على ثلاثة اطوار : الاول يبدأ بدخول ابراهيم باشا الشام سنة ١٨٣٢ وينتهي بحادثة سنة ١٨٦٠ لان ابراهيم حمل معهُ غرض ابيه من التقريب بين الطوائف المختلفة ليجتمع العرب تحت لوائه وينصروه في تأييد دولته . والتفت الى نصارى الشام على الخصوص لقيام بعض رجالهم في نصرته . وكانت مصر قد سبقت سائر المشرق الى انشاء المدارس على النمط الحديث ولا سيما الطب . وكان مع ابراهيم جماعة من الاطباء المتخرجين في مدرسة الطب المصرية واراد مثل ذلك للسوريين فاجاز لهم ارسال عدد من ابنائهم الى مدرسة الطب المصرية يتعلمون فيها على نفقة حكومتها — جعل ذلك قاعدة متبعة لم تبطل الا من عهد قريب

لم تطل اقامة ابراهيم في الشام فخرج منها سنة ١٨٤٠ وخلف في نفوس اهلها احترامًا للعائلة الخديوية ورغبة في وادي النيل وشوقًا الى علومه فأمه كثيرون تلقوا فيه الطب وغيره وعادوا الى بلادهم ينشرون ثمار رقيهم بين اهليهم وذويهم . فحدثت في نفوس القوم نهضة رافقها قدوم بعض جالية الافرنج من المبشرين وترغيب الناس في تعليم ابنائهم مجانًا فنبغ من نصارى الشام غير واحد من الادباء والشعراء كاليازجي الكبير وكرامة ومراش وحسون ودلال وبعضهم اشتغل بالعلوم العصرية كالدكتور مشاقة بالشام وآخرون بالتاريخ كطنوس الشدياق ونبغ في هذا الطور ايضًا مارون النقاش واضع علم التمثيل في اللغة العربية

ويبدأ الطور الثاني بالحوادث المشومة التي اصابت بلاد الشام سنة ١٨٦٠ فاهتزت جوانبها وانتقل المصابون من اهلها الى بيروت وداخلت فرنسا في شؤونها ووجدت سائر الامم وسيلة لانفاذ المبشرين فابتنوا المدارس الكبرى والفوا الجمعيات وطبعوا الكتب في العلوم الحديثة وغيرها فنشأت طائفة من الاطباء والعلماء والكتاب انشأوا الصحف والفوا الكتب اونقلوها او لخصوها . واصبحت بيروت مبعث العلوم العصرية ومنشأ رجال الصحافة وكتاب الادب والسياسة . وفي هذا الطور نبغ مؤسسو هذه النهضة وفيهم اشهر كتاب الشام وشعرائها في القرن الماضي كالبستاني واليازجي والشدياق واديب ونقاش وشميل ونقلا ونوفل ومشاقة وخوري وغيرهم واكثرهم من المسيحيين اللبنانيين . ووافق ذلك قيام اسماعيل على عرش الخديوية المصرية وقد رغَّب الناس في النزوح الى مصر ونشط اهل الادب فنزح اليها جماعة منهم انشأوا



خليل الخوري

مؤسس الصحافة العربية في سوريا

ولد سنة ١٨٣٦ وتوفي سنة ١٩٠٧

تمهيد في النهضة العلمية الحديثة ونصارى الشام

نريد بالنهضة العلمية الحديثة الانتقال الذي اصاب آداب اللغة العربية في القرن الماضي على اثر اختلاطنا باهل التمدن الحديث واقتباسنا علومهم المبنيـة على المشاهدة والاختبار واقتفائنا آثارهم في انشاء المطابع والجرائد وغيرها من عوامل هذا التمدن . وكان العلم قبل هذه النهضة لايزال على النمط القديم الذي بني على انقاض التمدن اليوناني والفارسي منذ نيف والف سنة . فكان معوّلهم في الطب على ابن سينا والزهراوي وفي الحيوان على الجاحظ والدميري وفي الكيمياء على جابر والرازي وفي النبات على ابن البيطار وقس على ذلك سائر العلوم الطبيعية والرياضية . على انهم قلما كانوا يشتغلون بهذه العلوم وانما كان معوّلهم في الاجيال الوسطى على العلوم اللسانيـة كالصرف والنحو والشعر وبعض العلوم

ناشبة اظفارها وقد جرت المذابح في دمشق وحاصبيا ودير القمر وغيرها والف الباب العالي لجنة دولية مندوبها العثماني فؤاد باشا الشهير فاحتاج الى مأمور يحسن التفاهم بينه و بين الناس فوقع اختياره على صاحب الترجمة فتعين في معيته وكان رفيقه في مهمته. ولما رجع فؤاد ظل خليل بمعية قبولي باشا الى الفراغ من تلك المهمة

وكان في اثناء ذلك يشتغل بتأليف تاريخ مصر ففرغ منهُ سنة ١٨٦٤ وقد صارت الخديوية الى اسماعيل باشا فحمل الكتاب اليه فاجازه بالفي جنيه . ولم نقف على ذلك الكتاب ولا سمعنا به قبل البحث عن ترجمة هذا الفقيد . وعاد خليل الى سوريا وقد اصبح موضع اعجاب رجال الدولة فجعلت الحكومة جريدته رسمية لنشر اوامرها واخبارها . ولما انشأت مطبعة سورية وجريدتها عهدت اليه بادارتهما واوعزت اليه حكومة لبنان على عهد فرنكو باشا ان يصدر جريدته باللغتين العربية والفرنساوية وبذلت له في مقابل ذلك ثلاثة الاف غرش كل شهر . وعهدت اليه الحكومة العثمانية تفتيش المدارس غير المسلمة في سوريا وعينته مديرًا للمطبوعات فيها وهي توالي عليه الانعام بالرتب والنياشين. ثم عينته سنة ١٨٨٠ مديرًا للامور الاجنبية في ولاية سوريا وظل في هذا المنصب حتى احيل على المعاش قبيل وفاته

وكان له شقيق اديب اسمه سليم فيه نشاط اخيه وذكائه فاشترك مع سميه المرحوم سليم شحادة في تأليف معجم مطول في التاريخ والجغرافية لو تم لكان احسن ذخيرة لاداب اللغة العربية سمياه آثار الادهار. فتوفي سليم الخوري سنة ١٨٧٥ ولم يصدر من الكتاب الا بضعة اجزاء فتوقف العمل . وكانت تلك الوفاة صدمة قوية على صاحب الترجمة وخسارة كبيرة على اللغة العربية

صفاته واعماله

كان رحمه الله طويل القامة حيوي المزاج قوي البنية ابيض اللون اشهل العينين اسود الشعر بشوشًا مع هيبة ووقار. وكان دمث الاخلاق حسن المحاضرة رقيق الجانب ميالاً الى البساطة بعيدًا عن الابهة والبهرجة رحب الصدر متوقد الذهن سريع الخاطر دقيق الاحساس وتظهر رقة شعوره على الخصوص في شعره الغزلي . وكان وجيهًا حسن الوفادة بيته منزل الولاة والوزراء يرتاحون فيه من عناء الاسفار . ولهُ صداقة مع اكبر رجال الدولة وكلمته نافذة عندهم ونال الاوسمة والنياشين من معظم دول اوربا فضلاً عن رتب الدولة العلية ونياشينها

فيها الصحف ومثلوا الروايات والفوا الكتب ونظموا الشعر · وينقضي هذا الطور بالانقلاب السياسي الذي اصاب مصر على اثر الحوادث العرابية

والطور الثالث يبدأ بالاحتلال الانكليزي بمصر لتكاثر الوفود من ادباء السوريين في اثنائه الى وادي النيل للعمل بالادب او التجارة او خدمة الحكومة او الزراعة او غيرها وكان لهم شان كبير في الحركة العلمية والمالية والصحافية · وكانت الهجرة في اول الامر قاصرة على المسيحيين ثم تطرقت الى المسلمين فهاجر منهم جماعة من الكتاب والعلماء لاسباب لا محل لها هنا · فكأن الشام في الطور الثالث من نهضتها قد تقهقرت الى الوراء او انها وقفت حيث كانت · ويمتاز هذا الطور في بيروت بنبوغ طائفة من ادباء المسلمين اشتغلوا بالصحافة والعلوم الحديثة فضلاً عن الادب والشعر · فالنهضة العلمية في الشام مرت على ثلاثة اطوار يبدأ كل منها بفتح او ثورة ولا نزال في الطور الثالث

خليل الخوري

ولد سنة ١٨٣٦ في الشويفات من اعمال لبنان ثم انتقلت عائلته الى بيروت مهجر اللبنانيين ولاسيما بعد دخولها في حوزة الدولة المصرية على عهد ابراهيم ولم يكن فيها مدارس كبرى فتلقى مبادىء العلم في بعض المدارس الطائفية للروم الارثوذكس على ما تأذن به احوال ذلك العصر وكان فيه ذكاء ونشاط ونفسهُ تبغي العلى فطلب الرقي من طريق القلم ولا سبيل اليه يومئذ الا بخدمة الحكومة وهي عسيرة على غير المسلمين الا لمن تفقه بالعلم واتقن اللغة التركية فاخذ بتعلمها وتعلم اللغة الفرنساوية على اساتذة مخصوصين حتى اتقنهما تكلماً وكتابة · فتاقت نفسه للاشتغال بالقلم فاقدم على الصحافة وهو اول من فعل ذلك في الشام فانشأ جريدة « حديقة الاخبار » سنة ١٨٥٧ قبل انقضاء الطور الاول من هذه النهضة وهو في الحادية والعشرين من عمره · وما زالت تصدر وحدها في بيروت حتى صدر الجنان للبستاني سنة ١٨٧٠ وظلت الحديقة تصدر الى العام الماضي فاوقفها رحمه الله مراعاة لصحته

وافضت مصر الى سعيد باشا سنة ١٨٥٤ وشخص الى الشام سنة ١٨٥٩ واقام في بيروت ثلاثة ايام فاحتفل به وجهاؤها وكان اذا مشى في الطرقات نثر الذهب على الناس فاحبوه ورغبوا في بلده · ولا يقدم على ذلك غير الاديب الهمام فشخص صاحب الترجمة الى مصر وكان ينظم الشعر من صباه فنظم قصيدتين رفعهما الى سعيد باشا وحظي بمقابلته فاعجبه ادبهُ وذكاؤه فعهد اليه ان يؤلف كتاباً في تاريخ مصر · فعاد الى سوريا والحرب الاهلية

صحة العائلة

الى المرأة

كيف تحفظين جمالك

٢ — الهزال

كتبت المرة السابقة عن السمن آفة الجمال واكتب اليوم عن الهزال لانه آفة لاتقل عن الاولى في تشويه محاسن الخلقة ومهما اجتهدت المرأة الهزيلة بتنميق ملابسها وتحسين ظواهرها فلا تجد سبيلاً الى اخفاء كل عيوب الجسم الناتجة عن هزاله • وقد قيل كل دبوس تنزعه المرأة من ثيابها يفضح لحسنها عيباً مستوراً • وقلما تجد امرأة مصابة بهذا النحول لاتفرغ الجهد في محاربته مستنجدة قوى الطبيعة الممكنة واني لا اذكر في حياتي ذات هزال صادقتها ولم يكن جل حديثها معي الاستفهام عن دواء ناجع لهذا الداء • فالاطباء والخياطات خير من تستجير بهم المرأة عندما ترى نفسها محرومة من صفاء اللون وتناسب الشكل وامتلاء الوجه والصدر والاوراك — ولكن خدمة الطبيب اذا صحت احسن من خدمة الخياطة لان نتيجتها حياة الجسم حياة كاملة وهو الجمال الصحيح الباقي لاغش فيه ولا تغير • ولهذا احببت ان أقوم بالواجب نحو هذا الجنس الكلي القدرة فادله على طريقة يمكنه بها الاستغناء عن حشو الحرير والقطن والكاوتشوك وسائر تلك البضاعة المعروضة في بعض المخازن والتي يجفل من منظرها عفة الازار كأنها الحقيقة ماثلة أمام عينيه

الهزال نوعان الاول خلقي لا يحرم صاحبه القوة والارادة والعمل وهو من صفات المزاج العصبي ذلك المزاج الذي لم تمنع مزاياه وفضائله ان يكون آفة على صاحبه بما يسبب له من الالم والانفعال • والثاني ناتج عن ضعف بعض الاعضاء وسوء التغذية فيؤول بصاحبه الى الضعف والانحطاط والذبول • وينطوي تحت سوء التغذية العادات السيئة كشرب الخل والابسنت والافراط في اتباع الشهوات والاجهاد العقلي والسهر والمقامرة والحر الشديد الى آخره • والهزيل يكون عادة طويل الجسم دقيقه خفيف

وجمع الى الوجاهة والسياسة الادب والشعر فرافق هذه النهضة من اولها وكان له شأن في اكثر عواملها فقد رأيت انهُ مؤسس الصحافة السورية وقد انشأ مطبعة نشر فيها عدة كتب . وهو من مؤسسي الشعر العصري وكان شاعرًا مطبوعًا يميل بشعره الى السهولة والرشاقة وقد نظم الشعر في صباه وشبابه وكهولته وشيخوخته وله عدة دواوين مطبوعة اكثرها في الغزل والمديح والتهنئة والرثاء واكثر مدحه للسلاطين ورجال الدولة ولذلك سموه شاعر الدولة وكان لطريقته بالشعر العصري وقع حسن لدي المستشرق رينو الفرنساوي فنقل مثالاً منها الى اللغة الفرنساوية نشره في المجلة الاسيوية الفرنساوية وفي الدبيا وغيرهما . وذكرهُ لامارتين الفرنساوي الشهير في مؤلفاته واثنى عليه واظهر اعجابه بهِ وكانت بينهما صداقة ومراسلة . على انه كان صديقًا لكثيرين من ادباء معاصريه من شعراء الترك والفرس والعرب . واشهر دواوينه زهر الربى والعصر الجديد والسمير الامين والشاديات والنفحات وكلها مطبوعة وتحتوي على ما نظمه الى سنة ١٨٨٤ اما منظوماته بعد ذلك فهي مجموعة في ديوان كبير لم يطبع ويمتاز عن سائر الشعراء انهُ لم يستجد بشعره قط ولولا ضيق المقام لاتينا بامثلة من منظومه واحسنهُ في النسيب

ولهُ فضلاً عن الشعر كتب ومقالات في مواضيع شتى اكثرها منشور في جريدته ومنها رواية النعمان وحنظلة المشهورة وهي التي نظمها بعد ذلك المرحوم الشيخ خليل اليازجي وسماها المروأة والوفاء وترجمها الى الفرنساوية ميشيل بك مرسق . ولهُ رواية اجتماعية اخلاقية نشرها في الحديقة اسمها « وي اذن لست بافرنجي » وترجم عن التركية كتاب تكملة العبر لصبحي باشا وهو تتمة تاريخ ابن خلدون وطبعهُ . وتولى ادارة ترجمة الدستور التي قام بها المرحوم نوفل نوفل وطبع مجلديه الاول والثاني ونشر عدة كتب مفيدة . وله خطب كثيرة بعضها غير مطبوع وكان منشطًا للمشروعات الادبية او الخيرية من الجمعيات او المدارس او الصحف او غيرها

ولصاحب الترجمة حادثة غريبة في زواجه يندر اتفاقها ــ وذلك انهُ احب في شبابه نحو سنة ١٨٦٠ سيدة فاضلة من آل بسترس اسمها كاتبة ابنة موسى بسترس وكانت من العلم والادب على جانب عظيم وقد حال اهلها دون اقترانهما وزفت كاتبة الى وجيهٍ من آل نوفل ثم توفيت ولهُ منها ابنتان فتزوَّج خليل احداهما « ظافر » سنة ١٨٨٧ ولم تعش معه الاَّ سنة رحمها الله

ان يكون نظير تلك العقاقير السامة التي تقوم بها وأسفاه اكثر صناعتنا ٠ وهاك خطة الغذاء التي يجب على الهذيل اتباعها :

يؤخذ في الصباح قليل من الشوكولاتا او الشوربا المطبوخة بالشعيرية وبعد ساعتين طعام موءلف من البيض الجديد ومعه شيء آخر ولا بأس بقليل من القهوة ٠ وغذاء الظهر لا يؤخذ الا بعد هضم سابقهِ هضماً تاماً وهو لحم او سمك مع الارز او المكرونة وصنف حلو كالارز باللبن او البيض باللبن (كريما) وفي المساء شيء قريب من هذا والمجال واسع في اختيار الصنف الموافق من امثال هذا الطعام وهو التغيير والتبديل لا يسبب ضجراً او قرفاً ٠ ويكثر من العنب في ايامه لانه من انفع الاثمار واحلاها

واما الشراب فيسمح منه بالبيرا الطيبة وقليل من النبيذ الاحمر ويمنع الحوامض الا في التابل (السلطة) وحامض الليمون افضل من الخل

واما الرياضة فهي تنفع في الهزال كما تنفع في السمن بشرط ان لا يفرط الانسان في استعمالها ٠ ووجه النفع فيها تهييج القابلية للاكل ومساعدة عمل الهضم ولا تتعذر الحركة على المرأة وامامها طرق متنوعة لاتيانها فالرقص نافع في ذاته ولكن لا كما ترقص فتاة اليوم بسرعة تقطع الانفاس وتنهك القوى وتسيل العرق صبًّا من الجسم ٠ والنزهة اليومية ضرورية ولكن في المرأة استعداداً للقعود ولا سيما بعد الاكل فعليها محاربة هذه العادة والخروج كل يوم بعد غذاء الظهر ٠ واذا لم يتيسر لها الذهاب الى سان ستفانو او الجزيرة فعندها مخازن التجار الكبيرة وبيوت الخياطات الشهيرات ٠ واذا لم تقبل بهذه ولا تلك فليس لها الا زيارة بعض صواحبها وهناك تفرغ ويفرغن ما في صدورهن من اخبار واحاديث يرتحن اليها فترجع وقد زال عنها العناء وطفح عليها السرور وهو اكبر عامل على سمنها

بقي علينا ان نقول كلمة عن الاستحمام : فالماء البارد لا يسمن بخلاف المألوف والمشهور عنه والافضل للهزيل استعمال الماء فاترًا كل يوم وسخنًا كل خمسة ايام لان الماء السخن يجعل النسيج رخوًا والخلايا واسعة فيسهل امتلاؤها والمرأة التي تباشر اللبس عند خروجها من الحمام السخن تتاكد هذا القول بما تلاقيه من الصعوبة في تركيب المشد وربطه

هذه هي النصائح التي احببت ان اسرّها الى سيداتي الكرام خفيفة نظيفة كما يرين خالية من كل تعقيد بعيدة عن الاقرباذين لا اثرفيها ليد الصيدلي ولا انسى ان اختمها بالتحذير من الحزن والهرب من كل مايكدر والتمتع ما امكن بعيشة الخلاء وملذات الطبيعة الطاهرة

الدكتور فياض

الاوراك ظاهر الاضلاع مستطيل العينين كبير الفم محدد الذقن كثير الاكل

العلاج : يتوهم الناس ان العقاقير كافية لتكسب الجسم سمناً ويساعد هذا الوهم على الانتشار بعض الاطباء الذين لا يحجمون عن اعطاء الادوية في هذا السبيل وقد انتشرت في السنين الاخيرة عادة الحقن تحت الجلد بمركبات الزرنيخ حتى صارت « مودة » يستبقها نساء سوريا ومصر وقد اظهرن والحق يقال شجاعة عظيمة بقبولهن وخز الابرة وان لم يكن من ورائها ألم • ولكن يا لخيبة الرجاء فان اكثر من استعمل الحقن لاجل السمن لم يصل الى غاية وما ذلك الا لان المداوي لم ينظر في حال المداوى واخلاقه وتصرفه في المعيشة وفاته ان السرّ في السمن ليس في الادوية والمركبات الكيمية

وصلنا الى النقطة الهامة والموقف الخطير — هنا ارى القارىء المتشوق يميل بكليته لمعرفة هذا السر الموعود به وهو يظن انني سأكاشفه بمخبآت الحقب وانشر له ما طوته الاجيال الغابرة في بطون الاساطير ومحاريب الآلهة ولا يخطر له في بال ان ما سأذكره من الوصايا البسيطة كاف ليقوده الى الغاية المقصودة — فالتغذية والرياضة والاستحمام امور سهلة التناول • كل واحد منا يعتقد انه يقوم بها حق القيام وقد جربها تسعة اعشار الذين يتمنون ان يسمنوا ولم يزد وزنهم درهماً ومع ذلك فهي هي التي اريد ان احدث سيداتي الكرائم بفضائلها متى روعيت فيها شروط الاعتدال والحكمة

اما الغذاء فالعبرة فيه ان تقدم للمعدة طعاماً لا يتعبها • ولا يضر تقليل الكمية لان الطعام القليل على سهولة هضمه انفع من الكثير اذا لم يهضم • ولهذا لا يمكن هنا ان نحدد مقادير الغذاء فهي تختلف باختلاف الامزجة والمعد والاولى بالانسان ان يدرس نفسه بنفسه ويتفهم حالة استعداده الطبيعي • والغذاء القادر على الباس الجسم حلته الكاملة يجب ان يدخل في تركيبه كثير من الدهن والنشاء والسكر • فالخبز والسكر والارز والبيض والزبدة والاشياء المعجونة بالسكر والاثمار على انواعها ولا سيما اذا أخذت بالسكر كلها نافعة ولكن يجب مراعاة الاحوال الجوية والفصول فلا يكثر من الدهن مثلاً في الصيف لان المآكل الدهنية تفضل في الشتاء والاسماك واللحوم والمخ تؤكل ايضاً في الايام الباردة اكثر مما تؤكل في الحر • ولكن المعد القوية قد لا يؤثر فيها الاخلال بشروط استعمالها • ومما يحسن أخذه في الشتاء لدفع الهزال زيت كبد الحوت ولا يتوهم القارىء انها تذكرة طبية اخطها له بحكم العادة فزيت السمك غذاء لا دواء وهو جامع لعناصر كثيرة تقوي الدم وتفيد في التعويض عما يندثر من الجسم بالاحتراق وهو ابعد من

« ثم ان التقدير الخيالي وحده في هذا الموضوع لا يجوز التعويل عليه لان الفرق بين التقدير وبين الحقيقة قد يكون بكل سهولة عظيماً الى حد نصف العدد . خذ لك مثالاً على ذلك ان جمعية كنيسية اميركية في نيويورك احبت يوماً ان تقوم بخدمة السوريين في تلك المدينة وتجمع عددهم وانواع اشغالهم وطرق معائشهم في كتيب تنشره بين الاميركيين وتفهم الشعب شيئاً عن الجالية المقيمة بين ظهرانيه . ومع كل مقدرة الاميركيين على البحث ومواصلة السعي ومع كل معونة الجرائد العربية النيويوركية لتلك الجمعية في تسهيل الطرق وجدت صعوبة كلية قبل مباشرة العد الذي لم يفهم اكثر العامة اسبابه وغايته وجاء الكتيب المذكور ناقصاً . ومن كل اتعابها وارسالها الرواد والعدادين قالت في كتابها المذكور ان عدد السوريين في مدينة نيويورك يتراوح بين خمسة آلاف وعشرة آلاف نسمة

« فاذا كانت الحالة هكذا في مدينة واحدة هي ارقى مدن اميركا على الاطلاق والاحصاء فيها يجب ان يكون اسهل منه في غيرها ترى كيف يمكن احصاء القوم الضاربين في الوف الوف المدن من بلاد كولمبس . على انني ابسط هنا مقدمات يمكن للقارىء اللبيب الاستنتاج منها — اذا اراد الاستنتاج

« ابتدأت المهاجرة الفعلية من سوريا الى اميركا منذ خمسة عشر عاماً . اي انه قبل ذلك العهد لم تكن المهاجرة بالنظر الى عددها شيئاً يستحق الذكر . وصارت تتدرج في كثرتها شيئاً فشيئاً حتى ان معدل الداخلين الى الولايات المتحدة من السوريين بلغ في العام الماضي نحو ستة آلاف نسمة . ولا يمكننا القياس بذلك على السنين السابقة . اولاً لاننا لاندري كم كان التدرج كبيراً بين السنين ولا دفاتر ادارة المهاجرة الاميركية تفيدنا شيئاً لانه ما كل السوريين مقيدة اسماؤهم فيها تحت اسم سوريين . فهنالك الاتراك والعرب والمصريون وغير ذلك مما يمكن ان يكون شاملاً سوريين وغيرهم في وقت واحد

« ثم ان الولايات المتحدة هي في ما يقال المهجر الاكبر . هذا ما اتفقت عليه جرائد الناحيتين الشمالية والجنوبية بمعنى ان السوريين في الولايات المتحدة هم اكثر منهم في غير مكان ويقال والعهدة على القائلين ان عدد السوريين في الولايات المتحدة يتراوح بين مئة الف ومئة وخمسين الف نسمة . وانا شخصياً اظنه حوالي مئة الف . ومع كون المبالغة ممكنة وقريبة في هذا الصدد لايستطيع من يتجول في بلاد واشنطون ان ينسب ذلك الى المبالغة . لانه قلما يجد مدينة اوقرية من تلك المدن والقرى التي لا تعد الا يجد فيها اثراً للنطق

باب السؤال والاقتراح

السوريون في اميركا

(الاسكندرية) بطرس افندي الياس سمعان

كم هو عدد المهاجرين السوريين في اميركا وما هي ثروتهم وهل نفعها عائد على بلادهم ام هو منحصر في تلك القارة

﴿ الهلال ﴾ وافق وصول هذا السؤال وجود صديقنا امين افندي غريب صاحب المهاجر النيويوركي نزيل القاهرة الآن فكلفناه الجواب عليه لانهُ من اعلم الناس باحوال اميركا من سائر الوجوه فاجاب بما يأتي :

« عدد المهاجرين السوريين في اميركا غير معروف . ومعرفتهُ حتى على وجه التقريب امر مستصعب الى حد ان يكون مستحيلاً لاسباب مهمة . منها ان المهاجرة من سوريا مع كونها المرجع الوحيد الصادق لمعرفة عدد المهاجرين الى اميركا هي غير قانونية ولا مضبوطة . وربما كان ثلاثة ارباع الذين يذهبون الى العالم الجديد يفعلون ذلك سرًّا بدون اعلام الحكومة خوفاً من تمنعها عن اجازة السفر لهم . ومع ان عدد ابناء سوريا في اميركا اصبح اليوم هائلاً بكثرتهِ لا نظن دفاتر الحكومة في بيروت ولبنان وما هنالك تشير الى وجود اكثر من بضعة آلاف نسمة

« واذا شئنا بعد ذلك ان نعد السوريين في اميركا باحصاء رسمي حالت دون ذلك عقبات كثيرة . منها انهم مشتتون في البلاد تشتيتاً غريباً يصعب لحاقهم فيها ومنها ايضاً ان بعضهم في بعض النواحي ولا سيما الولايات المتحدة قد امتزجوا بالاميركيين امتزاجاً نهائياً واصبحوا لا يهمهم ان يذكروا انهم في الاصل سوريون وعندهم ان الرجل بفعله وحيثيتهِ لا بانتسابه الى غيره

« ومما اتذكره ان بعض رجال الدين السوريين في اميركا اهتموا منذ سبع سنوات تقريباً باحصاء عدد ابناء رعاياهم المختلفة فحالت المشقات الكثيرة دون ذلك وابطل السعي

«اما اذا كان هذا النحل الخارج من خلية سوريا يمتص عصارات الزهور في مشارق الارض ومغاربها يعود يوماً او يرسل جناه الى خليته الاصلية فمجرى الاحوال الحاضر يدل على ان سوريا قد نالت نصيبها من العالم الجديد وصار عليها ان تكتفي بما نالت

«وقد اشترى المهاجرون الى اميركا اراضي واسعة في سوريا لم يستطيعوا ان يستثمروها . وقد شادوا منازل كثيرة ولم يقدروا ان يسكنوها . وقد حنوا الى ارض جدودهم حنين الابل الى الماء ولم يستطيبوا الاقامة فيها . وقد اصبحت الافكار منذ الآن فصاعداً منصرفة الى رأي الشاعر القائل

وما وطن الانسان غير الموافق وما اهله الادنون غير الاصادق

« فلو قدَّرنا ان الرغبة الشديدة في الرجوع من اميركا الى سوريا الكامنة في قلوب الاغنياء من السوريين المهاجرين هي رغبة يمكن ادراجها يوماً الى حيز التصميم والسعي لشدّ الرحال نجد ان التصميم نفسه يقتضي من الوقت لتصفية الاشغال على طريقة موافقة ما تقصر دونه مدة الحياة انا اعرف كثيرين من التجار يقول واحدهم انني ارضى بتصفية اشغالي مع خسارة الف ليرة ان امكنني ذلك وسامع هذا القول يعلم منه اولاً كم هناك من الصعوبة في سبيل تصفية الاشغال وكم من تردد بعد ذلك في قبول خسارة الالف ليرة . والاموال كما هو معلوم مثل الاولاد (كلما كثروا كلما عزوا)

« ولا عبرة بما نراهُ من رجوع بعض الافراد الى سوريا واقامتهم فيها اولاً لانهم ليسوا بالنسبة الى مجموع المهاجرين من اخوانهم سوى نقطة في بحر . وثانياً لان وجودهم في سوريا بحالة حسنة هو بعينه يشبه مجرى كهربائياً يندفع في قلوب جيرانهم ويحرّكها على السفر الى اميركا اقتداء بهم . فاذا جلب المهاجر الواحد من اميركا الى سوريا مبلغ الف ليرة لا شك ان سوريا تنتفع بوجود هذا المال فيها لكنها تفقد مقابلهُ قوة مئة رجلٍ من الذين يدفعهم اتيان هذا المال الى محبة السفر . » انتهى



اقتراح على الشعراء

نرجو من حضرات الشعراء نظم هذا المعنى في بيتين وهو «العقل لا يبطل عملهُ ما دمت في يقظة فاستخدمه في ما يفيد لانهُ كالنار الموقدة اذا لم تستخدم حرارتها ذهبت ضياعاً» وموعد نشر الاجوبة في الهلال القادم

بالعربية . وقد اجمع المحققون والخبيرون من اولئك المهاجرين على ان حركة الرجوع من اميركا الى سوريا ليست كبيرة الى حد ان تؤثر على تقدير العـدد . وبالعكس الزيادة فانها متواصلة بنمو غريب

« وبعد الولايات المتحدة تأتي البرازيل بكثرة عدد السوريين فيها ويوجد من ينازع هذا الرأي ويعتقد ان البرازيليين من اخواننا مثل الاميركيين عدداً ان لم يكونوا اكثر . وقولنا الاميركيين هنا نعني به السوريين الساكنين الولايات المتحدة . والصعوبات التي تحول دون احصاء السوريين في الجمهورية الشمالية الكبرى توجد اضعافها في البرازيل وبعد ذلك تأتي جمهورية الارجنتين في الجنوب ثم المكسيك في الشمال وهلمَّ جراً

« وخلاصة القول ان عدد السوريين المهاجرين في اميركا غير معروف ولا يمكن ان يعرف وانما يجوز ان يقال ان في العالم الجديد كله نحو اربعمئة الف نسمة ونحن نعلم ان هذا القول يحتاج الى اثبات ونشكر كل الشكر لمن يثبت لنا قولاً سواه

« ومن سوء الحظ ايضاً ان ثروتهم مجهولة اكثر من عددهم . ففي مدينة نيويورك وحدها نحو مئة تاجر سوري لا يقل مجموع دائرة اشغالهم تصديراً وتوريداً عن عشرة ملايين ريال سنوياً . والارباح تتراوح بين الخمسة والعشرة في المئة لكن النفقات الشخصية اصبحت اليوم تعادها . والسنة المالية الحاضرة التي تنتهي في الولايات المتحدة في شهر حزيران (يونيو) ستكشف للسوريين في نيويورك عن خسائر جسيمة بداعي الضيق المالي الذي جرى وما اجرى على اثره من وقوف الشغل ومن الافلاسات . اما في داخلية الولايات المتحدة فالارباح بوجه العموم احسن منها في المدينة والمصاريف اخف . ويوجد من السوريين افرادٌ متموّلون الى درجة حسنة ولكن لا احد في ما نعلم يتجاسر على ابداء رأي في ما يمكن ان تكون درجة الثروة العمومية . فالاشـغال متنوعة تتناول كل صنف في كل مكان . ورؤوس المال لا نعرف من مجرد رؤية الاشغال . والاموال المودعة في المصارف كثيرٌ منها نائمٌ في سبات عميقٍ لا يتحرك ولا ينمُّ على وجوده بشيء . وبينما الواحد يشتغل بعشرة آلاف ريال ويربح الفاً في السنة ترى غيره يشتغل بألف فقط ويربح الدين . وبينما صاحب الخمسين الف ريال يعيش على طريقة لا تشير الى وجود شيء من المال بين يديه ترى غيره يعيش كاصحاب الملايين وانت لا تدري من اين يجلب المـال . وهكذا تجد ان اهل بابل بعد غضب الله عليهم لم يكونوا اشدَّ جهلاً باحوال بعضهم بعضاً منا في اميركا متى جاء دور الاحصاءات الرسمية

وهم قليلون (١) ووافق ذلك كثرة ما احرزوه من السبايا في اثناء الفتوح فضلاً عن زيادة النساء على الرجال بعد الحروب التي قتل فيها الالوف من الرجال فلم يعدموا تاويلاً يجيز لهم التزوج بغير امرأة

واعتبر ذلك في سائر ما يظهر من التخالف بين الدين والمدنية • ولا يؤخذ مما تقدم ان الدين يتبع المدنية دائماً بل هي كثيراً ما تذعن له صاغرة اذا كانت مصلحة الامة في جانبه فالمدنية الحديثة مثلا تقتضي اطلاق الحرية الشخصية فاذا لم يكبح الدين جماحها آلت الى تفشي الفحشاء والفوضى وسائر الرذائل

يقولون ان التمدن الحديث يفصل بين الدين والسياسة فهل هو يفصل بين الدين والاجتماع؟ ولو امعنت النظر لرأيت للدين أثراً في كل سبب من اسباب هذا التمدن لانه جزء من وجدان الامة وهو أساس آدابها الاجتماعية ومرجع معاملاتها العائلية فضلاً عن دخوله في الشرائع والاحكام لاستيلائه على آراء الشارع والقاضي والامير والوزير ان لم يكن بالتلقين فبالارث او بالفطرة • ففصل الدين عن السياسة او عن الاجتماع فصلاً تاماً مستحيل فلا بد من التوفيق بينهما على الاسلوب الذي قدمناه

والتوفيق بين هذين العاملين يختلف اسلوبه في الامة الواحدة باختلاف اطوار مدنيتها وفي المدنية الواحدة باختلاف اطوار الامة الواحدة وتباين احوال الامم المختلفة • فترى الدين الواحد مساعداً لبعض الامم على الرقي العمراني وتراه في الامة الاخرى من اكبر علل تقهقرها • وتراه يلائم الامة الواحدة في طور من اطوار تمدنها ولا يلائمها في طور آخر الا بالتعديل او التاويل • فالنصرانية اتخذتها الدولة الرومانية وطبقتها على ما يوافق تمدنها وعدلت تمدنها حتى يوافق النصرانية واصبحت مدنية الرومان وديانتهم متلائمتين وتعاشرتا قروناً متوالية • فلما ذهب التمدن الروماني وقام التمدن الحديث على قواعد تختلف عن قواعد ذاك لم ير اصحاب هذا التمدن بدًّا من التوفيق بينه وبين الدين بالتفسير او التأويل او التعديل لا يرون في ذلك بأساً • فأولوا طول عمر الخليقة كما تقدم وعللوا اعمار الآباء الاولين الطويلة فقالوا ان المراد بها اعمار القبائل لا الاشخاص وعدلوا خبر الطوفان وكان المفهوم من كتب الدين انه عم الارض كلها فلما ثبت بالعلم انه لم يعمها لم يعدموا وسيلة لتأويل المراد بلفظ الارض في الكتاب • وقس على ذلك — وقد يكتفي بعضهم باستقلال الدين عن العلم فيقول « ان كتب الدين انما

---

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ٤٠ ج ٤

الاسلام والتمدن

(الاسكندرية) سعيد افندي سليم

لابد انكم اطلعتم على اقوال اللورد كرومر في كتابه « مصر الحديثة » عن الاسلام والمدنية وما نشرته الجرائد الاسلامية من الرد عليه . وبما انكم من اكثر كتاب هذا العصر اشتغالاً بالاسلام والتمدن فنرجو ابداء رأيكم في « هل الاسلام يخالف مجاري التمدن او يقف في سبيل الارتقاء الاجتماعي » وعهدنا بكم الاخلاص في الحكم والصراحة في القول . ولا عذر لكم في السكوت عن هذا السؤال لاننا نطلب الجواب عليه بالنظر الى القواعد الاجتماعية وهي من ابحاث مجلتكم

(الهلال) اذا تخالف الدين والمدنية ولم يكن بدٌّ من اجتماعهما فلا مندوحة عن تعديل احدهما حتى يوافق الآخر . فاذا اقتضت المدينة امراً يخالف قاعدة من قواعد الدين فعلينا ان نعدّل ذلك الامر حتى يوافق تلك القاعدة او نؤولها حتى توافقه . مثال ذلك : كان المفهوم من كتب الدين مثلاً ان الارض ثابتة والفلك يدور حولها وهو رأي قدماء الفلكيين فلما ثبت بالعلم الحديث ان الارض تدور لم يعدم رجال الدين وسيلة لتأويل اقوال الكتب حتى توافق هذه الحقيقة . وفي سفر الخليقة نصٌّ صريح ان الله خلق العالم في ستة ايام فلما ثبت بعلم الجيولوجيا ان الخلق لم يتم الا في مئات الالوف من السنين هان عليهم تفسير قول التوراة بان المراد باليوم من قول موسى دهرٌ من الادهار الطويلة وقس على ذلك سائر ما ثبت من الحقائق العلمية

ويقال نحو ذلك في الحقائق الاجتماعية فاذا اقتضى تمدن القوم العمل بمبداء اجتماعي يخالف بعض نصوص الدين وثبت للقائمين بامرهم فائدة ذلك المبداء في اجتماعهم فسروا آيات الكتاب بما يوافقه – فالنصرانية مثلاً ليس فيها نص صريح يمنع اتباعها من التزوج بامرأتين فاكثر ولو شاؤوا لكان تعدد الزوجات جائزاً عندهم ولكن رؤساءها القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة اقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها وكان ذلك شائعاً في الدولة الرومانية فلم يعجزهم تأويل آيات الزواج حتى صار التزوج بغير امرأة حراماً كما هو مشهور . وبعكس ذلك الزواج عند المسلمين فالقرآن أجاز تعدد الزوجات بشرط اذا روعي كان الزواج بغير واحدة محرماً . ولكن المسلمين وهم العرب في صدر الاسلام اقتضت سياستهم الاستكثار من النسل ليتكاثر عددهم ويقووا على الاحتفاظ بالملك الذي فتحوه

في الناس فعادت عاقبة ذلك على المرأة المسكينة

وتعدد الزوجات اجازه المسلمون في صدر الاسلام للاسباب التي قدمناها بالتأويل والتفسير. اما القرآن فقد اجازه بشرط العدل بين النساء ثم قال ان العدل لا يستطاع وهذا نص الآية « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة » وقال في محل آخر «ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » فاذا جمعت بين الآيتين رأيت فحواهما اقرب الى النهي عن تعدد الزوجات مما الى الامر به . ولذلك رأيت الغالب في العقلاء واهل المروأة ان يكتفوا بزوجة واحدة وكان ذلك سهلاً في عصر التسري اذ قد يأتي النسل من بعض الجواري فلا يجد الرجل ضرورة للاضرار رغبة في النسل . على ان تعدد الزوجات ظل متبعاً في اهل الفضيلة والتعقل الى اليوم ولكن على قلة . واذا احصي المتزوجون بغير امرأة لا نظنهم يزيدون على خمسة في المئة او عشرة من مجموع المتزوجين وهم في الغالب من العامة واذا كانوا من الخاصة فقد فعلوا ذلك لاسباب قهرية

وكذلك الطلاق فالعقلاء يذهبون الى كرهه بناء على بعض الآيات الواردة في هذا الشأن كقوله « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما » وقوله « وان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً » وفي الحديث « ابغض الحلال عند الله الطلاق »

وقس على ذلك كثيراً من قواعد الاسلام التي تظهر مخالفة لمجاري التمدن الحديث و يمكن تفسيرها بما يوافقه . فيقال بالاجمال ان ما ينتقدونه على المسلمين من عوائق المدنية ليس من الاحوال الثابتة او هو يمكن تفسيره على الاقل بما يوافق روح هذا التمدن . ولا يليق بابناء القرن العشرين ان يعودوا الى ما كان عليه اهل القرون الوسطى الذين كانوا اذا ارادوا تحقير امة فاخروها بدينهم ولا يزال عند بعض كتاب الافرنج بقية من هذه العادة لما يقرأونه من مطاعن عصور التعصب على الاسلام وهم لا يعرفون عنه الا قليلاً فلا ينبغي الالتفات الى ما يقولون . كما اننا نعتب على بعض اخواننا المسلمين الذين يتطرقون من الدفاع عن الاسلام الى الطعن في النصرانية وهذا ايضاً من بقايا تلك العصور المظلمة

فالمدنية تتقلب في نموها وارتقائها على اطوار مختلفة ربما دخل الدين في بعض شؤونها او عارضها في بعض احوالها . و يختلف ذلك باختلاف الاديان . فالنصرانية مثلاً دين ايمان ومحبة وشعور رقيق وآداب سامية وزهد وتقشف فلا دخل لها في التمدن الا من بعض احوال

نزلت لترشد الناس الى خلاص نفوسهم لا لتعليم الطبيعيات او الفلك او الطب . ولكن العاقل الذي يحترم الدين يشق عليه ان يكون بينهُ وبين العلم الصحيح تناقض فيعمد الى التأويل .

والاسلام ونريد به القرآن لم ينقصهُ شيءٌ من عوامل التمدن فقد تضمن قواعد الاجتماع والسياسة والحرب وغيرها . وهو اساس التمدن الاسلامي الذي بهر العالم بشريعته وسياسته وابهته وعلومه وآدابه مما لم يدركه تمدن قبله . ومع ذلك فقد اضطر اصحابه الى تأويل بعض الآيات لتلائم بعض الاغراض السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية اوغيرها . ونقتصر هنا على مايتعلق بالاجتماع كتعدد الزوجات وتضييق الحجاب وسهولة الطلاق فقد اولوها لتوافق احوالهم الاجتماعية او السياسية في ذلك العهد . لكن ذلك التأويل يخالف ما يقتضيه التمدن الحديث وهذا اهم ما ينتقدونه على الاسلام اليوم . لان تضييق الحجاب يقف في سبيل تعليم المرأة . وتعدد الزوجات وسهولة الطلاق يشوّشان نظام العائلة — ولا يرتقي شأن الامة ما لم ترتق المرأة وتنتظم العائلة

فالحجاب الضيق الذي ينتقده اصحاب التمدن الحديث على المسلمين انما هو من ثمار التمدن الاسلامي وليس من قواعد الاسلام . وحيثما أُشير الى الحجاب في القرآن أُريد بهِ ستر العورة كتغطية الرأس او اليدين ولا بأس منه . ولكنهم ينتقدون الحجاب الضيق اي حبس المرأة في بيتها والتضييق عليها وسببه شيوع التسري في صدر الدولة لكثرة الجواري الحسان من السبي او الرقيق وكان الرجل قبل ذلك لايعرف غير امرأته فتشتتت شعائره بين عدة نساء واختلفت الظنون بينه وبينها وهو صاحب العصمة ورب العائلة فسدَّ في وجهها الدروب واقام عليها الارصاد والعيون لانه ساء الظن بها وخافها فغادرها تجالس الخدم والجواري واعلن ارتيابه من امانتها واصبح يفتخر بانها لا تخرج من المنزل الا الى القبر . ومعاملة المرأة على هذه الصورة يخالف تعاليم القرآن وانما اجازه المفسرون ليوافق احوالهم الاجتماعية . فالقرآن يأمر بالمودة والرحمة بين الزوجين وهذا نصُّ الآية « ومن آياتهِ ان خلقَ لكم من انفسكم ازواجاً لِتسكنوا اليها وجعل بينكم مودَّةً ورحمةً » وقوله « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » وقوله « وعاشروهن بالمعروف » . ولكن الرجل ابى الا الاستبداد والاستئثار ولاسيما بعد انقضاء عصر العلم اذ اقتصر الفقهاء على النظر في الابحاث الدينية الجدلية وخيم الجهل على العقول كما اصاب النصرانية في الاجيال المظلمة فأخذوا يفسرون الآيات والاحاديث على مايوافق اميالهم واهواءهم . وكانت الاحكام قدفسدت واستبد الحكام

نخبة فضلاء المصريين والقيت فيها الخطب وتليت القصائد وكلها ترمي الى توطيد عرى المودة بين مصر وسوريا • فبدأ صاحب الدعوة ببيان الغرض من الحفلة ثم تليت الخطب والقصائد وهي :

خطبة في الشعر والشعراء لسليمان افندي البستاني

قصيدة « مصر وسوريا » لنقولا افندي رزق الله

خطبة في اكرام الرجال للرجال لسليم بك باخوس

قصيدة « مقام ابراهيم » للامير شكيب ارسلان

خطبة بما يناسب المقام لاسماعيل بك عاصم

قصيدة « حافظ بين مصر وسوريا » لامين افندي البستاني

خطبة بهذا المعنى لرفيق بك العظم

قصيدة « شعر المهاجرين » لاسعد افندي رستم

كتاب من ادارة مرآة الغرب بنيويورك موضوعه تحية الصحافة للشعراء

قصيدة « تحية النزيل لشاعر النيل » للدكتور شدودي

وفي اثناء ذلك قدموا للحافظ قلماً (ريشة) من ذهب وارداً من جمعية رواق المعري بالبرازيل ودواة من فضة جميلة الصنع • واخيراً انبرى حافظ وانشد قصيدة نظمها لهذا الاحتفال هذا نصها :

لمصر أم لربوع الشام تنتسبُ	هنا العلى وهناك المجد والحسبُ
ركنان للشرق لا زالت ربوعهما	قلبُ الهلال عليها خافق يجب
خدران (للضاد) لم تهتك ستورهما	ولا تحوّل عن مغناهما الادب
أمُّ اللغات غداة الفخر أمهما	وان سألتَ عن الاباء فالعرب
أيرغبان عن الحسنى وبينهما	في رائعات المعالي ذلك النسب
ولا يمتّان بالقربى وبينهما	تلك القرابة لم يقطع لها سبب
اذا ألمت بوادي النيل نازلة	باتت لها راسيات الشام تضطرب
وان دعي في ثرى الاهرام ذو ألم	اجابه في ذرى لبنان منتحب
لو اخلص النيل والاردنُّ ودّهما	تصافحت منهما الامواه والعشب
بالواديين تمشي الفخر مشيته	يحف ناحيتيه الجود والدأب
فسال هذا سخاء دونه ديم	وسال ذاك مضاء دونه القضب

الاجتماع ولا يخشى وقوفها في طريقه . واذا وقفت ولم يمكن تأويلها ظلَّ التمدن في سيره ولو خالفها كما حدث بمسألة الطلاق في اوربا واميركا لهذا العهد فان الامم المتمدنة تجاوزت فيه احكام الدين بلا تأويل ولا تعديل . اما الاسلام فانه دين سياسة واجتماع وحرب اقام المسلمون على احكامه دولاً لها نظامات سياسية وادارية وعسكرية واجتماعية فالسياسة فيه متحدة بالدين فاذا اقتضى التمدن الحديث ما يخالف احكامه لا يستطاع تجاوزها الاَّ بالتأويل والتفسير . وهذا ما يتوخاه عقلاء المسلمين اليوم

فاللورد كرومر لو انصف الاسلام لا كتفى بانتقاد ما هو شائع بين المسلمين من عوائق التمدن واعترف بالنهضة التي نهضها عقلاؤهم لازالة هذه العوائق وقد الفوا الكتب وجردوا اقلامهم والسنتهم لمحاربتها . فكتب المرحوم الشيخ احمد فارس ثم قاسم بك امين بوجوب رفع الحجاب عن المرأة المسلمة وترقية شأنها بالعلم والتربية . وصوت قاسم بك امين وانصاره لا يزال يرن في آذاننا حتى الساعة . وجاهر المرحوم الشيخ محمد عبده بوجوب تفسير القرآن تفسيراً يوافق العلم الحديث وافتى بمسائل عديدة تسهل المعاملة بين المسلمين وغيرهم من ارباب التمدن الحديث . وقام هو واصحابه يحاربون البدع و يقولون بابطالها لانها تخالف هذه المدنية . وكتب آخرون يقولون بفصل الدين عن السياسية لئلا يتخالفا فيبعث تخالفهما على الوقوف في سبيل المدنية

فالمسلمون في نهضة اصلاحية اذا ظلوا فيها لا يبقى بين الاسلام والمدنية تخالف ولا يخشى وقوفه في سبيل الارتقاء الاجتماعي

حافظ والسوريون

اشترك جماعة من فضلاء السوريين وادبائهم في اكرام حافظ افندي ابراهيم الشاعر المشهور اعترافاً بما في منظومه ومنثوره من حسن الظن بالسوريين • احتفلوا بذلك في فندق شبرد مساء ٢٤ مارس الماضي اجابة لدعوة مجلة سركيس • وسركيس افندي هو مقترح ذلك الاحتفال مثل تفننه في سائر اعماله • وقد اراد به التقريب بين المصري والسوري وصرح في دعوته « ان الغرض الاصلي من هذا الاحتفال اكرام الامة المصرية جميعها في شخص شاعرها واحد ابنائها وازالة ماعلق ببعض الاذهان من سوء التفاهم » فافتتح في مجلته اكتتاباً جمع به مبلغاً اشترك في ادائه السوريون باربعة اقطار الارض مما يدل على رغبتهم جميعاً في اكرام المصريين • وكانت الحفلة شائقة حضرها المكتتبون وجماعة من

الفراغ مفسدة

من نظم مصطفى افندي صادق الرافعي الشاعر المعروف نقلا عن الجزء الثاني من ديوان « النظرات » تحت الطبع

مكانَكَ إنما الدنيا زحامُ ... وغاية كل من فيه الأمامُ
وليس لدى الطبيعة من فراغ ... والاَّ ما استقام لها نظامُ
فان ضاقت مذاهبها امانت ... فما حيٌّ له فيها دوامُ
ولو أنَّ الورى فيهم فراغٌ ... لتمَّ بعودة الموتى الزحامُ
تأمَّلْ هذه الدنيا تجدها ... من الساعات آلتُها الانامُ
فليس يُرى لظاهرها نظامٌ ... اذا ما كان داخلَها اصطدامُ
فلا تجعلْ فراغك غيرَ نفعٍ ... فذاك الصَّدْعُ للعُمْر انثلامُ (١)
أضِعْهُ كما تشاء وضعه انى ... أردتَ بشرط انك لاتلامُ
فعامك في البطالة كالثواني ... وإنَّ دقيقةً نفعتك عامُ
ولا تخشَ المتاعب واحتملْها ... فليس بهمّه يَعْني الهمامُ
اذا لانَ الحسامُ لعلَّةٍ لا ... يلين لعلة الرأس الحسامُ
عجبت لمن يرى الدنيا ويحيا ... بلا عملٍ ولا أملٍ يرامُ
تمرُّ به الحوادث صادعاتٍ ... وليس له بما يجري اهتمامُ
وفي بحر الحياة تراه صخرًا ... على جنبيهِ للموج التطامُ
ويزعمُ أنه يفني الليالي ... وليس بنقصهنَّ له تمامُ
يعزُّ عليه أن يسعى لعزٍّ ... فكيف تراه يسأمُ ما يُسامُ
وان يجد الفراغ شبيه موتٍ ... فذلك كلما فرغ الطعامُ
فيا أهل الفراغ أرى حياةً ... يُشابهها بمعناهُ الحِمامُ
فانتم في قصوركمُ لحومٌ ... وانتم في قبوركمُ عظامُ

مصطفى صادق الرافعي

---

(١) يريد بذاك الصدع الفراغ نفسه

نسيم لبنان كم جادتك عاطرة — من الرياض وكم حياك منسكب
في الشرق والغرب انفاسٌ مسعرة — تهفو اليك وا كباد بها لهب
اولا طلاب العلى لم يبتغوا بدلاً — من طيب رياك لكن العلى تعب
كم غادة بربوع الشام با كية — على أليف لها يرمي به الطلب
يمضي ولا حليةٌ الا عزيمته — وينثني وحلاه المجد والذهب
يكرُّ صرفُ الليالي عنه منقلباً — وعزمه ليس يدري كيف ينقلب
بأرض (كولمب) أبطال غضارفة — أسد جياع اذا ما ووثبوا وثبوا
لم يحمهم علَم فيها ولا عدد — سوى مضاء تحامى ورده النوب
أسطولهم أملٌ في البحر مرتحل — وجيشهم عمل في البر مغترب
لهم بكل خضمٍّ مسرب نهج — وفي ذرى كل طود مسلك عجب
لم تبد بارقة في أفق منتجع — الا وكان لها بالشام مرتقب
ما عابهم انهم في الارض قد نثروا — فالشهب منثورة مذ كانت الشهب
ولم يضرهم سراهٌ في مناكبها — فكل حي له في الكون مضطرب
رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا — الى المجرة ركباً صاعداً ركبوا
أو قيل في الشمس للراجين منتجع — مدوا لها سبباً في الجو وانتدبوا
سعوا الى الكسب محموداً وما فتئت — أم اللغات بذاك السعي تكتسب
فاين كان الشاميون كان لها — عيش جديد وفضل ليس يحتجب
هذي يدي عن بني مصر تصافحكم — فصافحوها تصافح نفسها العرب
فما الكنانة الا الشام عاج على — ربوعها من بنيها سادة نجب
اولا رجال تغالوا في سياستهم — منا ومنهم لما لمنا ولا عتبوا
ان يكتبوا لي ذنباً في مودتهم — فانما الفخر في الذنب الذين كتبوا

ثم ختمت الجلسة وهي اول جلسة من هذا النوع

قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩٠٨

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩٠٨ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

قضى العلماء زمناً طويلاً في البحث عن علاج يبيض الجلد الاسود وقد جربوا طرقاً مختلفة آخرها التبييض باشعة رنتجن ذهب اليه طبيب اميركاني من فيلادلفيا قضى سبع سنوات وهو يجرب هذه الاشعة في تبييض الجلد اعتماداً على تأثيرها في الكريات الملونة فلما تأكد النجاح اعلن اكتشافه وانشأ في عيادته معملاً لتبييض البقع الملونة التي تحدثها بعض الامراض الجلدية ويتعذر ازالتها بالعقاقير فضلاً عن تبييض الزنوج . وترى في الصورة رسمهُ والآلة الكهربائية بين يديه يبيض بها زنجياً وقد بدأ البياض في اسفل ظهرهِ وقد رأينا صورة اخرى زال فيها السواد من احد جانبي الوجه زوالا تاماً . فاذا صح هذا الاكتشاف وثبت فعله ولم يكن منهُ ضرر على الافراد او على النوع فانه يحدث تغييراً عظيماً في ترتيب أصناف الناس وان كنا لا نظن الزنوج او الهنود يريدون التخلص من الوانهم الداكنة احتقاراً للسواد — الا من كان منهم في سيطرة البيض وضربت عليه الذلة والمسكنة واصبح سواده سبباً من اسباب شقائه وباعثاً على احتقاره . لان السواد وان عددناه من أدلة الرق والانحطاط فهو عند اصحابه من علامات الرجولية والشجاعة والحماس ولله في خلقه شؤون

الاشعة فوق البنفسجية

اكتشاف عظيم الاهمية

اذا امطرت السماء والشمس طالعة انحل النور الى الوانه وظهر للناس في قوس القزح . واذا نظرت في موشور (زجاجه مثلثة الشكل) رأيت النور الواناً . واذا انفذت اشعة الشمس في الموشور حتى تقع على الحائط انحلت الى سبعة الوان هي الوان قوس القزح وظهرت مرتبة بعضها فوق بعض ترتيباً لا يتغير ابداً . وهو ما يعبرون عنه بالطيف الشمسي وقد نظم ذلك الترتيب المرحوم اسعد الشدودي في هذه الابيات كما تتناسق في الطيف من اعلى الى اسفل :

الوان طيف الشمس سبعة ترى ترتيبها فيه كما سيذكر
بنفسجي ثم نيليٌّ يلي وازرق يليه ثم الاخضر
واصفرٌ وبرتقاليٌّ كذا وفي ختام الكل يأتي الاحمر

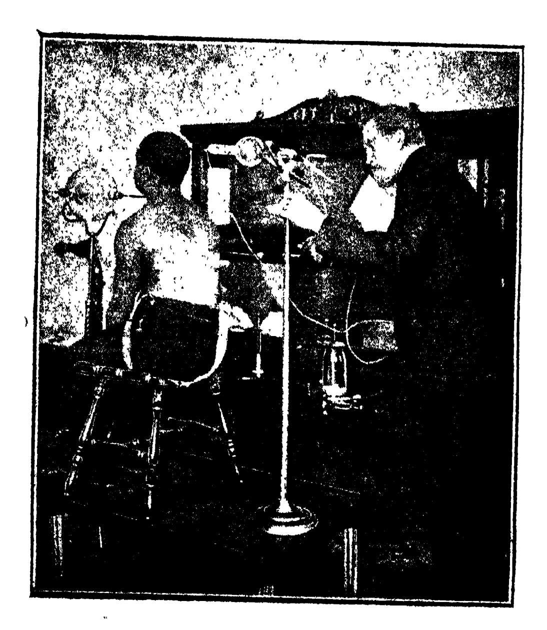
فأعلى اجزاء النور الاشعة البنفسجية وادناها الحمراء . ووجدوا فوق الاشعة البنفسجية

باب الأخبار العلمية

تبييض الزنوج

باشعة رنتجن

كان اكتشاف اشعة رنتجن من اكبر النعم على هذا التمدن لما ترتب عليها من الفوائد الطبية والجراحية وما يرجون كشفهُ من مخبآت الامراض باختراقها الاحشاء • فتريك الانسجة الداخلية وما فيها من قرح او ورم او نمو غريب وتكشف عما في بطن الحامل من ذكر او انثى وغير ذلك مما يرجى الوصول اليه بعد اتقان آلاتها • فضلاً عن الفوائد الكيماوية والطبيعية كتسويد الشعر الشائب وتبيض الجلد الاسود



تبيض الزنوج باشعة رنتجن

غريب الاقتدار على المطالعة مع التوسع في معرفة آداب اللغات القديمة والحديثة لم يغادر شاعرًا او كاتبًا او فيلسوفًا من القدماء او المحدثين الاَّ درسهُ وانتقدهُ لا يملُّ من البحث في هوميروس وفرجيل واشلوس و يروبيوس وملتن وماسنجر وبوب واديسن وجبن و بلاكستون وسوفوكل وشكسبير وميتاستاسيو وكوبر وفيلدن و بيرنس وغيرهم ومن الوزراء العلماء عند الانكليز كانن لم يتول الوزارة الاَّ بضعة اشهر وقضى سائر عمره في المطالعة وكذلك ملبورن و بالمرستون ورسل و بيل و بيكونسفيلد وسالسبوري . وروزبري نفسه يحب المطالعة واما السير هنري كمبل بنرمن رئيس الوزارة الحالي فلا يحبها

﴿ البطالة ﴾ نريد بالبطالة العطلة عن العمل وهي آفة الامن ومدعاة القلق ولا سيما اذا كان سبب البطالة ضيقًا ماليًّا وكان البطالون ارباب عائلات لا مندوحة لهم عن القيام باودها ولا سبيل لهم الى عمل يرتزقون بهِ . يرى احدهم ارباب اليسار يخطرون بمركباتهم وعليهم علامات الرخاء والبذخ و يكادون يموتون من التخمة وهو يخشى ان يموت اولاده من الجوع فيخطر بباله خواطر لو كشفت للغني لارتعدت فرائصه منها . وامثال اولئك البطالين كثير في العالم اليوم على اثر الازمة المالية العامة التي لم تغادر بلدًا ولا مملكة الاَّ اصابتها بسهم . فعدد البطالين في انكلترا وحدها ٢٧٠و٢٢١ نفسًا واخذت الحكومة تهتم بتدبيرهم خوفًا من عواقب بطالتهم . ولمثل هذا السبب نرى جماعة من سكان وادي النيل بعد ما اصابهم من الخسائر في الازمة المالية اصبحوا اذا دعاهم داعٍ الى اعتصابٍ اوصيحة لبوا وان يكن الاعتصاب لا يتعلق بمصالحهم وانما ينضمون الى الغوغاء انتقامًا من الاغنياء

﴿ اسعار الاقلام ﴾ اصبحت الكتابة في العالم المتمدن صناعةً لها اسعار ينال الكاتب منها على قدر استحقاقه . ولكل من مشاهير الكتاب عندهم سعر لكتابته يعرفه الناشرون فاذ ارادوا استخدامهُ في تاليف كتاب او مقالة اقترحوا ان يكون عدد اسطرها او كلماتها كذا وكذا و يقدرون الثمن بعدد الاسطر او الكلمات . والمقترحون هم على الغالب اصحاب المجلات الادبية . لان المجلات عندهم يندر ان يكتبها اصحابها وانما يستكتبون ادباء بلادهم وشعراءها ولكل طبقة من المجلات طبقة من الكتاب . فالطبقة الاولى من المجلات الانكليزية تدفع خمسة جنيهات عن كل الف كلمة من الرواية او القصيدة . والطبقة الثانية تدفع جنيهين . على ان جماعة من مشاهير الكتاب تجاوزت اسعار اقلامهم اضعاف هذا الثمن . و بعضهم يقدرون ثمن مقالته باعتبار الكلمة الواحدة من انشائه . كان ستيفنس الكاتب الانكليزي الذي توفي سنة ١٨٩٤ يقتضي على الكلمة

اشعة مظلمة لها خصائص كيماوية قوية وعليها يتوقف عمل النور الكيماوي في تركيب العناصر وتحليلها كالتصوير الشمسي وغيره وهي التي سميناها الاشعة فوق البنفسجية وعليها مدار كلامنا في ما يلي لانهم قد اكتشفوا لها خصائص يعدُّ اكتشافها خطوة علمية كبيرة

وجدوا هذه الاشعة اقوى على تكبير الاشباح تحت الميكروسكوب من الاشعة الاعتيادية . فالميكروسكوب الذي يكبر الشبح ٢٠٠٠ مرة بالنور الاعتيادي اذا استخدمت فيه هذه الاشعة كبرهُ ٤٠٠٠ مرة اي انها تضاعف قوة التكبير وهي خطوة ذات شأن في الطبيعيات . ولكن الاشعة المذكورة مظلمة اي انها لا تنير للعين فكيف يتاتى لنا ان نرى الاشباح بها في الميكروسكوب ؟ نراها مرسومة على زجاج الفوتوغراف لان الاشعة المشار اليها تفعل فعل التصوير الكيماوي فضلاً عن التكبير فاصطنعوا ميكروسكوبا تكبر به الصور وترسم على زجاجة حساسة معدة لذلك

والاشعة فوق البنفسجية لا تخترق الزجاج ولكنها تخترق حجر الكوارتز وهو ضرب من الحجارة المبلورة . فصنعوا منه عدسيات الميكروسكوب اذا وقع عليها النور لا ينفذها منهُ الا هذه الاشعة فتقع على الشبح المراد تكبيرهُ وتقع صورته مكبرة على لوح من الزجاج الحساس فترتسم واضحة . ولهذه الاشعة قوة على توضيح الاجزاء الدقيقة اعظم كثيرًا مما للنور الاعتيادي . فاذا رسم بها شبح ظهرت دقائقه في الصورة واضحة وضوحًا تامًا فاذا كان مكروبًا ارتسمت اعضاؤه وانسجته كانها مجسمة حتى الاخلية الصغيرة والانابيب الشعرية والالياف الدقيقية . واذا رسمت به جزءًا من انسجة الجسد كالعصب او العضل او عصارة من العصارات بانت خوافيه واضحة وضوحًا غريبًا فيسهل درسهُ ووصفهُ مما لا يتأتى بالمكرسكوب الاعتيادي مهما تكن قوتهُ

تعمير سيبيريا توجهت انظار العالم بعد السكة الحديدية التي مدوها في سيبيريا الى استعمار تلك البقاع الواسعة فاخذوا ينزحون اليها من اربعة اقطار العالم وكان عدد النازحين ٣٣٠٠٠ سنة ١٩٠٥ فاصبح ٢٠٠٠٠٠ سنة ١٩٠٦ وهو آخذ في الازدياد

روساء الوزارة والمطالعة اكثر رؤساء الوزارة الانكليزية حبًّا للمطالعة ورغبة في اقتناء الكتب المرحوم المستر غلادستون واشتهر بهذه المنقبة غير واحد من اولئك الرؤساء ذكرهم روز بري في فصل له بهذا الموضوع . منهم هارلي و بولنبروك وستانهوب ومكتبة هذا الاخير لا تزال محفوظة في غرفة خاصة وفيها طائفة من افضل الكتب واثمنها . ثم سندولاند وقد اسس مكتبة . ولبول وشسترفيلد وشارلس فوكس وكان فوكس هذا

و بينما ضرغام واقف يصلي وعيناه على المرايا في المحراب يرى الناس يدخلون من الباب وراءه ممن يعرفهم ولا يعرفهم وقع بصره على رجل لم يكد يتثبته حتى اجفل ولم يتمالك ان التفت الى الوراء ليتحقق ظنه فاذا هو مصيب في تخيله. وكان قد رأى بالمرآة صورة سامان اخي جهان وناهيك بمرآه من مدهش لضرغام وهو في ذلك القلق على جهان. فتلطف في التقهقر رويداً رويداً حتى دنا من الباب ورآه سامان يتقهقر فسبقه الى صحن المسجد فخرج ضرغام في اثره وهو يتفرس فيه ويكاد ينكره لما رأى في حاله من التغير عما يعلمه. فقد فارقه في فرغانة وعليه لباس اهل الوجاهة من الاقمشة الثمينة بالترتيب والنظافة مما يعوض عن قبح صورته بعض الشيء فرآه تلك الساعة في حالة يرثى لها من الضعف ورثاثة الثوب وقد ربط زنده وعصب رأسه ووقف ذليلاً كئيباً فأثر منظره فيه تأثير لاشفاق والخوف لئلا يكون قد اصاب جهان سوء فصاح به « سامان ? ام انا غلطان ? »

قال « نعم انا سامان ياسيدي »

فقال « مابالك ماذا جرى لك ? اين جهان »

قال « اذا اذنت لي بخلوة قصصت عليك كل شيء فقد تعبت من البحث عنك في سامرا وانا اسأل فلم يهدني اليك احد فاتيت المسجد لعلي أراك فاعرفك فتوفقت الى ذلك »

فاشار اليه ان يمشي في اثره في صحن الجامع وهو يقول « يظهر انك سألت عني باسمي القديم (ضرغام) وانا اليوم لايعرفني احد بهذا الاسم وانما انا اسمى الصاحب .. قل اين جهان ماذا جرى لكم مالي اراك رث السربال على هذه الحال» وكانا قد انتهيا من الصحن الى بناء مربع بشكل الكعبة كان المعتصم قد بناه هنا ليحج الناس اليه بدل حجهم الى كعبة مكة واتخذ منى وعرفات(١) حتى لا يبقى له حاجة الى العرب ولا الى بلادهم وقلما افلح بذلك. وظل البناء باقياً فرأى الصاحب ان يدخل اليه للخلوة بسامان اذ لم يبق له صبر حتى يصل الى المنزل فدخل الكعبة واشار اليه ان يجلس على دكة هناك وهو يقول « اخبرني حالاً اين جهان وماذا جرى لكم »

فجلس وهو يتنهد و يتمسكن وقال « احمل اليك خبراً لا يسرك »

واضطرب ضرغام وقال « قل حالاً هل اصاب جهان سوء ? »

قال « لم يصبها سوء ولكن .. » وبلع ريقه

قال « ولكن ماذا اين هي ? قل »

(١) المقدسي ١٢٢

الواحدة ستة بنسات اي نحو غرشين ونصف . وكانوا يعدون ذلك ثمنًا فاحشًا فنبغ بعده جماعة يتقاضون اضعاف هذا الثمن . فمجلة بيرس تدفع الى كبلن الشاعر الانكليزي شلينًا عن كل كلمة من منظومه وتدفع الى السير كوناندويل عن كل قصة من قصص شارلكهومس الاخيرة ٧٥٠ جنيهًا ومعدل كلماتها ٥٠٠٠ كلمة فيكون ثمن الكلمة الواحدة منها ثلاثة شلينات وثمن السطر الواحد نحو ثلاثين شلينًا . ويدفع الخواجات نيونس الى ويلس نحو ٣٣ جنيهًا على كل الف كلمة . وتقتضي السيدة همفري ورد ١٠,٠٠٠ جنيه لكل ١٠٠,٠٠٠ كلمة يدفعها اليها اصحاب المجلات الاميركية . واما الكتاب في اميركا ففيهم من يقبض ريالاً عن كل كلمة من انشائه

❋ تلغراف مركوني والتجارة ❋ ذكرنا في غير هذا المكان ان الدول انشأَت محطات مركونية لمخابرة بوارجها او اساطيلها في اواسط البحار وقد وقفنا الآن على ما انشأَته شركة مركوني من المحطات التلغرافية على اطراف البحور العظمى من شواطئ انكلترا الى شواطئ اميركا الى ارجنتين وغيرها لتبادل الرسائل البرقية بين اوربا واميركا وبين السفن التجارية اثناء سيرها في اواسط البحار . فالباخرة تقضي خمسة ايام او ستة في الاتلانتيكي من نيو يورك الى ليفربول بين السماء والماء فالشركة المشار اليها تتعهد باسعار معينة بالاشتراك او نحوه ان ترسل اهم الاخبار السياسية والتجارية من اطراف المعمور الى اواسط البحور فتتلقاها المحطات المركونية في السفن نفسها وتنشرها في صحف صغيرة تفرقها في المسافرين . فيكون المسافر وهو في وسط الاتلانتيكي مطلعًا على ما يجري في لندن وباريس وبرلين ونيو يورك ويوكوهاما وباكين . وكل بلد ينقل روتر وهافاس اخبارها الى العالم المتمدن تتلقاها شركة مركوني وتنقلها الى محطاتها برًّا وبحرًا . وفتحت الشركة المذكورة فرعًا على البر لارسال الاشارات التلغرافية الخصوصية الى السفن لمن شاء من اهل البر مخابرة قريب لهُ او صديق مسافر في البحر ومن اهل البحر لاستفهام اهلهم او عملائهم في المدن عن امر عائلي او تجاري او غير ذلك . وقد وقع ذلك موقعًا حسنًا لدى الناس فتزاحم الطلاب على ابواب التلغراف المذكور حتى عجز عن اجابة طلباتهم جميعًا . ثم وجدوا ارسال الاشارات الخصوصية يشوس الاشارات العمومية فعينت الشركة ساعات مخصوصة من النهار والليل للمخابرات الخصوصية وسائر اليوم للعموميات وهي آخذة في انشاء محطات جديدة لتعميم هذه الخدمة

❋ مراسلات الهلال ❋ نرجو ممن يكاتبنا في اي شأن كان ان يكتب اسمه واضحًا والرسائل الخالية من اسم صاحبها او كان اسمهُ فيها غير واضح لا يلتفت اليها

جهان سالمة اكرامًا لك ولكن ٠٠ »

فصاح به « ولكن ماذا ؟ هل اصابها سوء ٠٠ أليست هي حية »

قال « هي حية ياسيدي ولكنهم خطفوها وذهبوا بها وبقهرمانتها وآخر كلمة سمعتها منها قولها « سلم على ضرغام واخبره بما جرى »

فتعاظم غضب ضرغام حتى غلى دمه واحمرت عيناه وقال « ومن هم اولئك اللصوص ؟ ألم تعرف احدًا منهم ؟ »

قال « كلاّ لانهم كانوا ملثمين ولم يفوهوا بكلمة ولا سمعنالهم صوتًا كانهم فعلوا ذلك عنوة خوفًا من انكشاف امرهم »

الفصل الرابع والثلاثون

همذان

فاطرق ضرغام مدة كان فيها كالضائع يحسب نفسه في حلم او كانه انتقل الى عالم آخر حتى انتبه لجلبة الناس في اثناء خروجهم من المسجد وتذكر ان الخليفة معهم فخاف ان يراه مختبئًا فيشك في امره فخرج واختلط برجال الدولة واشار الى سامان ان ينتظره فظل واقفًا في مكانه ٠ وبعد قليل انفرج الوفوف وشقوا طريقًا للخليفة ووقفوا للتحية والاحترام فمرّ بهم المعتصم وهو يتفرس في وجوههم حتى وقع بصره على ضرغام فاشار اليه ان يتبعه فاستعاذ بالله وخاف ان يكون من تلك الدعوة مايحول دون البحث عن جهان ٠ وتفرق الناس عن الخليفة رويدًا رويدًا حتى وصل الى القصر ولم يبقَ معه غير ضرغام فدخل واشار اليه ان يلحقه ففعل حتى وصلوا الى غرفة خصوصية فتحول الخليفة نحوه وقال « رأيتك خرجت من المسجد قبل الفراغ من الصلاة »

فخجل ضرغام من هذا الاستفهام وقد فاته ان الخليفة يرى الخارجين والداخلين بواسطة المرايا كما رأى هو سامان ولكن رؤية سامان فجأة انسته نفسه وموقفه ٠ فلما ساله الخليفة عن سبب خروجه لم يرَ بدًّا من الاعتذار فقال « خرجت لمشاهدة رجل لم اكن انتظر رؤيته ويهمني امره وكان ينبغي ان اتمم الصلاة حتى اخرج في اثر امير المؤمنين فاعتذر لمولاى واعد توبيخه هذا التفاتًا كبيرًا الى صنيعته »

قال « لا ادري اين هي ياسيدي .. قد خطفها مني اللصوص » قال ذلك وتظاهر بالبكاء

فصاح ضرغام صيحة الاسد وحملق عينيه وقد قفَّ شعر شاربيه واصبح منظرهُ مخيفاً وقال « اختطفوها ! من تجاسر على ذلك ؟ »

قال « لا اعلم يا سيدي من هم اولئك اللئام الذين اختطفوها ولكنني استأذنك بالتمهل عليَّ حتى اقص عليك الخبر كما وقع »

فصبرَ ضرغام نفسه وتمالك وقال « قل ولكن اختصر ! »

قال « فارقتنا يامولاي وظللنا في فرغانة بعد سفرك بضعة ايام ذقنا فيها الامرَّين » قال ذلك وارسل بصره الى صحن الجامع وخفض صوته كانه يحاذر ان يسمعهُ احد فلما تحقق خلو المكان من السامعين قال « ان مصيبتنا اتت من اقرب الناس الينا . اتت من الرجل الذي اوصاه والدي بنا . فالافشين لم يكتفِ انهُ حرمني من ارث والدي حتى مدَّ يده الى اختي ... »

فاقشعرَّ بدن ضرغام من ذلك التعبير مع اعتقاده انهُ يعني تعديهُ على حصتها من الارث كاتعدى على حصته ولم يخطر لهُ شيء وراء ذلك فلما سمع قولهُ قال « اظنهُ طمع بشيء من حقها في الارث »

فتشاغل سامان بحك ذقنه الاجرود وتنحنح وظل ساكتاً فارتاب ضرغام في امره فقال « اليس كما قلت لك ؟ »

قال « لو انهُ اكتفى بالارث لكان خيرًا ولكنهُ طمع فيها هي نفسها .. و يسوءني ان اغضبك بهذا الخبر ولكن هو الواقع و يجب عليَّ ان اصدقك .. ان الافشين على كهولته طلب الاقتران باختي ولا بد انهُ عالم بأنها مخطوبة للبطل الصاحب وانهـا يستحيل ان تقبل بسواه »

فقال ضرغام وهو يرتعد من التأثر « و بعد ذلك .. ماذا فعل ؟ »

قال « لم يفعل شيئاً لاننا تداركنا الامر بالفرار ففررت انا وجهان في قافلة بما خف حملهُ من المال والمتاع ولم نخبر احدًا من اهل القصر الا القهرمانة خيزران اخذناها معنا وركبنا باسرع ما يمكن نطلب سامرَّا قبل ان يعلم الافشين بنا فقطعنا البراري والقفار وقاسينا عذابًا شديدًا من الحر والبرد والتعب حتى دخلنا خراسان ودنونا من همذان . وقد فارقتنا القافلة وحسبنا انفسنا صرنا بامان . فاعترضنا قوم على خيولهم نظنهم من قطاع الطرق فدافعنا عن انفسنا دفاعاً حسناً جهد طاقتنا حتى تعطلت يدي وجرح رأسي وكنت اود ان اقتل وتنجو

قال « قلما نسمع بشيء من ذلك ولكنني سمعت بالامس ان جماعة من قطاع الطرق معتصمون وراء هذا الجبل ولم يصل خبرهم الى الحكومة بعد على ما اظن »

فلما سمع ضرغام قوله لم يتمالك عن المبادرة الى الامر فقال « ارسل معي رجلاً يهديني الى اولئك اللصوص » ومشى

فاعجب الرجل بشجاعته ومبادرته الى الذهاب وحده فقال « الا ترى يا سيدي ان نرسل احداً للبحث عنهم وتمكث انت هنا ؟ »

قال « كلا يكفي ان ترسل معنا رجلاً يدلنا على الطريق » ومشى وسيفه الى جانبه وقد التف بعباءته والكوفية حول رأسه وتبعه سامان ورجل من خفر تلك المحطة سار امامهم في شعب وعرة وقد غابت الشمس واخذ الظلام يتكاثف وضرغام مطرق لا يلتفت ولا يتكلم حتى انتهى الى منعطف في ذلك الجبل فوقف الدليل واشار بيده الى نور ضعيف على اكمة امامهم وقال « هذا مقر القوم ياسيدي واخاف ان يستغشونا ويلحقوا بنا اذى »

فقال « لا تخف امكث انت هنا مع سامان ريثما اعود اليكما »

الفصل الخامس والثلاثون

المعتصم والعرب

فاظهر سامان انه يفضل الذهاب في خدمته ولكنه ابقاه هناك ومشى وحده وهو يتعثر بالحصى ويسمع لوقع نعاله قرقعة كأن غضبه اعماه عن الخطر الذي يهدده بالمسير وحده على تلك الصورة ولكنه كان شديد الاعتقاد بقوته كثير الاعتماد على بسالته . حتى اذا صار على مرمى سهم من المنزل رأى اشباحاً تتراوح بينه وبين المصباح وسمع هرير الكلاب فلم يبال . ورآه القوم قادماً وحده فلم يخطر لهم انه عدو لعلمهم ان العدو لا يجسر على القدوم منفرداً فتصدر واحد منهم وصاح « من هذا ؟ »

فقال ضرغام « قادم يبحث عن ضائع . . اين هو كبيركم »

قال « قف عندك حتى نأتيك والا عرضت نفسك للخطر »

فوقف لحظة رأى في اثنائها القوم في حركة وتهامس ثم تقدم واحد منهم وبيده

قال « اني كثير الاهتمام بشؤونك لانك صاحبي فارجو ان لا يكون عليك باس مما رأيته او سمعته »

فرأى ضرغام الفرصة مناسبة للاستئذان في الذهاب الى همذان فقال « لا بأس عليَّ مادمت في ظل مولاي امير المؤمنين ولكن قوماً من اهلي كانوا قادمين من فرغانة الى العراق فاصابهم ما اخر وصولهم فبعثوا يستعينون بي على ذلك فهل يأذن مولاي بذهابي بضعة ايام؟ »

فاطرق المعتصم ثم قال « سر ولا تطل الغياب واذا رأيت ان تستعين بجند او بريد افعل »

فانحنى ضرغام شاكرًا واستأذن بالانصراف ورجع الى المسجد حيث ترك سامان وقد سرَّهُ اهتمام المعتصم بأمرهِ ولكنه ظل مضطرب الخاطر لما سمعه عن جهان وعن الافشين وكلاهما ثقيل على السمع وعلى القلب ولم يكن الافشين قد وصل الى سامرا فرأى ضرغام المبادرة الى همذان فامر باعداد افراس البريد ينتقل بها هو وسامان وذهب لوداع والدته وقال لها انهُ ذاهب في مهمة وقتية يعود منها بعد بضعة ايام فقبلته وودعته فركب في ذلك المساء وقلبهُ يكاد يسبقه الى همذان من شدة القلق وكل ما وصل الى محطة من محطات البريد لاجل تبديل الركائب يسأل الناس هل سمعوا بلصوص يقيمون في بعض الاماكن هناك وكان يواصل السير نهارًا وليلاً لا ينام الا قليلاً حتى دنوا من همذان وبجانبها جبل وعر وطريق البريد بجانب ذلك الجبل وفيهِ محطة لخيل البريد فلما وصل الى هناك سأل سامان « ألا تذكر المكان الذي جرت فيه الواقعة »

قال « وراء هذا الجبل على ما اظن »

وكان وصولهم الى ذلك الجبل نحو الغروب وقد اعدَّ لهُ اصحاب البريد منزلاً يبيت فيه ويتناول ما يحتاج اليه من اسباب الراحة ولكنه لم يستطع صبرًا الى الغد . وكان في تلك المحطة غير واحد من السعاة والكوهبانية واصحاب الاخبار التقوا هناك صدفة وكل منهم سائر في طريق وعلم صاحب تلك المحطة ان الصاحب من خاصة الخليفة وقد جاء للبحث عن شيء هام وانبأ الآخرين بذلك فاصبحوا يتوقعون امره فسال صاحب تلك المحطة قائلاً « العلك هنا من زمن طويل »

قال « من بضعة اسابيع ونحن اصحاب البريد ننتقل دائماً فهل يريد مولاي خدمة نقوم بها »

قال « اشكرك ولكنني احب ان اعلم اذا كنت سمعت بلصوص او قطاع طريق يعتصمون في بعض هذه الاودية او الجبال او يمرون من هذه الامكنة »

الغل فترجع الى رضى الخليفة ونحن في حاجة الى رأيك وسيفك واعداؤنا كثيرون فلا ينبغي ان نتفرق »

فاعتدل حماد في مجلسه وبان الاهتمام في وجهه وقال « انا لا الومك على دفاعك عن المعتصم لانه صديق الاتراك والفراغنة وقد عادى اهله وعشيرته من اجلهم . وانت الآن صاحبهُ ومن اقرب المقربين اليهِ . لا اقول انك لاتستحق ذلك بل انت اهل لاكثر منهُ ولكن لو كنت في مكاننا نحن العرب لم تقبل بما يأتيه هذا الرجل من المظالم نحونا . ولم يكفهُ انهُ صادرنا في ديننا وجلد الامام احمد بن حنبل الرجل التقي البار حتى غاب رشده وسال دمهُ وتقطع جلده ثم قيده وحبسه [1] واضطهد كل من لم يقل بخلق القرآن — لم يكفه ذلك حتى قطع العطاء عن العرب كافة ومنع المسلمين من رواتبهم ولم يفعل ذلك احد قبلهُ — لااذكرك بما كان للعرب من العز والسؤدد في عهد الراشدين والامويين يوم كان الفرس والترك وسائر الاعاجم يعدون من العبيد او الموالي لا يستنكفون من ان يكون العرب اسيادهم بل كانوا يتشرفون بالانتماء اليهم . وانما انا اذكرك بما كان لهم من التقدم في صدر الدولة العباسية مع انها قامت بسيوف الفرس . حتى المأمون الذي حارب العرب وحاربوه فلما تغلب عليهم لم ينقص شيئاً من اعطياتهم كما فعل المعتصم هذا مع ان المأمون كان معتزلياً مثله يقول بخلق القرآن ويضطهد الائمة القائلين بقدمه . لعلمه ان العرب مادة الاسلام واصل هذه الدولة وروح هذه الامة . اما صاحبك فقد قطع العطاء عن كل عربي [2] . العطاء الذي يمتاش منه المسلمون . ولم يفعل ذلك عن فقر او جدب فانه ينفق الاموال الطائلة في اصطناع الاتراك والاشروسنية والفراغنة وقد بنى لهم سامرا واحضر لهم النساء والجواري واسال النضار في خزائنهم . لو كنت انت عربياً لما صبرت على ذلك »

فلم ير ضرغام حجة يدفع بها قول حماد لعلمه انهُ يقول الصدق. ولكن غيرته على المعتصم واخلاصه في خدمته حملاه على انتحال الاعذار فقال « لا انكر عليك ما ذكرته من مواضع النقد على امير المؤمنين ولكنك حملت ذلك منهُ على سوء القصد فهو قد قطع العطاء عن بعض العرب بعد ان تحقق عداوتهم للدولة ومنهم من حاربه وجرد الجيش عليه اما الذين يخلصون في خدمته فيبالغ في تقريبهم والانعام عليهم. هذا القاضي احمد بن ابي دواد لا ازيدك علماً بمنزلته عند الخليفة وهو عربي . وانت ... الم تكن مقرباً ولك

(١) ابن الاثير ١٨١ ج ٦ (٢) تاريخ التمدن الاسلامي ١٢٩ ج ١

قبس وقد تلثم بكوفية والتف بعباءة فتفرس ضرغام فيه فلم يعرفه ولكنه تحذر منهُ فجعل يدهُ على قبضة سيفهُ وهو يتحفز للوثوب او الدفاع ولم يكد صاحب القبس يصل الى ضرغام حتى قال له « اهلا بضرغام ... اهلاً بالصاحب »

فلما سمعه يناديه باسمه خفق قلبهُ واستأنس به واشتبه بصوته ولكنه لم يعرفهُ فقال « من انت .. »

وكان قد وصل اليه فازاح اللثام وادني القبس من وجهه وقال « الم تعرفني ؟ »

فتفرس ضرغام فيه ولما عرفه صاح « حماد ؟ ما الذي اتى بك الى هنا »

قال « اتى بي الى هنا ظلم صاحبك .. تفضل » قال ذلك وصفر صفيرًا ابطل نباح الكلاب وفرق الرجال الذين كانوا مجتمعين ومشى وهو قابض بيده على يد ضرغام يرشده الى الطريق وضرغام يعجب لما يراه لانه يعرف حمادًا من وجوه رجال الدولة في سامرًّا وقد رآه فيها منذ اسابيع وكان شديد الثقة بصداقته فتبعهُ مطمئنًا حتى وصلا الى بناء قديم حجارتهُ ضخمة وقد تهدم بعض جدرانه ولو تفرس القادم في ما بقي من انقاضه على ضوء القبس لرأي عليها نقوشًا وصورًا من آثار الفرس القدماء ولكن ضرغام لم ينتبه الى شيء من ذلك . واذا بصاحبه قد اوصله الى غرفة ليس فيها شيء من الاثاث او الرياش ولكنه شاهد في ارضها اكياسًا من الحبوب وصناديق فيها الآنية والمتاع كأنها اخذت من اصحابها التجار في تلك الساعة . فاشار حماد الى ضرغام فجلس على صندوق وجلس هو على صندوق آخر وقال « اظنك تعجب لما تراه . فلا تعجب »

فقال « كيف لا اعجب وقد بلغني عن هذا المكان انه مسكن اللصوص واراك فيه كواحد من اهله »

قال « بل انا زعيم اصحابه ... ولم اكن لاكاشفك بذلك وادخلك هذا المكان لولا ثقتي بك ولتعلم مغبة ظلم صاحبك »

قال « اظنك تعني امير المؤمنين »

قال « بل اعني امير الاتراك والفراغنة واذا احرجتني قلت انهُ امير الكافرين مثل اخيه المأمون »

فشغل ضرغام بهذا الامر الغريب عن الغرض الذي جاء من اجله فقال « اني لا أرى مسوغاً لهذه النقمة ولولا ماتعلمه من حبي لك ماصبرت على ما اسمعهُ منك ولكنني اذكر صداقتك واحب ان تصرح لي بما يكنه ضميرك عساي ان اذهب ما في نفسك من

المسلمون جوعاً لأنهم عرب» . فنحن انما نستولي على حقوق الفقراء بالقوة لان الامام اراد ضياعها . . »

فتعجب ضرغام لقوة تلك الحجة ولكنه اراد قطع الجدال فقال « ما لنا وذاك فقد علمتُ انك كنت في سامرّا من عهد قريب ولم يقطع الخليفة عطاءك فما الذي حملك على الخروج »

فوقف حماد وتنهد وتغيرت سحنته من الغضب الى الكآبة ونظر الى ضرغام وقال « ان ما حملني على هذا الخروج وأثار فيّ هذه الضغائن امر اصاب مني مقتلاً . . . اصاب قلبي فاذهب رشدي فانا ناقم على ذلك الرجل الظالم ما دمت حياً » قال ذلك وقد تصبب العرق من جبينه فازداد ضرغام رغبة في كشف خبره وتوسم من عبارته انه يشكو من حبيب فارقه فقال « وما ذاك يا اخي . . . قل باختصار فاني اتيتك لامر يهمني كثيراً فشلغتني باموري »

قال « مهما يكن من امرك فلست بالغاً امري . احببت جارية لبعض البغداديين واحبتني فلما اقدمت على الاقتران بها تصدى لي رجل من خاصة المعتصم اسمه الحارث السمرقندي اظنك تعرفه وطلبها لنفسه واخذها مني عنوة فشكوت امري الى الخليفة على يد القاضي احمد الذي ذكرته فاجابني — ابحث عن جارية اخرى وان هذه لا تكون لك — مع علمي انها تحبني حبًّا شديدًا . . » ثم تنهد وقال « آه يا ياقوتة »

فقال حماد « كان اسمها ياقوتة ؟ »

قال « نعم هذا هو اسمها . فهب اني اغضيت عن كل السيئات التي ذكرتها فهل اقدر ان اغضي عن هذه ؟ . اني والله ناقم على الخليفة ودولته وما خرجت لاكون لصًّا وانما خرجت لانتقم من هذه الدولة بما في امكاني . . واعداؤها كثيرون »

فتأثر ضرغام من حكاية ياقوتة اكثر من سائر القصص لانه واقع في مثلها — والانسان انما يشارك الناس في المصائب التي اصيب بمثلها او يخشى ان يصاب بها . فالعازب لا يشعر مع الآباء اذا اصيبوا بابنائهم كما يشعر الوالدون . ولا يشارك المحب في شعوره الا الذي جرب الهوى . فقال حماد « هوّن عليك ولعلي نافعك في شيء من شكواك وقد آن لي ان اسألك عن الامر الذي جئت في هذا الليل من اجلهِ فارعني سمعك واعلم اني اول من شاركك في احساسك لاني واقع مثل وقعتك »

قال « تفضل »

منصب رفيع »

فهز احمد رأسه وقال « اراك حسن الدفاع عن صديقك الخليفة وقد اتيت بالقاضي احمد شاهداً وهو عربي من بين الوف قد لحقهم الذل والعار والفقر . اما انا فقد كان لي منصب وبئس المنصب لو بقي .. جعاني سادن الكعبة التي انشأها في سامرا ليحوّل المسلمين عن كعبة مكة ويذهب بما بقي للعرب من مصادر الرزق حتى يميت عرب الحجاز انفسهم لانهم يرتزقون من الحجاج كما تعلم فانشأ الكعبة في سامرّا ليغني المسلمين عن الحجاز »

فقطع ضرغام كلامه قائلاً « ولكنه ليس هو اول من فعل ذلك من الخلفاء او الامراء فقد حاول ذلك الحجاج والمنصور ولم يفلحا (١) »

فقال « وهذا لم يفلح ايضاً لان بيت الله في مكة فلا يقدر ان يجعله في سامرّا »

الفصل السادس والثلاثون

ياقوتة

فرأى ضرغام ان الحديث قد طال في ما لا يهمه بقدر ما يهمه الامر الذي جاء من أجله فاراد ان يختصر الكلام فقال « ومع ذلك لا اجد في ما ذكرته مسوغاً يجيز لك ارتكاب اللصوصية »

فقال « لا تقل لصوصية . اننا لا نرتكب شيئاً من ذلك على الاطلاق » فتضاحك ضرغام وهز رأسه استخفافاً بدفاع حماد فابتدره هذا قائلاً « لا تضحك يا صديقي البطل . اننا لا نسرق وما نحن لصوص وانما نحن نستولي على حقوقنا بايدينا »

فاستغرب قوله ونظر اليه وتطاول بعنقه نحوه كانه يستفهمه فقال حماد « ان هذه الاموال التي تجدها ملقاة هنا انما هي حق اولئك الفقراء وابناء السبيل بامر الله تعالى في كتابه وهي عشور الاموال او اخماس الفيء فهذه كان الخلفاء في صدر الاسلام يأخذونها من اصحاب الاموال والتجار ويفرقونها في الفقراء والمساكين وابناء السبيل — يأخذونها زكاة ويفرقونها صدقة او عطاء وقد قطع المعتصم هذه الاعطيات فهل يموت

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٦٥ ج ٤

فاقشعرّ بدنهُ وحرق اسنانه ـ فقضى في تلك الهواجس مدة وهو يتلمس ذلك الطريق الوعر على غير هدى والدليل يسير بين يديه حتى ادرك محطة البريد فركب وعاد الى سامرَّا . وطريق البيت في الرجوع اليه اقصر منها في الخروج منه ولكن ضرغاماً استطال الطريق واستبطأ وصوله لشدة رغبته في ملاقاة وردان لعله يستشيره في الامر وقد نعود ذكاءه وصدق فراسته

الفصل السابع والثلاثون

النجدة

اشرف على سامرَّا نحو الغروب والشمس تقابله وقد ضعف نورها وتبددت اشعتها واحمر لونها وتكور شكلها وتعاظم جرمها فظهرت كأنها كرة من نار سابحة في ضباب من دم . ونظر الى ابنية سامرَّا واعظمها قصر الخليفة والمسجد الاعظم ومنارته تناطح السحاب . ويخترق المدينة من الشمال الى الجنوب نهر دجلة المبارك وعلى ضفافه اشجار النخيل وافقة وقوف الجند يحملون سهامهم في عمائمهم . فشغله منظر الطبيعة عما في نفسه فاحس بارتياح فوقف هنيهة والبريدي على بغلته الى جانبه ولم يدهشه ذلك المنظر لانه تعوده والنفس يختلف تأثرها من مناظر الطبيعة باختلاف حالها . واكثر الناس مشاركة للطبيعة في احوالها المحبون

واحسَّ ضرغام بميل الى الانفراد هناك فاشار الى البريدي ان يسبقهُ الى سامرَّا فاطاع وبقي ضرغام وحده يراقب الشمس ساعة الغروب وهي تتراءى لعينيهِ من وراء جذوع النخل عن بعدٍ وتتقلب بالوانها القزحية وان غلب عليها لون الارجوان . حتى اذا ادركت حافتها الافق استطالت تلك الحافة الى شبه خرطوم نزل وراء الافق وهبطت هي في اثره الهوينا وقد اخذت الاظلال تستطيل وتنتشر حتى توارت الشمس وخلفت مكانها افقاً اخذ احمراره في الاكفهرار شيئاً فشيئاً من الدموي الى الارجواني فالبنفسجي فالازرق على اختلاف الوانه وتفاوت اقتامها الى السواد فاستحالت الاظلال الى ظلام . فاحسَّ ضرغام بانقباض نبهه الى المسير فوخز الفرس وخزاً خفيفاً فمشى مشياً بطيئاً حتى تخلل مغارس المدينة من طرفها الاسفل وتراءى لهُ دجلة في مكان لا يغشاه النخيل فيممهُ على ان يسير على ضفته الى الجوسق

قال « لي خطيبة كانت في فرغانة وانا في سامرّا فركبت اليَّ مع اخيها وجاريتها فلما وصلوا الى همذان هجم عليهم اللصوص واختطفوا الفتاة وجاريتها وجاء اليَّ اخوها بالخبر فاسرعت للبحث عن الفاعلين فانبأني صاحب البريد عن هذا المكان فأتيت فما قولك ؟ »

قال « اما نحن هنا فلا نختطف نساء وقد اخبرتك بما نفعله وانا على يقين انهُ ليس في هذا الجوار لصوص او قاطعو طريق »

قال « ولكن اخا الفتاة شهد الواقعة وهو الذي نجا من المعركة واخبرني »

فهز رأسهُ هزة الانكار وقال « نحن هنا منذ عدة اسابيع ولم نسمع بحدوث شيء من ذلك واظن الراوي كاذباً »

فانتبه ضرغام لما يعلمهُ من سوء نية سامان من يوم عرفهُ فقال « ان الراوي واقف في مدخل هذه الشعب استقدمهُ اليك لتسألهُ »

فاشار حماد الى بعض رجاله ان ينادي الرجل الواقف هناك فذهب وعاد وهو يقول انهُ لم يجد احداً . فذهب ضرغام بنفسه فلم يجد سامان وسأل الدليل عنهُ فقال انهُ مضى الى حيث لا يعلم . فبعث في البحث عنهُ فلم يقف له على اثر فترجح لهُ ان في الامر سرًّا غامضاً وان الرجل قد يكون كاذباً في ما رواه حتى عن الافشين فقلَّت ثقتهُ بما رواهُ عن هذا ولم يرَ بدًّا من الرجوع الى سامرّا فاستانف الكلام مع صديقهِ ونصح له ان يرجع معهُ فلم يرض وقال « لا ارى في رجوعي فائدة ولو اقتصر ظلم صاحبك على خسارة المال لاحتملته ولكنه طعنني في قلبي وانت اكثر الناس شعورًا معي فلا تلمني »

فتذكر ضرغام مصيبته وتصور نقمتهُ على خاطف حبيبتهِ فعذره وقال « صدقت اني معك كما ذكرت ولو علمت ان الخليفة الذي صادرني بخطيبتي لنقمت عليه مثل نقمتك واشد منها فافعل ما بدا لك وعلى كل حال ارجو ان تذكرني ولك مني مثل ذلك . . » واطرق قليلاً ثم قال « واذا حدث ما يبعث على مخابرتك او المجيء اليك فهل اجدك هنا »

فاجاب « لا اعلم اين يكون مقري بعد الليلة وما قيامي هنا الاَّ الى اجل وانت اذا وفقتُ الى امر يسرك واردت ان اراك فاين تكون ؟ »

قال « في سامرّا »

فشكر له فودعهُ ضرغام ورجع وهو يفكر في ما سمعهُ وصورة جهان لا تذهب من مخيلته لانهُ في المكان الذي قيل لهُ انها اخذت فيهِ والليل مظلم مثل ظلام الليلة التي خطفت فيها فتصور حالها وهم يقبضون عليها وتوهم انهُ يسمعها تستغيث به وتناديه با[illegible]

« كذبتم ايها الغادرون ليس الامر كذلك »

فلما سمع كلامها ازداد شبهة بصوت جهان واختلج قلبه في صدره واستبعد ان تكون هي نفسها اذ لو كانت هي لعرفت صوته فقال للرجل « قل الحقيقة ولا تخوفني باحد والا الحقتك برفيقك »

قال « لا تغترر بما سمعته .. ان هذه الجارية هاربة من بيت الخليفة فمن يجسر على حمايتها »

قال « انا اجسر دعها وسر بطريقك »

فصاح الرجل « من انت حتى تجسر على ذلك ؟ »

فتحول ضرغام عنه وامسك الفتاة بيدها ومشى وهو يقول « قل للخليفة او لسواه ممن يدعي السيادة على هذه الفتاة انها في حماية الصاحب »

فلما سمع الرجل اسمه تراجع وبهت كانك اخرسته بالكهربائية ثم قال « اعذرني يامولاي على جسارتي اذ لم اكن اعلم ان مولانا الصاحب يخاطبني » قال ذلك وتحول راجعاً

الفصل الثامن والثلاثون

ياقوتة

اما ضرغام فترك يد الفتاة ومشى الى فرسه وكان لا يزال واقفاً في مكانه فقاده بلجامه وسار وهو يقول للجارية « امشي يابنية لا تخافي ولكن اخبريني عن حقيقة امرك فقد سلمت الآن من الخطر »

فقالت وصوتها مختنق « اشكر الله لانه ارسلك لانقاذي ولولاك لذهبت ضحية الظلم »

فاطربه صوتها واحب ان يتفرس في وجهها وقلقه على جهان يوهمه انها قد تكون هي بعينها ولكن الظلام كان يحول دون ذلك فقال لها « قولي ماهو خبرك »

قالت « كنت جارية لبعض الناس واعتقني سيدي لوجه الله فطلبني شاب عرفني وعرفته وتحاببنا وتواعدنا على كتابة الكتاب ثم رآني رجل من بطانة امير المؤمنين يقال له الحارث السمرقندي . فتقرب الي وخطبني لنفسه فابيت عليه ذلك »

فلما سمع ضرغام اسم الحارث انتبه لما سمعه من حماد فقال « وما اسم خطيبك »

قالت « حماد »

وكان الجو هادئاً والسكون سائداً فلما دنا من دجلة عاد الى تخيله فاستغرق في هواجسه والفرس يسير على ضفة النهر من تلقاء نفسه . وقد هب النسيم عليلاً وسكنت الطبيعة فلا يسمع في ذلك المساء الا حفيف الورق ووقع حوافر الفرس . ولم يكن ضرغام يسمع شيئاً لاشتغاله بافكاره . واذا بجلبة فاجأته من ورائه وسمع صوتاً وقع وقوع السهم في قلبه واجفله لانه صوت امرأة تستغيث قائلة « خافوا من الله ... اتركوني ... ياناس .. اتركوني .. » ثم اختنق الصوت . فارتعدت فرائص ضرغام لان الصوت كثير الشبه بصوت جهان وتذكر ما اصابها من اللصوص وتصوّرانها استغاثت بمثل هذا الكلام ولم ينجدها احد فصمم على نجدة هذه المستغيثة لعلّ الله يوفق جهان الى منجد ينقذها . وما تمهل ريثما يدير رأس جواده الى جهة الصوت فترجل وتحوّل مسرعاً على قدميه وهو يستل حسامهُ و يقول « لبيكِ لبيكِ .. اتركوها ايها اللئام »

قال ذلك وهو لا يرى احداً لشدة الظلام فخاف ان يكون قد خدعتهُ هواجسهُ وان ما سمعهُ هاتف يمثل لهُ حال جهان . لكنه ما عتم ان سمع الصوت يقترب منه وراى شبح امراة تعدو من ضفة النهر وهي باسطة يديها نحوه وتصيح « بالله انجدني ... اشفق على حياتي ... » وراى رجلين يجريان في اثرها وقد شهر احدهما السيف وهو يقول « الى اين تهربين ياخائنة .. اني قاتلك لا محالة »

فصاح ضرغام « عنها يارجل لا تعرض بنفسك للقتل »

فلم يبال الرجل بما سمعهُ وظل مسرعاً حتى كاد يدرك المرأة وكانت قد وصلت الى ضرغام وترامت على قدميه . فلما رآه ضرغام لا يزال هاجماً والسيف بيده تناولهُ بضربة اطارت رأسه فوقع يتخبط بدمه وهجم على رفيقهِ وهمّ ان يضرب به فرآه اعزل فامسك عن ضربه وصاح فيه « من انتم .. »

فقال « مالك ولنا ليس هذا السؤال من شأنك . دع الجارية وامض لسبيلك وسترى عاقبة امرك »

قال « قف حيث انت والا قتلتك .. او قل لي من انت وما خبر هذه الفتاة »

قال « انها جارية هربت من بيت مولاها فبعثنا للبحث عنها فادركناها هنا وابت الرجوع فهددها رفيقي تخويفاً لها ولولاك لرجعت صاغرة ولكنها استفرست وسببت قتل رفيقي وسوف تعلم مصيرك »

فلما سمعت الجارية قولهُ وكانت قاعدة على العشب من التعب نهضت وصاحت

فقالت « جزاك الله خيرًا ياسيدي ولكن .. »

قال « لاتخافي يا أخية انما تكونين مع والدتي في خير وامان لايمسك احد بسوء . ان والدتي وحيدة في البيت ولا ريب انها تتخذك ابنة لها وتستأنس بك كثيراً »

وانتبهت ياقوتة في تلك اللحظة انها على مقربة من الجوسق فوقفت وقالت « اراني بجانب قصر الخليفة ! »

قال « اني اقيم في قصر داخل هذا الجوسق »

فتراجعت وقالت « أكون اذًا في خطر اذا عرف الخليفة بامري »

قال « كوني مطمئنة . انك في مأمن عندي » وكانا قد وصلا الى باب الجوسق فلما رأى الحراس ضرغاماً وسعوا له وتقدم احدهم فاخذ الفرس الى الاسطبل وسار ضرغام مع ياقوتة حتى اتى منزله فلما رآه الخدم اسرع بعضهم الى والدته فبشروها واناروا الشموع فدخل والفتاة في أثره حتى توسط الدار واول شيء فعله انهُ تفرس في الفتاة على نور الشمع وحالما وقع بصره عليها خفق قلبه وبدت البغتة في وجهه لشدة المشابهة بينها وبين جهان فقال في نفسه « سبحان الخالق ما هذه الصدفة ؟ » واحس بارتياح الى الفتاة واعجبه ما قرأه في محياها من الهيبة والجمال رغم ما كان يغشاهُ من الاضطراب . ويكفي لارتياحه اليها ومشابهتها حبيبته بالوجه والصوت . وزاده استئناساً بها ما قاساه في سبيل انقاذها — والمرء من فطرتهِ يحب الذين يشقى في سبيل راحتهم ولذلك كان الرجل اكثر انعطافاً بين اولاده على اشدهم حاجة اليهِ . وكلما تعب الوالد في سبيل ابنه ازداد تعلقاً بهِ . ولولم يكن قلب ضرغام مشتغلاً بجهان لتعلق بياقوتة اذا لم تكن لصديقه حماد

الفصل التاسع والثلاثون

آفتاب

اما آفتاب فكانت قد تهيأت لاستقبال ابنها فلما سمعت وقع خطواته اسرعت اليه وضمته وقبلته وتنشقت ريحهُ . ثم شعرت بحركة في الدار فقالت « من هو رفيقك »

قال « بل هي رفيقه لك »

قال « وانت اذا ياقوتة »

فلما سمعته يناديها باسمها غلبت عليها الدهشة حتى تلعثم لسانها وقالت « كيف عرفت ذلك يامولاي .. هل تعرف حماداً .. اين هو ؟ »

قال « عرفته ولكن لاسبيل اليه الآن .. ساقص عليك خبره .. اتمي حديثك »

فلم تعد تعرف لشدة فرحها كيف تتكلم فقالت « فلما أبيت على الحارث ما اراد وسط القاضي احمد لدى امير المؤمنين فطلب الخليفة ان يراني فلما مثلت بين يديه نظر الي طويلاً ثم اودع اذن القاضي كلاماً وامرني ان ابقى عند الحارث بلا زواج حتى يبدي رأيه في . فاخذني الحارث الى منزله وحبسني واخذ يحاول اقناعي ان اقترن به تارة بالحسنى وطوراً بالتهديد حتى جاءني منذ بضعة اسابيع وهو يهزأ بي ويقول ان خطيبي فر من سامرا فلم اصدقه وعزمت على الفرار الى حماد فلم اتمكن الا الليلة فركبت دجلة عند الغروب على ان اسرع الى منزل حماد وهو على مقربة من قصر الخليفة فادركني هذان الرجلان وهما من اعوان الحارث وارادا ارجاعي ولما رفضت الرجوع هدداني فصحت الصيحة التي سمعتها وجئت لانقاذي .. جزاك الله عني خيراً »

فلما فرغت من حديثها سره انه انقذها اكراماً لصديقه ولكنه تذكر ان حماداً برح همذان في الليلة التي فارقه فيها ولا يعرف مقره فظل ساكتاً وهو يفكر في ذلك وصورة جهان امام عينيه وهو يقول في نفسه « هل يتاح لجهان من ينقذها يا ترى كما انقذت انا هذه الفتاة » ظل مدة وهو يفكر في ذلك وياقوتة ماشية الى جانبه وقلبها يخفق سروراً وقلقاً تتوقع ان تسمع من الصاحب ما يعلمه على حبيبها فلما استبطأته قالت « وعدتني يا مولاي ان تخبرني عن حماد . العله خرج من سامرا ؟ »

قال « نعم خرج منها كما قال لك الحارث »

قالت « واين هو ؟ »

قال « لا ادري .. وقد لقيته منذ بضعة ايام في مكان خارج العراق واخبرني انه مسافر الى حيث لايعلم وقد قص علي غضبه من الحارث والخليفة من اجلك .. كوني على ثقة انه شديد المحافظة على ودك »

فلطمت خدها بكفها وقالت « ويلاه اين أذهب وأين ابيت وكيف اعرف مقره ؟.. »

فقال « لاباس عليك انك تمكثين في منزلي مع والدتي حتى يأتي الله بالفرج فاني على موعد من حماد ان يكتب الي عند الحاجة لانه صديقي »

قال « هل اخبركِ عن مجيء الافشين »

قالت « اخبرني انهُ جاء وعسكر خارج سامرّا على ان ينتقل بعد بضعة ايام الينا واظن وردان عاد اليهِ او لعله يريد الذهاب اليه غدًا او بعد غد »

قال « حسنًا » ولم يطيلوا السهرة التماسًا للراحة . فباتوا تلك الليلة واصبح ضرغام في اليوم التالي وقد عادت اليه هواجسه واصبح شديد الميل لملاقاة وردان ليسأله عما سمعه من اصحاب الافشين عن جهان . وفي اصيل ذلك اليوم جاءه رسول الخليفة يطلب حضوره فلبس سواده وقلنسوته وذهب اليه في دار العامة فاستأذن ودخل فوجد عنده القاضي احمد فسلم ووقف فاستدناه اليه وامره بالجلوس فجلس فقال وهو يبش في وجهه « متى عدت من السفر ؟ »

قال « اتيت مساء البارحة يامولاي وكنت عازمًا على المثول بين يدي امير المؤمنين ولو لم يأتني رسوله »

قال « من لقيت في طريقك ؟ »

فانتبه انهُ يشير الى ياقوتة لعلمه ان الحارث لابد من ان يشكوه فقال « لقيت فتاة بين يدي رجلين يعذبانها »

قال « هل انقذتها ؟ فقد تعودت النجدة بارك الله عليك »

فعلم ان الخليفة يشير الى فضله عليهِ في انقاذه من مخالب الاسد فخجل لاطرائه وتجاهل وقال « لم استأذن امير المؤمنين عن انقاذها ثم علمت انها تنتمي الى بعض رجال الدولة فحملت تبعة عملي طمعاً بحلم امير المؤمنين وهو ذنب استغفر عنهُ »

فضحك المعتصم وقال « قد اصطدت صيدًا حلالاً انت اولى الناس باحرازه .. كيف رأيت هذه الفتاة .. هل هي جميلة ؟ »

قال « لا بأس بها يامولاي »

قال « قد وجب عليك اقرارك »

فلم يفهم ضرغام قصده فابتدره القاضي احمد قائلاً « اتذكر ان امير المؤمنين خطب لك جاريةً »

قال « نعم »

قال « هذه هي الفتاة بعينها »

فاستغرب ضرغام ذلك الاتفاق الغريب وتحير في الجواب فقال القاضي « ان امير المؤمنين

فظنت لاول وهلة انهُ جاءها بجهان فتوجهت ببصرها نحو الحركة التي كانت تسمعها كانها تستقبل الضيفة وصاحت « هل هي جهان »

فوقع قولها وقعاً شديداً على قلب ضرغام فتح جراحه فتنهد وقال « كلاّ يا أماه ولكنها عزيزة علي لانها خطيبة بعض اصدقائي »

ودنت الفتاة من آفتاب وهمت بتقبيل يدها فضمتها ورحبت بها وقالت « ما اسمك يا حبيبتي »

قالت « اسمي ياقوتة ياسيدتي »

فلما سمعت صوتها دهشت وبان الاستغراب حول مبسمها وفي اختلاج عينيها البيضاوين وقالت « سبحان الله كاني اعرف هذا الصوت ... »

فقطع ضرغام كلامها قائلاً « اظنك تعنين صوت جهان فانهُ كثير الشبه بهِ وقد لحظت ذلك منذ سمعتها تتكلم للمرة الاولى »

فسكتت آفتاب ولم تجبهُ واخذت الفتاة بيدها واجلستها الى جانبها وجعلت تضمها وترحب بها والتفتت الى ضرغام وقالت « كيف لقيت هذه الياقوتة .. واين كانت ؟ »

فقال « اتفق لي وانا عائد من المهمة التي اخبرتك عنها اني مررت باسفل المدينة فسمعت هذه الفتاة تستغيث من رجلين كانا يحاولان اخذها الى رجل يريد ان يتزوجها رغم ارادتها فانقذتها منهما وجئت بها »

قالت « ومن هو ذلك الرجل »

قال « يقال له الحارث السمرقندي من اعوان امير المؤمنين »

قالت « ولماذا لم تقبل به فانه ذو جاه ومال »

قال « لانها احبت رجلاً آخر اسمه حماد العربي . الا تعرفينه ؟ »

قالت « إظنني سمعت صوته مرة وقد جاء معك . اين هو الآن ؟ »

قال « هو غائب وستبقى ياقوتة هنا حتى يعود . هل يسرك ذلك ؟ »

قالت « يسرني كثيرا لانها تكون تسليتي اذا خرجت انت في مهمة . والحق يقال اني شعرت من هذه اللحظة كاني اعرفها منذ اعوام . اهلاً وسهلاً بك ياحبيبتي »

وامرت مسعودة فاخذتها لتبدل ثيابها وتصلح من شأنها ثم وضعوا المائدة للعشاء فقال ضرغام لوالدته وهم على المائدة « الم يأت وردان ؟ »

قالت « جاء منذ بضعة ايام وسالني عنك فلم اقدر ان اخبره عن مكانك »

فانشرح صدر الفتاة وازدادت اعجاباً بضرغام وسمو منزلته عند الخليفة ونفوذ كلمته في الدولة واعجبت بهيبته وجلال طلعته · والاعجاب اذا رافقته الالفة والعادة تحول الى غرام ولكن ياقوتة كانت مشتغلة القلب بجهاد ورأت ضرغاما فوق ما ترجوه لنفسها · ولما سمعت قولهُ عن الخليفة توردت وجنتاها حياءً ولم يمنعها الحياء من الكلام لانها كانت عاقلة رابطة الجاش فقالت « اشكر لمولاي الصاحب فضله فقد انقذني من العار والموت ورفع منزلتي اذ جاءني تحت حمايته »

فمد ضرغام يده الى جيبه واخرج العقد وقدمهُ اليها وقال « هذا هدية من امير المؤمنين لك »

فاصبحت ياقوتة لا تدري كيف تعبر عن احساسها فتناولت العقد ودفعته الى آفتاب فقبضت عليه وتلمست حباته وقالت « يظهر انه عقد ثمين جدير بك » وتقدمت نحوها والبستها اياه

كل ذلك لم يشغل ضرغاماً عن قلقه واضطرابه وكل ما اصابه في مساء الامس وصباح ذلك اليوم يذكره بحبيبته وخصوصاً العقد لما لبسته ياقوتة فقال في نفسه « لماذا لا تكون جهان هنا وتلبسه » فلما تصور ذلك اقشعر بدنه وترك الغرفة بحيلة وخرج ليسال الخدم عن وردان هل جاء فاذا هو داخل وفي وجهه بغتة · ولما رأى ضرغاماً حياه باحترام فقال ضرغام « قد طال غيابك فما الذي أعاقك ·· تعال الى خلوة نتحادث فيها »

فسار في اثره الى غرفة من غرف القصر جلسا فيها وقال وردان « قد اعاقني تاخير الافشين عن الحضور لانه لم يصل الى سامرا الا منذ بضعة أيام ولم اتمكن من اتمام مهمتي الا اليوم »

فقال « وما الذي عرفته عن جهان »

فتوقف وردان لحظة ثم قال « عرفت من صديق لي في حاشية الافشين لا يخفاه من احواله خافية ان جهان خرجت من فرغانة قبل خروجهم منها ·· »

قال ضرغام « قد عرفت ذلك في اثناء غيابك من سامان اخيها »

فتغير وجه وردان عند سماع اسم سامان وقال « سامان هنا ! اين هو ·· اين هو·؟ لاقبضنَّ روحه ·· لعنهُ الله من منافق »

فاستغرب ضرغام شدة لهجته وقال « ولماذا تريد قتله · ما الذي فعلهُ ··· »

قال « سأقص عليك فعلهُ وانما ارجو ان تخبرني عما قصهُ هو عليك »

رأى هذه الفتاة للمرة الاولى منذ اسابيع وقد جاء بها الحارث يخطبها لنفسه وكان رجل آخر يدعي انها له وكنت حاضراً فقال لي امير المؤمنين انها تصلح للصاحب وامر الحارث ان يحتفظ بها حتى يطلبها . وفي هذا الصباح جاء الحارث يشكوك لانك اختطفت ياقوتة منه فاجابه « انها للصاحب ولا سبيل لك اليها » فخرج مفحماً ولذلك قال مولانا انك اصطدت صيداً حلالاً ووجب اقرارك عليك »

فلم يسع ضرغاماً غير الدعاء للمعتصم على التفاته وقال « ان امير المؤمنين يتصرف بعبيده ومواليه كما يشاء »

فقال المعتصم « انك احرزت اجمل نساء سامرّا بارك الله لك فيها »

ثم صفق فجاء الحاجب فاشار اليه اشارة فهمها وخرج ثم عاد ومعه غلام يحمل طبقاً عليه عقدٌ من الجوهر يتلألأ كالشمس فاشار الخليفة الى الغلام ان يقدمه الى الصاحب فقدمه فبهر ضرغام من لمعان ذلك العقد ووقف احتراماً فابتدره المعتصم قائلاً « هذا عقد تلبسه ياقوتة وتتحلى به »

فانحنى ضرغام احتراماً وامتناناً وقال « قد غمرني امير المؤمنين بانعامه »

قال « انك اهل لا كثر من ذلك »

فتناول ضرغام العقد ولفه بمنديله وكرر الدعاء . ثم استأذن بالانصراف وخرج

الفصل الاربعون

وردان وسامان

عاد ضرغام الى منزله والخواطر تتقاذفه ولم يزده امر الزواج و ياقوتة قلقاً هذه المرة لانه عوّل على استبقائها في بيته حتى يجد خطيبها فيعطيه اياها فلا يدري الخليفة هل تزوجها ام لا . فوصل المنزل ولقي والدته فسألته و ياقوتة حاضرة عن سبب ذهابه الى الخليفة فقال « دعاني لامر يتعلق بياقوتة »

فاجفلت ياقوتة لانها كانت تخاف وشاية الحارث لكنها اطمأنت لما رأته يقول ذلك وهو يبتسم ونظرت اليه باستعطاف . اما والدته فسألته عما جرى فقال « شكانا السمرقندي الى امير المؤمنين فارجعه خائباً واوصاني بياقوتة خيرًا »

الفصل الحادي والاربعون

فراق فرغانة

والسبب في ضياع جهان انها لما عزمت على الفرار من فرغانة مع اخيها وقهرمانتها كما تقدم اعدت كل ما تحتاج اليه مما خف وزنه وغلا ثمنه وعولت على اخيها في تدبير قافلة يسيرون في ظلها تجنباً لخطر البوادي التي لا بد من قطعها قبل الوصول الى العراق . فاخبرها سامان يوماً انه قد هيأ كل شيء فاخذوا في نقل الاحمال بحجة الرغبة في السفر الى مصيف قريب . ولما آن ذهابها وعلمت انها لن تعود الى ذلك البلد سائر حياتها عظم عليها فراق مسقط رأسها وهجر قصر ابيها وقد تعودت هواءه وماءه واظلاله والفت اهله ومنازله واسواقه فقضت ايامها الاخيرة وهي منقبضة الصدر وقد ذهبت بشاشتها واخوها يهوّن عليها الخروج وقهرمانتها ترى في خروجها شططاً . واما هي فمع كل ذلك لم تتردد في الامر لحظة واحدة رغم ما احست به من الوحشة

وفي الليلة التي قضوها على اهبة الرحيل استدعت قيم الدار اليها واوصته بالقصر واهله خيراً واسرّت اليه انها ربما طال غيابها ولم يكن اميناً نشيطاً . فاسف لسفرها وان لم يعرف حقيقة غرضها ولو علم لبكى بكاء مرّاً على فراقها لانه كان يحترمها الى العبادة وكذلك كان احساس كل من عرفها او عاشرها لما فطرت عليه من اللطف والذكاء والهيبة والجمال كما علمت . وفي الصباح التالي خرجت على فرسها الادهم كانها ذاهبة الى متنزه او مصيف وركب معها اخوها وقهرمانتها ولم تتمالك عند خروجها من باب المدينة ان التفتت ودمعت عيناها اسفاً على ما خلفته هناك من ثمار شبابها وجنى والدها لكنها تماسكت واسترجعت رشدها وعزت نفسها بما ستلقاه من اسباب السعادة بقرب حبيبها

وكانت القافلة التي سافروا معها قادمة من بلاد الهند باحمال العطريات والبهارات والانسجة قاصدة خراسان فضموا احمالهم الى احمالها وقد اعتمدت جهان في ذلك على اخيها ولبست ثياب السفر واقلعت القافلة في مساء ذلك اليوم وهي مؤلفة من قطارين مسلسلين من الجمال والبغال على بعضها الاحمال وعلى البعض الآخر الرجال غير المشاة من المكارين والسياس على اقدامهم ومعهم الكلاب وادوات الطبخ والنوم وكل شيء . فالقافلة كالبلد يمشي باهله ودوابه واثاثه . تمشي ساعات من النهار وساعات من الليل تختلف مقاديرها باختلاف

قال « اخبرني انه خرج من فرغانة مع اخته فراراً من الافشين فلقيهم اللصوص في همذان فاسروا جهان وقهرمانتها وجاء هو يخبرنا »

قال « انك عارف بعمل اللصوص اذاً .. بقي عليّ ان اخبرك عما فعله هذا اللعين اليوم . سرت امس لاتمم مهمتي في البحث كما امرتني فلم استطع الا صباح اليوم فلقيت صاحبي فقص عليّ الخبر . وبينما هو يكلمني لمحت سامان ماراً على فرسه يطلب عرض البر ولم اتحققه فسألت صاحبي اذا كان قد رآه فقال انه هو بعينه وانه جاء البارحة في اواخر الليل وطلب مقابلة الافشين فقابله وقص عليه خبر اختطاف جهان ولكنه جعل الذنب في ذلك لك واساء القول فيك ولم اعلم ذلك الا بعد ان غاب عن بصري ولم يبقَ سبيل اليه ولولا فراره اقبضت على عنقه وقتلته خنقاً قبحه الله من اجرود لئيم »

وكان ضرغام قد ادرك قبل ذلك الحين نفاق سامان وسوء نيته فاصبح لا يصدق شيئاً من اقواله ولكنه لم يرَ بداً من تصديق قوله عن اختطاف اللصوص جهان فقال « قد عرفت نفاق هذا الشاب من قبل .. ولكن هل تظنه كاذباً في ماروا عن اختطاف جهان ؟ يا حبذا ذلك »

قال « ربما كذب في كيفية الاختطاف ولكن يظهر انها أخذت بلا شك وما علينا الا ان نبحث عن الذين اخذوها »

قال ضرغام « وما العمل »

قال « نرسل الجواسيس نبثهم في المشرق كله من هنا الى فرغانة فمن سمع خبراً او تنسم شيئاً يرشدنا الى الفاعلين »

قال « قد رأيت الصواب فافعل ذلك بحكمتك واسرع فيه »

فقال « سمعاً وطاعة » وخرج

ولما خلا ضرغام بنفسه عاد الى التفكير في الافشين وما سمعه من سامان عن طمعه بجهان وارتاب في صدق الرواية ولكنه رأى ان يفاتحه بالامر ليزول سوء التفاهم من بينهما واجل ذلك فلم تتم له فرصة

وجاءت الاخبار في اثناء ذلك بقيام بابك واستفحال امره فاصدر الخليفة اوامره الى الافشين بالسفر مع جنده الى اردبيل ولم يتم لضرغام مقابلته

الفصل الثاني والاربعون

في الاسر

فلما سمعت قوله انتبهت لنفسها وعلمت انها مكيدة نصبت لها وكانت تفضل ان يكون القوم لصوصاً يطلبون المال ولا تكون هي المطلوبة . ليس لانها تخاف ان تغلب على امرها فانها كانت من رابطة الجاش وثبات الجنان على ما علمت . ولكن شق عليها فراق حبيبها فارادت ان تزداد بياناً فقالت « ولكن هذا العمل يا صاح لا يشبه اعمال العظماء »

قال « وماذا يعمل الرجل اذا اضطر ولم ير وسيلة لنيل مرامه غير هذه . . . ؟ ماذا يعمل اذا تعرض للخطبة فارتد خائباً وهو كبير القدر تأبى نفسه الخيبة ؟ »

قالت « يترك الطلب و يستغني عن الخطبة »

قال « واذا كان مفتوناً قد غلب على امره »

قالت « دعنا من ذلك فاني لا اراكم الا لصوصاً تطلبون المال فهذه الاموال لديكم وانكفل لكم باضعافها اذا اطلقتم سراحنا » .

قال « اما نحن فاذا اعطيتنا المال شكرناكِ كثيراً وان كنا لا نقدر ان نطلق سراحك ولكن لا ينبغي لك ان تحزني يا سيدتي على شيء اضعته بهذا الانتقال فانك ذاهبة الى اعظم رجل في العالم واذا احسنت معاملته كنت مالكة الرقاب »

فاشكل عليها فهم حقيقة ما يعنيه فقالت « لم افهم مرادك ولا من هو ذلك الرجل الذي تعنيه »

قال « ستعلمين كل شيء بعد بضعة ايام . . . كوني مطمئنة انك ستسيرين معنا معززة مكرمة ومتى وصلنا المكان المقصود كنت في ارغد عيش واسعد حال »

قضت عدة ايام مع قهرمانتها واولئك الوفد على اتم ما يرام من الاعزاز والاكرام وكانوا قد حلوا وثاقها في صباح اليوم التالي وقاموا بخدمتها احسن قيام من الطعام والشراب والمبيت

وقد اتيح لجهان الفرار لو اطاعتها نفسها عليه ولكنها اكبرته وخافت مغبته — وكبير النفس لا يطاوعه وجدانه على الفرار حتى من الموت

مرت في اثناء هذه الرحلة بمدن وقرى وجبال واودية وسهول وحزون ورأت اقواماً من امم شتى فعلمت من بعض القرائن انها مرت باذربيجان وجاءها ذلك الزعيم ذات يوم

الفصول وحسب اوجه القمر يحدق بها خفر من الرجال تعودوا الاسفار والاخطار اشداء الابدان يعرفون الطرق ولهم صداقة وهيبة عند قبائل التركمان بدو الترك وهم متفرقون في البادية بين نهر جيحون ونهر الشاش والمسافة بين النهرين تعد بالاسابيع وقد تجاوز الشهرين ناهيك بما في اثنائها من اللصوص وقطاع الطرق . ولذلك لا يجسر على السفر هناك غير القوافل الكبيرة . والقافلة تنتظم في اثناء المسير نظام الجند للحرب وفي ساعات الراحة تضرب الخيام وتوقد النيران وتذبح الاغنام او الابقار وتنصب القدر على النار و يشتغل القوم بالاكل والنوم

ولم تكن جهان جربت هذا السفر ولا ذاقت مثله ولا سمعت به في حياتها فكم يكون ذلك ثقيلاً عليها فكانت تحمله بالصبر وتعزي نفسها بلقاء الحبيب فاذا تصورت ذلك اللقاء هان عليها احتمال كل المشاق — كل ذلك من معجزات الحب وان امره لعجيب

لو اردنا تفصيل ما لاقوه في سفرهم الطويل من حر النهار و برد الليل وخوف قطاع السابلة واهل الغزو وما اصابهم من عطش او جوع لفراغ مؤونتهم من الماء او الطعام قبل بلوغ المكان الذين يتزودون منه لضاق بنا المقام فنقول بالاختصار ان القافلة لما بلغت الى الري اشار سامان على اخته بالتخلي عنها والمسير على انفراد لان القافلة تسير متثاقلة وهي في كل حال لا ترافقهم الى العراق لان طريقها نحو الشمال . فاذعنت جهان لرأي اخيها وانفردوا باحمالهم ودوابهم عن القافلة . وفي مساء ذلك اليوم باغتهم جماعة من الرجال على الخيول في مكان بعيد عن همذان وكانت جهان على فرسها فدافعت عن نفسها دفاع الرجال واظهر سامان دفاعاً كثيراً ولكنهم غلبوا اخيراً فقبضوا على جهان وقهرمانتها وشدوا وثاقهما وفرَّ سامان بحجة ايصال الخبر الى ضرغام

فلما رات جهان نفسها في الاسر صاحت بكبير القوم وهم جميعاً ملثمون وقالت له « ما الذي حملكم على هذا العمل .. ؟ اذا كنتم تطلبون المال فهذه احمالنا خذوها واطلقوا سراحنا ونعاهدكم اننا لا نطالبكم بشيء منها »

فاجابها الفارس وهي اول مرة سمعت كلامه فقال « لسنا لصوصاً يا سيدتي ولا حاجة بنا الى المال وانما أمرنا ان نحمل عروس فرغانة الى اعظم رجل في الارض لم ترض به طوعاً فعساها ان ترضى بهِ كرهاً .. »



مجلة تاريخية اجتماعية علمية ادبية صحية

سنتها عشرة اشهر

وتعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب تهديه الى المشتركين في آخر السنة

لمنشئها

جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ٨٠ غرشاً في القطر المصري و ١٠٠ غرش في الخارج تدفع سلفاً

AL-HILAL

Social, Historical, Scientific & Literary Review

EDITED BY

GEORGE ZAIDAN *M. R. A. S.*

SUBSCRIPTION : 26 Frs. OR 5 DOLLARS PER ANNUM

Vol. XXI. N° 2

1 November, 1912

AL-HILAL Printing Office, Cairo.

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر

واخبرها انها صارت في ارمينيا وانها لا تلبث ان تدخل اردبيل · فعلمت حينئذ انهم سائرون بها الى بابك الخرمي فتذكرت انه كان قد طلبها من ابيها ولم تقبل به فتحققت انها محمولة اليه فاخذت تتأهب لمدافعته وعلمت انها مكيدة من اخيها فندمت على الركون اليه

وقد اصاب ظنها بسامان لانه طبع على اللؤم وزاده غضب والده نقمة عليه وعلى اخته وكان طلاباً للعلى ولم يستطع ذلك بعلو الهمة والبسالة كما يطلبه كبار الرجال فالتمسه بالحيلة والخداع — وليس اشأم على الامة من ان يعجز رجال المطامع فيها عن نيل العلى باعمال توافق مصلحتها فيلتمسونها بتضحية تلك المصلحة في سبيل مطامعهم

فانتظم سامان في سلك الخرمية وهي جمعية سرية قامت على مقاومة اصحاب السيادة وزعيمهم في ذلك العصر بابك الخرمي صاحب اردبيل وكان الخرمية يسعون في تأييد سلطته سرًّا وكان شديد البطش يبالغ في اقتناء النساء لا يسمع بامرأة جميلة الا سعى في احضارها اليه فاذا لم يستطع ذلك بالجاه طلبها بالمال فاذا اعجزه احضارها بالمال حملها بالقوة · فشاع خبره في الآفاق وسمع بجهان فبعث يخطبها على يد سامان فلم يرض ابوها فدس الى سامان انه اذا اتاه بها رفع قدره وقلده منصباً عالياً واكرمه بالمال ولم يكن سامان قادراً على شيء في حياة ابيه فلما توفي ابوه وقد حرمه من الارث ازداد رغبة في الانتقام ولقي الاصبهبذ نائب بابك في فرغانة ايام النوروز في بعض جلسات الخرمية التي كان يحضرها سرًّا فيغيب عن البيت اياماً وابوه لا يعلم سبب غيابه وانما كان يقضي تلك الايام في المداولة والمواطأة · فتواطأ مع الاصبهبذ على ان يحتال في حمل جهان الى اردبيل وهو لا يبالي بعواطف المحبين لدناءة طبعه وهو اجرود لم يجرب شعائر الرجال · وعزم على ذلك خصوصاً بعد مقابلته للافشين واطلاعه على وصية والده فاصبح همه الانتقام من الافشين فوجد في اجابة طلب الاصبهبذ نيل ما يتمناه من الثروة والنفوذ والانتقام من عدوه فاتفق مع الاصبهبذ على ان يهيء رجالاً يكمنون في الطريق بين الري وهمذان يقبضوا على جهان في اثناء سفرها الى العراق ليظهر للملاء انهم اخذوها منه قهراً · وبعد ان اخذوها لم يكن غرضه من الذهاب الى العراق الا القاء الفتنة بين ضرغام والافشين وهو يعلم بسالة ضرغام وتفانيه في سبيل جهان فان علم انها اخذت بسبب الافشين لا يدبر عن قتله · وكان سامان قليل الدهاء فلم يحسن سبك حيلته فلم يطل اختفاؤها على ضرغام فرجع سامان من العراق وهو يعتقد انه اتم مهمته وفاز بمرامه

طبيب اسنان

الدكتور خليل جريصاتي طبيب اسنان اميركاني من جامعة بنسلفانيا • مستعد لكافة عمليات الاسنان على احدث الطرق الاميركانية بدون ألم وبأسعار متهاودة جداً ·
ميدان باب الحديد بجانب جامع اولاد عنان بمصر القاهرة

مجلة الروايات الجديدة — بالفجالة بمصر

لمنشئها نقولا افندي رزق الله

هي المجلة الكبرى الوحيدة الروائية التاريخية العصرية اشتراكها ٢٢ فرنكا بالسنة وتطلب من ادارتها بالفجالة . وتباع اعدادها في مكتبة الهلال بمصر

تاريخ دول الاسلام

(تأليف رزق الله منقريوس الصدقي بالمنيا) ١-٢٠-١٠

اوفى كتاب ظهر في هذا الموضوع حتى الآن اذ جمع بين دفتيه تاريخ سبع وستين دولة من اشهر الدول الاسلامية من زمن النبي « صلعم » الى الآن في الهند وافغانستان والعجم وبلاد العرب وسوريا ومصر وتونس والجزائر ومراكش والاندلس (اسبانيا) وتاريخ الدولة العلية بالتفصيل التام والحروب الصليبية الخ الخ وهو في ثلاثة اجزاء كبيرة مجموع صفحاتها ١٢٢٨ وبها ٥٧ رسماً وثمنه خمسون غرشا وأجرة البريد اربعة غروش لداخل القطر و٣ فرنكات للخارج وهو يطلب من المؤلف بالمنيا ومن مكاتب الهلال وهنديه والعباسية والكمال بمصر وجورج غرزوزي بالاسكندرية والجامعة والعمومية ببيروت ومن Luzac & Co. بلندن و Parker & Son باكسفورد

تاريخ الحروب الصليبية

وقد زيناه بصور ملوك المسيحيين وملوك الاسلام وبصور آلات الحرب التي كانت مستعملة حينذاك مما زاده رونقاً وبهاء وقد جعلنا ثمنه ١٢ غرشا صاغاً ويطلب من ادارة ومكتبة الهلال بالفجالة بمصر وأجرة البريد غرشان صاغاً

(كتاب مرآة العصر في سير ورسوم مشاهير مصر * ثمنه مجلداً ...

فيلوث (رواية) لمعربها نقولا رزق الله في ٣ اجزاء ثمن الجزء الواحد ١٠ غروش صاغ والمرسل ...

الهلال

الجزء الثاني من السنة الحادية والعشرين

اول نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩١٢ و٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٠

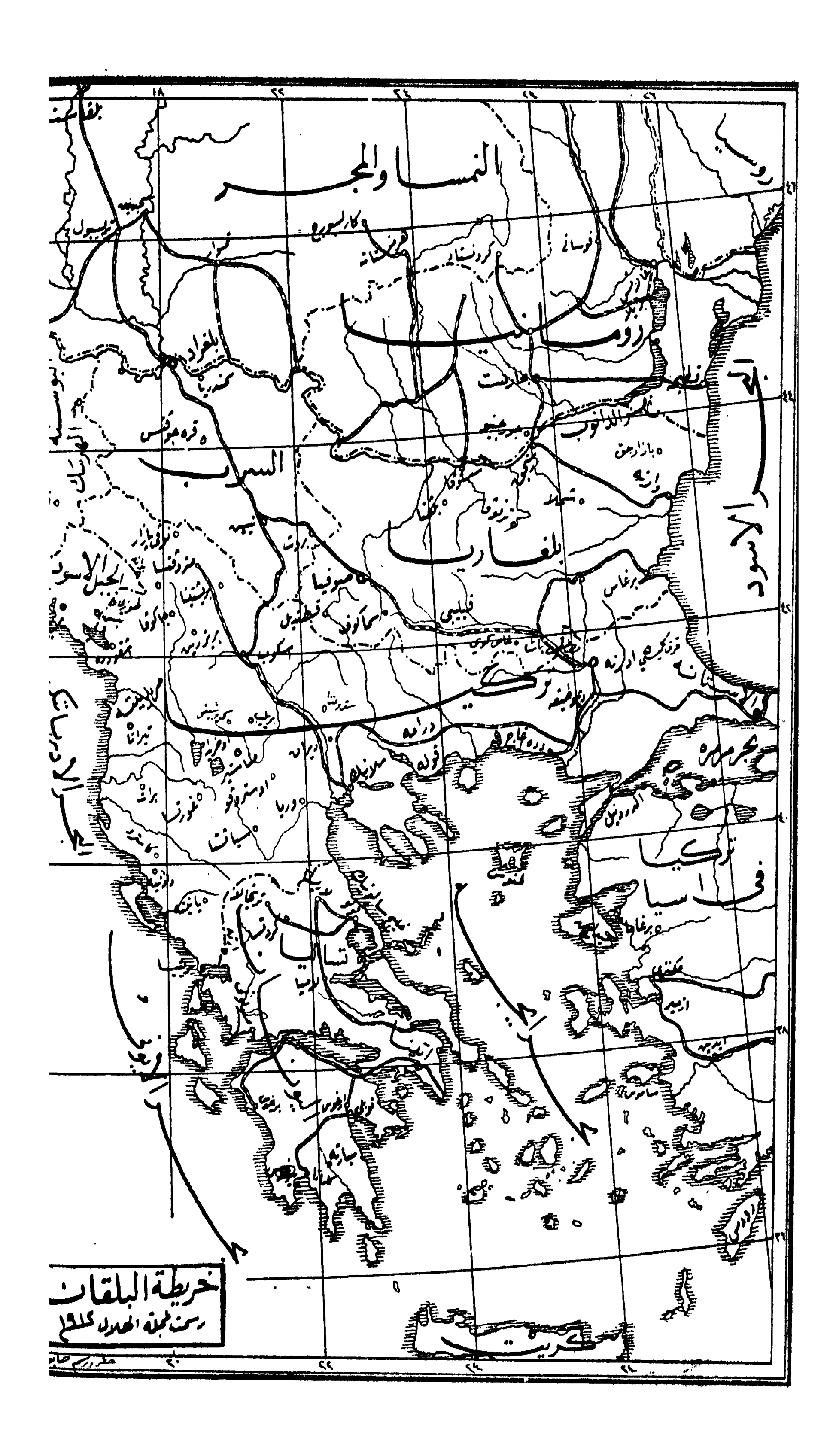
ممالك البلقان

والدولة العثمانية

البلقان بلاد جبلية كانت تسمى قديماً «هيموس» واقعة في جنوبي اوربا وشرقيها بين البحر الاسود والبحر الادرياتيكي . وهي كثيرة الجبال الوعرة متوسط علو جبالها نحو ٤٠٠٠ قدم ولكن بعضها يبلغ ارتفاعه ٨٠٠٠ قدم . وهي تتشعب في الشرق الى سلاسل عديدة تذهب شمالاً وجنوباً منها جبل سكاردوس اعلى قممه « تشارداغ » في البانيا ارتفاعه ٩٦٠٠ قدم . اكثر انهار البلقان تصب في البحر الاسود وبعضها في يصب في البحر المتوسط

ويقطع سلسلة جبال البلقان مضائق عديدة يعسر عبورها فالمسافر من النمسا الى الاستانة مثلاً لابد له من المرور في بعضها . والمواصلات جارية الان بين فينا والاستانة بواسطة المضيق المعروف بباب تراجان . ومن تلك المضائق الهامة ايضاً « نادردربنت » و « كارناباد » و « بسرجك صوفيا » وحجارة تلك الجبال اكثرها من النوع الغرانيتي . ويظنون فيها كثيراً من المناجم المعدنية لكنهم لم يتحققوا ذلك بالتنقيب الكافي بعد . وقد اشتغل في ذلك كثيرون ولا يزالون

ويطلق الكتاب اسم « شبه جزيرة البلقان » على تلك الجبال وما يليها جنوباً



النمسا والمجر
رومانيا
السرب
بلغاريا
تركيا
تركيا في آسيا
البحر الأسود
بحر مرمرة
الجبل الأسود
بلغراد
صوفيا
فلبه
ادرنه
الدردنيل
ازمير
كريت
خريطة البلقان
رسمت لمجلة الهلال ١٩١٢

السرب	١٨٦٥٠	٢ ٦٨٨ ٠٢٥
الجبل الاسود	٣٦٣٠	٢٥٠ ٠٠٠
(الجملة)	٨٤ ٣٧٤	٩ ٦٠٥ ٦٠٠

فترى من مقابلة الاحصائين ان مساحة املاك الدولة العلية نحو خمسي مساحة تلك البلاد وعدد العثمانيين فيها نحو ثلثي مجموع سكان تلك الممالك . واكثرهم من المسيحيين . اما رومانيا فان مساحتها ٥٠٧٢٠ ميلاً مربعاً وعدد سكانها نحو ٧ ٠٠٠ ٠٠٠ نفس

تاريخ البلقان على الاجمال

ولشبه جزيرة البلقان على الاجمال تاريخ قديم فانها عاصرت الدول التي تمدنت قديماً وكانت في اثناء التمدن اليوناني مقسومة الى عدة ممالك اهمها مملكة اليونان ومكدونية وابيريا وايليريا وثراقية . وتوالت عليها احوال شتى وانتشبت بينها حروب عديدة . حتى ظهر الاسكندر فدخل معظمها في سيطرته . ثم صارت الى الدولة الرومانية وقسمت الى ولايات اهمها : اخائية وابيريا ومكدونية ودلماتيا وثراقية وميسيا ودلماتيا . وما زالت في نحو ذلك الى ما بعد انقسام المملكة الرومانية الى شرقية وغربية . فكانت في جملة المملكة الشرقية او البيزنتية . ثم توالت عليها احوال مختلفة وظهر الاسلام فلم يستطع المسلمون فتحها في اثناء الدول الاولى — الراشدين والامويين والعباسيين والفاطميين ولا في عهد السلاجقة وغيرهم من الاتراك والاكراد . فلما نشأت الدولة العثمانية حملت عليها فاكتسحتها وفتحتها قطعة قطعة فصارت في عهد السلطان سليمان القانوني ولاية عثمانية تمتد من حدود المجر شمالاً الى بحر الروم جنوباً وظل الجبل الاسود وحده مستقلاً ثم دخل في حوزتها وقد توالت عليه احوال مختلفة

ولما ضعفت احوال العثمانيين نهض اهل شبه جزيرة البلقان يطلبون الاستقلال وهم اول من تجرأ على ذلك من ولايات الدولة لقربهم من الدول النصرانية باوربا فاستقلوا شيئاً فشيئاً فنشأت من ذلك ممالك البلقان المستقلة التي نحن في صددها واليك تاريخ كل واحدة منها مع وصف احوالها الحربية بما يقتضيه المقام من الايجاز

١ — اليونان

لليونان تاريخ قديم يتصل بالعصور الخرافية ولهم مفاخر ليست لسواهم في البلقان . فهم اصحاب الفلسفة والشعر والمنطق . كانوا في اقدم ازمانهم دولاً او قبائل او مدناً يتنازعون ويتغالبون . وقد استعمروا معظم شواطىء البحر المتوسط حتى نازعهم الرومان

الى البحر المتوسط فيدخل فيها بلاد اليونان . وتشتمل على املاك الدولة العثمانية في اوربا ما استقل منها وما بقي . وهي موضوع بحثنا في هذه المقالة عمدنا الى وصف احوالها على أثر قيام معظم الممالك البلقانية التي استقلت وتعاونها لأكراه الدولة العثمانية على اجراء الاصلاح في مكدونية

فشبه جزيرة البلقان الآن تشتمل على ممالك مستقلة وعلى ولايات لا تزال تابعة للدولة العثمانية . اما الممالك المستقلة فهي خمس منها اربع قائمة على الدولة وهي : (١) مملكة اليونان (٢) بلغاريا (٣) السرب (٤) الجبل الاسود . والخامسة لا تزال على الحياد اعني رومانيا وسنتكلم عن كل منها على حدة

اما الولايات العثمانية الباقية في حوزة الدولة العثمانيـة فتعرف على الاجمال باسم مكدونية والبانيا . ولكنها في المعاملات الرسمية تقسم الى ثماني ولايات هذه اسماؤها مع مساحتها وعدد سكانها :

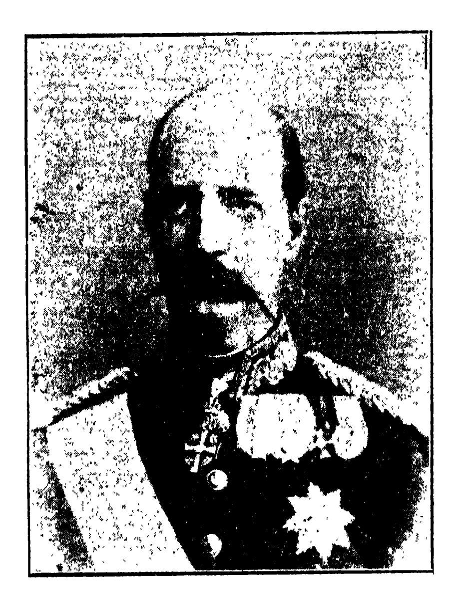
اسم الولاية	مساحتها	عدد سكانها
الاستانة	١ ٥٠٥	١ ٢٠٣ ٠٠٠
شتلجة (متصرفية)	٧٣٣	٦٠ ٠٠٠
ادرنه	١٤ ٨٢٢	١ ٠٢٨ ٢٠٠
سالونيك	١٣٥١٠	١ ١٣٠ ٨٠٠
مناستير	١١ ٠٠٠	٨٤٨ ٩٠٠
قوصوه	١٢ ٧٠٠	١ ١٣٨ ١٠٠
شقودرة	٤ ١٧٠	٢٩٤ ١٠٠
يانيا	٦ ٩١٠	٥٢٧ ١٠٠
(الجملة)	٦٥ ٣٥٠	٦ ٢٣٠ ٢٠٠

ومن هذا العدد ٣ ٥٠٠ ٠٠٠ نفس من المسيحيين و ٢ ٥٠٠ ٠٠٠ من المسلمين والباقي من سائر الطوائف

ولاجل المقابلة بين سكان هذه الولايات العثمانية وسائر ممالك البلقان الناهضة على الدولة نأتي على احصائها على الاجمال :

اسم المملكة	مساحتها بالميل المربع	عدد سكانها
اليونان	٢٥ ٠١٤	٢ ٦٣١ ٩٥٢
بلغاريا والروملي الشرقي	٣٧ ٠٨٠	٤ ٠٣٥ ٦٢٣

اما البحرية فمؤلفة من ثلاث مدرعات محمول كل منها ٥٠٠٠ طن وهي هيدرا وسباتسي وبسارا . عليها ثلاثة مدافع قطر قناباها عشرة قراريط ونصف . وخمسة قطرها ستة قراريط . وبعض المدافع الصغرى . لكنها اوصت على بعض المدمرات من الطرز الحديث منذ بضع سنوات وعندها ١٩ سفينة طوربيدية ليست ذات بال . وقد بنت نسافة اسمها افيروف بايطاليا سنة ١٩١٠ وزنها ١٠٠٠٠ طن واستعانت في العام الماضي في اصلاح بحريتها باستخدام مستشارا نكليزي . وابتاعت بالامس بعض الطرادات استعداداً لهذه الحرب



جورج الاول ملك اليونان

وملك اليونان اليوم جورج الاول بن كريستيان ملك الدنمارك السابق ولد سنة ١٨٤٥ وتولى الملك سنة ١٨٦٣ فهو الآن في السابعة والستين من عمره يتولى الحكومة بواسطة النواب وهم مجلس واحد مؤلف من ٢٣٥ عضواً تنتخبهم الامة لاربع سنوات وعمر النائب يجب ان يكون ٣٠ سنة فاكثر

عدد سكان اليونان ٢٦٣١٩٥٢ نفس اكثرهم من الروم الارثوذكس . والمذهب الارثوذكسي مذهب الحكومة الرسمي . وهم تابعون رسميًا من حيث الدين الى البطريرك القسطنطيني لكنها تابعية اسمية . واما فعلاً فان المسائل الدينية تجري في بلاد اليونان على ايدي مجلس يسمى سينودوس مؤلف من متروبوليت اثينا وسائر الاساقفة . وعاصمة اليونان اثينا

على ذلك . ثم غلبوهم على ما في ايديهم فدخلت بلاد اليونان في حوزة الروم ثم صارت في جملة المملكة الرومانية الشرقية . ولما حمل العثمانيون على اوربا وفتحوا شبه جزيرة البلقان كانت بلاد اليونان في جملة ما دخل منها في سلطانهم باواسط القرن السادس عشر للميلاد

خضع اليونان للعثمانيين مرغمين وفي نفوسهم غلٌّ وجعلوا يتحينون الفرص للاستقلال فلما آذنت نواميس الاجتماع بتقهقر الدولة العثمانية كان اليونان اول من حاول خلع نير الطاعة من امم البلقان فنالوا استقلالهم الحقيقي سنة ١٨٢٩ بعد جهاد طويل وحروب استغرقت سبع سنين اشتركت فيها مصر بعمارة ارسلها محمد علي باشا تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا الى المورة سنة ١٨٢١ ولكن الدول تضافرت على نصرة اليونان بمعاهدة لندن سنة ١٨٢٧ فانتهت تلك الحروب بمعاهدة ادرنه سنة ١٨٢٩ واعترفت تركيا باستقلال اليونان فاصبحت هذه الدولة مستقلة من ذلك الحين

فتنبهت فيها مطامع اجدادها وتذكرت مجد اسلافها فتوجهت آمالها الى استرجاع ذلك الملك لانها تعدُّ نفسها بقية الدولة البيزنتية التي غصبها العثمانيون على سلطانها وملكوا عاصمتها الكبرى (الاستانة) . فاليونان ما برحوا منذ استقلوا وهم يترقبون الفرص التماساً لهذه الغاية فحاربوا الدولة سنة ١٨٩٧ ولم يفلحوا وهم اليوم يمالئون البلغار والسرب والجبليين لهذه الغاية

قوة اليونان الحربية

التجنيد في بلاد اليونان اجباري وعمومي تحق الجندية على كل يوناني دخل في السنة الحادية والعشرين من عمره ويبقى في خدمة الجندية ٣٦ سنة تقسم الى درجات : فالسنتان الاوليان للتمرين تحت السلاح . تليها ١١ سنة في الرديف الاول و٩ سنين في الرديف الثاني . ثم ينتقل الى الحرس المحلي (المستحفظ) سبع سنين تليها سبع أخرى وقد تحوَّر هذه الشروط حسب الاحوال من تأجيل او اعفاء او غير ذلك

ويتألف الجند اليوناني من ثلاثة طوابير او ألوية يقسم كل منها الى فرق وبلوكات وبطاريات جملتها كلها ٣٠٠٠٠ مقاتل في حال السلم و٥٠٠٠٠ في حال الحرب منها فرقة المدفعية مؤلفة من ثماني بطاريات وفرقة الفرسان من ست بلوكات ثم فرقة المهندسين . وعندهم ايضاً ثماني بطاريات جبلية — ذلك هو تقدير القوات اليونانية الى آخر السنة الماضية . وسلاحها من الطرز الجديد فالبنادق من طرز مانليشر والمدافع من طرز شنيدر وكانت ميزانية الحربية للسنة الماضية نحو ١٠٠٠٠٠ جنيه

البدل . يبدأ التجنيد من سن العشرين . المدة الاولى سنتان في المشاة وثلاث سنوات في الفرق الاخرى و ١٨ سنة رديف في المشاة و١٦ في سواهم . ويجوز طلب الرديف للتمرين على السلاح ثلاثة اسابيع في العام . ثم يصير الجندي البلغاري الى طبقة المستحفظين يبقى فيها اربع او خمس سنوات وجملة الخدمة العسكرية ٢٦ سنة



فردينان الاول ملك البلغار

ويتألف جند المشاة البلغاري من ٣٦ طابوراً وثلاثة طوابير مدفعية كل منها مؤلف من ست بطاريات . وعندهم طابور من الفرسان

ومجموع القوات العسكرية في ايام السلم نحو ٦٠٠٠٠ مقاتل اما في حال الحرب فتبلغ الى ٢٣٥٠٠٠ ويقال ان الجند البلغاري مدرب على الحركات العسكرية احسن تدريب وبنادقه من طرز مانليشر ومدافعه من طرز شنيدر المتقدم ذكرها

وعندهم بطاريات جبلية عددها الآن ١٢ بطارية عليها مدافع كروب وقد بلغت ميزانيتها الحربية للعام الماضي ١٥٩١٠٠٠ جنيه

٢ — بلغاريا والبلغاريون

البلغاريون امة قديمة وقد يتبادر الى الاذهان انهم يونانيو الجنس لمجاورتهم اليونان اوانهم سلاف لقربهم من الروس . لكنهم بالحقيقة لا من هؤلاء ولا من هؤلاء وانما هم صنف من « الفين » واصلهم من المغول مثل سكان المجر (هونجاريا) واهل لابلاندا وفنلاندا . وكانوا قبل نزوحهم الى الروملي يقطنون جهات قازان على ضفاف نهر فولكا في روسيا اوربا . ونهر فولكا المذكور يصب في بحر قزوين على شواطىء استراخان . واقام البلغاريون هناك قروناً متوالية ثم نزحوا جنوباً غربيًا حتى نزلوا بلاد البلقان في القرن السابع للميلاد حوالي ظهور الاسلام . واقاموا هناك وتكاثروا واشتدوا ولم يكد يدخل القرن العاشر حتى اصبحوا دولة شديدة البطش خافتها دولة الروم البيزنتية وسائر جيرانها . وملك البلغار يومئذ سيمون وهو من اعظم ملوكهم . وهم يذكرون فضله خصوصاً في تأييد النصرانية وتعزيز شأنها . وكانت قد دخلت بلغاريا سنة ٨٦٢ م فايدها ونشط العلم واهله وتوفي سنة ٩٢٧ م وبموته اخذت دولة البلغار في التقهقر. فافتتحها الروسيون واستولوا عليها ثم عادت فاستقلت في القرن الحادي عشر. ثم دخلت في حوزة الروم وصارت جزءا من المملكة الرومانية الشرقية . ثم عادت فاستقلت ثالثة في اواخر القرن الثاني عشر واتسعت سلطتها . حتى اذا كانت سنة ١٣٨٢ فتحها العثمانيون وما زالت في حوزتهم الى سنة ١٨٧٨ فصارت امارة ممتازة بمقتضى معاهدة برلين . ثم حاربوا السرب سنة ١٨٨٥وغلبوهم . ثم اغتنموا فرصة اخرى واعلنوا استقلالهم التام . وسموا اميرهم ملكاً سنة ١٩٠٨ نعني الملك فرديناند

وفرديناند المذكور اصغر ابناء البرنس اوغسطس اوف سكس كوبرج وغوطا . وامه من اسرة البوربون ولد سنة ١٨٦١ وانتخب اميراً لبلغاريا سنة ١٨٨٧ باجماع الامة . وكان قد خدم في الجند النمساوي مدة وله املاك واسعة في المجر. وهو كثير الشبه بوالدته من حيث ظواهره فانه بوربوني القامة والطلعة

وبلغاريا الان يدخل فيها الروملي الشرقي واقعة بين البحر الاسود والسرب ومكدونيا ورومانيا . مساحتها مع الروملي الشرقي ٣٧٠٨٠ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٤٠٣٥٦٢٣ نفساً . عاصمتها صوفيا عدد سكانها ١٠٢٧٦٩ نفساً . جنديتها منظمة على آخر طرز والتجنيد فيها عام واجباري الا المسلمين فانهم يعفون من الجندية بدفع



بطرس الاول ملك السرب

في حال السلم لا يزيد على ٣٦,٠٠٠ مقاتل . اما في حال الحرب فيبلغ ١١٠,٠٠٠ جندي واذا اضيف اليها الرديف تحت الطلب بلغ المجموع كله ١٧٥ ٠٠٠ مقاتل . وميزانية الحربية عندهم نحو ١٠٦٠ ٠٠٠ جنيه وليس للسرب بحرية لانها لا تتصل بالبحر . عاصمتها بلغراد عدد سكانها ٨٤ ٢٣٥ نفساً

٤ — الجبل الاسود

هو بلاد جبلية وعرة لذلك كان اهلها اشداء تعودوا الشقاء . مساحته نحو ٣٦٣٠ ميلاً مربعاً . واقع بين البانيا ونوفي بازار والبوسنة والبحر الادرياتيكي . عدد سكانه نحو ٢٥٠ ٠٠٠ نفس اكثرهم من الروم الأرثوذكس وفيهم ١٠ ٠٠٠ كاثوليكي و١٤ ٠٠٠ مسلم . عاصمته مدينة ستنجه (أو ستينيه) سكانها ٤٥٠٠ نفس . ومن مدنه بودغوريتزا سكانها ١٠ ٠٠٠ نفس ودولشينو وزيتواري . واكثر سكانها فلاحون ورعاة وهم من الجنس السلافي

والجبل الاسود امارة مستقلة منذ القدم ولم يستطع العثمانيون فتحها الا بعد فتح القسطنطينية بثلاثة ارباع القرن على يد السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٢٦

٣ — السرب

والسرب مساحتها نحو ١٨٦٥٠ ميلاً مربعاً . يحدها النمسا من الشمال والفلاخ والبلغار من الشرق والبانيا من الجنوب والبوسنه من الغرب . عدد سكانها ٠٢٥ ٦٨٨ ٢ نفساً وهم سلافيو الاصل تنصروا سنة ٦٤٠ م . وكانت بلاد السرب في اوائل ادوارها جزءاً من المملكة اليونانية يحكمها امراء من اهلها . وفي سنة ١٠٤٠ م استقلت بقيادة امير منهم اسمه استيفان بويسطام وتولى حكمها ابنه ميخائيل وهو اول ملوكها . وما زالت مستقلة حتى فتحها السلطان مراد الثاني سنة ١٣٨٩ م فقضت في حوزة العثمانيين اربعة قرون وبضعة عشر عاماً حاولت في اثنائها التملص من تلك السلطة فلم تفلح حتى ظهر فيها باواخر القرن الثامن عشر رجل من زعماء اللصوص يسمى جورج الاسود (قاراجورجفيتش) وكان ذا بطش شديد دعا السربيين الى الثورة فنهضوا تحت لوائه وفازوا بالاستقلال سنة ١٨٠٥ وسموه حامي ذمار السرب والآخذ بثارها . ولكن سلطانه لم يدم لان العثمانيين حاربوه واعادوا البلاد الى حوزتهم سنة ١٨١٤ بعد مذبحة هائلة وفرّ جورج الى روسيا . ثم عاد السربيون الى الثورة سنة ١٨١٥ بقيادة رجل من رعاة الخنازير اسمه ميلوش اوبرينوفيتش ارتقى بعزمه واقتداره حتى رأس حزب الاستقلال وحارب العثمانيين ١٤ سنة فمنحه الباب العالي سنة ١٨٢٩ نوعاً من الاستقلال واقره اميراً على السرب . وفي السنة التالية جعل الحكومة ارثاً في نسله . وفي سنة ١٨٥٦ دخلت السرب في حماية الدول بمقتضى معاهدة باريس مع التوسع في استقلالها. وفي سنة ١٨٧٨ استقلت تمام الاستقلال

وملك السرب الآن بطرس الاول ابن اسكندر قاراجورجفتش . تولى الملك سنة ١٩٠٣ وحكومته دستورية مثل سائر الحكومات المتقدم ذكرها تجري فيها الاحكام على يد مجلس النواب

والجندية فيها اجبارية وعمومية ايضاً . يتجند الشاب وهو في الحادية والعشرين من عمره ولا يزال في الخدمة الى سن ٤٤ والجندية عندهم ثلاث طبقات (١) الجند العامل ورديفهُ (٢) رديف تحت الطلب (٣) المستحفظ . يتنقل فيها الجندي تدريجاً مثل سائر الاجناد

ويقسم الجند السربي الى خمسة طوابير يقسم كل منها الى فرق ومنها فرقة المدفعية مؤلفة من تسع بطاريات كل منها اربعة مدافع وفرقة كبرى من الفرسان ومجموع المقاتلين

سنة ١٨٧٨ بمعاهدة برلين . ثم تعدلت حدود الجبل المعينة في تلك المعاهدة سنة ١٩٠٩

وامير الجبل الآن البرنس نقولا الاول ولد سنة ١٨٤١ فهو الآن في الثانية والسبعين من عمره تثقف في تريستا وباريس . وتولى امارة الجبل سنة ١٨٦٠ خلفاً لعمه دانيلو الاول . ونال لقب « ملك » سنة ١٩١٠ بعد ان احتفلوا بيوبيله الخمسيني لمرور خمسين سنة منذ تولى ذلك الجبل . تزوج سنة توليه العرش ورزق اولاداً كثيرين اكبر الذكور منهم ولي العهد دانيلو اسكندر ولد سنة ١٨٧١

اختلف النقادون في وصف هذا الرجل لكن الاكثر على انه اعظم ملوك البلقان وهو دقيق الاحساس وفيه ميل الى الشعر والادب . لكنه كتوم لا يسهل على الناس معرفة دقائق فكره يساير روسيا لانها تساعده لكنه لا يعد نفسه صنيعتها بل هو يخاف مطامعها . يقبل هديتها من البنادق والذخائر لكنه لا يثق بها وهذا تصرفه مع سائر الملوك الذين يخطبون مودته ويطمعون بجبله . وهذه سياسته الآن مع زملائه القائمين على الدولة العثمانية اليوم

جندية الجبل الاسود

قد علمت ان سكان جبل الاسود لا يزيدون على عدد سكان الاسكندرية فماذا عسى ان تكون جنديتهم ؟ انها قليلة لكنهم اشداء وقد تجدد نظامهم سنة ١٩١٠ وكل شاب بلغ الثامنة عشرة من عمره استحق الانتظام في الجندية حتى يدرك الثانية والستين فمدة الخدمة عندهم ٤٥ سنة . منها سنتان تحت التمرين و٣٣ سنة في الخدمة وعشر سنين في الرديف . وينقسم الجنود عندهم الى طبقتين بالنظر الى قواهم البدنية : الطبقة الاولى تشتمل على الشبان الاقوياء الابدان الذين لهم صبر على التعب والشقاء وهم المحاربون . والثانية تشتمل على الذين في ابدانهم ضعف فهؤلاء يستخدمون في نقل معدات الحرب والخدمة في المستشفيات العسكرية ونحوها . اما الرجال الذين لا يدخلون الجندية بسبب نقص او عاهة فانهم يدفعون غرامة يختلف قدرها باختلاف احوالهم

والجند عندهم مؤلف من اربعة طوابير لا يزيد مجموع رجالها على ٥٠٠٠٠ مقاتل في حال الحرب . وعندهم ثماني بطاريات قدمها القيصر للامير نقولا . وسلاح المشاة من الطرز الروسي . واما المدافع فانها من طرز مكسيم ويقال بالاجمال ان جند هذا الجبل لم يبلغ حد النظام المطلوب لكنه يتفانى في الدفاع عن وطنه

لكنهم لم يخضعوا اهله ولا استفادوا من ذلك الفتح بسبب وعورة ذلك الجبل وشدة باس اهله في الدفاع عن استقلالهم غير ما ينفخ فيهم من الدسائس السياسية . لم يمض زمن طويل على ذلك الفتح حتى جاهر الجبليون بالعصيان فخلعوا النير التركي وولوا عليهم اسقفاً منهم اسمهُ دانيلو بتروفتش سنة ١٦٩٧ تولى السيادة الدينية والسياسية معاً وهم يسمون صاحب هذا المنصب « ولاديكا » وتحالف مع الروس واستبد اعقابهُ في تلك الامارة دينيًّا وسياسيًّا حتى تولاها بطرس بتروفتش الثاني المتوفى سنة ١٨٥١



نقولا الاول ملك الجبل الاسود

وكان حكيماً عاقلاً وشاعراً اديباً فخلفهُ ابن اخيه دانيلو الاول فتنازل عن السلطة الدينية ولقب نفسهُ « غوسبودار » اي امير بدلاً من « ولاديكا » وكانت تركيا تعد الجبل الاسود في جملة ولاياتها . وكان امراؤهُ يعترفون بتلك السيادة اسماً فاراد دانيلو التخلص منها فطلب الى روسيا ان تعترف باستقلاله وتمرد على الدولة وشهر عليها حرباً فحاصره العثمانيون سنة ١٨٥٢ بقيادة عمر باشا القائد العثماني الشهير فظهر الجبليون السكينة فارتد عنهم سنة ١٨٥٣ ثم عادوا الى العصيان فحاربهم العثمانيون سنة ١٨٥٨ ثم ملَّ الجبليون استبداد اميرهم دانيلو فقاموا عليه وقتلوه سنة ١٨٦٠ فخلفه ابن اخيه نقولا فسعى سعي عمه لكنه اضطر الى الاعتراف بسيادة تركيا سنة ١٨٦٢ ثم عادوا الى التمرد وانتشبت بينه وبين الدولة حروب انتهت باستقلال الجبل الاسود رسميا

نفس والباقي من الاجانب عاصمتها بخارست سكانها ٣٠٠ ٠٠٠ نفس

الجندية فيها اجبارية وعمومية وقد حورت تحويراً كثيراً سنة ١٩٠٨ وادخلت فيها تغيرات هامة . وبموجب ذلك كل شاب بلغ التاسعة عشرة يدخل في التمرين العسكري الى سن ٢١ ثم يخدم سنتين في الجندية تحت السلاح المشاة و٣ لغيرهم . ثم ٤ سنوات اوخمس في الرديف الاول . ثم عشر سنين في الرديف الثاني . ثم يصير الى المستحفظ وسنه ٣٨ سنة فيبقى فيه ٤ سنوات فيتم ٢١ سنة خدمة . والجند مؤلف من خمسة طوابير مشاة وطابورين من الفرسان . وطوابير المشاة كل منها مؤلف من فرقتين يلحق بكل فرقة كوكبة من الفرسان . وعدد الجند كله في حال السلم نحو ٩٠ ٠٠٠ مقاتل ويبلغ بحال الحرب الى ضعفي ذلك . وميزانيـة الجندية عندهم ٢ ٥٦٧ ٠٠٠ جنيه . وبحرية رومانيا تشبه بحرية بلغاريا

الجندية العثمانية

ذكرنا جندية الدولة العثمانية في مثل هذا الاوان من العام الماضي عند تعدي الايطاليان على طرابلس الغرب واليك خلاصة ذلك :

يقسم الجند العثماني الى فرق تسمى فيالق واحدها فيلق واسمه في التركية «اوردو» وقد عربوه «عرضي» فالفيلق او العرضي مؤلف من فرق وآلايات وطوابير وبلوكات وغيرها . ويؤلف الجند العثماني من سبعة فيالق مفرقة في المملكة العثمانية على هذه الصورة

الفيلق الاول مقره في الاستانة والاناطول
» الثاني » » سلانيك
» الثالث » » مكدونية
» الرابع » » ارمينيا
» الخامس » » سوريا
» السادس » » بغداد
» السابع » » اليمن

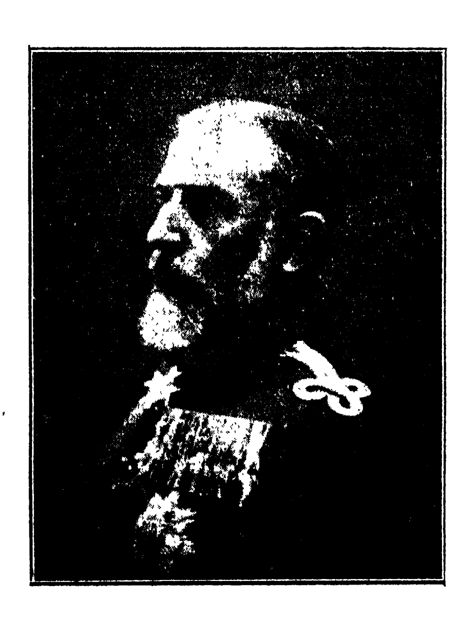
وهناك جند خارج الفيالق في الحجاز وغيرها

ويختلف عدد الفرق والآلايات والطوابير في كل فيلق عن سواه ويختلف عدد الانفار في كل منها . ولكن مجموع جند هذه الفرق في حال السلم يبلغ ٣٦٥ ٠٠٠ مقاتل يضاف اليها ست فرق من الفرسان عدد رجالها ٢٧ ٠٠٠ فارس . وفرقة الفرسان

٥ — رومانيا

واقعة في اقصى شبه جزيرة البلقان بين بلغاريا من الجنوب والسرب والمجر من الغرب والبحر الاسود من الشرق والمجر وروسيا من الشمال — وكانت قديماً تقسم الى مملكتين الفلاخ وملدافيا . ثم اتحدتا وسميتا رومانيا سنة ١٨٥٩ واعترف الباب العالي بذلك سنة ١٨٦١

كانت رومانيا في جملة البلاد البلقانية التي دخلت في حوزة العثمانيين بالفتح . ثم طالبت بالاستقلال ونالته رويداً رويداً وتم لها ذلك بمعاهدة برلين سة ١٨٧٨ — اول حكامها بعد اتحادها الكولونيل كوزا انتخبته الامة حاكماً واقبوه غوسبودار على الفلاخ وملدافيا سنة ١٨٥٩ وسموه البرنس الكسندرو جوان . ثم حدثت ثورة سنة ١٨٦٦ اضطر بها الى التنازل فاختاروا البرنس كارل الاول بدلاً منه وهو ملكها حتى الآن



كارل الاول ملك رومانيا

وحكومة رومانيا دستورية والنواب مجلسان مجلس الامة اعضاؤه ١٨٣ ومجلس الشيوخ ١٢٠ عضواً . عدد سكان رومانيا نحو ٧٠٠٠٠٠٠ اكثرهم من الرومانيين وهم بقيـة الامة الرومانية ويتكلمون فرعاً من اللغة اللاتينية وعددهم نحو ٦٠٠٠٠٠٠

شكرٌ لولي النعم

للأُسرة المحمدية العلوية فضلٌ على الآداب العربية اشهر من ان يذكر. تسنم رأسها محمد علي باشا عرش الدولة المصرية والشرق في ظلام دامس والآداب العربية في حال الاحتضار لما توالى على اصحابها من المظالم بتوالي الاجيال. ولم يكد يستقر به المقام حتى وجه عنايتهُ اليها فاحيا مواتها و بعثها من قبرها بانشاء المدارس ونشر الكتب والاخذ باسباب المدنية الحديثة. انهُ اول من اصدر صحيفة عربية واول من انشأ مدرسة طبية عربية على النمط الحديث. وقد استقدم المترجمين لنقل العلم كما فعل المأمون في الدولة العباسية. فكان عمله فاتحة هذه النهضة في الشرق كله. فاقتدى به سائر العالم العربي في الشام والعراق وتونس والجزائر وغيرها. فنسجوا على منواله و بنوا على اساسه فزهت اللغة العربية ونبغ فيها الكتاب والمؤلفون وصدرت الصحف وتعددت المدارس والمطابع — غير الاصلاحات الجندية والزراعية والتجارية والصناعية

واقتفى آثاره في هذا السبيل الخديوي اسماعيل فاستكثر من المدارس العالية وانشأ المتحف المصري ودار الكتب الخديوية والاوبرا. ونشط التمثيل و بنى القصور وانار العاصمة بالغاز ونظم الادارة وابطل الرقيق. ووسع على الادباء ابواب الرزق فتوافدوا الى بابه كما توافدوا الى باب الرشيد او سيف الدولة. وأصبحت مصر في ايامه ملجأ الادباء. وخلفه المغفور له توفيق باشا وقد شغف بهذا الوطن فشغلته الثورة الداخلية عن مواصلة العمل

ثم افضى العرش الخديوي الى مولانا العباس وهو اوسع الخديويين علماً واكثرهم اطلاعاً على اسباب هذه المدنية. فامتاز عصره باصلاحات سيخلدها التاريخ. في ايامه اعزه الله اتسعت الاعمال الزراعية وتعاظمت الثروة العامة. وحدثت نهضة جديدة في الادب والانشاء والشعر فارتقت الصحافة العربية الى درجة لم تبلغ الى مثلها من قبل في مصر ولا في غيرها ونبغت طائفة من الشعراء والكتاب لا يشقّ لهم غبار. ودخل فن التمثيل طوراً جديداً على اساس علمي. وانشئت الجمعيات العلمية والادبية والاندية الاجتماعية وغيرها. وانما نريد في هذا المقام الاشارة الى تنشيط العلم والادب بتقريب اصحابهما والانعام عليهم بالرتب والاوسمة كما تفعل ارقى الامم المتمدنة

الحميدية ٠٠٠ ١٦ غير النظامي وغير ذلك . فيبلغ مجموع ما عند الدولة العثمانية من الجند في حال السلم ٠٠٠ ٤٢٠ مقاتل . واما الرديف تحت الطلب فعدده ٠٠٠ ٣٧٥ مقاتل يجردون عند الحاجة . فضلاً عن المستحفظ وعدده نحو ٠٠٠ ٩٠ وغير الفرق المقيمة في القلاع من المهندسين ونحوهم وعددهم ٠٠٠ ٣٥ فجملة ما تجرده الدولة العثمانية في حال الحرب يجتمع على هذه الصورة :

عـــدد	
٠٠٠ ٣٦٥	جند نظامي اعتيادي
٠٠٠ ٢٧	ست فرق الفرسان
٠٠٠ ١٦	الفرسان الحميدية
٠٠٠ ٣٧٥	الرديف
٠٠٠ ٩٠	المستحفظ
٠٠٠ ٣٥	الجند المقيم في الحصون
٠٠٠ ٩٠٨	الجملة

اما قواتها البحرية فهي الآن تحت التجديد والتنظيم على ايدي اميرالية من الانكليز فقلبوا نظامها وجعلوه على آخر طرز . وهاك ما بلغت اليه القوات البحرية :

عـــدد	
١١	دوارع حربية كبرى
١	دارعة كبيرة تحت البناء
٣	طرادات
٧	مدمرات جديدة اوصت عليها في المانيا وغيرها
٤	نسافات طوربيد كبيرة
٨	مدمرات صغرى
١٤	نسافات طوربيدية صغرى
٤٨	

وللجند العثماني شهرة فائقة في الشجاعة والصبر على الحرب من قديم الزمان . وقد زاده الدستور دربة ونبغ فيه من القواد جماعة نفاخر بهم سائر الامم . مثل شوكت باشا وناظم باشا وعبد الله باشا والغازي مختار باشا وابنه وهادي باشا وانور بك ونيازي بك

وليس بين الدول الناهضة على الدولة الآن دولة يحسب لها حساب الا بلغاريا واليونان . والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء

سرُّ الحياة

اكتشاف عظيم الاهمية

« اخبرني عما في الخلية الواحدة من الاسرار اخبرك عن غيب السماوات والارض »

ان بين بيت المعري :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

والرأي المشهور القائل باستقلال الحياة والنفس عن المادة بوناً شاسعاً ومجالاً واسعاً للبحث والتأويل . وقد ذهب المفكرون في اصل الحياة مذاهب شتى وتخبطوا ايما تخبط . ولم يبنِ ابو العلاء رأيه على درس علمي وانما هي فكرة خطرت له — كما خطرت لغيره من قبل — بمجرد النظر الى الكائنات فهي من قبيل الآراء الفلسفية النظرية وليست استنتاجاً علمياً . وقد ظلت مشكلة الحياة وامثالها في قبضة الفلاسفة النظريين دون العلماء البحاثين الى القرن الماضي . وهي اولى ان تسلم لهؤلاء ليدرسوها تحت الميكروسكوب ويدققوا فحصها ويقيموا التجارب لاجلها . ولكن الانسان اسهل عليه ان يدون خاطراً خطر له في تعليل الحياة من ان يقضي ليله ونهاره في معالجة الحيوانات والنباتات ينتقل في درسها من الاجسام ذات الخلية الواحدة الى الاشجار الكبيرة والوحوش الضارية

على ان العلم الصحيح يبدأ بجمع الحقائق وتدوين الملاحظات والتجارب ثم يستخرج منها قواعد عامة وقوانين شاملة . وعلم الحياة لا يزال طفلاً في مهده وان يكن قد تقدم تقدماً سريعاً في السنين الاخيرة فما هو الا ابن القرن الماضي . والفضل في وضعه على اساس متين يرجع الى داروين — ذلك الرجل الذي اتخذ الاخلاص في ابحاثهِ شعاراً فقضى حياته يلاحظ ويدرس ويجرب فجمع حقائق مكنته من تعليل اصل الكائنات الحية تعليلاً يرتاح اليه العقل . لان من يحقق النظر في عالمي النبات والحيوان ويبحث فيهما بحثاً مجرداً عن كل غاية يترجح له في برهة قصيرة وجود صلة

كانت الرتب لا تعطى الا لارباب المناصب السياسية وكانوا يريدون بالرتبة المنصب نفسه . فالباشا لقب الوزير او الصدر الاعظم والبيك لقب حاكم المقاطعة . ثم صارت تمنح لمجرد التشريف بقطع النظر عن المنصب . لكنها ظلت الى زمن اسماعيل يشترط في حاملها من موظفي الحكومة ان يكون راتبه في منصبه يناسب الرتبة التي ينالها . فلما تولى الخديوي السابق جعل الانعام بها تشريفاً لا يشترط فيه الراتب . فجرَّ ذلك بتوالي الاعوام الى الاستكثار من بذلها حتى صارت تعطى احياناً لغير مستحقيها . فشق ذلك على سمو الامير فامر منذ بضعة اعوام بصيانتها . فاصبحت لا ينالها من الموظفين الا اصحاب الرواتب التي تناسبها ولا يحرزها غير اهلها . وزاد على ذلك حفظه الله الانعام بها على المشتغلين بالعلم والادب . فاصبح للانعام بالرتب والاوسمة شأنٌ لم يكن لها من قبل . فصارت تعطى في سبيل العلم مكافأةً على خدمة او استحثاثاً على عمل كما تعطى اوسمة الشرف في اوربا لمثل هذا الغرض

نقول ذلك تمهيداً لما نرفعه الى سمو الامير المعظم من شعائر الشكر والامتنان لانعامه علينا برتبة المتمايز الرفيعة . فانهُ حلَّى بها صدرنا ورفع قدرنا واطلق لساننا بعبارات الثناء والتنويه بالمحامد والمآثر

وقد زاد هذه النعمة رونقاً انها منحت عفواً بلا سعي ولا طلب . وانما اقترحها الوزير حشمت باشا ناظر المعارف تكرماً من تلقاء نفسهِ ولم نعلم بها الاَّ كما علم سائر ارباب الصحف بعد صدور الامر الخديوي الكريم . كانهُ اعتبر ذلك من قبيل سعيه في احياء الآداب العربية . فوافق غرضه هذا رغبة سمو الامير في رفع منار العلم وتنشيط خدمته — والعلم لا ينمو الاَّ في ظل امير يتعهده ويأخذ بايدي اصحابهِ . لازال سموه ملاذاً للعلم والادب ولا زال وزيره نصيرًا للادباء والعلماء في ظل الاريكة الخديوية أيَّدها الله

ونغتنم هذه الفرصة للثناء على زملائنا الافاضل ارباب الصحف العربية وغير العربية لتفضلهم علينا بعبارات التهنئة كما نشكر للاصدقاء والادباء الذين هنأونا برسائلهم البرقية وغير البرقية من مصر وغيرها نظماً او نثراً . ونعتذر عن نشر شيء منها جرياً على عادتنا منذ انشأنا الهلال ان لا ننشر فيه تقريظنا . على اننا سنحتفظ بتلك الرسائل تذكاراً لمودتهم وحسن ظنهم جزاهم الله خيراً

وهو فكر قديم تطور اطواراً مختلفة وطرأ عليه تغيرات شتى ولكن مآله واحد وهو ارجاع كل ما في الكون الى المادة . فالمظاهر التي نسميها حياة او نفس ليست في نظرهم الا مادة منظمة بشكل مخصوص وحركة مخصوصة

ثانياً — القائلون بوجود جوهر غير المادة مستقر في النبات والحيوان ويعبرون عنه بالروح او النفس وهو علة اعمالها الحيوية دون القوى الكيمية والمادية (animist) وهو اقدم تعليل خطر للانسان الاول بعد ان ادهشه الفرق العظيم بين الجسم الحي وغير الحي: الاول كالبيت المأهول والثاني كالبناء المهجور فخطر له ان الساكن فيه شخص آخر يشبه الاول يظهر اذا تعرض للشمس وهو خياله ويراه اذا نظر في الماء وهو شبحه فيه . وهكذا فعل في تعليل سائر المخلوقات الحية . ذلك هو المذهب الثاني في ابسط صوره . وقد تغير في القرن الماضي تغيراً مهماً على ايدي الطبيب ستاهل فقال ان في الجسم الحي نفساً عاقلة تديره بلا واسطة فتجعل القلب يخفق والعضلات تنكمش وتنبسط والغدد تفرز وهلم جراً

ثالثاً — المذهب الحيوي القائل بان الحياة غير المادة وغير النفس (vitalism) وهو قديم وقد نشأ في القرن الماضي المذهب الحيوي الجديد (neo-vitalism) وزعماؤه يرون الفرق بين المادة والحياة قليلاً فيقبلون التعاليل الكيمية والمادية ولكنهم يعتقدون بالفرق بين الحياة والنفس كما كان يعتقد فيثاغورس وارسطوطاليس فقد ميزا بين القوة المفكرة والروح التي تقوم بوظائف الحياة وتدير الجسم كما يدير الربان السفينة

وقد جرب الاستاذ جاك لويب مدير الابحاث الحيوية في معهد روكفلر العلمي تجارب عديدة في السنين الاخيرة ادهشت العلماء لغرابتها وتفردها في بابها وهي تتعلق بالتناسل واسبابه رأينا ان نقول كلمة عنها مع مقدمة في التناسل وتكوّن الجنين لا تخلو من فائدة

تكون الجنين

بديهيٌّ ان يعرف كل واحد شيئاً عن تاريخ شخصه وتكوّن ذاتيته والادوار التي مرَّ بها مذ كان خلية واحدة الى ان صار انساناً كاملاً — ومع ذلك فقليلون هم الذين

بين انواعها المختلفة ويتعذر عليه التسليم باستقلال كل منها عن سواه . وان مذهب النشوء والارتقاء يتدرج شيئاً فشيئاً من مقام النظريات الى مقام الحقائق الثابتة بفضل داروين ومن اقتفى اثره من البحاثين الذين وقفوا حياتهم لخدمة العلم — على ان هذا المذهب اقتصر على النظر في علاقة الانواع وتتبعها الى اصلها ولكنه لم يبحث في ماهية ذلك الاصل

ضع تحت الميكروسكوب نقطة من ماء مستنقع وارقبها فتجد احياء صغيرة تتحرك وهذه الاحياء ذات خلية واحدة تقوم بكل الوظائف الحيوية من غذاء وتناسل وحركة وغير ذلك . خذ ايضاً ورقة نبات قص منها قطعة رقيقة وافحصها تحت الميكروسكوب فتجدها مركبة من خلايا متلاصقة وترى مثل ذلك اذا فحصت قطعة من نسيج حيواني كالجلد مثلاً . ومجمل القول ان الكائنات الحية على اشكالها مجموع خلايا . فالخلية الواحدة ابسط مظاهر الحياة وهي سر الاسرار الغامضة

ماهية الحياة

ولا بأس من ايراد آراء العلماء في ماهية الحياة واشهر تلك الآراء اليوم ثلاثة وكانت ثلاثة منذ الفي سنة لان الافكار الفلسفية التي ليست مبنية على المشاهدة والبحث والاختبار لم يطرأ عليها تغير يستحق الذكر منذ ايام فلاسفة اليونان . وانما التغير حصل في العلوم الاختبارية المبنية على جمع الحقائق وتنظيمها واستخراج القواعد العامة منها . ان الكون في نظر العموم قسمان جماد وحياة وفوقهما النفس وقواها المختلفة . فكان العالم مركب من ثلاثة اصول : المادة والحياة والعقل فالى هذه الاقسام وعلاقاتها بعضها ببعض يرجع الخلاف بين اصحاب الآراء الثلاثة . فمنهم من يقولون بوحدتها وخضوعها للنواميس الطبيعية على السواء ومنهم من لا يفرقون بين الحياة والنفس فيقسمون العالم الى قسمين مادة وغير مادة . ومنهم من يميزون بين الثلاثة المادة والحياة والعقل فكل منها في نظرهم جوهر مستقل :

اولاً — الماديون (materialist) او الموحدون (monist) وهم لا يعرفون حدًّا فاصلاً بين الجماد والحياة والعقل بل يقولون بخضوعها كلها للقوى الكيمية والمادية .

لويب يشرح فيه عمله فرأينا ان نقتطف منه ما يأتي قال :

« هل يمكننا ان نعالل مظاهر الحياة تعليلاً مبنيّاً على مبادئ الكيمياء والفلسفة الطبيعية دون سواها ؟ اول من اشتغل في هذا السبيل العالمان لافوازيه ولابلاس فقد شرعا يبرهنان سنة ١٧٨٠ ان كمية الحرارة في جسم الانسان تعادل حرارة الشمعة اذا كانت كمية الحامض الكربونيك المتصاعدة من الاثنين واحدة . واقتفى خطواتهما كثيرون . ولاشك ان تعليل الحياة على المبادئ الطبيعية يقلب نظام الهيئة الاجتماعية رأساً على عقب ويستلزم تغيير القوانين والشرائع ووضع اساس جديد لحياة الفرد والجماعة

« ومن المعلوم ان البيضة لا تنمو ما لم تدخلها الخلية الجرثومية فما هو تأثيرها عليها وكيف تجعلها تنمو ؟ كان الجواب على هذا السؤال منذ بضع عشرة سنة مستحيلاً ولكننا توصلنا اليوم الى « تلقيح » البيضة بواسطة مواد كيماوية تقوم مقام الخلية الجرثومية واثبتنا ايضاً ان عمل هذه يشبه عمل تلك

« فبعد دخول الخلية الجرثومية في بيضة التوتيا (قزم البحر) يتولد غشاء يحيط بالبيضة يسمى غشاء التلقيح . وقد نجحتُ في توليد هذا الغشاء بمعالجة البيضة بحامض من الحوامض الآلية ووضعها مدة قصيرة في سائل اشد كثافة من ماء البحر ثم نقلها الى ماء البحر فنمت نموًّا طبيعيّاً . وفعلت مثل ذلك في حيوانات اخرى . وقد ثبت لديَّ ان عمل الخلية الجرثومية يشبه عمل المواد الكيماوية لانها تحوي مادتين احداهما من قبيل الحامض الآلي والأخرى فعلها كفعل السائل الاكثف من ماء البحر

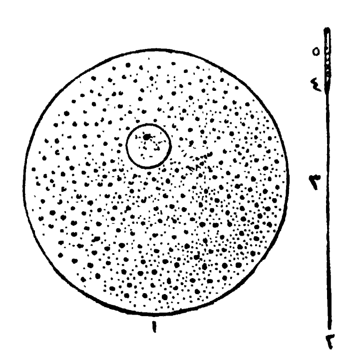
« واذا سئلنا كيف تؤثر هذه المعالجة في نمو البيضة قلنا ان تلقيحها يزيد سرعة التأكسد فيها (أي اتحادها مع الاكسيجين) من اربعة اضعاف الى ستة . وكنت قد وجدت ان نمو البيضة يتوقف اذا امتنع عنها الاكسيجين ولكنها تنمو وتتكاثر بوجوده — وكما ان الحياة تتوقف على وجود الاكسيجين فالموت ينشأ عن عدمه »

الخلاصة

اذا فحصنا الخلية فحصاً كيماويّاً وجدناها مركبة من مواد اهمها الاكسيجين والهيدروجين والكربون والنيتروجين . ولا نجد حسب الظاهر اثراً لقوة غريبة . ولكن شتان بين المركب الكيماوي والخلية الحية فهذه غير تلك وخصائص الواحدة

يعرفون عن انفسهم قدر ما يعرفون عن ثيابهم وجيوبهم . ولم يبحث العلماء في هذا الموضوع بحثاً وافياً قبل القرن الماضي فكأن اقرب شيء الى الانسان آخر ما يهتم بمعرفته

واول ما يجب ان يعلمه الانسان هو انه نشأ من خلية واحدة مثل سائر الحيوانات والنباتات وان هذه الخلية قسمت شطرين فصارت خليتين وانقسمت هذه ايضاً وهلم جرًّا حتى يتكون الجسم باكمله . والخلية الاصلية هي البيضة والبيض لايتكون منهُ الجنين عادة الابالتلقيح اي بان تمتزج مادة الذكورة بالبقعة الجرثومية بالبيضة . وهي سنة التناسل في عالمي النبات والحيوان



تجد في الشكل بيضة دودة الارض وبجانبها مادة الذكورة او الخلية الجرثومية وهو مثال يمكنك من ان تقيس عليه سائر الحيوانات — وقبل ان يمتزجا يطرأ على البيضة بعض التغيير استعداداً لقبول الخلية الجرثومية ويستمر التغيير فيها بعد دخولها ثم تنقسم شطرين فاربعة الخ .... ثم تتميز الخلايا بعضها عن بعض فتكوّن الاعضاء المختلفة — ذلك هو ابسط ما يقال في التناسل وقد اقتصرنا عليه لاعتقادنا ان الشرح لا يفيد ان لم يقرن بالفحص العلمي — وتكوّن الجنين في الانسان لا يختلف في مبدأه الاساسي عن تكوّن جنين الدودة فهو مثلها يحتاج الى امتزاج البيضة بالخلية الجرثومية ويمر بادوار تشبه ادوار الدودة ولكنها اكثر تركيباً

الاكتشاف

والاكتشاف الذي نحن في صدده مؤداه الاستغناء عن الخلية الجرثومية في تكوين الجنين والاستعاضة عنها بمواد كيماوية . وقد اطلعنا على خطاب القاه الاستاذ

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع)

اولاً - فرنسا

٦ — نظام الاجتماع فيها

نظام الاجتماع من حيث اساسه واحد في كل بلد وانما يختلف في تفاصيله باختلاف الاعصر والاقاليم . فالهيئة الاجتماعية في ابسط احوالها مؤلفة من العائلة والحكومة والكنيسة . فاذا ارتقت نشأت فيها المدارس والجمعيات الادبية والشركات الاقتصادية . وتختلف هذه الجماعات في كل بلد باختلاف طبائع اهله ونوع مدنيتهم وسائر احوالهم . فنظام الحكومة يختلف بين الاستبدادي والدستوري والجمهوري . ونظام العائلة في الشرق غير ماهو في الغرب وفي هذا العصر غير ماكان عليه قبله . كانت العائلة عندنا الى اوائل القرن الماضي على شكل الحكم الملكي المطلق ــ الاب رئيس العائلة يستبد في اهله استبداد السلطان المطلق في رعيته يزوج من شاء بمن شاء ويعهد الى من يريد بما يريد من عمل او سفر او اقامة ــ لايرون في ذلك غرابة . ثم تعدل هذا النظام بعد دخولنا في المدنية الحديثة فاخذت العائلة تقترب من النظام الدستوري لكنها ما زالت اقرب الى الحكم المطلق ويختلف ذلك باختلاف الامم والاديان

وبناء على ما للاقاليم او البيئة من التأثير في ابدان الناس وعقولهم وطبائعهم فاختلاف الاقاليم اوجب اختلاف الامم في كل ذلك . فلننظر في طبائع الامة الفرنساوية على الاجمال

بعيدة عن خصائص الاخرى . ولذلك لم يتمكن احد من العلماء حتى الآن من توليد مادة حية . على ان بعضهم يعتقد امكان ذلك ويؤملون ان يأتي يوم يتمكن فيه الانسان من توليد الحياة أو تحويل الجامد الى حي . ولا شك ان اكتشاف الاستاذ جاك لويب فتح مجالاً للبحث والتجربة ومهّد سبيلاً ما برح مظلماً منذ وجد الانسان فعسى ان يأتي بالفائدة المطلوبة ولكننا رغم ما كشفهُ لنا العلم الحديث من اسرار الطبيعة لا نزال بعيدين عن سر الحياة الحقيقي ولله در القائل :

« اخبرني عما في الخلية الواحدة من الاسرار اخبرك عن غيب السماوات والارض »

اميل زيدان





مختار باشا الغازى

كبير قواد الجند العثماني في حرب البلقان

الاقتصاد والترتيب

والفرنساوي مقتصد من فطرته وترى الاقتصاد ظاهراً على الخصوص في القرى فان اصحاب المزارع الصغرى يعيشون عيشة بسيطة . والفلاح يشتغل وامرأته تشتغل واولاده يشتغلون كل على قدر طاقته وحسب ميله . ولابدَّ لكل منهم ان يقتصد شيئاً من ربحه مهما كان قليلاً فيحتفظ به لنفسه . وهم يستخدمون الفرش البسيط عكس اهل المدن وكذلك ملابسهم . فالفلاح الفرنساوي بسيط في لباسه واخلاقه ومهما يكن من فقره فانك تجده نظيف الثوب نظيف الفراش يأكل على المائدة بالشوكة والسكينة بترتيب ونظافة . فلا تستنكف اذا دخلت بيته من ان تجلس على مقعده وتأكل من طعامه وتشرب من كأسه . وليس كذلك الفلاح المصري . ولاسبيل الى اصلاحه الا بتعليم المرأة وتثقيفها وهي المدبرة لكل ذلك

معرفة الواجب

ومن الخلال الحميدة الشائعة في معظم اوربا ونحن في حاجة اليها « معرفة الواجب » وهي تشمل كل اعمال الانسان . نعني ان يشعر الانسان بما عليه فيؤديه من تلقاء نفسه بدون استحثاث او ارهاب او ترغيب — لو فعل ذلك كل انسان لاستغنى الناس عن الحكومات وابطلت المحاكم . ولكن الناس يتفاوتون في هذا الباب واكثرهم شعوراً بالواجب اقربهم من المدنية والارتقاء . وهو يستلزم الامانة وهي اساس المعاملات واكبر اسباب النجاح — ما اجمل ان يشعر الانسان بما عليه فيؤديه بلا وازع او مراقب . والفرنساويون من اكثر الامم شعوراً به وكذلك الانكليز . وربما ظهر الانكليز اكثر قياماً بالواجب لانهم يعملون كثيراً ويقولون قليلاً . واما الفرنساوي فميله الى زخرف الكلام يظهر اعماله قليلة . لكن الشعور بالواجب قويٌّ في كليهما

ذكرنا في غير هذا المكان ان قومساري الترامواي لا رقيب عليهم (مفتش) وهم لا يسلبون الشركة باستعمال التذكرة مرتين او قبض الثمن بدون اداء التذكرة لان القومساري الفرنساوي او الانكليزي نشأ وقد غرست والدته في ذهنه من طفوليته ان يعرف ما له فلا يطمع بسواه . ولو اراد السائق ان يطمع فان الشعب ارقى من ان يتساهل في هذا الامر لانه ربي تربية راقية وعرف مالهُ وما ليس له فهو يعلم ان تساهله مع القومساري في امر التذكرة انما هو مشاركة لهُ في السرقة . ولكن كثيرين عندنا يتساهلون في ذلك وبعضهم يحرض القومساري على السرقة . والسبب في ذلك ضعف اخلاق العامة عندنا . وان مثل الترامواي هذا على بساطته يدلُّ على اخلاق العامة

طبائع الفرنساويين

الفرنساوي عامل نشيط يدأب على العمل بحماسة وهمة . ولاسيما اهل الزراعة منهم فانهم قويو الابدان يعملون في حقولهم بنشاط . ولا تجد في فرنسا بقعة تقبل الزراعة غير مزروعة . وكذلك العمال والصناع وسائر طبقات الناس فانهم نشيطون في ذهابهم وايابهم وفي كلامهم واشغالهم وفي اسفارهم — فان احدهم ينزل من القطار ويحمل حقيبته (الشنطة) بيده فاذا كان منزله قريباً سار الى بيته ماشياً لا يرون في ذلك بأساً. على انهم اذا طلبوا غلاماً او رجلاً يحمل لهم الحقيبة في اثناء الطريق لا يجدون . وهي صفة يشترك فيها اهل اوربا كافة . ويتأثر بها الشرقي حالما يطأ تلك القارة . وتقوم في نفسه رغبة في الهمة والنشاط فاذا رجع الى بلده عاد الى طبعه . الا اذا توطن اوربا طويلاً ـ ومرجع ذلك الى طبيعة الاقليم . والفرنساوي ذكي الفؤاد سريع الخاطر حاضر الذهن فصيحاً خفيف الروح فيه ميل الى الفنون الجميلة وذوق في الصناعة

الجمال

وللفرنساويين ذوق في الجمال لا تضارعهم فيه امة . يظهر ذلك خصوصاً في الباريسيين فانهم قدوة الامم في الازياء على اختلاف اشكالها . ولهم ذوق في توليد الجمال مما لا جمال فيه من نفسه بترتيب اجزائه على شكل لا قاعدة له الا الذوق . وهو على ارقى درجاته في باريس . تجد المرأة القبيحة الخلقة تتزيا بزي يناسبها وتصفف شعرها تصفيفة تناسب ملامح وجهها فتظهر جميلة . ولهم في تصفيف الشعر واختيار شكل البرنيطة ولونها طرق تختلف باختلاف تقاطيع الوجه ولونه وشكل الانف والعينين والجبهة والفم وغير ذلك فيوفقون التصفيفة (التوالت) والبرنيطة على حال الوجه فيظهر جميلاً

ويتبع ذلك ميلهم الى تزويق الحديث فانه من قبيل رغبتهم في الجمال الخارجي . فكما يوفقون بين تصفيفة الشعر وحجم البرنيطة وشكل الوجه حتى يظهر جميلاً فهم ايضاً يحسنون الحديث حتى يلائم ذوق السامع فتنبسط نفسه له . لكنه لا يرى النتيجة دائماً كما كان يتوقعها . فالفرنساوي فيه ميل الى اتقان الظواهر اكثر مما الى اتقان البواطن وهو من قبيل حبه الجمال . ويخالفه الانكليزي في ذلك كما سنبينه في مكانه . ومن قبيل ميلهم الى الجمال واقتدارهم على توليده ما تجده في مخازنهم وشوارعهم من الزخارف التي يراد بها التحسين . اي ان تظهر السلعة المعروضة احسن مما هي . ومن هذا القبيل استخدام المرايا في الواجهات لايهام الناس انها اكبر مما هي . واذا كان الحانوت صغيراً جعلوا جدرانه من المرايا فيظهر اضعاف ما هو

يمشي وهمه نفسه ولا يلتفت الى سواه . او يجلس في القهوة ولا يلتفت الى جليسه من هو . وقد يكون بجانبه رجل وامرأة يتغازلان او يتداعبان فلا يهمه ذلك . وهذا ما نعبر عنه بضعف الغيرة ولا يستطيع الشرقي احتماله . اما الفرنساوي فيحتمله ولسان حاله يقول « لا يعنيني »

ولكنه مع ذلك جنوح الى النجدة وفيه اريحية اذا استحثته على منقبة اندفع اليها بكليته ولو جرَّه ذلك الى خسارة او حمله مشقة

المفاخرة بالرجال والحرية

ومن سجاياهم انهم يفاخرون برجالهم ويعظمون النابغين منهم . وحيثما مررت بشوارع باريس تجد تماثيل العظماء منصوبة في متصالب الطرق او واجهات القصور او في الساحات العمومية يزيد عددها على مئة وستين تمثالاً كبيراً للقواد والملوك والكتّاب والشعراء والفلاسفة والعلماء . وبينها تماثيل بعض مشاهير الامم الاخرى مثل دانتي شاعر الايطاليان وشنطون محرر اميركا وشكسبير الشاعر الانكليزي وغريبالدي القائد الايطالي . غير التماثيل الرمزية عن الحرية او الاتحاد او نحوهما . وغير التماثيل المنصوبة في المتاحف والمراسح والمدارس والكنائس والمنازل وهي عديدة جدًّا . واكثرها شيوعاً تمثال بونابرت على اختلاف اقداره واشكاله . والتماثيل تثير في النفوس الحماسة والميل الى الاقتداء باولئك العظماء . وهي وسيلة حسنة لاستنهاض الهمم واستحثاث القرائح لا مثيل لها عندنا — الا قليلاً

ويمتاز الفرنساويون عن سائر اهل اوربا بالنزوع الى الحرية على اختلاف اوجهها . وقد مرَّت اجيال كانوا فيها نصراء الحرية يأخذون بايدي طلابها وينصرونهم بالمال والرجال . واشهر الشواهد على ذلك نصرتهم للاميركان في طلب الاستقلال من سلطة الانكليز . ومن قبيل تعشقهم الحرية مغالاتهم في مطاردة بعض الجماعات الدينية . لكنهم تطرفوا في ذلك حتى خرجوا به الى عكس المراد بالمدنية . ففترت الحاسات الدينية ونزع الناس الى الشك في الدين وآل الامر في بعض الاحوال الى فساد الآداب . لان العامة لاتستغني عن وازع ديني يصلح من آدابها . ومن اكبر اسباب الفساد القاء الشكوك الدينية في اذهان الناس

طعامهم وشرابهم

والفرنساويون يكثرون من اكل اللحوم في طعامهم وهو شأن اكثر سكان اوربا وخصوصاً في البلاد الباردة لاحتياجهم الى المواد اللحمية في مقاومة البرد . ولهذا

الثقة وقيمة الوقت وصدق المواعيد

ومن قبيل الامانة المبنية على معرفة الواجب وما يترتب عليها من الثقة المتبادلة ان بعض باعة الجرائد في فرنسا وانكلترا يضعون اعداد الجريدة فوق طاولة على الرصيف خارج الحانوت وبجانبها علبة . فمن اراد ان يبتاع جريدة وضع ثمنها في العلبة وتناول الجريدة ولا رقيب عليه . وصاحبها لا يخاف ان يسرقه المارة فيأخذ احدهم الجريدة ولا يدفع الثمن . وقس على ذلك الثقة المتبادلة في سائر الحرف

دخلنا مطعماً في لندن يوم وصولنا من باريس . وبعد الفراغ من الطعام دفعنا لصاحب المطعم ليرة فرنساوية فاعتذر بان النقود الفرنساوية لا تقبل عندهم . ولم يكن عندنا نقود غير فرنساوية . فوقعنا في حيرة واردنا ان نترك الليرة له ريثما نعود وقد بدلنا النقود . فاعاد الليرة ليدنا وقال « دعها معك ومتى بدلتها تدفع ما عليك » وكانت هذه اول مرة رآنا فيها الرجل . اليس ذلك من الاخلاق الراقية ؟ ان صاحبها لا يتصور رجلاً عليه حقٌ لا يبادر الى دفعه من تلقاء نفسه . ولا يدل هذا على خلو تلك البلاد من اصحاب الاخلاق الضعيفة ولكنهم اقل مما عندنا . كما اننا لا نعني ضعف الثقة عندنا في كل الطبقات . وانما نريد الاغلبية

ومن جميل ما نحسدهم عليه معرفة قيمة الوقت وهو يتوقف على معرفة الواجب ايضاً فانهم يقسمون اوقاتهم ويفرقونها على اعمالهم فلا يقصرون بما عليهم ولا يضيعون اوقات اصدقائهم بالزيارة الحبية كما يفعل كثيرون عندنا . فان بعضهم يزورك في ساعة شغلك ولا شغل له ويعلم انك مشغول فلا يختصر زيارته ولا انت تجرأ على الاعتذار منه لئلا تتهم بالفظاظة ولكن هذه العادة آخذة بالزوال من بيننا في الطبقة الراقية

واعتبر ذلك في صدق المواعيد فانه تابع للشعور بالواجب . وهو ينقصنا لكنه آخذ في الشيوع بين المتعلمين

لا يعنيني

ومن الاخلاق الفرنساوية الشائعة في باريس اشتغال كل منهم بنفسه عن سواه فلا يتعرض احد الى شؤون جاره بالاستطلاع او التجسس . وهو من طبائع اهل المدن الكبرى وطبيعي شيوعه في باريس وهي ثالثة مدائن العالم . وتجسس الاخبار والدخول في احوال الآخرين يكثر في القرى الصغيرة لتفرغ اهلها للاحاديث ولانهم مطلعون على عورات جيرانهم ولا يخلون من التحاسد او التباغض . وكلما اتسعت المدينة قلت تلك العادة فيها . ولذلك كان اهل باريس من اكثر الناس بعداً عنها . فان احدهم

الاحزاب وينتقدون اعمال الحكومة . والسبب في ذلك « التعليم » فانه عام في كل بلد وقرية فتنبهت الاذهان وتفتحت الاعين وتعلم العامي معنى الاجتماع والاتحاد وخصوصاً بعد الانقلاب الذي جعل كل شيء في ايدي العامة لانهم قلبوا الحكومة واستبدوا في الشرفاء والامراء . فتشكلت الاحزاب من العامة وارتقت نفوسهم . ورافق ذلك كثرة الاختراعات الصناعية التي اغنت اصحاب الاموال (الخاصة) عن كثير من العمال فتضايق العمال وهم من العامة واضطروا الى الاجتماع والاحتجاج والمطالبة وهو الاعتصاب . وساعدهم على ذلك شيوع مذهب الاشتراكية واحتياج النواب الى العامة في التصويت عند الانتخابات النيابية وكل نائب يجتهد في اكتساب رضى القوم في البلد الذي ينوب عنه حتى يصوتوا له . فازداد العامة نفوذاً وطمعاً واكثروا من الاعتصاب حتى اتعبوا اصحاب الاموال وحملوهم خسائر عاد معظمها على الجمهور لانها آلت الى ارتفاع الاسعار

فالحرية التي نالها العامي الفرنساوي صانت حقوقه من جهة لكنها اضرت به وبالامة من جهة اخرى . لان العامي مهما بلغ من ارتقائه لا يبرح قصير الادراك وانما يتدرب على الاجتماع والصياح مع الصائحين فينحاز الى هذا الحزب او ذاك لا عن تفطن وادراك وانما هو يساق بعواطفه ويندفع بما يخطر له حسب المؤثرات الخارجية . والعامي الفرنساوي مدمن للمسكر كما تقدم . اضف الى ذلك حدة مزاجه فاذا ضربت له على وتر حساس كالدين او الوطنية او غيرها اندفع لما تريده منه . فالغلبة لمن يستطيعون استهواء هؤلاء العامة لاغراضهم بالفصاحة اونحوها

والنفوذ الحقيقي للخاصة لانهم اقوى عقولا واكثر وسائل — ذلك هو شأن الجماعات في كل بلد : يختص الخاصة على السيادة او الكسب فيستنصرون العامة بعضهم على بعض بما يستطيعون من الاساليب فينصرونهم وينفذون اغراضهم والعامة يتوهمون انهم يفعلون ذلك من تلقاء انفسهم . مهما بلغ من رقي العامة وحريتهم فالخاصة هم اصحاب السيادة الحقيقية وهم كالاوصياء على العامة يسنون لهم الشرائع ويضعون لهم القوانين ويدربونهم في شؤونهم السياسية والاجتماعية حتى احوالهم اليومية . فان الحكومة الفرنساوية تهتم بها كثيراً وقد فرضت على العامل ان يرتاح يوماً في الاسبوع فاذا لم يفعل عدّ مذنباً . واذا كان عمله لا يأذن له بالراحة كخدمة المطاعم والقهوات ونحوها دبرت الحكومة وسيلة تمكنه من الراحة . وذلك انها أمرت العامل من هؤلاء ان يختار يوماً من الاسبوع يرتاح فيه وعينت من يقوم مقامه في ذلك اليوم ويستولي على

السبب ايضاً يكثرون من شرب الخمور وتكاد لا تجد بينهم من لا يشرب الخمر على المائدة رجالاً ونساء واولاداً . وكثيراً ما يجر ذلك الى ادمان المسكر فيكثر المدمنون عندهم ولاسيما في الطبقات السفلى كالعمال والصناع . اما شرب الخمر الاعتيادية فانه عام ولا يشترط ان يكون على المائدة . ولذلك ترى وجوه الفرنساويين مشرقة أو مشربة حمرة — ولا يدل ذلك على الصحة دائماً وقد يدل على المرض . وترى صاحبه يميل الى النعاس بعد الطعام ويظهر ذلك في ساقة المركبات بباريس . لان احدهم اذا لم يكن سائقاً مركبته لا تراه الا نائماً على كرسيه ورأسه متدلٍّ على صدره وقد احمرت وجنتاه وانتفخت اوداجه . وحوادث المسكر بمصر على كثرتها قليلة بالنسبة الى تلك البلاد . لكننا نشكو من شيوع الحشيش بمصر رغم منعه رسميًّا . على اننا سمعنا بوجوده في باريس ايضاً بامكنة يعرفها طالبوه

بقي علينا النظر في امرين مهمين من نظام الاجتماع عندهم نعني طبقة العامة والمرأة

العامة

ومن قبيل النظام الاجتماعي ان تكون الامة مؤلفة من طبقات ترجع الى طبقتين : الخاصة والعامة ويختلف حال كل منهما باختلاف الامم والاعصر وان تشابها على الاجمال في كل بلد . فالخاصة وهم اهل الوجاهة والثروة يغلب ان يكونوا ممتازين في نفوذهم ومعيشتهم ويكون العامة تابعين لهم في احوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على تفاوت في ذلك بتفاوت احوال المدنية وانواعها

فالعامة في التمدن القديم كانوا كما قال الامام علي « همج رعاع اتباع كل ناعق » وقال معاوية انهم « اشباه البهائم ان جاعوا ساموا وان شبعوا ناموا » وهم نحو ذلك في الشرق الى الآن الاّ في بعض البلاد الراقية . اما في الغرب فقد تغيرت احوالهم حتى اوشكوا ان يقلبوا نظام الاجتماع ولا سيما في الممالك الجمهورية ومنها فرنسا وهو موضوع كلامنا في هذا الباب

العامة في فرنسا

ان العامة في فرنسا يختلفون عن عامتنا بامور كثيرة : منها انهم ارقى تربية واوسع تعلماً فلا تجد فيهم من لا يحسن القراءة والكتابة . وحيثما توجهت ترى البوابين وساقة المركبات وصغار الباعة وخدم المنازل والقهوات حتى مساحي الاحذية يطالعون الجرائد والكتب ويهتمون بالشؤون العامة ويبحثون في السياسة ويتناقشون في حقوق

وانشأن الجمعيات العلمية والادبية والاندية الاجتماعية . وألفن الاحزاب السياسية المطالبة بحقوقهن . وتعاطين كثيراً من الصنائع الحقيرة او المتعبة فمنهن غارسات في الحقول ومنظفات في الشوارع - حتى سوق المركبات فقد شاهدنا واحدة منهن تسوق مركبة بالاجرة في شوارع باريس فادهشنا ذلك فاخبرنا صديق كان معنا ان في باريس ١٢ سائقة مثل هذه

والسبب في نزول المرأة هذه المنزلة عندهم ان الفتاة الفرنساوية تنشأ في منزل والديها كما ينشأ الغلام تتعلم كما يتعلم ويطلب منها ان تتكسب بالشغل كما يتكسب هو . وهي تجالس الرجل وتحادثه وتباحثه في كل موضوع كانها رجل مثله وتسافر للسياحة والاكتشاف وحدها لاترى في ذلك بأساً اوغرابة مما لم نألفه في بلادنا . فان فتاتنا تتعلم اولاتتعلم ثم تمكث في منزل والديها في انتظار نصيبها للزواج وزينتها الحشمة والحياء ولا يخطر لاهلها ان تعمل عملاً . فهي اما ان تتزوج او تبقى عانساً في بيت ابيها ولا تشتغل الا نادراً . واكثر اشتغالها بالتعليم او الخياطة ويندر ان تتعاطى عملاً آخر . ومهما بلغ من حريتها فهي لا تجالس غير معارفها وذوي قرباها

اما الافرنجية فحالما تخرج من المدرسة تمضي الى السوق كما يمضي الشاب فاذا اتاها النصيب تزوجت فيشغلها الزواج عن الارتزاق اكتفاء بعمل زوجها . والا فانها تشتغل هي ايضاً . ولا يخفى ما في ذلك من تضاعف الايدي العاملة في الامة الفرنساوية اي ان العمال من الجنسين نحو ضعفي العمال عندنا بالنسبة الى عدد السكان

والمراة الفرنساوية في القرى والبلاد الصغيرة مثال الاقتصاد والترتيب والعطف على اولادها والامانة لزوجها وكذلك المرأة في العائلات الراقية من الطبقة الوسطى والعليا . لكن هذه الحرية ادَّت في المدن الكبرى الى تشويه ذلك الجنس اللطيف في طبقة معينة من العامة . وهذا التشويه آخذ في الامتداد ويخشى ان يجرَّ الى انقلاب اجتماعي وخصوصاً في باريس ام المدائن الجميلة

كنا نشكو من جهل الفتاة الشرقية وحجبها ونحسد الفتاة الافرنجية على تعلمها وحريتها فلما رأينا حالها في باريس انقلبت شكوانا وكدنا نرضى بالحجاب والجهل — انهم اساؤا الى ذلك المخلوق اللطيف بتلك الحرية المتطرفة . ارسلوا المرأة الى الاسواق تخالط الشبان وتبايعهم وتساومهم وتعاشرهم وهي ضعيفة حساسة فتعرضت لمفاسد كثيرة . واغراها الشبان بالمال فخدعوها . فلما خرجت من صف الحرائر خدعتهم . ثم آل امرها الى ضياع العمر في الشوارع والازقة لاتجد رزقاً الا باستهواء

اجرته . وعندهم طائفة من العمال تحت الطاب لهذا الغرض . فبهذه الواسطة يشغلون سبع العمال ويربحون جمهورهم . لكن بعض العمال يشتكون من هذه المعاملة لانها تضيع عليهم سبع دخلهم ولانهم ينفقون في يوم الراحة اكثر من يوم الشغل . وللانكليز عناية مثل هذه او اشد منها في تدبير شؤون العامة سنأتي عليها في مكانها

المرأة في اوربا

كانت المرأة في الاعصر المظلمة باوربا وغيرها مرذولة محتقرة تعدُّ من قبيل المتاع . وكان للرجل احياناً ان يبيع امرأتهُ بالمزاد العمومي . وتفنن الكتّاب والشعراء في هجائها وانتقادها . وتباحث اللاهوتيون طويلاً في « هل للمرأة نفس » وزعموا انها « باب جهنم » و « معمل اسلحة الشياطين وصوتها فحيح الافاعي » وانها « نبال الشيطان » و « سامة كالصل وحقودة كالتنين » وقال الشاعر العربي :

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

فلما بزغ نور التمدن الحديث وتحولت العلوم والمعارف من النظريات والتقاليد الى الاختبار والدرس كان في جملة ما همهم « المرأة » فادركوا خطارة مركزها في الهيأة الاجتماعية وان النجاح معقود بتعليمها وترقية نفسها . لانها قوام العائلة ومربية الابناء وشريكة الرجل في احوال الحياة . فقدموها وعلموها ورفعوا منزلتها فقامت تطالب بحقوقها . واختلف الكتّاب في مقدار تلك الحقوق لكنهم اتفقوا على احترام المراة واجلالها حتى مثلوا بها الفضائل والمفاخر . فاذا ارادوا تصوير الحرية مجسمة نحتوا لها تمثال امرأة . وهكذا فعلوا بتمثيل الاتحاد والبلاغة والعمل وغيرها من الفضائل المجردة فانهم يمثلونها بصورة امرأة . والفرنساويون من اكثر الامم احتراماً للمراة

المرأة الفرنساوية

اخرجوا المرأة من ظلمات الجهالة واطلقوا سراحها واعترفوا بحقوقها وساووها بالرجل ما له وما عليه . فبرزت من خدرها وتعاطت اعمال الرجال وسابقتهم في كثير من اعمالهم لانها اقل اجرة من الرجل فكثر استخدامها في ما تستطيعهُ من المناصب والمهن . فمن النساء عندهم بائعات في المخازن وعاملات في المناجم والمصانع والمعامل وخادمات في المنازل وكاتبات في المتاجر والشركات وفي بيوت التلغراف والتلفون والبريد وحاسبات في المصارف . وقد تعاطين اهم المهن العلمية كالمحاماة والطب والتحرير والشعر والتأليف والوعظ والعمل في معامل الكيمياء والبكتريولوجيا وغير ذلك .

منهن قد تأبط زندها شاب كساها احسن الاقمشة وزينها باجمل الحلي . فاذا قويت هذه البائعة المسكينة على محاربة الحسد فانها لاتقوى على مدافعة من يتعرض لها من أولئك الشبان الذين يغرونها بالمواعيد العريضة . ويتحببون اليها باطراء جمالها وشكوى الغرام وغير ذلك فتقع في الشراك . ولا يعاشرها ذلك المغرم الا مدة ثم ينتقل الى سواها . فتصبح غير قادرة على العمل في مهنتها الاولى ويهون عليها الارتزاق من امثال ذلك الشاب . واعتبر كيف تكون حالها متى ذهب شبابها وذوى جمالها !

فالعلة الاصلية في شيوع التهتك بباريس انما هو اطلاق سراح الفتاة ومساواتها للرجل وتكليفها الارتزاق مثله واباحة الحكومة للفحشاء رسمياً . وزد على ذلك ان الفتور الديني شائع في فرنسا حتى اصبح شبانها يعدون العهارة ضرباً من التجارة ولا فرق عندهم بين الفحشاء والتمتع بسائر ملاذ الحياة كالطعام والشراب والسماع ونحوها . فيغرون المراة على ذلك فتطيعهم . وليس اقبح من فتور المراة في الدين لانها اقرب الى التقوى من الرجل واكثر تعففها من طريق الدين خوف العقاب . وهي دقيقة الاحساس سريعة التأثر فاذا لم يشتغل قلبها بالتقوى والرهبة من العقاب خيف عليها السقوط اذ ليس لها ما للرجل من قوة الارادة . ومع ذلك فانه اكثر سقوطاً منها لكن الناس لا يعيبون سقوطه كما يعيبون سقوطها — وذلك من جملة مظالم نظام الاجتماع

في شوارع باريس الوف من الفتيات لولا هذه الاسباب لكن امهات وربات عائلات يربين ابناءهن رجال المستقبل على الفضيلة بدلاً من ضياع شبابهن في لرذيلة ويضيع معهن الوف من الشبان بلا عقب . لان هذه الاباحة من اكبر اسباب العقم في فرنسا اذ يمسك الشبان عن الزواج تخلصاً من متاعبه وهمومه واكتفاء بملاذه الوقتية بثمن قليل لا مسئولية بعدها ولا تعب . فلا نبالغ اذا قلنا ان فرنسا بين يدي خطر اجتماعي يهددها ولا تخرج منه الا بعد انقلاب عظيم

بلغ عدد اللقطاء في باريس للعام الماضي ثمانية عشر الفاً لا يعرف آباؤهم فهم من نتاج هذه الرذيلة . من نتاج الافراط في الحرية والفتور في الدين . ان الجهل والحجاب يضران المراة ويؤخران الهيئة الاجتماعية عن اسباب المدنية . لكن الحرية الزائدة مع العلم او بدونه تفسد المجتمع الانساني وتضر بالعائلة . وحال فرنسا الاجتماعي اكبر شاهد على ذلك لان احصاءها يكاد يكون الآن كما كان منذ اربعين سنة . ولم تبق امة الا تضاعف احصاؤها في اثناء هذه المدة

خلقت المرأة أماً تدبر العائلة وتربي الاولاد . وتعليمها ضروريٌّ للقيام بمهمتها

الشبان . وفي القاهرة مثال صغير من تلك الطبقة يعرفن ببنات الرصيف . اما هناك فانهنَّ ألوف ولا تكاد تخلو منهنَّ حديقة او منتزه او شارع ولا سيما في اثناء الليل ولا حرج عليهنَّ بحجة الحرية الشخصية . والحكومة الفرنساوية تبيح الفحشاء على شروط وضعتها وقوانين سنتها . فاباحت للمتجرين بالاعراض ان يبتنوا المنازل والقصور ويحشدون فيها الغواني اصنافاً والواناً يعرضونهن عرض السلع او الاثاث بلا عيب ولا حياء وهم سماسرة في ايديهم شهادات من الحكومة تخول لهم معاطاة تلك المهنة . ولهذه الطبقة من المتهتكين مجالس واندية وجرائد وكتب لترويج تلك البضاعة . وليس ذلك جائزاً في انكلترا . ولكن مصر اقتدت فيه بالفرنساويين كما اقتدت بسواه من اسباب تمدنهم . وما كان اجدرنا ان نأخذ الحسن النافع من اسبابه ونعرض عن القبيح الضار

الارساليات المصرية

ومن قبيح هذه الحرية في باريس ان من تلك الشباك الجهنمية كثيراً في حي يعرف بالحي اللاتيني (quartier Latin) فيه اكثر المدارس العالية التي ترسل مصر شبانها ليتلقوا فيها الحقوق او الطب اوغيرها . ولا مندوحة لهم عن الاقامة هناك والتعرض لتلك الاخطار في المراقص والملاعب حيث يختلط الشبان بالشابات . فلا ينجو من ذلك الخطر الا قوي الارادة ثابت العزيمة . ولكن الانسان ضعيف ولاسيما الشاب القادم من بلاد لا يرى فيها المرأة الا محتجبة وهو في بلده بين اهله ومعارفه يمنعه الخجل من مخالطة غير المحتجبات . اما في باريس وكل شيء فيها مباح فانه يرى الشبان والشابات في الطرق ازواجاً (غير مطهرة) ذكراً وانثى بلا حرج ولا خجل يتداعبون ويتغازلون . ويجد من رفاقه من يغريه على الرذيلة ويحببها اليه باسم الحرية فاذا احجم عيره بالضعف . فهل يلام أولئك الشبان على السقوط ؟ وانما اللوم على الذين يرسلونهم الى تلك المدارس . واذا كان لا بدَّ للحكومة المصرية او الآباء من ارسال ابنائهم الى مدارس فرنسا فمن الخطأ ارسالهم الى باريس وتعريضهم لتلك الاخطار

على ان هذه الطبقة من النساء ليست كلها من اهل تلك العاصمة فان فيهن كثيرات من اهل الارياف الفرنساوية اومن خارج فرنسا . وبعضهن من روسيا والمانيا وغيرهما . ويندر بينهن القادمة الى باريس بقصد العهارة . وانما يفد اكثرهن اليها للارتزاق ببعض المهن فيتعرضن للوقوع في تلك النخاخ ويعينهن الفقر على الوقوع فيها . لان البائعة في مخزن واجرتها فرنكان او ثلاثة في اليوم تنفقها على الطعام واللباس والنام يقع نظرها كل يوم على عشرات من شبيهاتها في الخلقة او اقل منها جمالا وكل

الاكاذيمية العربية

او المجمع العلمي العربي

اقتراح على وزير المعارف

اللغة العربية

اللغة كائن حي خاضع لناموس النشوء والارتقاء تنمو بالدثور والتجدد والتحول والتولد على ما تقتضيه الاحوال الاجتماعية والعلمية والسياسية . واللغة العربية تاريخٌ يؤيد هذه الحقيقة . ولو توفرت لنا اسباب البحث لرأينا لكل لفظ تاريخاً مرَّ به في ادوار يسرٍ وعسر وتقلب بين السعادة والشقاء . وان الوفاً من الالفاظ ماتت واندثرت وقامت الوف اخرى مقامها . و يغلب ان يصيبها ذلك على اثر الانقلابات الاجتماعية أو العلمية أو غيرها فيصيب اللغة تغير يلائم احوال المتكلمين بها . واهم التغيرات التي اصابت لغتنا في عصر التاريخ وقع في صدر الاسـلام على اثر الانقلاب الديني بحدوث المعاني الدينية والاجتماعية . يليه تغـير رافق الانقلاب السياسي بانشاء الدولة الاسلامية والحضارة الاسلامية في انحاء العالم العربي . وتغير اقتضاه نقل العلوم من اللغات الاعجمية بمـا فيها من المصطلحات العلمية . غـير ما استلزمه اختلاط العرب بالامم الاخرى من اقتباس الالفاظ والمعاني مما يطول شرحه

وانما نريد الآن التغير الأخير الذي اقتضاه دخولنا في المدنية الحديثة اقتداءً بالافرنج . فنقلنا علومهم وفنونهم وقلدناهم في كثير من آدابهم الاجتماعية واحوالهم السياسية والادارية فاقتبسنا معاني كثيرة لا نعرف لها الفاظاً عربية تؤديها . فنهج كل كاتب منهجاً في النقل أو التعريب فاختار بعضنا للمعنى الحديث لفظاً يرى انه يؤدي الغرض المطلوب واختار غيره غيره . فاختلفت مختاراتنا وتضاربت حتى اصبح للمعنى الواحد عدة الفاظ على ما تراءى للناقلين . فبعضهم وضع لفظاً من عند نفسه والبعض الآخر استخرجه من كتب العرب القدماء ومنهم من استبقى اللفظ الاعجمي على حاله . فادى ذلك الى

الطبيعية في الشؤون العائلية . واما تكليفها باعمال الرجال فانه خارج عما خلقت له ـ الا اذا اضطرت اليه لاسباب قهرية . ولكننا نرى بعض كبار العلماء يجيزون لها كل عمل يعمله الرجل وان تتعاطى كل صناعة اومهنة لانها مساوية له . وبعضهم الف كتباً في هذا الموضوع خلاصتها ان المراة يجب ان تعمل كل اعمال الرجال من صناعة او علم او تجارة او زراعة بحجة تضاعف الثروة بتكاثر الايدي في العمل . وهو راي نظري لا ينطبق على حاجة المجتمع الانساني . اذا نزل الرجل والمراة الى السوق من يربي الاطفال ويدبرهم ويعنى باحوالهم ؟ فان قيل ان المراضع والخدم يفعلون ذلك قلنا ان الطفل لا تربيه الا امه . واذا فرضنا قيام الخدم مقامها فالنفقات التي يستلزمها استخدامهم تستغرق ما تكتسبه المراة بالعمل خارج بيتها

ومهما بلغ من ارتقاء الجنس البشري في الاكتشاف والاختراع فانه لا يقوى على قلب نظام الاجتماع — وهذا النظام يقضي على الام ان تربي طفلها بحيث لا يخرج من دائرة عنايتها . وان يكون هو اهم مشاغلها مع تدبير بيتها وليس ذلك بالشيء اليسير. ان القيام بشؤون العائلة لا يقلّ اهمية عن اعظم عمل من اعمال الرجال في التجارة او السياسة او الصناعة او غيرها

الخلاصة

في مدنية فرنسا وغيرها من مدنيات اوربا حسنات كثيرة يجب علينا اقتباسها والاستفادة منها . ولكن فيها سيئات يجب تجنبها والابتعاد عنها . فالحسنات التي يحسن بنا اقتباسها هي :

١ معرفة الواجب ٢ المحافظة على الوقت وصدق المواعيد

٣ تهذيب اخلاق العامة بالتربية الصحيحة

٤ تعليم المراة وتثقيفها

٥ ترقية التعليم والتوسع في الآداب ٦ العمل والجد

اما ما يجب علينا تجنبه من ادران تلك المدنية فاهمه :

١ الافراط في الحرية واستخدامها في غير موضعها

٢ ما يخالف الحشمة الشرقية . على ان نأخذ من العلم والتربية القدر الملائم لعاداتنا

٣ الفتور في الدين والمجاهرة بالكفر فانه من اسس ذلك الخراب

وسنتكلم عن متاحف فرنسا وآثارها في مايلي

الاصطلاح المصري	الاصطلاح السوري
خوخ	دراقن
عضو التأنيث	مدقة
برقوق	خوخ
طلع	بلن
توت ارضي	كبش القش
عرق الذهب	ابيكاك
القرنفل العطري	كبش قرنفل
ليفين نباتي	كاوتن
ومن المصطلحات الطبية	
التسمم الكحولي	هذيان السكارى
الذبان الهندي	الذراح
المنستر	الكستوريوم
منّ القيطس	من الغاطوس

الاصطلاح المصري	الاصطلاح السوري
هربس	قوبا
مدة التفريخ	مدة الحضانة
الم عصبي	نفرالجيا
نتانة الفم	بخر
فقاعة	مجل
التهاب رئوي	ذات الرئة
ضربة الشمس	رعن
ومن مصطلحات الطبيعيات وغيرها	
الجير	الكلس
القوة المركزية	قوة التباعد عن المركز
حلزوني	لولبي
عتلة	مخل
زيغان النور	استقطاب النور

وقس على ذلك سائر المصطلحات التي نقلوها يومئذٍ. ولا يخفى ما يترتب على هذا الاختلاف من الالتباس . واعتبر ذلك ايضاً في الالفاظ الادارية وفي جملتها مصطلحات الحكومة فان بين مصطلحات الحكومة المصرية والسورية بوناً عظيماً . وامرها مشهور لا يحتاج الى بيان . وهكذا يقال في العلوم الحادثة لهذا العهد وقد اخذ الكتاب في نقلها الى العربية كعلم الاقتصاد السياسي وعلم الاجتماع وعلم النفس (البسيكولوجيا) ونحوها . فهذه لا بد من اختلاف الناقلين في انتقاء الالفاظ المؤدية لتلك المعاني . وبعضها يحتاج الى اعمال الفكرة قبل تعريبه مثل قولهم من مصطلحات علم النفس Subconscious و Subjctive و Objective و Association وقولهم من اصطلاح علم الاجتماع Genetic و Telic و Institution و Régime

المصطلحات السياسية : وناهيك بالمصطلحات السياسية والصحافية التي كثيراً ما يلتبس فيها النقل لعدم الاتفاق على لفظ معين لها . فلم نتفق حتى الآن على لفظ يميز بين Conference و Congress وبين Entente و Alliance وبين Convention و Treaty وبين Souverain و Suzerain وبين Colonie و Dependance

فوضى الانشاء وتضليل القرآء واصبحت اللغة في حاجة الى من ينظر في امرها ويتلافى الخطر الذي يهددها . واليك امثلة من بواعث تلك الحاجة

الالفاظ العلمية : يدخل فيها مصطلحات العلوم الطبيعية وما تفرع منها على اختلاف مواضيعها مما حدث أو اتسع في هذا العصر كالطبيعيات والكيمياء والتاريخ الطبيعي والجيولوجيا والفيسيولوجيا . وعلوم النفس والاجتماع والاقتصاد السياسي والفلسفة الادبية والعقلية وغيرها . فان لكل من هذه العلوم مصطلحات لفظية لمعان حدثت في هذا العصر لم يكن العرب يعرفونها فلم يكن لها الفاظ في لسانهم . أو ربما كان لها الفاظ اهملت بتوالي الاجيال فلا نصل اليها الا بالبحث والتنقيب . وقد اشتغل المترجمون في النهضة الاولى على ايام محمد علي في التنقيب عنها فاستخرجوا كثيراً منها ادخلوه في مترجماتهم . وفعل مثل ذلك ايضاً المشتغلون بنقل هذه العلوم في المدرسة الكلية لاميركية في بيروت . ولكنهم اختلفوا في كثير من المصطلحات التي وضعوها للمعاني المتشابهة فاختار هؤلاء لفظاً لهذا المعنى واختار اولئك غيره وكلاهما اتصل اليه بالاجتهاد . فمن مصطلحات علم النبات مثلاً :

الاصطلاح المصري	الاصطلاح السوري	الاصطلاح المصري	الاصطلاح السوري
الفصيلة الخيمية	الصيوانية	الرقص السنجي	الخوريا
الغاب	القصب	حنف القدم	قدم فدعاء
توت	كبش	مغص معوي	قولنج
زر	برعم	الجسم المندمل	الجسم الصلب
عضو التذكير	السداة	عين السمكة	مسمار
الريشة	سويق الجنين	داء الحرقفة	مرض الورك
الشيكوريا	الهندباء	لحمين	كرياتين
جذر كروي	قرم	حمى الدنج	ابو الركب
لفافة طرفية	كويس	غروين	املسين
ذنيب	رجيلة أو زند	سيانوز	الزراق
خيط عضو التأنيث	قلم	بشرة مخاطية	ابثيليوم
الشوكران	الكونيوم	طفح جلدي	نفاط

الاقتراح

نقترح على سعادته انشاء مجمع علمي او اكاذيمية تتولى هذا الاصلاح وغيره مما يسهل عليه الطريق الذي يسعى فيه لاحياء الآداب العربية . كما فعلت الدول المتمدنة في اوربا منذ اجيال . ما من دولة متمدنة الا ولها اكاذيمية لهذا الغرض اشهرها الاكاذيمية الفرنساوية التي انشأها ريشليو وزير لويس الرابع عشر في القرن السابع عشر . والاكاذيمية الانكليزية نعني جمعية الآداب الملوكية انشأها الملك جورج الرابع سنة ١٨٢٥ وقد الفوا منها سنة ١٩١٠ لجنة سموها اللجنة الاكاذيمية على نسق الاكاذيمية الفرنساوية . الغرض منها النظر في ما تحتاج اليه اللغة الانكليزية وآدابها من الاصلاح في الانشاء والالفاظ والاخذ بناصر الادباء وتنشيطهم وتقدير الجوائز لمستحقي المكافأة منهم وغير ذلك . وهكذا يقال في سائر العالم المتمدن

فنقترح انشاء مجمع أو جمعية أو اكاذيمية الغرض منها اصلاح اللغة العربية وضبط ما دخلها أو يدخلها وما تولد أو يتولد فيها من الالفاظ الحديثة على شكل يعم استعماله في العالم العربي . لاننا نعلم بالاختبار الطويل ان كتاب اللغة العربية في انحاء العالم كله حتى في فارس والهند وغيرها يشعرون بهذه الحاجة . ولذلك فالذي نراه ان تتألف هذه الاكاذيمية من اهل الادب على اختلاف طبقاتهم . بحيث يكون فيها العالم اللغوي والكاتب الصحافي والباحث الطبيعي والطبيب والمؤرخ والشاعر وعارفو اللغات الشرقية وامهات اللغات الافرنجية ولا سيما اليونانية واللاتينية . وان يكون لهذه الجمعية اعضاء مراسلون في اطراف العالم العربي يشتركون في هذا العمل . فيعرضون ما يرون الحاجة ماسة الى اصلاحه أو ادخاله أو تعريبه من الالفاظ أو المعاني أو نحت الالفاظ الجديدة التي يصعب تصريفها مثل تلغراف وتلفون فتشتق لها افعالاً من لفظها يسهل استعمالها ونحو ذلك

والاكاذيمية تنظر في مايعرض عليها من الالفاظ او الاوضاع وتعين اللجان اللازمة لدرسها وتقريرها . ثم تعرض ذلك على الجمعية فما اقرت على استعماله بالاكثرية يعلن في الصحف ويدون في الكتب المدرسية بمصر . وينشر في سائر العالم العربي بواسطة الاعضاء المراسلين . ثم تشتغل بوضع معجم على النسق الحديث بحذف الالفاظ المهملة الضخمة التي حكم عليها ناموس الارتقاء بالدثور واضافة الالفاظ الجديدة من المعرب

المدارس فاكثر منها على يد وزيره علي باشا مبارك واتسعت دائرة العلوم والفنون . ثم افضت الولاية الى المغفور له توفيق باشا وفي ايامه حدثت الثورة العرابية التي افضت الى الاحتلال الانكليزي

الدور الثالث : يبدأ بالاحتلال وينتهي بوزارة حشمت باشا الوزير الحالي . وحدث في اثناء هذا الدور تغيرات هامة في التدريس وطرق التعليم اهمها ان التعليم تحول فيها من اللغة العربية الى اللغات الافرنجية الانكليزية أو الفرنساوية . وانصرفت العناية من التعليم العالي الى الابتدائي بانشاء الكتاتيب ونحوها . واقفلت الارساليات الى اوربا وابطل التعليم المجاني وقلت العناية بتعليم آداب اللغة العربية . فكان لذلك وقع سيء لدى الامة وارتفعت اصوات الجرائد والمجلات تطلب ملافاة ذلك . فاقترحت الجمعية العمومية على الحكومة سنة ١٩٠٧ ان تجعل تعليم العلوم في مدارسها باللغة العربية فاجابها ناظر المعارف يومئذ سعد باشا زغلول يعتذر بتعذر ذلك ويبين افضلية التعليم باللغات الاجنبية بالنظر الى حالة مصر . لكنهُ وعد ان يبذل جهده في اجابة طلبهم . وقد فعل لكنه لم يستطع شيئاً كثيراً

الدور الرابع : وهو الذي نحن فيه يبدأ باسناد هذه النظارة الى حشمت باشا . ويمتاز هذا الدور عما تقدمه بامور أهمها :

١ انهُ جعل التعليم في المدارس المصرية بالعربية في مدرسة الزراعة بالجيزة وفي مدرسة مشتهر المتوسطة التي انشأها . ومدرستي التجارة والمحاسبة . فضلاً عن المدارس الابتدائية والثانوية . فان التعليم فيها اصبح كلهُ في اللغة العربية

٢ انه اعاد قلم الترجمة لتعريب الكتب كما كان في زمن المغفور له محمد علي باشا وقد ترجم في السنتين الماضيتين ١٢ كتاباً في فنون مختلفة

٣ ادخل علوماً جديدة فنية تلائم حال الجمهور من حيث اعمالهم اليومية وارتزاقهم ومن حيث ترقية اخلاقهم وآدابهم

٤ اخذ في احياء آداب اللغة العربية . وهذا لم يتصدَّ لهُ وزير قبله فقرر طبع بعض الكتب العربية النادرة واخذ في اصلاح المكتبة الخديوية . وكثيراً ما سمعناه يشكو من حال اللغة العربية واحتياجها الى الاصلاح أو الضبط ولذلك تجاسرنا على عرض هذا الاقتراح عليه

نفسي فانا اقص لك كل ما تريد ان تعرفه عن نفسك

كلانا ابناء هذه الارض ايها البدر ويلذ لي ان احادثك كما يحادث الاخ اخاه فاسمع لاشرح لك حقائق يثبتها العلم ويؤيدها البرهان

كان دوران الارض منذ ملايين من السنين اسرع مما هو الآن . فاستطال جانب منها بقوة التباعد عن المركز وانفصل عنها ومساحته خمسة الاف مليون ميل مكعب قذف به الى الفضاء فاخذ يدور حول أمه . واذا شئت ان تدعم الحقيقة بالبرهان فانظر الى مايسمونه الاقيانوس الباسيفكي . واعلم ان ذلك الفراغ الهائل كان مهداً لذلك الابن المنفصل

مرت القرون الطوال واجتازت الارض من عصر الى عصر وطرأت عليها تغييرات ادّت الى تكون جرثومة الحياة بها فنشأت تلك الجرثومة درجات متفاوتة حتى كان منها حيوان تفوّق على سواه بالادراك دعي الانسان

ونقل الينا التاريخ انهُ وجد اولاً في بقاع جميلة مخصبة اسمها بلاد الكلدانيين . وكان هؤلاء اول من رفعوا ابصارهم الى السماء ليبحثوا عما فوق فادهشهم بهاء طلعتك وجمال شعاعك وكنت يومئذ كما انت الان غزالاً تائهاً في فضاء هذا الكون فلم يملكوا انفسهم عن ان يسجدوا امام عظمتك واتخذوك الهاً . وكانت تلك الاجيال عصرك الذهبي اذ كان البشر يخافونك ويقدمون لك الذبائح ويبنون لك الهياكل يمجدون بها قوتك المجهولة . فجرهم ذلك الى عبادة الاجرام السماوية وانت في مقدمتها

وما زال الفلاسفة يخبطون فيك خبط عشواء الى اواخر القرن السادس عشر اذ قام في ارض الرومانيين شيخ اسمه غاليلو فكان اول من ادار تلسكوباً اليك . واخبرنا حقيقة علمية عنك ففضح امرك من ذلك الحين وانكشفت حقيقتك وتغير نظر الناس فيك

ان ذلك الجانب الذي انفصل عن الارض ليعيش مستقلاً عنها هو انت ايها البدر وقد يسمونك بدراً لمبادرتك الشمس بالطلوع كانك تتعجل المغيب لتظهر للعالم بهاءك . فاذا اشرقت عند مغيبها كنت بدراً وسموا ما يظهر مضيئاً منك لاول ليلة هلالاً . وقد علمنا الآن ان البعد فقط هو الذي يرينا اياك جميلاً باهراً

انك على مئتي الف ميل منا ايها القمر ومع ذلك فنحن نعرف عنك اكثر مما نعرف عن اواسط افريقيا مع قربها منا . نعرف كل تغيير يطرا عليك ونقيس علو جبالك وانخفاض وهادك ونتفحص سهولك الفسيحة فنجدها مجدبة لا ماء فيها .

او المنقول او المنحوت او المولَّد مما تكون الجمعية قد قررته . وترجع في مواد القاموس الى اصولها التحليلية فتبين اصل كل مادة من اي لغة هو . وتتسع اعمال هذه الاكاذيمية مع الزمان بحيث يكون لها ما للاكاذيميات الافرنجية من تقرير الجوائز المالية او الفخرية او الاخذ بناصر الادباء في نشر آثارهم او غير ذلك مما لا يمكن تعيينه الآن . اذ من العبث ان نطيل الكلام في موضوع لا يزال في حيز الفكر . فاذا حاز هذا الاقتراح قبولاً عدنا اليه وتوسعنا في درسهِ . ويحسن بالادباء الخوض فيهِ لاستجلائهِ بالبحث والمناقشة والله ولي الامر

حديث مع القمر

او نظرة في الوجود

النور المالئ الفضاء يدفع الفكر البشري الى فوق . والسكون السائد على صفاء الطبيعة يخدّر الجسم فتنطلق الروح من سجنها المادي الى موطنها الحقيقي

تركت الوادي وتسلقت الاكمة لارى تبدد الغيوم امام هبوب النسيم وكيف يتجلى الجمال الطبيعي بعد هدوّ العاصفة

وما عسى ان يجذب الفكر في سكون الليل سوى ملك الليل . اليس مسير هذا البدر في هذا الفضاء يدعو الانسان الى الفكر ؟ هذه ملايين من السنين مرَّت ولا نزال نشاهد ما شاهده ابناء القرون الخالية وسيشاهده بعدنا ابناء القرون الآتية ويتساءلون عما نتساءل . اما الحقيقة فواحدة نجهلها وسيجهلونها لان البشر بشرٌ والالهة التي تعرف الحقيقة ذهبت ولن تعود

اجل يا بدر — ان جمال محياك لا يسمح لافكاري ان تبتعد عنك فهل لك ان تكون محدثي الليلة وتسرّا لي شيئاً جديداً ؟ انت الموحي لمخيلة الشعراء بنات الافكار والفاتح لقريحة المفكرين ابواب التأمل والبحث — لا اعلم . اتحسب طلبي جنوناً لاني مخلوق ضعيف يدبُّ على وجه هذه الارض الواسعة التي تسلطتَّ على ابنائها اجيالاً طويلة فكانوا لك عبيداً وكنت لهم إلهاً ؟ فاذا عجزت عن ان تعرّفني حقيقة

يا ايها القمر الباهي بطلعته هل انت نور الدجى المدعو بالقمر

وكان يلوم نفسه على هذا الاستفهام الانكاري فيستدرك قائلاً :

ام انت نور محياها قد انعكست انواره فبدت للعين كالبصر

وقفت وقفة الخشوع اراعي شعور تلك النفس التي آلمها الحب . وتحولت الى الجهة الاخرى وانا اشعر بتأثير ذلك الهدو والسكون فوجدت فتى مستلقياً على ظهره ينظر اليك ويحدق النظر فيك ولم ادر ما كان يجول في خاطره لكني سمعته ينشد :

استر جمالك عنا ايها القمر فما القلوب حديد لا ولا حجر

فنظرت اليك فاذا انت سائر بين طغمات من النجوم لا تحصى كقائد يستعرض جيوشه لا يبالي بتأوهات هؤلاء البشر . ورأيتك تحيط بك غمامتان صغيرتان فتخرج من بينهما كانك برغم حركته حرارة الشمس فاراد البروز من بين الاوراق . وشاهدت غيمة اخرى كانها خافت على وجهك الجميل ان تخدشه انظار الناس فترامت عليك وجعلت نفسها حجاباً لك . ولا عجب فان التحجب من شأن البدور

عدت الى نفسي ايها البدر وجلست كاني احد أولئك العشاق اتأمل وافكر فقلت في نفسي مساكين هؤلاء الشعراء انهم اهل خيال يتصورون الوهم حقيقة . كيف تكون حالتهم لو عرفوا ان البدر الذي يحبونه ويعبدونه ويجلسون الساعات الطوال امامه يتغزلون ببهاء طلعته ويشبهون وجهه بوجه من يحبون انما هو ارض جافة وجبال قاحلة لا تنبت عشباً ولا يجري فيها ماء ؟ لكن هؤلاء يجدون سعادة الا باوهامهم وهم مسرورون باعتقاداتهم وان كانت خطأ . وحرام علينا ان نشوش عليهم تلك الاعتقادات والاوهام . يكفي انهم عائشون براحة بال وهدو ضمير . اما نحن التعساء الذين لاح لنا بارق من نور الحقيقة فقد اصبحنا نكره الاوهام لانها لا تطابق عقولنا وبتنا لا نجد سعادة الا في البحث عن الحقيقة ومعرفتها . وخير للمرء ان تكون له بساطة هؤلاء العامة وافكارهم . ان ذلك ادعى الى سعادته من ان يعرف حقائق علمية تزيد في اسباب شقائه

ان هذا الكائن الضعيف الذي تراه يدب على وجه هذه البسيطة لا يزال منذ البدء يفتش عن الحقيقة . لكن ما الذي استطاعه بعد طول البحث ؟ اصغ قليلاً ايها البدر فاحدثك عن هذا الكائن واشرح لك ما اعرفه عن حقائقه

ليست الاكتشافات التي يعثر عليها كل يوم الا معرفة بسيطة تزيد طمعه بحب الدنيا . والعالم لا يصل الى كماله بشخص الانسان . ولو امكن ذلك لوصل على عهد افلاطون

وقد رأينا رسمك مصوراً بالسينوغراف . ولايمرُّ يوم لانراك فيه مرسوماً على صفحات المجلات التي يلذها البحث عنك . فاذا انت ايها البدر اكلف الوجه كثير الحزون والاخاديد . ليس فيك مايقرّ العين او يشرح الصدر. ما انت الا براكين فاغرة افواهها لتقذف ناراً وكبريتاً

وما اطول ايامك ان يومك كاربعة عشر يوماً من ايامنا هل يسكنك اناس مثلنا؟ من يدري ؟ قد يكون عندك احياء على ادنى الصور والاشكال . وقد تمكن علماء الفلك في هذه الايام الاخيرة من مشاهدة نقط بيضاء عند قطبيك تظهر شتاء وتختفي صيفاً يظنونها ثلجاً . وقد عرف الناس ايام خسوفك من عهد بعيد وهم يتنبئون بها قبل حدوثها . وكانت العامة تظن احمرارك وقت خسوفك دليلاً على خجلك لكنهم عرفوا اليوم انه ناتج عن نورالشمس المار في هواء الارض فينكسر ويصلك بعضه فينيرك بهذا اللون الاحمر

انت تدور حول الارض كما تدور هي حول الشمس فقل لي ايها البدر. الك علاقة بما يطرأ على ارضنا من المد والجزر وتقلبات الهواء ؟ ان كثيرين لا يزالون ينسبون اليك هذه التغييرات . اما العلم الحديث فقد دعانا الى الشك في اكثرها . ان ايام نقصك اكثر من ايام كمالك وهذا دليل واضح على ان الكمال لا يأخذ مجراه الطبيعي مطلقاً

لكن ما لنا ولهذا الحديث ايها البدر . انه حقيقة والحقيقة تؤلم ونحن نتألم منه كل ما يؤلم . فدعني أروي لك شيئاً من آراء العامة فيك . فتشت في خرافات الشرقيين القدماء لعلمي انهم لم يتركوا شيئاً لم يعرفوه فوجدت عجوزاً حنكها الدهر فسألتها ما هذا البدر يا خالتاه ؟ فقالت هو غلام شرير عصى أمه فلعنته ودعت عليه بالتيه كما فعل الله ببني اسرائيل فهو لايزال تائهاً . قلت وما هذه النجمة الصغيرة التي لاتفارقه كيفما توجه نراها مسرعة وراءه ؟ قالت اعلم يا بني ان لكل كائن في الوجود نجماً يحرسه — هكذا كان الاسكندر ونابوليوس قيصر ونبولون ولم يسقطوا من سماء مجدهم حتى افل نجم سعدهم فكانت نهاية الامر بهم

فعدت الى الطبيعة ايها البدر فتركت المجتمع وانفردت بنفسي بعيداً عن الناس وانت تجلى بعظمتك فوق البساتين والمروج الخضراء فكدت اسجد امام ذلك المنظر المهيب لو لم يستوقفني صوت تقطعه الزفرات . فالتفت فابصرت تائهاً من بني الانسان اسند ذراعه الى جذع شجرة وهو ينظر اليك بنفس حزينة وفؤاد كانه يشاهد فيك رسم الذي يهوى فيخاطبك قائلاً :

يركضون منهمكين باشغالهم واموالهم. ان اعمالهم تأكلهم قبل ان يأكلوا ثمار اعمالهم. فتراهم يزاحمون طيور السماء ويرفعون ابنيتهم في الجو وقد ملأُوا الفضاء عمراناً حتى حجبوك ايها القمر عن ابصار العباد. واستعاضوا عن نورك الجميل بانوار الغاز والكهرباء. ان كثيرين في هذه المدن المزدحمة بالسكان لا يعرفون ما هو القمر ولا يبالون به وقد يموتون ولا يبصرونه مرة في حياتهم انهم يبتعدون عن الطبيعة فيقتلون جمال النفس وهو اسمى الظواهر البشرية

ولم يكفهم الفضاء فنزلوا جوف الارض يسكنونه واقلقوا راحة الهوام والديدان. انهم يجربون سكنى القبور وهم احياء. وقد تفننوا في امور معيشتهم الى حدٍّ غريب اما انا فقد سئمت هذه الحياة فخذني اليك لاسكن في كهوف جبالك واعيش بعيداً عن هذا العالم. لعلي احوّل تربتك الجافة بقوة النشاط والاجتهاد الى ارض مخصبة جميلة

هناك حيث تتلطف قوة الجاذبية يمكنني ان اطير واطوف في فضائك الهادي بكل راحة بال وهدو ضمير لا يؤلمني الماضي ولا يخيفني المستقبل. ومتى حان اجلي اضمّ نفسي الى ذرات تربتك والتحفك الى الابد

نعم ايها البدر — ليت لي احلام الشعراء الذهبية فاصوغ من شعاعك سلماً ارتقي به اليك واجعلك ارضاً جديدة لآدم جديد

(نيويورك) توفيق مفرّج

المرأة الاميركية

وترقية الهيئة الاجتماعية

اصبح للمرأة الافرنجية شأن كبير في اصلاح الهيئة الاجتماعية وترقيتها المادية والادبية. فاخذت تتعاطى شؤون الرجال واوشكت ان تسبقهم في بعضها. وربما امتازت المرأة الاميركية بنشاطها وتفرغها لذلك العمل السامي. فقد انشأت ستة آلاف نادٍ في العالم الجديد تحتوي على مليون عضو والغاية من تلك الاندية ترقية الأمة على العموم بتحسين الصحة العمومية وتربية الاطفال على الطرق الهيجينية وتنظيف الشوارع ومحلات بيع البقول واللحم وانشاء المكاتب والمدارس وغيره

تأسست تلك الاندية منذ بضع وعشرين سنة فقط لكنها اتت بفوائد تستغرق اضعاف هذه المدة. التفت الاعضاء اولاً الى الصحة العمومية فاهتممن بتنظيف

وارسطو ومن تقدمهما . اي كمال على وجه هذه البسيطة وهي ذرة سابحة في الفضاء ؛ لنفرض انا انتقلنا بقوة الاختراعات الحديثة الى كرة اخرى صغيرة من كرات هـذا الكون . الا نرى ارضنا هذه حقيرة ؟ ان الحقيقة موجودة ولا يمكننا ان نتثبت من وجودها . نحن تنظر الى عقائد الاولين ونعدها خرافات ومن يعلم كيف ينظر ابناء القرن الثلاثين الى ما نسميه حقائق . ايها البدر — ان علة العلل هي عقدة العقد . وبعد ان يجاهد الانسان طويلاً في سبيلها يعتل ويموت معترفاً ان الله اقدم الكائنات وليس له ابتداء

اعد نظرك على القرون التي مرَّ بها الانسان تجد البحث عن حقيقة الحياة فكراً شاغلاً كل عقل وهذا الفكر لايزال في نظراهل القرن العشرين كما كان في نظر اهل القرن الاول — لان في حياة الانسان قوة يجهلها الانسان تفعل كما تشاء وستكون هذه القوة آخر ما يكتشفه الانسان بل هي مجموع كل القوى البشرية ومتى عرف كل القوى فقد وصل الى معرفة تلك القوة

صحيح ان الله لم يوجد شيئاً الا ,واوجد عقولاً تدركه . لكن ملايين من السنين سترحف على ارضنا قبل ان توجد تلك العقول . ان شعب اليوم لا يزال كما قال نيوتن عن نفسه « يجمع حصى عن الشاطئ » والطبيعة كما قال سنيكا « لا تكشف اسرارها دفعة واحدة »

فحبذا ايها البدر لو امكن ان تنتشر الحقيقة في هذا العالم المظلم انتشار شعاعك في هذا الفضاء الواسع . لكن هذه احلام نتسلى بها مع مرور الاجيال . ولا تغرك مسحة هذه المدنية الجديدة انما هي قشور خارجية حكها قليلاً فيظهر لك الجوهر المخيف يرتفع الانسان بعقله وعلومه ومعارفه وما هي الا لحظة حتى يسقط الى اسفل السافلين . بكرت بالامس مبتعداً عن المجتمع الانساني وقعدت بين يدي البحر لاتمتع بمناظر الطبيعة فوجدت نسراً يحلق في الفضاء ويبسط جناحيه فوق السهول والمروج الخضراء فحسدته وقلت هنيئاً لهذا الطائر . ان جمال الطبيعة الرائق تحت قدميه ولا شك انه يفتش عن نقطة جميلة يهبط اليها . ولكن عجبي كان شديداً ايها البدر لما رأيت ذلك الطائر هبط الى اسفل الوادي يطلب جثة منتنة

هذه هي حالنا ايها البدر . ومع ذلك فلا انكر عليك ان القرن العشرين بهجة القرون تقدم به العالم تقدماً باهراً وعمرت به الارض حتى اصبحت جنةً غناء . لكن ذلك لم يكن الا ليبعدنا عن الحقيقة فيجعل العالم عالماً ماديا محضاً . فترى هؤلاء الناس

باب السؤال والاقتراح

فساد الهواء ببقايا الاموات

﴿ النجف في العراق ﴾ السيد هبة الله الشهرستاني

اذا تعفنت جثة الميت هل يضرّ تعفنها بصحة المجاورين لها . واذا كثر نقل عظام الاموات وجثثهم البالية الى بلد بدون اجراء التطهيرات اللازمة بمضادات الفساد هل يضر ذلك بصحة اهل ذلك البلد . واذا نبشت قبور الموتى وفيها جثث بالية هل يفسد نبشها الهواء المجاور ويضر بالصحة العمومية ؟

﴿ الهلال ﴾ لاخلاف في ان كل ما يفسد الهواء من العفونات يضرّ في ابدان الذين يستنشقونه . والجثث البالية يتصاعد عنها غازات كثيرة بعضها شديد الضرر ولذلك اتفق الناس من قديم الزمان ان يبتنوا المدافن خارج المدن . كذلك فعل اليهود واليونان والرومان قبل الميلاد المسيحي . وهذا هو شأن الدول المتمدنة اليوم . اما رفات الاموات من عظام واتربة بعد بلاء اللحم تقلّ المواد الضارة فيها ويكفي لتطهيرها قبل نقلها ان تعرض لحرارة للشمس مدة . ولا يخفى ان المواد المتولدة عن انحلال الجثث بعضها غاز يتصاعد فيعرف وجوده من رائحته والبعض الاخر جامد يختلط بالاتربة . فاذا نبش قبر ولم تتصاعد عنه روائح كريهة لا يدلّ ذلك على خلوه من المواد الضارة اذ قد يكون منها جانب في التراب لا رائحة له فيجب الانتباه عند النقل ان يغسل الفعلة ايديهم جيداً . وبعد نقل الرفات يحكم قفلها في المدفن الجديد

تفاهم الملوك

﴿ دنبري . اميركا ﴾ شكري افندي جرجس مسعود الارصوني

اذا اتفقت ثلاث دول او اكثر على معاهدة عقدتها بينها فبأي لغة من لغاتها تكتب ام تكتب لكل امة بلغتها. واذا اجتمع ملكان فاكثر من امم مختلفة فبأي لغة يتفاهمون

الشوارع ونشرن عدة مقالات في هذا الموضوع يحرضن فيها البلدية على كنس الشوارع ورشها وقد عينت للاندية عمالاً على نفقاتها لتنظيف الاماكن المهملة والزوايا القذرة . وغرست الوفاً من الاشجار لتظليل الشوارع وخصصت مئات من الافدنة لانشاء الحدائق العمومية على نفقاتها . ولها بساتين كثيرة لغرس الازهار وتفريقها على المستشفيات

وفي سولتايك نادٍ اهتم في تحسين اماكن بيع البقول واللحوم واللبن ونشر النصائح في هذا السبيل فكان يطبع المنشورات ويفرقها على الجزارين والبقالين يحضهم فيها على اتخاذ الوسائط اللازمة لمنع الذباب والنحل من الوصول الى المأكولات . وتغطية اللحم واللبن باوعية زجاجية . وتبرعت احدى الاعضاء بالمساعدة المادية لذلك العمل

وفي بلدة سنت لويس معامل كثيرة يتصاعد منها الدخان على الدوام فيوسخ اثاث المنازل والالبسة فاجتمع نادي السيدات هناك وعين بعض الرجال لتوزيع المنشورات على المعامل بعد ان جاهدن في اقناع نظارة الاشغال على موافقتهن . وقد نجحن في هذا العمل وارحنا ربات المنازل من اضرار الدخان

ولهذه الاندية مساع اخرى في سبيل التمدن منها تشييد مدارس لتعليم التمريض ومجتمعات للنساء الفلاحات واولادهن وترقية محلات بيع الخضار واتخاذ المدارس وسيلة لاجتماع الاهلين وتأسيس الاندية وانشاء صناديق التوفير لاولاد المدارس

ومن اهم آثار هذه الاندية في تحسين الصحة العامة محاربتها داء السل فقد بذلت جهدها في الاعتناء بصحة الاولاد وفحصهم الطبي كل بضعة اسابيع وتغذيتهم باطعمة نظيفة وتهوية غرف المدارس وتعويد الاهالي الطرق الهيجينية في معيشتهم بكتابة المقالات في هذا المعنى وتحريض الاطباء على القاء خطب عمومية في حفظ الصحة

واما المدارس والمكاتب فلتلك الاندية فضل عظيم عليها لانها خصصت قسماً كبيراً من الوقت للاعتناء بالتعليم . وعينت بعضاً من الاعضاء لتفتيش المدارس كل يوم وفحص التلاميذ واعطاء التعليمات اللازمة لتحسين التدريس . منها نادٍ في نيومكسيكو انشأ مكتبة تقدر بعشرة آلاف ريال فيها اربعة آلاف كتاب . وانشأ في اماكن اخرى مكاتب فيها محل للاجتماع وآخر للعب الاطفال

ولهذه الاندية فوائد اخرى يرجى منها خير كثير في المستقبل قياساً على ما اتته في المدة الماضية من انشائها

دَين روسيا على الدولة العثمانية

﴿ مناوس . البرازيل ﴾ قسطنطين افندي حبيب
كم هو مقدار الدين الباقي لدولة الروس على الدولة العلية من اصل الغرامة الحربية
﴿ الهلال ﴾ كان الباقي من هذه الغرامة سنة ١٨٩٨ مبلغ ٢٤٥١٣٠٠٠ ليرة عثمانية على ان يدفع منها في ١٤ يناير من كل سنة قسط قيمته ٣٥٠٠٠٠ ليرة فالاقساط المدفوعة من تلك السنة الى اليوم ٢٤ قسطاً في ٣٥٠٠٠٠ الجملة ٨٤٠٠٠٠٠ ليرة . فيكون الباقي على الدولة العلية من تلك الغرامة نحو ١٦٠٠٠٠٠٠ ليرة عثمانية

هل بالطلول

﴿ زحلة . لبنان ﴾ جميل افندي فريجة
من هو ناظم القصيدة المشهورة باليتيمة التي مطلعها :

هل بالطلول لسائل ردُّ ام هل لهـا بتكلمٍ عهدُ
درس الجديد جديد معهدها فكأنما هي ريطة جرد

﴿ الهلال ﴾ لم نقف على اسمه ولكن يظهر من قصيدته انه من تهامة يدل على ذلك قوله :

ان تتهمي فتهـامة وطني او تنجدي ان الهوى نجد

وقد نشرنا هذه القصيدة وسبب نظمها في الهلال صفحة ١٧٤ سنة ١٤

معاهدة الصلح

بين الدولة العلية وايطاليا

التي امضيت في اوشي

المادة الاولى — تتعهد الحكومتان بانهما على اثر توقيع هذا العهد تتخذان في وقت واحد التدابير اللازمة لمنع الحرب وترسلان مندوبين الى محل القتال للتثبت من تنفيذ تلك التدابير

المادة الثانية — تتعهد الحكومتان بان تصدر على اثر توقيع هذا العهد اوامرهما الى ضباطهما وجنودهما وموظفيهما الملكيين بالرجوع فالحكومة العثمانية تأمر الضباط

﴿ الهلال ﴾ المعاهدة المعقودة بين عدة دول يجب ان تكتب بلغة يتفق عليها الجميع تضبط بها مواد المعاهدة وتحرر الفاظها بحيث لا يخشى وقوع الالتباس اذا كتبت في لغات مختلفة. وبعد ضبطها تترجمها كل دولة الى لغتها . واللغة المتفق عليها في المسائل الدولية المشتركة اللغة الفرنساوية فهي لغة اوربا الرسمية في مثل هذه الحال . اما الملوك اذا اجتمعوا فاذا لم يكن بينهم من يفهم لغة اصحابه تفاهموا بالفرنساوية . واذا كان بينهم من لا يفهمها اضطروا الى استخدام المترجمين

العدوى

﴿ مصر ﴾ محمود افندي عبد الكريم

لايخفى ان الامراض الوبائية كالطاعون ونحوه تنتقل عدواها بواسطة الميكروبات بسبب المخالطة . ولكن المريض الواحد قد يخالطه عشرة فلا يصاب بالعدوى منهم الا واحد فما هو سبب ذلك

﴿ الهلال ﴾ لو كان سبب العدوى قاصراً على وجود الميكروب لما بقي حيٌّ على وجه الارض لان الهواء مملوء بالجراثيم المرضية القتالة . واكثر المياه غير المرشحة مملوءة بالميكروب وغيره من السموم المرضية . ولكن العدوى لا تحدث بمجرد وجود الميكروبات بل يشترط وجود الاستعداد للمرض في اجسام الذين يتعرضون لتلك الميكروبات . وهذا الاستعداد يختلف درجة ونوعاً : فبعض الناس فيهم استعداد لمرض يصابون به حالما يتعرضون لميكروبه وآخرون فيهم مناعة لمرض لايصابون به ولو تناولوا ميكروبه شرباً . وهذا لا سبيل الى معرفة وجوده في الاشخاص الا بعد التجربة . واما القاعدة العمومية في دفع العدوى فهي حفظ الصحة العمومية سليمة . لان انحطاط القوى الحيوية على العموم وضعف الجهاز الهضمي او التنفسي على الخصوص يجعل البدن مستعدًّا لقبول العدوى ببعض الامراض . فالوسيلة لدفع ذلك الاستعداد ان تحفظ جسمك بعيداً عن الانحرافات العضوية او انحطاط القوى الحيوية . ولايكون ذلك الا بالاعتدال في طرق المعيشة من حيث الطعام والشراب والرياضة والنوم فلا تسهر كثيراً ولا تحمل معدتك فوق طاقتها ولا تفرط في شيء فلا يضرك الميكروب اذا تعرضت له

الحكومة العثمانية من الدول الغاء الامتيازات في بلادها واتباع الطريقة الدولية في ذلك

المادة التاسعة — تعيد الحكومة العثمانيـة جميع الايطاليين الذين قضت ظروف الحرب باخراجهم من وظائفهم وتدفع اليهم رواتب المدة التي انقطعوا فيها عن الشغل ولا ينال الضرر احداً من الذين يحق لهم معاش التقاعد بسبب ذاك الانقطاع . وتستخدم الحكومة العثمانية من جهة اخرى نفوذها لدى مصلحة الديون العمومية والبنوك والشركات والسكك الحديدية وغيرها من المعاهد التي يؤثر فيهـا نفوذها ، لتحملها على معاملة الموظفين الايطاليين بمثل معاملاتها لهم

المادة العاشرة — تتعهد الحكومة الايطالية بأن تدفع كل عام الى مصلحة صندوق الديون العمومية لحساب الحكومة العثمانية مبلغاً من المال يساوي متوسط مادفعته اليه ولايتان في كل سنة من السنوات الثلاث التي تقدمت الحرب . ويتفق مندوب عثماني ومندوب ايطالي على هذا المبلغ الذي يجب دفعه . واذا وقع خلاف في هـذا الشأن يحال على لجنة تحكيم يرأسها محكم اول يرجح الاصوات واذا بقي الاتفاق مع ذلك غير ممكن يعين كل فريق من المتعاهدين دولة والدولتان المعينتان تختاران الحكم المرجح للاصوات ويحق لمصلحة الديون العمومية ان تطلب ابدال القسط السنوي المذكور بمبلغ موحد يؤخذ عنه فائدة ٤ في المئة . وتقبل الحكومة الايطالية ان لا تكون قيمة القسط السنوي اقل من مليوني فرنك

المادة الحادية عشر — ينفذ هذا العقد منذ التوقيع عليه (الجريدة)

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال : العدد ٢ من سنة ١٣ و ١ من سنة ٢ و ٣ من سنة ١٥ و ١ و ٢ و ٦ من ١٦ و ١ و ٨ و ٩ من سنة ١٧ و ١ و ٢ و ٣ من سنة ١٨ و ١ و ٢ و ٧ من سنة ١٩ و ٤ من سنة ٢٠ فمن كانت لديه هذه الاعداد او بعضهـا يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٣

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٣ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

والجنود والموظفين العثمانيين في طرابلس و بنغازي بان يبرحوهما والحكومة الايطالية تأمر الذين في الجزر من جنودها وموظفيها بان يعودوا منها ولكن عودتهم من تلك الجزر لا تكون الا بعد ان يبرح الضباط والجنود والموظفون العثمانيون طرابلس وبنغازي

المادة الثالثة — يتبادل الفريقان الرهائن والاسرى في اقرب ما يمكن من الوقت

المادة الرابعة — تتعهد الحكومة الايطالية بان تصدر العفو التام عن جميع أهالي طرابلس وبنغازي . وتتعهد الحكومة العثمانية بان تعفو عن اهالي الجزر الذين قاتلوا مع الايطاليين أو وقعت عليهم شبهة في ممالاة ايطاليا . وانما يستثنى من العفو اصحاب الجرائم المرتكبة ضد الحقوق العمومية . وبناءً عليه لا يجوز ان يحاكم احد من اية طبقة كانت او ان يصادر في شخصه او املاكه او حقوقه بسبب ما قام به من اعمال سياسية او حربية او ما ابداه من الآراء في مدة الحرب وجميع الذين سجنوا او نفوا لشيء من ذلك تطلق حريتهم بلا تأخر

المادة الخامسة — ان جميع المعاهدات والاتفاقات من اي نوع او شكل سواء كانت قد عقدت او كانت جارية واوقفت تعود كما كانت قبل الحرب ويعود مركز الحكومتين بعضهما ازاء بعض ومركز جميع رعاياهما كما كان ايضاً

المادة السادسة — تتعهد ايطاليا بانها تقبل عقد معاهدة مبنية على اساس الحق الاوربي العام اي انها تقبل ان تدع لتركيا كل استقلالها الاقتصادي فتتصرف من الوجهة التجارية والجمركية كما تفعل الدول الاوربية بدون ان تكون مقيدة بالامتيازات القنصلية او غيرها مما هو نافذ في هذا الوقت . على ان مثل هذه المعاهدة لا تعقد بين ايطاليا وتركيا الا بعد ان يعقد مثلها بين الثانية والدول الاخرى

وتتعهد ايطاليا فوق ما تقدم بأن تقبل زيادة الرسوم في الجمارك العثمانية الى ١٥ في المئة من قيمة البضاعة وتقبل ايضاً احتكارات جديدة وزيادات على رسوم البترول وورق السيجاره والثقاب (عود الكبريت) والكحول وورق اللعب بشرط ان تعامل بضائع الدول الاخرى بمثل هـذه المعاملة فيما يتعلق بالاحتكار . على انه يلزم ادارة الاحتكار في تركيا ان تستورد بضائع ايطالية بشرط ان يكون ثمنها موافقاً لحالة السوق في وقت الشراء

المادة السابعة — تتعهد الحكومة الايطالية بان تلغي بوسطاتها في البلاد العثمانية حينما تلغي الدول الاخرى التي لها مكاتب بريد بوسطاتها ايضاً

المادة الثامنة — تتعهد ايطاليا منذ الان بانها توافق وتؤيد تركيا حين تطلب

﴿ السفن البخارية ﴾ منذ مئة سنة انزلت اول باخرة في الماء وكانوا سموها « كومت » وكانوا يولدون البخار باشعال الفحم واليوم بعد استخدام الفحم قرناً يخشى ان يترك . اذ بدأوا يستخدمون الزيوت بدلا منه وفي نيــة المانيا ان تبني طراداً حموله ٥٠٠ ٥ طن يدار بالبترول ولا شك ان الزيت اسهل حملاً واقل قذارة من الفحم

﴿ تقدم الطيران ﴾ منذ ست سنين فقط اجتاز الطائر سانتوس ديمون بطيارته مسافة ٢٢٠ متراً . فكانت هذه ابعد مسافة قطعها طيار دفعة واحدة . ومنذ اربع سنين كانت اكبر مسافة ١٠٠ كيلومتر . قابل هذين العددين بالمسافة التي اجتازها الطيار فورني في الحادي عشر من سبتمبر المــاضي وهي ١٠١٠ كيلومترات . قطعها دفعة واحدة في يوم واحد بمعدل ٨٠ كيلومتراً في الساعة وهي نحو المسافة بين باريس وفينا . وانظر ما اسرع تقدم هذا الفن

﴿ سفينة قاعها شفاف ﴾ بنت احدى شركات الملاحة الاميركية سفينة للنزهة على شواطئ كليفورنيا وجعلت قاعها من زجاج ليتمكن الركاب من مشاهدة الكائنات الحية التي تعيش في البحر من حيوان ونبات . وسمك الزجاج سنتيمتران ونصف

﴿ اللبن الاصطناعي ﴾ في الثاني عشر من الشهر الماضي اجتمع بعض علماء الانكليز وفي جملتهم السر وليم كروكس لفحص لبن اصطناعي عمل في المانيا وارسل في زجاجات مختومة الى لندن . وقد ذاقوه فوجدوه لذيذ الطعم لا يختلف عن اللبن الطبيعي — بل هو انظف منه واسهل للحفظ

﴿ اذابة القطب الشمالي ﴾ وضع مهندس اميركي مشروعاً يغير وجه الارض لانه اذا صح حوّل القطب الشمالي وما يحيط به من الارض الى مزارع وحدائق . وذلك انه اشار ببناء سد شرقي نيوفوندلاند باميركا طوله ٣٢٢ كيلومتراً ليمنع امتزاج التيار الآتي من بحر المكسيك (جولف ستريم) بالتيار القطبي البارد . فالسد يحول مجرى هذا البحر ويجعل له مجالاً للتعمق فيتمكن التيار الحار من المرور فوقه بدون ان تنقص حرارته وهي كافية لاذابة مليوني طن من الثلج في الثانية . فاذا وصل القطب الشمالي اذاب ثلوجه وأمنا من امثال فاجعة التيتانيك . واذابة الثلوج القطبية تفقد الكرة الارضية توازنها فينتقل مركز القطب من مكانه الحالي

قواعد تقويمية

تتمة القاعدة الثانية التقويمية في الصفحة ٥٣ من الهلال الماضي تركت سهواً وهي « وذاك العدد (اي ٣٠) يكون في الشهور الشمسية القصيرة ٢٩ فقط »

باب الاخبار العلميّة

﴿ حرارة الارض في صعود ﴾ يقول علماء الطقس ان حرارة الارض صعدت قليلا في السنين الاخيرة وعلل احدهم ذلك بازدياد مقادير الفحم المشتعل وكمية الحامض الكربونيك المتصاعدة عنهُ . فكمية الفحم التي تحرق في المعامل والسكك الحديدية وغيرها تزداد سنة عن سنة فتتحول الى حامض كربونيك ينتشر في الهواء . وقد حسبوا زيادته سنوياً على الارض فبلغت ستة مليارات طن وهي نحو ٥ر٢ من الف من مجموع الحامض الكربونيك الذي على وجه الارض . واذا ظلت هذه الزيادة آخذة مجراها يتضاعف الحامض الكربونيك بعد بضعة قرون فتذوب الثلوج القطبية على أثر ذلك !

﴿ اطفاء الحريق ﴾ تطفأ الحرائق عادة بالماء ولكن يستحيل استعماله في بعض الاحوال كالتهاب الزيوت . وقد ركبوا مسحوقاً يقوم بهذا العمل في مثل هذه الاحوال يمكن استعماله ايضاً في الحرائق العادية . وهو يوضع في علبة وراءها منفاخ ينشر المسحوق على المواد المحترقة

﴿ الذباب الد عدو للانسان ﴾ كثر تحدث الجرائد الاوربية والاميركية في السنين الاخيرة عن اخطار الذباب لما يحمله من الجراثيم والميكروبات القتالة . فان معدل ما تحمله الذبابة الواحدة ٥٧٠ ٢٢٢ ١ جرثومة . وقد يزيد على ذلك . وقد وجدوا على ذبابة واحدة ٠٠٠ ٦٦٠٠ جرثومة . ووضعوا ذبابة مرة في وسط يستنبت فيه ميكروب الحمى التيفوئيدية ثم تركوها تمشي من ذلك الوسط الى صحن فيه مادة جلاتينية . واحصوا الميكروبات التي تركتها في طريقها بمجرد لمس رجليها فكانت ٠٠٠ ٣٠ ميكروب . ولا يخفى ان جزءا قليلاً منها يسبب الموت احياناً — وقد تلد الذبابة الواحدة في فصل الصيف وحده ثلاثة ملايين ذبابة

﴿ طول الاطفال ﴾ نشر طبيب انكليزي مقالة قال فيها ان طول الاطفال الانكليز آخذ في الزيادة فبعد ان كان معدل طول الطفل ١٨ قيراطاً ونصف عند ولادته اصبح اليوم ٢٢ قيراطاً وكثيراً ما وجد اطفال طولهم ٢٤ قيراطاً . وعلل هذه الزيادة بتسببها عن انتشار اكل الفواكه وتغير نوع الخبز الذي يأكله الانكليز فلا تتصاب العظام سريعاً بل تظل تنمو — وهذا في رأيه دليل على انحطاط في الامة الانكليزية

	مليون فرنك
مجوهرات	٤ ٠٠٠
اوتوموبيلات	٢ ٥٠٠
احسانات	١ ٢٥٠
حلويات	١ ٠٠٠
مشروبات مختلفة	٦٠٠
شاي وقهوة	٥٠٠
ملابس	٤٥٠
اودية	٤٠٠
ارساليات دينية	٦٠
العهارة وسائر الامراض الاجتماعية	١٥ ٠٠٠
المشروبات الروحية	١٠ ٠٠٠
التدخين	٦ ٠٠٠
الجملة	٤١ ٧٦٠ مليون فرنك

﴿ احصاء صحي لفرنسا ﴾ كان عدد الوفيات في السنين الاخيرة في فرنسا كما يلي :

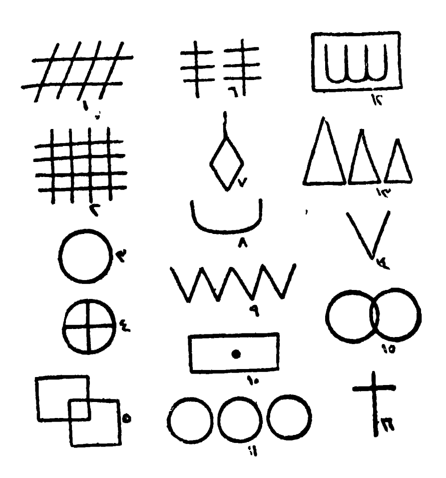
السنة	مجموع الوفيات	الوفيات في الالف
١٩٠٦	٧٧٨ ٤٠٠	١٩،٨٦
١٩٠٧	٧٩٣ ٤٦٧	٢٠،٣٤
١٩٠٨	٧٤٤ ٦٩٤	١٩
١٩٠٩	٧٥٥ ٤٤٢	١٩،٢٧
١٩١٠	٧٠٤ ٧٧٠	١٧،٩٨

واهم اسباب الوفيات في فرنسا السلّ يكثر حيث يكثر تناول الكحول . ونسبة الوفيات في الالف في فرنسا اكثر منها في غيرها من البلاد الراقية. فهي ١٧،٧ في المانيا لسنة ١٩١٠ و ١٦،٠٩ في سويسرا و ١٥،٧٧ في باجيكا و ١٤،٥ في انكلترا و ١٣،٧ في هولندا

﴿ البحريتان الانكليزية والالمانية ﴾ يشكو الانكليز من قلة رجال اسطولهم. وبعض سفنهم اليوم معطلة لخلوها من الرجال ولاشك ان هذا خطر عظيم على السلطنة الانكليزية في المستقبل فالاسطول يكبر والرجال تقل — عكس المانيا فان رجال بحريتها آخذون

اخبار اجتماعية

« لغة متسولي اميركا » في اميركا قوم متسولون لامقرّ لهم . بعضهم يتمنون الاستخدام ولا يجدونه والبعض الاخر يكرهون العمل واكثرهم من المجرمين ومدمني المسكرات . ولهذه الجماعات علامات كتابية سرية يتفاهمون بها سرًّا لا يفهمها سواهم فاذا مرَّ احدهم ببيت وعرف عنه شيئاً باختباره الشخصي او بواسطة غيره واراد ان يبلغ ذلك الى اخوانه كتب على حائطه بالتباشير علامة تعبر عما يريده . واليك بعض تلك العلامات ومعناها :



١ حدثت جريمة هنا
٢ احترس من السجن
٣ لافائدة من هذا المكان
٤ هنا يعطون طعاماً
٥ يسهل تخويف السكان
٦ هنا يقيم بوليس
٧ دافع عن نفسك
٨ يمكن النوم هنا
٩ كلب
١٠ هنا رجل شديد
١١ هنا قد يهبون مالاً
١٢ القوم اشداء وعندهم كلب
١٣ امرأة وحدها مع الخادمة
١٤ يحسنون الى الفقراء
١٥ اعد الطلب وكرر السؤال
١٦ كن منكسراً

وهذه الامثلة تدل على اخلاق اولئك القوم الافاقين وتنبئ عن مشاغلهم ومخاوفهم

« نفقات الاميركان » قدرت نفقات اهل الولايات المتحدة سنويًّا كما يلي بملايين الفرنكات :

جوق ابيض

كلما مرَّ عامٌ على هذا الجوق زدنا ثقة بان تنضج نهضة هذا الفن على يده . فقد اتانا في هذا العام بروايات جديدة واساليب جديدة وازداد الناس اقبالاً وراينا الحضور في اثناء التمثيل سكوتاً يتوقعون ما يكون كأن على رؤوسهم الطير . ولم نكن نرى هذا الاصغاء من قبل . ولهذا الاصغاء معنى جميل له في معرض تاريخ لا بأس من الاشارة اليه :

كان حضور التمثيل منذ بضع وعشرين سنة يراد به في نظر الجمهور قضاء السهرة بما يشغل الخاطر من الحوادث المضحكة او الوقائع المدهشة . ولذلك كان اكثر الروايات رواجاً عنترة والخليفة الصياد ونحوهما في جوق القباني . واذا تخلل التمثيل فصول مؤثرة تعبر عن العواطف او تمثل الاخلاق تناعس اكثر الحضور او تشاغلوا « بتقزيز اللب » او الحديث . ثم ارتقى ذوق الجمهور نوعاً على يد جوق اسكندر فرح فحدث في التمثيل نهضة وصار الحضور يصغون بعض الاصغاء . لكنهم ظلوا لا يرون للتمثيل معنى ان لم يرافقه غناء . واصبح الراسخ في اعتقادهم ان التمثيل لا يكون بلا غناء وزادهم تمسكاً بذلك صوت الشيخ سلامه بلبل مصر وعميد جوق فرح في ذلك العهد

فلما انفصل الشيخ سلامه عن فرح سنة ١٩٠٤ وانشأ جوقاً لنفسه لم يكن فرح طامعاً في منشد مطرب مثل الشيخ سلامه فعمد الى اصلاح التمثيل من الوجهة الحقيقية فرجع الى حقيقة المراد به — نعني تمثيل الفضائل للترغيب فيها او الرذائل للتنفير منها بلا غناء . فالف جوقاً جديداً مثل عدة روايات اجاد فيها الممثلون كل الاجادة شهدنا منها رواية العواطف الشريفة فاثر تمثيلها فينا تأثيراً لا ننساه . فكان ذلك خطوة هامة في تاريخ التمثيل العربي . لكن الجمهور لم يجمعوا على استحسان هذه الخطة فلم يلاق جوق فرح الرواج اللازم لرغبة الاكثرين في الطرب فانحازوا الى جوق الشيخ سلامه

ثم تألف جوق ابيض منذ عامين وهو اول جوق انشئ على القواعد الفنية حتى الان رئيسه جورج ابيض تلقى فن التمثيل في باريس على احسن اساتذته . فعلقت الآمال ان يكون جوقه فاتحة نهضة جديدة ولاسيما لانه مشمول برعاية الجناب الخديوي وسموه صاحب الفضل في احياء هذا الفن على القواعد العلمية . فمثل هذا الجوق في العام الماضي عدة روايات ذكرناها في حينها . ونظراً لما شاهدناه من ابداع الممثلين ومهارة المترجمين توقعنا ان تلتفت الحكومة الى هذا الجوق وتأخذ بيده فتعين له راتباً يستعين به على نفقاته كما تفعل حكومات الامم المتمدنة . وان تخصص له مرسحاً يعرف باسمه .

بالازدياد : كانوا ٢٨٣٢٦ سنة ١٩٠٠ فصاروا ٥٧٣٥٣ سنة ١٩١١ . وقس على ذلك زيادة سفنها فقد بلغ محمول الكبيرة منها (اي التي يزيد محمولها على ٥٠٠٠ طن) ٨٢٣٠٠٠ طن . وكان ١٥٢٠٠٠ طن سنة ١٩٠٠ وكذلك المدافع الكبيرة كانت ٨٢ فصارت ٢٣٠

﴿ التجارة في الدردنيل ﴾ دخل بوغاز الدردنيل سنة ١٩١٠ — ١٩١١ نحو ١٤١٦٤ سفينة محمولها ١٩٢٨٣٧٤٧ طناً مقسمة كما يلي :

الدول	عدد السفن	محمولها
انكلترا	٤٧٩٩	٨٥٧١٣٩٢
النمسا	٩٥٤	١٩٠٨٧٥٣
ايتاليا	٩٠٧	١٢٣٤٢٣٥
المانيا	٤٢٣	٧٢٧٨١٩
فرنسا	٤١٩	٦١٦٥٢٢
رومانيا	٢٩٢	٣٢١٠٦١

وما بقي من السفن لهولاندا وبلجيكا ونروج

﴿ فنادق ستيد ﴾ وضع محبو وليم ستيد الصحافي الشهير مشروعاً لتخليد اسمه غايته حفظ البنات والنساء المشتغلات من اخطار المدنية وادرانها ببناء فنادق خصوصية تقيم فيها المشتغلات في المدن بدلاً من الالتجاء الى اماكن يتعرضن فيها للهلاك . وكان ستيد اشدّ الكتاب انتقاداً لحالة النساء في المدن الانكليزية واكبر نصير لهنّ — ولو سمع اليوم بهذا المشروع لوافق عليه وسرّ به

﴿ تقسيم السنة الى ١٣ شهراً ﴾ انتقد كاتب انكليزي التقويم الحالي وقال بعدم موافقته لاحوال المدنية الحاضرة وعرض نظاماً جديداً تقسم فيه السنة الى ١٣ شهراً كل منها اربعة اسابيع أي ٢٨ يوماً تبدأ يوم الاحد مجموعها ٣٦٤ يوماً ويجعل اليوم الثلاثمئة والخامس والستين من كل سنة عيداً عمومياً

﴿ النساء والطيران ﴾ ان النساء اكثر استعداداً للطيران من الرجال فهنّ اخف اجساماً واكثر صبراً على المسافات العالية لان رئاتهن لا تحتاج من الاكسيجين الى ما تحتاج اليه رئات الرجال وزد على ذلك رغبتهن في كل جديد . وقد ركبت المرأة الطيارة لاول مرة منذ اربع سنين ولكنها لم تكتف بالركوب فارادت ادارة الطيارة بنفسها واول من اذن لها بذلك مدام دي لاروش الفرنساوية وقد برعت بعضهن براعة تذكر مع الاعجاب بالجنس اللطيف

﴿ الشعب ﴾ جريدة جامعة تصدر في عين زحلتا (لبنان) لمنشئها رشيد افندي نخله ومديرها زيدان افندي ضاهر توزع مجاناً

﴿ المنارة ﴾ المرقسية مجلة دينية اسبوعية تصدر في الخرطوم لصاحبها القمس مرقس سرجيوس بدل اشتراكها خمسون غرشاً

﴿ النتيجة السنوية ﴾ صدرت الرزنامة السنوية لجمعية النشأة القبطية الارثوذكسية عن سنة ١٦٢٩ للشهداء وهى السنة السادسة عشرة لصدورها

﴿ تقويم طوالع الملوك ﴾ صدر هذا التقويم لسنة ١٣٣١ هجرية لصاحبه السيد محمود الفلكي وهو يطلب من مجلة طوالع الملوك بالقاهرة

كتب في مواضيع مختلفة

﴿ الهدية الفهمية في تذليل صعوبات اللغة الانكليزية ﴾ هو كتاب نفيس يدل اسمه على موضوعه. والناشئة العربية في غاية الافتقار اليه. تأليف محمد افندي فهمي المغربي بنظارة الحربية. جعله قسمين الاول في المصطلحات العمومية لاستعمال الالفاظ حسب موقعها من الجملة . رتب فيه هذه الالفاظ على الابجدية ودل على كل اصطلاح بجملة تدل عليه مع ما يقابله في العربية. والقسم الثاني يشتمل على مصطلحات الحكومة المصرية رتبها حسب النظارات وفروعها. فبدأ بنظارة الحقانية ومايدخل تحتها من اصطلاحات المحاكم الاهلية والمحاكم الشرعية والمحاماة . ثم نظارة الحربية وفروعها كاقسام الجيش وانواع الالبسة والحركات الحربية وادواتها وغير ذلك . فنظارة المعارف واصطلاحاتها حسب الفروع ويدخل فيها مصطلحات العلوم وهذا باب واسع . فنظارة الاشغال فالمالية فالسكك الحديدية والتلغرافات فمصلحة الصحة والسجون وغيرها . والكتاب نحو ٥٠٠ صفحة في ذيلها فهارس للابواب يسهل الاستعمال . فهو لا يستغني عنه طالب او اديب في بلد اصبحت اللغة الانكليزية داخلة في كل عمل من اعماله الرسمية وغير الرسمية .فنحث طلاب اللغة الانكليزية على اقتنائه وخصوصاً خدمة الحكومة فانه يغنيهم عن بحث كثير وقد قضى مؤلفه اعواماً عديدة في جمعه وضبطه جزاه الله خيراً وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرون غرشاً واجرة البريد غرشان

﴿ الكفيل بسرعة التحويل ﴾ تأليف محمد افندي امين الديك بمدرسة خليل اغا بمصر يشتمل على جداول لتحويل النقود والموازين والاطوال والسطوح ولتعيين ثمن السبائك الذهبية وثمن المصوغات وارشادات مختلفة وملحق لتعيين ما يختص بالكسور القيراطية للفدان من الثمن وقد وضعه مؤلفه على اسلوب يسهل استعماله

وبلغنا ان الحكومة عازمة على تحقيق هذه الامنية . واذا لم تفعل (لا سمح الله) فانها تقضي على آمالنا باحياء هذا الفن في العربية

ولا ذنب للجوق في ذلك لانه باذلٌ اقصى الجهد في التقدم نحو الامام واختيار الروايات المفيدة على ما يلائم اذواق الحضور. وليس هذا بالامر السهل لاختلاف الجمهور عندنا في الذوق والمشرب وتفاوتهم في التربية والمعرفة . ولذلك فاذا اختار اصحاب الجوق روايةولم يتفق الحضور كافة على استحسانها فليس ذلك ذنباً لهم لانهم لايدخرون وسعاً في انتقاء مايظنونه مفيداً ولو كان غريباً على الحضور . كما فعلوا هذا العام فانهم ادخلوا ضرباً من الروايات لم يسبق تمثيله في العربيــة نعني تمثيل روايات تهذيبية باللغة العامية من قلم المرحوم عثمان بك جلال . وهي خطوة حسنة في هذا الفن لان للغة العامية وقعاً في النفس غــير وقع اللغة الفصحى . وهم عاملون على انتقاء روايات يمثل احوال العرب ومناقبهم كلفوا بعض الادباء بتأليفها ليكون التمثيل عربيًّا من كل وجه عملاً برغبة سمو الامير . وبالجملة ان اصحاب هذا الجوق عاملون على اتقان التمثيل واختيار احسن المواضيع — ولا يجدي ذلك نفعاً ان لم تأخذ الحكومة بايديهم لتتم أمنية سمو الامير اعزه الله باحياء هذا الفن

مطبوعات جديدة

جرائد ومجلات وروزنامات

✻ الصديق ✻ مجلة ادبية تاريخية روائية تصدر في الاسكندرية في منتصف كل شهر لمنشئها عبد الحميد افندي سالم بدل اشتراكها ٣٠ غرشاً

✻ الهلال ✻ مجلة اسلامية مصورة تصدر باللغة الاوردية في كلكته بالهند مرة في الاسبوع لمديرها ومحررها احمد المكنى بابي الكلام الدهلوي. وهي متقنة الطبع كبيرة الحجم بدل اشتراكهـا ثماني روبيات في السنة . ونودُّ لو اضاف صاحبها الى اسمها لفظاً آخر يميزها عن مجلتنا كأن يسميها « الهلال الهندي » مثلاً كما سمى الشيخ عبد العزيز جاويش جريدته في الاستانة « الهلال العثماني » وذلك اولى من وقوع الالتباس .

✻ الصحة ✻ مجلة صحية طبية تصدر في نيويورك مرة بالشهر لمنشئها يوسف افندي بيرودي الصيدلي بدل اشتراكها ريالان اميركيان او عشرة فرنكات

✻ جراب الحاوي ✻ جريدة هزلية انتقادية تصدر في بوانس ايريس بالارجنتين اسبوعيًّا لمحررها سمعان افندي منصور الحاماتي بدل اشتراكها بالخارج ٢٠ فرنكاً

وكانت حجة نجم الدين قوية الى درجة لم يقوَ معها صلاح الدين على المدافعة وكاد يفحم . لكنه طامع في البلد ويريد ان يتذرع باية وسيلة كانت لنيل مرامه . فنهض وهو يتشاغل باصلاح عمامته الصغيرة ثم اخذ في فتل شاربيه وهو ينظر الى احد جدران الغرفة التي هم فيها ويتأمل صوراً ملونة مرسومة هناك لم يشاهدها من قبل . وبجانب كل صورة رفٌّ لطيف مذهب . فتقدم نحو الجدار وتفرَّس في الصور فرأى تحت كل صورة اسم صاحبها . واذا هم من شعراء الدولة الفاطمية الذين كانوا يفدون على الخلفاء في ايام مجدهم . وتذكر حديثاً سمعه عن الخليفة الآمر باحكام الله الفاطمي انه لما بنى منظرة بركة الحبش صوَّر الشعراء على جدرانها كل شاعر وبلده ونظم كل واحد منهم يومئذ قطعة من الشعر في المدح نقشوها عند رأسه في الصورة . وبجانب صورة كل منهم رفٌّ مذهب فلما دخل الآمر وقرأ الاشعار امر ان يضع على كل رف صرة مختومة فيها خمسون ديناراً وان يدخل كل شاعر ويأخذ صرته بيده (١)

وقف صلاح الدين هنيهة عند تلك الصور وهو غارق في الهواجس . فادرك ابوه ما يجول في خاطره فسكت ليرى ما يكون منه وتشاغل بالنهوض ايضاً ثم اظهر انه يهم بالذهاب الى الفراش وصلاح الدين لا يستطيع رقاداً قبل ان يوافقه ابوه على الطلب . فالتفت اليه وقال « تمهل يا ابتاه .. ان هذا الخليفة دعانا الى نصرته على الافرنج واهل القاهرة انفسهم راسلوا نور الدين وبذلوا له ثلث بلاد مصر اقطاعاً وان يقيم عمي اسد الدين عندهم وله الاقطاع هو ورجاله ايضاً — لا ان يقضي مهمته وينصرف كما تقول . ثم نكث وزيره شاور ولم يف بما وعد فقتلته انا بيدي فصفا لنا الجو . ولو لم اقتله لم يكن لنور الدين اقطاع ولا . . . »

فقطع نجم الدين كلامه وهو يمشي نحوه وقال بلهجة الشيخ الوقور « انك تخاصم نور الدين على غنيمة لا تزال في حوزة اصحابها ولا يحق التنازع بينكما عليها الا بعد اخراجها من قبضتهم . وهذا لا يكون الا بنقل الدعوة من الفاطميين الى العباسيين ثم نرى بعد ذلك . وهذا يكفي الآن . . . » .

وكان لنجم الدين نفوذ على ابنه مثل نفوذ السحر فاكتفى صلاح الدين بما سمعه وتحول وهو يقول « اظنك في حاجة الى الرقاد يا ابتي » وامر الخدم ان يهيئوا الفراش وذهب كل الى منامه

(١) المقريزي ٤٨٦ ج ١

☸ مجالة المتأدب ورسالة لقط الحكمة ☸ هما كتابان في مجلد واحد لصالح افندي حمدي حماد يشتمل الاول على نوادر ووقائع تمثل الفضائل وتهدي الى سبل الرشاد في الادب والحكمة . والثاني مجموع حكم نثرية ومواعظ شعرية منقولة عن قائلها . وفي ذيل كل حكمة او عظة اسم قائلها والكتاب من خيرة كتب الادب وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش

☸ حكم النبي محمد ☸ تأليف الفيلسوف تولستوي في اقوال النبي وشيء عن الاسلام واوربا . نقله من الروسية سليم افندي قبعين وهو يطلب من حضرته بمصر

☸ امثال الشرق والغرب ☸ هو مجموع امثال حكمية من اقوال فلاسفة الشرق والغرب مرتبة حسب المواضيع تأليف يوسف افندي توما البستاني وفيه امثال للقدماء والمحدثين في كل موضوع وامثال صينية ومراكشية واقوال الحكماء من الاسكندر ووصايا وعظات مختلفة وهو يطلب من حضرة المؤلف

☸ خريطة الحرب البلقانية ☸ طبع الخواجات صابونجي اخوان المصورون المشهورون خريطة عربية كبيرة للحرب البلقانية الجارية موضحة بالالوان . وهي تطلب من حضراتهم بمصر وثمن الخريطة خمسة غروش

☸ امتيازات الجماعات المسيحية ☸ هو كتاب قانوني شرعي يشتمل على امتيازات المسيحيين في الدولة العثمانية الفه باليونانية الصحافي ستافروس فوتيراس ونقله الى العربية الاستاذ غطاس افندي قندلفت مدير المدرسة الاكليريكية في البلمند بلبنان ظهرت اولاً في مجلة الحوادث بطرابلس ثم نشرت في كتاب على حدة وتطلب من حضرته

☸ روح المصور ☸ هي رواية اخلاقية تأليف جورج هونيه الكاتب الفرنساوي الشهير . نقلها الى العربية الدكتور علي بك البقلي التماساً لبث ما تشتمل عليه من اسباب التهذيب وترقية الاخلاق . وهي تطلب من معربها بمصر

☸ الاسلام والاصلاح ☸ هو تقرير رسمي رفعه السير رتشادر وود قنصل انكلترا في تونس الى ناظر خارجيتها. وقد نقله الى العربية محب الدين افندي الخطيب المحرر في المؤيد ويطلب من حضرته

(مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية) تأليف رفاعه بك الشهير جمع فيه فنوناً عديدة نقلها من العربية والفرنساوية ومما اختبره بنفسه . بينها حقائق كثيرة جزيلة الفائدة . اعيد طبعه في المطبعة الاميرية . ويطلب من محمد بك رفاعة بمصر وثمن النسخة عشرون غرشاً ولطلبة العلم بنصف القيمة

يفعلون في دولتنا . وعزل قضاة مصر لأنهم من شيعتنا وولى قضاة شافعية [١] على مذهبه — وقبض على مرافق البلاد بيد من حديد . . . . وتقول لي اصبر ! اين الصبر ؟ » قال ذلك وغص بريقه

وكان ابو الحسن صفراوي المزاج لمفاويهُ لا يبدو في سحنته شيء من التأثرات مهما بلغ من تأثيرها في قلبه . أولعل قلبه لايتأثر الا مما يريده . او هو قادر على التظاهر بما يشاء من غضب او فرح او حزن بغير ان يكون ذلك ناتجاً عن تأثر قلبي . فلما سمع قول الخليفة تنحنح واظهر الاهتمام وقال « لا ازال اقول لك اصبر . اتكل عليَّ فاني باذل نفسي في سبيل هذا الامر وهو يهمني كما يهمك . أليست الدولة دولتنا والشيعة شيعتنا وفي حياتها حياتنا وفي موتها موتنا ؟ لاسمح الله .. ثق اني فاعل ما تريد ولولا خوفي من التثقيل عليك لذكرت لك التفاصيل . . ولكنك الآن في حاجة الى الراحة فامض الى فراشك اذا شئت . وسأقص الخبر على الشريف الجليس وهو يقصه على مولاي ؟ »

فقال وهو يتململ من القشعريرة والسخونة « افعل .. اني ذاهب الى دار النساء » قال ذلك ونهض فاعانه ابو الحسن على القيام واتى بعض الخصيان تعاونوا على حمله على محفة في دهليز يؤدي الى دار النساء فودعه ابو الحسن وقال « انا ذاهب بامرك الى الشريف الجليس أقص عليه ما يسرُّك ثم يلحق هو بك الى دار النساء ؟ »

فاشار الخليفة برأسه ان افعل

وكانت دار النساء قصراً قائماً بنفسه لكنه يستطرق الى قاعة الذهب بدهليز مسقوف لانتقال الخليفة اليه متى شاء . وللقصر باب خاص عليه الحرس من الخصيان . وكان رئيسهم من عهد غير بعيد خصيًّا يسمى مؤتمن الخلافة فاتى عملاً اغضب صلاح الدين فقتله وجعل مكانه الطواشي بهاء الدين قراقوش احد رجاله المخلصين

وحالما صار العاضد فى تلك الدار انزلوه من المحفة فمشى وهو يتوكأ على بعض الغلمان وهم يظنونه يطلب الذهاب الى حجرة احدى نسائه . فاذا هو يشير اليهم ان يأخذوه الى حجرة اخته سيدة الملك . وكانت امرأة عاقلة حازمة يرتاح العاضد لحديثها ويستأنس بآرائها . كانه وهو في تلك الحال احسَّ بحاجته الى رأيها

(١) حسن المحاضرة ٢٥ ج ٢

الفصل السادس

العاضد وابو الحسن

اما الخليفة العاضد فقد تركناه في قاعة الذهب بعد خروج نجم الدين وابنه ولم يبق معه الا ابو الحسن . فلما خرج الكرديان امر الحاجب ان يأتي بصاحب اللباس لينزع عنه ثيابه وحلاه لانه في حاجة الى الراحة وان لايأذن لاحد في الدخول . فاتى صاحب اللباس واشتغل في نزع العمامة وما عليها من الجواهر ووضع كل قطعة في علبة خاصة بها . وجاءت الوصائف يحملن الثوب الآخر ليلبسه الخليفة وقد تغيرت سحنته وانقبضت اسرته واحمرت عيناه وشعر ببرد طقطقت له اسنانه واصطكت ركبتاه حتى لم يعد يستطيع الوقوف . فبادر ابو الحسن اليه فاسنده وبالغ في التخفيف عنه . ولكنه حالما لمس يده احس بحرارتها فعلم ان الخليفة مصاب بالحمى لكنه لم يشأ ان يخوفه

ولما فرغ الخليفة من تبديل الثياب التى نفسه على السرير وقد احس بانحطاط عزائمه فقال له ابو الحسن « بماذا يشعر مولاي امير المؤمنين ؟ »

قال « اشعر بارتعاد مفاصلي وببرد يتمشى في ظهري . . لا اظنه الا من عواقب الكظم وتحمل الضيم . . آه يا ابا الحسن . . » قال ذلك بصوت مختنق وتلألأ الدمع في عينيه

فبادر ابو الحسن الى التهوين عليه عنه فقال « لكل اجل كتاب يا مولاي . ولا بد من زوال هذه الازمة »

فقال وهو يلهث من شدة الحمى « شعرت بهذه القشعريرة منذ ركبت في هذا الموكب لملاقاة هذا الكردي . . آه كيف اقوى على احتمالهم وقد سلبوني ما في يدي من سيادة وثروة ؟ وانا مع ذلك لا اقدر الا ان اجاملهم والاطفهم وارحب بهم »

فمشط ابو الحسن لحيته بأنامله ثم قبض عليها وهو يتمتم كانه يدعو او يصلي ويظهر التقوى وسعة الصدر وقال « لابد من الصبر يا مولاي ولا شك ان الله سامع دعاءنا . فاني اصلي ليل نهار واطلب اليه تعالى ان ينصفك من هؤلاء الظالمين . . »

فقال « الى متى الصبر يا ابا الحسن . كانك لم تعلم بما فعلوه معي . . ولم تسمع الا مجاملتهم لي بالكلام ومخاطبتي بالامارة . . . انهم لم يتركوا لي من هذه الامارة الا لفظها . . ان يوسف صلاح الدين هذا قد منع المؤذنين الاذان « حي على خير العمل » كما كانوا

اكد لي انه باذل جهده في هذا السبيل »

فلما سمعت اسم ابي الحسن اجفلت وكادت البغتة تظهر في وجهها لو لم تبادر الى التجلد . ولو انتبه العاضد وهو مستلق على صدرها لشعر بتسارع ضربات قلبها حالما سمعت ذلك الاسم . لكنه كان في شاغل من امر نفسه . اما هي فتجلدت وقالت « كيف اكد لك ذلك ؟ »

قال « اكده لي اليوم وسيذكر تفصيله للشريف الجليس وهو يقص علينا ذلك متى جاء بعد قليل . . »

قالت « هل تصدق هذا الرجل ؟ » وبان الكدر في عينيها

قال « كيف لا اصدقه . انه رجل محبٌّ مخلص ومن ذوي قرابتنا وانت تعلمين غيرته على دولتنا »

فهزت رأسها وسكتت ولسان حالها يقول « انه منافق مرائي »

فاعتدل العاضد في مجلسه لان الحمى اخذت في الهبوط واشتدت عزائمه وقبض على يد اخته وهو يقول « ارى الحمى تخف وطأتها عني أليس كذلك ؟ . . انت يا سيدة الملك سيئة الظن في هذا الرجل منذ عرفناه لغير سبب او دليل .. فانه من ابناء عمنا . . نعم انه ليس من احفاد الحافظ لدين الله جدنا . ولكنه من احفاد الآمر باحكام الله فهو من اعمامنا .. »

قالت « طيب . فليكن ما شئت » وتشاغلت بطرف ضفيرتها الذهبية تفتلها بين اناملها وبان الغضب في وجهها

فقال « وما الذي يغضبك من ذكره ؟ انك تكرهينه بلا سبب وهو بعكس ذلك . لم اسمع منه الا التعلق بك .. انه يتفانى في سبيل ارضائك »

فنظرت اليه شذراً نظر العاتب وقالت « كثر الله خيره .. اني لا التمس هذا الرضى »

قال « لا حاجة بنا الى التمسك بالرفض وهو ابن عمنا »

فقالت بصوت المرتاب « ومن يؤكد لنا صدق انتسابه الى الآمر . ليس عنده دليل غير شهادته لنفسه .. دعنا منه انه لا يستحق هذا الاهتمام »

قال « انك تظامينه بهذا الحكم » واراد ان يتم كلامه فاذا باحد الغلمان دخل ووقف فعلمت سيدة الملك انه آت بخبر فقالت « ما وراءك »

قال « ان الشريف الجليس بباب القصر يطلب المثول بين يدي مولانا امير المؤمنين ــ والطواشي بهاء الدين قراقوش يمنعه »

الفصل السابع

سيدة الملك

فساروا به في رواق يؤدي الى غرفتها وهي منفردة عن سائر غرف القصر ولما بلغ السيدة قدومه خرجت لاستقباله ورحبت به واعانته على الدخول الى غرفتها فجلس على مقعد وهي تقول له « ما بال اخي امير المؤمنين مما يشكو ؟ روحي فداه »

قال « اشكو من برد وقشعريرة . . اصرفي الخدم . . فاني احب السكينة وان لا يبقى في هذه الغرفة غيرنا »

ففعلت . وكانت سيدة الملك جميلة الخلقة طويلة القامة صبوحة الوجه ذهبية الشعر جذابة النظر اذا نظرتَ في وجهه شعرت بهيبة تجلي في عينيها . وهي اكبر من اخيها الخليفة ببضع سنين اي انها في الخامسة والعشرين من العمر

فلما خلت به جلست بجانبه على السرير وطوقت عنقه بيدها وهي تقول « ما بال اخي ؟ مم يشكو ؟ حماه الله من كل اذى . اذا اعتل امير المؤمنين اعتل الناس جميعاً »

فاسند رأسه الى كتفها وتنفس الصعداء وهو يقول : اشكو حسب الظاهر من حمى تنتابني . . لكن العلة الحقيقية في هذا القلب . . » واشار الى صدره . ثم ارخى يده من شدة الحمى فجستها يده فرأتها شديدة الحرارة فقالت « هل ادعو لك الطبيب ؟ »

قال « كلا . . ان هذه الحمى ستنصرف الليلة . ولكن اذا كنت تعرفين طبيباً ينقذني من أولئك الاكراد ادعيه »

فاظهرت انها تمازحه وقالت « لو عرفت طبيباً في الهند وعلمت انه يشفيك لذهبت اليه بنفسي ولكن . . »

فرفع رأسه عن كتفها ليعاتبها بنظره . فوقعت عمامته فمد يده ليتناولها فتناولتها هي ووضعتها على رأسه فقال « انك تتجاهلين يا سيدة الملك . . انك افطن من ان تنبهي الى مرادي بالطبيب »

فضحكت وقالت « هب اني فهمت مرادك فانا لا ارى الامر يستوجب الاهتمام الى هذا الحد . . اصبر لا بدَّ من الفرج . . »

فتنهد وهو ملق رأسه على كتفها وحوَّل عينيه نحو وجهها ازوراراً وقال « لم اجد بين رجالي من يسعفني في هذا الامر الا ابن عمنا ابا الحسن فانه تقيٌّ غيور . وقد

ساع في انقاذنا من هذا العدو المقيم »

قال الخليفة « سمعته يقول ذلك لكنه وعد بتفصيله . فهل فصله لك ؟ »

قال « فصله تفصيلاً اعجبني »

فتوجه الخليفة نحو الجليس بلهفة وقال « وما هو ؟ »

الفصل الثامن

الحشاشون

قال الجليس وهو يخفض صوته ويتطاول بعنقه كانه يحاذر ان يسمعه احد « يرى ابو الحسن يا مولاي ان العقدة التي يطلب حلها انما هي يوسف صلاح الدين هذا . فاذا ذهب تخلصنا من كل هذه الشرور .. وابو الحسن يسعى في انقاذنا منه »

فقال العاضد « وكيف ينقذنا ؟ »

فاشار الجليس بكفه على عنقه اشارة الذبح يعني انه يقتله . فبان الاستغراب في وجه الخليفة وقال « من يقتله ؟ ليس في مصر كلها من يجسر ان يمد يده اليه »

قال « ليست هذه خطته .. انه سيقتل هذا الرجل بدون ان يُعرف القاتل »

قال « وكيف يمكن ذلك ؟ »

قال « ألا يعرف مولاي جماعة الباطنية او الاسماعيلية ؟ »

فاجفل العاضد عند سماع ذلك الاسم وقال « نعم اسمع بهم . واسمع انهم من انصارنا »

قال « اصلهم من شيعتنا ولكنهم الآن قومٌ شغلهم القتل »

فقطع الخليفة كلامه وقال « ليس هذا شأنهم اليوم فقط . اظنك حدثتني عن افعالهم غير مرة . الم تقل لي انهم قتلوا الملك الافضل اميرالجيوش وزير الآمر باحكام الله . وكان رئيسهم يومئذ يدعى بهرام . وهم قتلوا نظام الملك وزيرملك شاه السلجوقي وقتلوا غيره ؟ »

قال « نعم ياسيدي وقتلوا كثيرين غيرهم ـ هذا هو شغلهم »

فقال العاضد « من هو زعيمهم الآن ؟ واين هم ؟ »

قال « ان اصلهم ياسيدي من اتباع الحسن بن الصباح في زمن جدك الحاكم بامر

فالتفتت الى الخليفة وسألته اذا كان يشعر براحة تؤهله لمجالسة الشريف الجليس فقال « اني اشعر براحة فليأت »

فالتفتت الى الغلام وقالت « امض الى الطواشي وقل له ان امير المؤمنين هنا يريد ان يرى الشريف الجليس فلا يمنعه من الدخول »

فمضى الغلام . واحست سيدة الملك باستياء اخيها من معاملة بهاء الدين ولكنها تجاهلت . وبعد قليل جاء الجليس وهو شيخ طاعن في السن يجالس الخليفة ويؤانسه ويحدثه وهو مستودع اسراره

فلما رآه الخليفة هش له وامره بالجلوس بين يديه . ولم تحتجب سيدة الملك عنه لانه من المقربين وقد تعودته من صغرها فاكتفت بتغطية شعرها والالتفاف بطرف من الخز فوق اثوابها وجلست على كرسي بجانب سرير اخيها

اما الخليفة فنظر الى الجليس نظر استفهام عما جاء به فادرك غرضه فقال « جئت للسؤال عن صحة مولاي .. فقد بلغني من الشريف ابي الحسن انك اصبت بحمى . لا اصابك الله بسوء وارواحنا فداك »

فابتسم وقد استلطف عبارة الجليس وقال « اني بدعائك وحسن نيتك قد زال عني كل بأس . جس يدي .. قد ذهبت الحمى ... ما الذي جئتنا به غير ذلك ؟ »

فجس يده واشار بعينيه اشارة الاقتناع وان لم يقتنع لان الحمى لا تزال وقال « نحمد الله على ذلك »

فقال الخليفة « قل ما الذي جئتنا به »

قال « خيراً ان شاء الله » وظهر في ملامح وجهه انه يكتم شيئاً لا يستحسن ذكره بين يدي سيدة الملك

فادركت ذلك فنهضت وقالت « اذا كان وجودي يمنع الجليس من الكلام فاني خارجة »

فامسك اخوها بثوبها وقال « اجلسي . لست ممن يكتم عنهم .. تكلم ياعماه قل ما الذي جئت به ؟ »

قال « اني جئت بامر ذي بال .. هل تأذن ان اقول كل شيء ؟ »

قال « قل .. لا تخف .. ما الذي اطلعك عليه ابو الحسن من مساعيه في سبيل مصلحتنا ؟ انه محبٌّ غيور ؟ »

قال « اصبت ياسيدي ان ابا الحسن شديد الغيرة على منصب امير المؤمنين وهو

فلحظت سيدة الملك غرضه فبادرت الى الانتقام من تأثير عبارة اخيها عن زواجها فقالت « اظنهُ يشترط ان يكون ولياً للعهد بعد امير المومنين .. »

فاجاب الشريف بسرعة كانه يعتذر عن تطاول ابي الحسن قائلاً « ان طلبه هذا من قبيل الجنون.. ولامعنى له لان مولانا امير المؤمنين اطال الله بقاءه وعجل موتنا قبل ان يصاب بسوء لايزال شاباً في مقتبل العمر وابو الحسن في حدود الكهولة . ولكنه يشترط ذلك ترضية لنفسه على تحمل تلك المشقة .. مع ما يحدق بها من الخطر . ومن يدري هل يبقى حيًّا يوماً واحداً بعد تنفيذ مهمته ؟ »

فقال الخليفة « يشترط ان يكون ولي عهد الخلافة بعدي ؟ »

قال « اطال الله عمر امير المؤمنين — ان الرجل لايرجو ان يتولى الملك ولكنه يحب ان يتمتع بولاية العهد فقط على ما يظهر »

فاطرق الخليفة وهو يعمل فكرته والتردد ظاهر في عينيه ثم رفع بصره الى الجليس وقال « وما رأيك ؟ »

قال « اذا اذن لي مولاي ارى ان يوليه الولاية ويشترط في عقدها ان تكون بعده الى نجلكم سيدي الحامد لله الامير داود ولي العهد الحقيقي . فاذا استطاع انقاذنا من هذا الكردي واعادة النفوذ الى مولاي امير المؤمنين فانه يكون قد استطاع عملاً لم يستطعه سواه وتكون ولاية العهد ترضية معنوية له »

الفصل التاسع

حرية الفكر

ولحظت سيدة الملك ان اخاها اوشك ان يقبل وظهر لها من خلال حديثه انه راضٍ ان يزوجها به وهي لا تقدر ان تتصوره بل هي تكرهه كرهاً شديداً لغير سبب غير الشعور الذاتي . فانها تتصور فيه الخبث والخيانة وهي منصفة لا ترى صلاح الدين يستحق القتل لانه لم يعمل عملاً يستوجب ذلك وانما هي نعرة السيادة تحمل طلابها على انتحال الاسباب الباطلة ــ فنظرت الى اخيها وقالت « تريد ان تقتل صلاح الدين وتستبدله بابي الحسن هذا ؟ »

قال « لا استبدله . . لكنه اذا استطاع قتله سميته ولي العهد »

قالت « وما ذا تفعل بداود ابنك ؟ »

الله رحمه الله اي منذ اكثر من مئة وخمسين سنة . فاقام حسن هذا في قلعة ألاموت قرب قزوين . والف جمعية من الفدائيين الذين لا يخافون الموت . ويعرفون بالحشيشية او الحشاشين نسبة الى عقار مخدر يتناولونه يسمونه الحشيشة . وتوالى عليهم زعماء كثيرون في بلاد فارس والعراق والشام . وزعيمهم الآن يقال له راشد الدين سنان يقيم في جبل السماق من اعمال حلب يعتصم هناك بالقلاع وعنده رجال مجربون يطيعونه حتى الموت . اذا امر احدهم بقتل ملك او سلطان بادر الى الطاعة حالاً . وقد قتلوا كثيرين كما ذكرت . وللشريف ابي الحسن صداقة شخصية مع سنان هذا بالنظر الى نسبه الشريف وله عليه دالة فاذا امره ان يبعث رجلاً يقتل هذا الرجل فعل . . »

فبان البشر في عيني العاضد يخالطه الاستغراب وقال « وكيف يستطيع القاتل ان ينجو من هذا المعسكر . وكيف يتصل الى عمله ودون الوصول اليه سدود وعراقيل كما تعلم »

قال « ان هؤلاء الفدائيين يتنكرون عادة بالبسة السياس او الخدم ويخالطون بالخدم زمناً يترقبون الفرص فاذا سنحت فرصة فعلوا فعلهم ثم لا يهمهم ماذا يصيبهم بعد ذلك ولا يبالون بالموت لانهم يرون القتل في هذا السبيل حياة سعيدة . . »

فالتفت الخليفة الى اخته يلتمس مشاركتها اياه في الاعجاب . فرآها مطرقة تفكر فقال لها « ارأيت اهتمام هذا الشريف في مصلحتنا ؟ »

فظلت ساكتة ولم تجب

فالتفت الى الجليس وقال « هل اخبرك متى يباشر هذا العمل ؟ »

فتشاغل الشيخ بحك عثنونه وسعل وتنحنح وبان الارتباك في عينيه فلم ينتبه الخليفة له . اما سيدة الملك فلم يفتها ما ينطوي تحت تلك الحركات فاخذت تختلس النظر وتصيخ بسمعها فاذا هو يقول « انه يا مولاي يشترط على هذا العمل شرطاً واحداً »

قال « وما هو ؟ اظنهُ يعني التزوج باختي .. »

فاجفلت سيدة الملك عند هذا التصريح الفجائي لكنها حولت وجهها الى ستارة معلقة بالحائط مطرزة بالوان بديعة فيها صور الطيور والاشجار تأخذ بالابصار واظهرت انها تتفرس في بعض صورها

اما الجليس فقال « لم يذكر ذلك لي ولكن ... مولاي يعلم .. ان ابا الحسن عريق في النسب الشريف ... وهو... اكبر ابناء عمكم المرشحين لولاية العهد سناً ..وو...»

المنظرة يشرف على المقاتلة وهواه مع السودان . فاشتدت عزائمهم وخاف صلاح الدين ان تعود العائدة عليه وعلى رجاله فامر النفاطين ان يرموا قوارير النفط المشتعل على المنظرة وعلى القصر و . . . »

فقطع الخليفة كلامها قائلا « ولكنني شجعت رجال صلاح الدين فارسلت زعيم الخلافة يقول « دونكم والكلاب العبيد اخرجوهم من بلادكم » فامتنعوا عن ارسال النفط »

قالت « ولكنك لم تقل ذلك الا خوفاً على المنظرة من الحريق » وكانت سيدة الملك تتكلم بحماسة وكل جوارحها تتكلم معها وقد توردت وجنتاها وابرقت عيناها . فلما وصلت الى ذكرى الحريق امتقع لونها وتغيرت ملامحها كأنها فوجئت بذكرى محزنة فتوقفت عن الكلام . فاستغرب اخوها تغيرها فجأة والتفت الى الجايس فرآه ينظر اليها ايضاً

اما هي فتجلدت وعادت الى الكلام قائلة « ولم يكن كلامك وحده الذي اوقفهم .. »

قال « وكيف ذلك ؟ »

قالت « دعنا من هذا الموضوع الآن .. لان في تذكاره ما يؤلمني ويؤلمك .. وانت احوج الى الراحة والسكينة » وتشاغلت باصلاح نقابها على رأسها

فجس العاضد يده وقال « اني في خير ولا بأس بي وقد زالت الحمى والحمد لله قولي ما هو السبب الآخر »

قالت « هل اقول ؟ »

قال « قولي .. »

الفصل العاشر

خصلة الشعر

فمدت يدها الى جيبها واستخرجت خصلة من الشعر ذهبية من لون شعرها ودفعتها اليه وهي تقول « هل تعرف هذا الشعر ؟ »

فاجفل وقال « هو شعرك » هذه هي الخصلة التي قطعتها من شعرك وارسلتها في جملة شعور نسائي الى صاحب دمشق .. من اين اتتك ؟ وكيف وصلت اليك ؟ »

قالت وصلتني في ذلك اليوم الذي انتشبت فيه الحرب بين عبيدنا ورجال صلاح الدين »

قال « يكون وليًّا للعهد بعده »

قالت « ولماذا هذا العمل . لماذا تريد التخلص من صلاح الدين ؟ وترتكب كل هذه الآثام والاخطار في سبيل قتله . . ماذا فعل ؟ »

قال « تسأليني عما فعله ؟ كأنكِ لاتعلمينه »

قالت « ربما كنت اعلمه لكنني احب ان يقول ذلك امير المؤمنين من فيه »

قال « انه جعل كل النفوذ اليه ولم يبق لي من السيادة غير الاسم »

قالت « وهل كان النفوذ اليك قبله ؟ الم يكن الوزراء هم اصحاب النفوذ ؟ وكلهم من الاجانب الارمن او الاتراك . وهذا كردي وما الفرق بينهم ؟ »

فقال « لكنه استبد وغير وبدَّل و . . »

فاحست انها فازت عليه بالبرهان فلم تصبر حتى يتم كلامه فقالت « اذا كان قد استبد فانما استبدَّ في رفع المظالم عن الناس . كانت المكوس لاتحتمل فرفعها او خففها . . الاجل ذلك تدس الدسائس عليه وتكيد المكائد لقتله ؟ ان الساعون في ذلك هم طلاب السلطة يحسدون الرجل على مكانته فيثيرون غضب امير المؤمنين عليه . واذا شاء اخي ان يعرف حقيقة منزلة هذا الكردي ليتذكر الطريقة التي استنجدنا بها سلطانه نور الدين . الم ترسل شعورنا مع كتاب الى نور الدين تقول فيه « هذه شعور نسائي في قصري يستغثن بك لتنقذهن من الصليبيين » ؟ فالرجل ابى الطلب وانجدك باسد الدين وابن اخيه هذا يوسف صلاح الدين . . هل يُستنجد قائد بطريقة اذلَّ من هذه ؟ ان شعري لا يزال ينقص تلك الخصلة التي قطعتها منه » قالت ذلك وجسَّت ضفائرها كأنها تحقق ذلك . ثم عادت الى الحديث فقالت « ومع ذلك فقد اشترطنا لنور الدين ان نعطيه ثلث البلاد اقطاعاً غير اقطاع رجاله . ولما اتوا وانقذونا من الافرنج نسينا جميلهم وصار وزيرك شاور يدافعهم ويماطلهم فقتلوه . ويشهد الله ان صلاح الدين احسن قلباً واشدُّ اخلاصاً لك من شاور هذا . لكننا لم نستفد من هذا الحادث فشجعنا الخصي مؤتمن الخلافة قيم هذه الدار على مناهضة صلاح الدين ورجاله حسداً منه . الايعلم مولاي واخي ماذا فعل مؤتمن الخلافة ؟ انه اتفق مع جماعة من المصريين على مكاتبة الصليبيين ليتحد معهم على قتل صلاح الدين . فهل فعل ذلك غيرة عليك او على الدولة ؟ وبلغ خبره الى صلاح الدين فقتله فغضب خصيان القصر لمقتله لانهم سود من جنسه فاجتمع منهم خمسون الفاً وناهضوا رجال صلاح الدين والتقى الجيشان امام هذا القصر ونحن فيه . لا انسى هول ذلك اليوم ولا انسى امير المؤمنين يومئذ وقد جلس في

ولحظا التغير الذي طرأ عليها عند ذكر ذلك الشاب ولم ينتبها لما يخالج قلبها من جهته .
فلما سكتت قال العاضد « من هو هذا الشاب وكيف عرف انك من نساء الخليفة ؟ .
انه لامر غريب . كيف يعرفك شاب غريب وانت لا تخرجين الا محجوبة ؟ وهذا مع
ذلك من رجال صلاح الدين . . قولي الحق »

قالت وهي تنظر اليه شذراً « انك تتهمني يا امير المؤمنين . ولا مكان للريب . .
قد سألت هذا الشاب كيف عرفني فمد يده الى جيبه واستخرج هذه الخصلة ودفعها
اليَّ وقال . أليست هذه من شعرك « وادناها من شعر رأسي فاذا هما بلون واحد »

فابتدرها الخليفة قائلاً « مس شعرك بيده ؟ »

قالت « لم يمسه ولكنه ادناها من شعري .. انه شاب غير متَّهم وانا مدينة له بحياتي
وشرفي ولولاه لذهبت فريسة ذينك الخائنين .. » وحرقت اسنانها

قال « الم تعرفي من هما ؟ »

قالت « لم اعرفهما يقيناً ولكنني اشتبهت بواحدٍ منهما »

قال « من هو ؟ . قولي »

قالت « لا اقول . . لاني اخاف ان يخطئ ظني فاورث الاذى لرجل بريء . ولولا
ذلك لاطلعتك على هذا الحادث من ذلك اليوم . وقد مضى عليه الآن اكثر من سنة
ولم اذكره لك لئلا القي الشك في خاطرك »

فصاح العاضد وقد امتقع لونه من شدة الغضب « لماذا لم تخبريني حتى الآن . .
ايصيبك مثل هذا الامر وتكتمينه طول هذه المدة ؟ من تجاسر على هذا العمل ؟ .
من تظنين ذلك الرجل ؟ قولي »

قالت « لا تغضب يا اخي . اني لم اقل ولا اقول الان خوف الوقيعة بالابرياء وقد
نجوت والحمد لله . ولكنني قصرت بحق ذلك الشهم الذي انقذني » وحالما ذكرته ابرقت
عيناها ولو تفحص اخوها صدرها لرأى قلبها يخفق خفقاناً سريعاً . لكنه لم يفقه
فقال « الا تعرفين اسم الذي انقذك .. من هو ؟ »

قالت « لم اسأله عن اسمه وكنت اتوقع ان يأتيك في اليوم التالي ويقص عليك
الواقع فتكافئه فالظاهر انه لم يفعل . وانا لم أتمكَّن من رؤيته اما هو فبعد ان اطمأن عليَّ
وتحقق نجاتي من الخطر دفع اليَّ هذه الخصلة وهو يقول « خذي ياسيدتي هذه الخصلة
من شعرك . . صيانة لها من ان يمسها غير مستحقيها . ولم يكن يجدر بالخليفة ان يرسلها
وسيلة للاستغاثة » قال ذلك وانصرف مسرعاً سرعة البرق ولم اعد اراه من ذلك الحين

قال « وكيف ذلك »

قالت « قد ذكرت انت الآن ان صلاح الدين منع رجاله من ارسال قوارير النقط قبل ان ينطلق منها شيء على القصر . . قد يكون هـذا هو الواقع لكنني اعلم اننا ونحن في هذا القصر وقلوبنا ترجف هلعاً والسهام تترامى علينا من رجال صلاح الدين رأيت قارورة مشتعلة وقعت في الدار قرب حجرتي هذه لا ادري من اين اتت فذعرت وصحت بالخدم ان يتلافوا خطرها فلم يسمعني احدٌ لاشتغال الرجال برمي النشاب بعيداً عني . وانا في ذلك واهل القصر كل منهم في شاغل من نفسه رأيت رجلاً متنكراً بثوب الخصيان قد غطى وجهه باللثام وثب من داخل الدار ـ لا ادري كيف دخلها . فذعرت ولكنني ظننته اسرع الى نجدتي فما عتمت ان رأيته امسك بيدي وجذبني نحوه كأنه يريد ان اتبعه فانتترت منه فعاد وامسكني ثانية وجذبني اليه كأنه يريد ان يحملني ويطير بي . ولم يكن في هذه الغرفة احدٌ يراني فصحت واستغثت فلم يسمع صوتي لان الضوضاء كانت قد ملأت هذا الفضاء ثم جاء رجلٌ آخر اعان الاول على اجتذابي وهما يشيران اليَّ ان اتبعهما حالاً وهددني احدهما بخنجر استله من منطقته فأثر فيَّ ذلك المنظر وخارت قواي . وكدت اغلب على امري وقد ذهب نقابي وانحل شعري . وانا في ذلك رأيت شاباً وثب نحوي يظهر من لباسه انه من رجال صلاح الدين فايقنت انه سيعين ذينك الرجلين عليَّ واذا به صاح بهما صيحة الجبارين وخنجره مسلول في يده واوشك ان يقتلهما جميعاً فلما رأياه خافا وتركاني واركنا الى الفرار . وظل هو واقفاً كالاسد ونظر اليَّ بلطف وقال « من هم اولئك الانذال ؟ »

قلت « لا اعلم . ومن انت وماذا تريد مني ؟ »

فقال « لا تخافي يا سيدتي اني من رجال صلاح الدين المحاصرين لهذا القصر ورأيت ذينك الرجلين يعذبانك وحالما رأيت شعرك الذهبي علمت انك من نساء الخليفة فبادرت الى انقاذك واحمد الله اني قد فزت »

فسألته اذا كان علينا بأس من الاحراق فاكد لي انهم لم يلقوا نفطاً علينا وانما كان ذلك من بعض اللصوص رموا النفط من جهة اخرى لغرض لهم . ولعلهم ارادوا ان يشغلوا الناس بالنار ويختطفوني »

ولما وصلت سيدة الملك الى هذه العبارة تغيرت سحنتها وتوردت وجنتاها وبلعت ريقها وهي تلهث من التأثر

وكان الخليفة والجليس يسمعان كلامها ويراعيان الحماسة التي كانت تتجلى في محياها

وسنقول لنا . . وليس في الامر ما يدعو الى العجلة ولنرجع الان الى ما كنا فيه من امر النجاة من هؤلاء الاكراد . . ماذا رأى مولاي في ما عرضه علينا ابن عمه ابو الحسن »

فلما سمعت سيدة الملك ذلك الاسم اقشعر بدنها ولكنها تمالكت وصبرت لتسمع ما يقوله اخوها فالتفت الى الجليس وقال « هو يعدنا بقتل الرجل ويطلب ولاية العهد مكافأة له . . فنحن نعده بذلك »

قال « وعد امير المؤمنين يكفي وقوله حجة لكن ابا الحسن لا يصدقني فهل تكتب له كلمة ؟ »

قال « لا . . لا . . يكفي ان تقول له ذلك شفاهاً »

فقال « حسناً . . سأقول له . . ولكن هناك . . » وسكت وهو يتشاغل بحك لحيته كانه يكتم امراً آخر يخاف المجاهرة به

فقال العاضد « ولكن هناك ماذا ؟ قل »

قال « اخاف ان تغضب سيدتي الاميرة لانها . . » وسكت

فقالت « ما الذي يغضبني — كيف عرفت انه يغضبني ؟ »

فتبسم وقال « قد ادركت من خلال حديثك انك لا تحبين ابا الحسن »

فابتدرته قائلة « ولماذا احبه وهل هو يتطلب مني ذلك ؟ »

قال « لا . لكنه يلتمس التقرب من امير المؤمنين والتشرف بـ . . »

قالت « بماذا ؟ »

فالتفت الجليس الى العاضد وقال « هل اقول يا مولاي ؟ »

قال « قل بماذا يريد ان يتشرف ؟ اظنني علمت مراده لانه طالما لمح الى ذلك في حديثه معي . . والحق يقال انه كفء لما يطلبه . . » وتنحنح وحوّل وجهه نحو سيدة الملك

فادركت ما يعنيه . وكان قد ذكر لها مرة قبل هذه رغبة ابي الحسن بالزواج بها فرفضت . فلما سمعته يشير الى ذلك تجاهلت وقالت « لم افهم مرادك . ماذا تعني ؟ »

فقال « اظنك فهمتِ ما اعنيه » والتفت الى الجليس وقال « ما هو رأيك في هذا الامر يا عماه . . اني لا ارى اكفأ من ابي الحسن لأختي »

فاعتدل الجليس في مقعده وقال « لاريب انه خير كفء لما يتصل به من النسب الشريف فضلاً عن تعقله ودهائه . ويكفي ما رأيناه من تفانيه في مصلحة مولاي

الفصل الحادي عشر

من تتهمين

فاصبح صدر الخليفة يغلي من شدة الحنق ونسي ضعفه في ذلك اليوم . ولم يتمالك عن النهوض بسرعة حتى قبض على الخصلة واجتذبها من يد سيدة الملك وجعل يتفرس فيها ويقابلها بسائر الشعر فاذا هو هي فالتفت الى الجليس وقال « ماذا ترى يا عماه ؟ . كيف يدخل الغرباء قصري ومعهم شعور نسائي .. ولكن آه ! انا المذنب لاني تسرعت في الاستغاثة فارسلت شعورهن الى صاحب دمشق .. ولكن كيف وصلت هذه الخصلة الى هذا الشاب و كيف احتفظ بها حتى عرف صاحبتها ؟ لا ادري »

وكان الجليس يسمع ويرى وقد اخذته الدهشة فلما رأى غضب الخليفة وشدة تأثره قال « خفف عنك يا سيدي . لكل شيء سبب ولا يهمنا سبب وصول هذه الخصلة الى ذلك الكردي بقدر ما يهمنا معرفة الرجل المتنكر الذي اراد اختطاف مولاتي سيدة الملك . . من يجسر على ذلك ؟ »

فالتفت العاضد الى اخته وقال « قولي .. قولي من تتهمين ؟ من هو ذلك النذل الذي تجاسر على دخول قصري وخرق حرمتي ..» قال ذلك وهو يلهث وقد احمرت عيناه وارجع الخصلة اليها ورجع الى مقعده وقد احس بانحلال عزائمه

فتقدمت اخته نحوه واخذت تخفف عنه وتمسح جبينه وتقول له « لا تغضب يا اخي .. اسمح لي ان لا اذكر اسم الرجل الذي اتهمه لاني اتهمته بمجرد الظن وبعض الظن اثم . وانا واثقة ان هذه التهمة مهما كانت ضعيفة تكفي لايقاع الاذى بصاحبها . فحرام عليّ ان اعرّض نفساً للهلاك . »

قال « وحياة رأسي الا قلت من هو ذلك الخائن واعدك ان لا اسارع الى الانتقام الا بعد التبصر »

فاطرقت وهي تصلح نقابها على رأسها ثم جعلت تلاعب خصلة الشعر بين اناملها واخوها شاخص فيها ينتظر نطقها فلما استبطأ جوابها قال « ما بالك لا تقولين ؟ »

قالت « بالله دعني .. سأقول لك ذلك بعد الان دعني افكر قليلاً . . »

فالتفت الشيخ الجليس الى العاضد وقال « دعها يا مولاي الان ولا تغضبها .

لا نقاده من هؤلاء القوم . والذي اراه ان توافقه على هذا الطلب فيهون عليه السكوت عن الشرط الآخر — اعني اذا كان جواب مولاي من حيث خطبة مولاتي له بالايجاب لا اظنه يشدد في طلب الشرط بولاية العهد بل يكتفي بهذا لانه شديد الاحترام لسيدة الملك ويعدُّ حصوله عليها منة كبرى . وعند ذلك يكون هو عوناً لنا في ما نريد بلا شرط »

فلما سمعت سيدة الملك ذلك التصريح قالت وهي تتصنع بخفض صوتها « هو يطلب ان يتزوجني وانت تستحسن ذلك ؟ واحب ان اعرف رأي اخي امير المؤمنين ايضاً »

فظنها تعني ما تقوله حقيقة وهو يريد ان تقبل طمعاً بالنجاة من صلاح الدين فقال « وهذا هو رأيي أيضاً كما تعلمين من قبل »

فاجابت ببرود « لكنه ليس رأيي انا .. » وحولت وجهها عنه

فقال العاضد « يظهر انك لا تزالين على خطئك .. ان ابا الحسن ليس في اهلنا جميعاً من هو اكفأ منه لك .. فضلاً عن تفانيه في خدمتنا »

فقالت « اني لا اطلب كفوءا ولا غير كفء . قلت لك من قبل اني لا اطلب الزواج . . دعنا من هذا الان .. وليطلب النصيب من طريق آخر .. »

فقال الجليس « ولكن ياسيدتي .. اذا قبلت فانك تخدمين مصلحة مولانا امير المؤمنين لان ابا الحسن اقدر انسان في الدنيا على انقاذه .. »

قالت وهي تنظر اليه نظر الاستخفاف « ان ابا الحسن كاذب .. انه لا يستطيع شيئاً من ذلك »

فضحك الجليس ضحك استعطاف وقال « قد ظلمته بهذا الحكم يا سيدتي .. لاني على يقين من تفانيه في خدمة مولانا وهو صادق الغيرة على شرف آل البيت لانه من صميمهم »

فقالت « وهو كاذب في هذا ايضاً — ان آل البيت عرفوا بصدق اللهجة والاخلاص وهذا رجل منافق وكفى »

فامتعض العاضد من حكمها بهذه الصراحة وقال « لا دليل على ما تقولين غ قولك .. قد عرفت الرجل منذ بضعة اعوام ولم ار منه الا كل مودة واخلاص . ولا اعلم كيف جاز لك الحكم عليه بالكذب والنفاق »

نقد فلسفة دروين ودحض شبهات المعطلين

كتاب عربي سوف يظهر للناس رافلاً بتعبيراته اللطيفة وتحقيقاته الشريفة مستوفياً لما تقتضيه الجهة العلمية والجهة الدينية الفه بعض العلماء والافاضل في النجف الاشرف من العراق العربي

(السيد علي بن السيد محمد الاصفهاني)



مجلة تاريخية اجتماعية علمية ادبية صحية

سنتها عشرة اشهر

وتعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب تهديه الى المشتركين في آخر السنه

انشئها

جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ٨٠ غرشاً في القطر المصري و ١٠٠ غرش في الخارج تدفع سلفاً

AL-HILAL

Social, Historical, Scientific & Literary Review

EDITED BY

GEORGE ZAIDAN

SUBSCRIPTION: 26 Frs. OR 5 DOLLARS PER ANNUM

Vol. XXI. N° 8

1 May, 1913

AL-HILAL Printing Office, Cairo.

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

الهلال

الجزء الثامن من السنة الحادية والعشرين

اول مايو (ايار) سنة ١٩١٣ و ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣٣١

آجال الدول

او اعمارها قديماً وحديثاً

الدولة والامة

الدولة في الاصطلاح السياسي الملك ووزراؤه ورجال حكومته . والامة الجيل من الناس او القوم لهم جامعة تجمعهم ونريد بها الرعية . ويشترطون في الدولة التحضر والاستقرار في مكان معين . فيخرج بهذا التعريف الامارات البدوية اوماهو في معناها

فالمملكة مؤلفة من الدولة والامة وكلاهما من الاحياء او توابع الاحياء تخضعان لناموس التحول اوالنشؤ . وتنطبق عليهما سنن الاحياء من حيث التولد والنمو والتفرع والشيخوخة والموت . فلكل دولة اجل ولكل امة أجل تمرُّ فيه باطوار تتنقل فيها تنقل الافراد في اطوار الحياة من الولادة الى الموت . ويمكن المقابلة بين حياة الفرد وحياة الامة اوالدولة في كل طور مقابلة اجمالية . ويكاد يكون لكل منهما قواعد عامة في ذلك الانتقال تشترك فيه الدول والامم في كل عصر . فكما يقال عن الفرد انه بلغ طور الشباب او الكهولة او الشيخوخة مثلاً يستعار هذا التعبير للدلالة على اطوار الامة او الدولة وان كانت هذه الاطوار اقل وضوحاً في الجماعات مما في الافراد

والغرض من هذه المقالة بسط آجال الدول اي الاطوار التي تمرُّ فيها الدولة من

الامبراطور شارلمانه

(سنة ٧٤٢ — ٨١٤ م)

انشأ دولة واسعة الاطراف انقضى اجلها بانقضاء اجله



فان الدول التي ذكر التاريخ تسلطها على تلك البقاع جاء اكثرها فاتحاً وبعضها لم يكن قبل ذلك الفتح دولا وانما كانت قبائل بادية تعيش على الغزو او السائمة . فلما تغلبوا على تلك الامم انشأوا فيها دولاً توالى الحكم في اعقابها كالرعاة (الهيكسوس) بمصر والحمورابيين في بابل والاسرائيليين في الشام والعرب بعد الاسلام في الشرق الادنى . فان تلك الدول وامثالها نشأت بالفتح والانتقال من البداوة الى الحضارة وهو الطريق الثاني من طرق تكون الدول

٢ — نشوء الدول بالفتح

ان تكوُّن الدول بالفتح من ضروريات العمران ايضاً . والغالب فيها أن تكون في الاصل قبائل بادية تعوَّدت شظف العيش وخشونته وآنست من جيرانها المتحضرين ضعفاً اقتضته عوامل المدنية من الرخاء والترف فطمعت بهم واستولت على مافي ايديهم من اسباب النعيم — والحصول على اسباب الحضارة والعيش الرغيد مطمح انظار البدوي — وقد ذهب الرخاء ببسالة المتحضرين وقضت شيخوخة الدولة بتفكك جامعتهم كما ستراه في مكانه . فتغلبهم على ما في ايديهم من المال والسلطان وتنشئ على انقاض دولتهم دولة شابة نشيطة في مقتبل العمر . والغالب ان تقتبس ما خلفته تلك من القوانين والشرائع والعادات ونحوها وتنوعها لتلائم طبائعها . كما فعل الجرمان الذين سطوا على المملكة الرومانية من الشمال والعرب الذين سطوا عليها من الجنوب . لكن هؤلاء كانوا اقل تقليداً للرومان في احكامهم وشرائعهم لأنهم قاموا للفتح باسم الدين ومعهم كتاب امروا بنشره والعمل به فجعلوه اساس شرائعهم واحكامهم . واقتصر تقليدهم في البلاد المفتوحة على نظام الحكومة وبعض الاحوال الاجتماعية

اما الجرمان فانهم لم يجيئوا بدين ولا كتاب فاضطروا بطبيعة العمران ان يقلدوا البلاد المفتوحة بكل ماكان فيها من دين واجتماع وشرائع ولم ينشئوا دولاً تستحق الذكر الا بتوالي الاجيال . اما العرب فلم يمض القرن الاول من نهوضهم حتى انشأوا دولة خفقت اعلامها على اسيا وافريقيا واوربا ونظموا الحكومة ووضعوا الشرائع والاحكام

والدول التي نشأت بالفتح كثيرة في التاريخ القديم منها في التمدن الاسلامي السلاجقة والمغول والعثمانيون . فالسلاجقة كانوا قبيلة بادية طمع اميرها بالفتح فاسلم هو ورجاله واكتسحوا المملكة الاسلامية . وجنكيزخان المغولي عليها حمل برجاله فاخرب واحرق واسس دولة المغول على الدماء والنيران . والعثمانيون جاء جدهم سليمان بقبيلته

النشؤ الى الانقضاء وما تتقلب عليه في أثناء حياتها من الاطوار او ما ينتابها من الامراض وهل يمكن مداواتها . لكن الباحث في الدول على اختلاف الاعصر يرى فرقاً واضحاً بين الدول القديمة والدول الحديثة وقد اختلفت الاطوار بينهما اختلافاً بيناً باختلاف نظامات كل منهما . وهي في هذا الاعتبار تقسم الى الدول الاستبدادية واكثرها نشأت في التمدن القديم والدول الدستورية وهي من ثمار التمدن الحديث . فيصح ان نسمي الاولى الدول القديمة والثانية الدول الحديثة فلنبحث في آجال كل منهما على حدة

اجال الدول الاستبدادية

نريد بالدول الاستبدادية الحكومات المطلقة التي لا يقيد ملوكها بقانون ولا تشاركهم الامة في شيء منها . ولكل من هذه الدول اطوار تمرّ بها من النشؤ فالنمو فالشباب فالكهولة فالشيخوخة فالهرم فالموت . وحباً بالاختصار نقسم تلك الاطوار الى النشؤ والنمو والرسوخ والضعف والهرم والموت

اولاً — طور النشوء او التكون

ذكر التاريخ عشرات او مئات من الدول الاستبدادية ظهرت من اول عهد التاريخ الى اوائل هذه المدنية . غير ما لم يدركه التاريخ وهو كثير . ولكل منها مكان ولدت فيه وزمان نشأت او تكونت في اثنائه لكنها تختلف في ذلك باختلاف الاحوال والاعصر والاقاليم وترجع في اصول نشأتها على الاجمال الى ثلاث طرق :

١ — النمو الطبيعي

نعني ان كثيراً من هذه الدول تولدت في الامة بطبيعة العمران اقتضى تكونها افتقار الامة الى وازع يقضي بين افرادها . فتولدت فيها حكومة الاباء فامارة القبيلة فسلطة الملوك وهي الطريقة الطبيعية لنشؤ الدول . ويكثر ذلك خصوصاً في الامم التي نشأت في البقاع الخصبة كوادي النيل ووادي الفرات . فيغلب على الظن ان الدول نشأت في كل منها بطبيعة الاقليم اذ تكاثروا وتعددت حاجاتهم فافتقروا الى الحكومة فتكونت عندهم قبل عهد التاريخ . ويصح ذلك خصوصاً على الدول الاولية في مصر وبابل واشور وفينيقية وفارس ونحوها

على ان هذه الدول لم يطل حكمها نخلفتها دول فاتحة جاءتها من الخارج طمعاً بالسلطة او التماساً للمعاش . وهو طريق آخر لتكون الدول اقرب عهداً في التاريخ .

تصير دولاً مستقلة ثم تمشي كل منها على هذه الوتيرة

واذا تتبعت التاريخ المعروف من اقدم ازمانه رأيت اكثر الدول التي نشأت في اثنائه انما كان نشوءها بالتفرع . ومعنى ذلك ان الدولة الكبرى اذا اصابها الهرم واستولى الفساد على اعضائها الرئيسية في عاصمة الملك طمع الولاة والعمال في الاطراف بالاستقلال عنها فيطلبونه بالقوة او يغتنمون الفرص للانسلاخ او يتدرجون اليه رويداً رويداً . وفي كل حال فانهم لا يلبثون ان يستقل كل وال بامارته وينشئ لنفسه دولة

هكذا نشأت معظم دول اوربا الحديثه واكثرها فروع للدولة الرومانية استقلت عنها في اعصر مختلفة وبوسائل مختلفة — وهكذا اصاب الدولة العباسية لما بلغت ابان اتساعها في القرن الثاني للهجرة فاخذت بالتفرع من اواسط ذلك القرن وانفصلت فروعها عنها الأبعد فالابعد . فاستقل اولاً الادارسة والاغالبة في المغرب ثم الطاهريون في فارس والطولونيون بمصر والحمدانيون في حلب . وقس على ذلك الدول الغزنوية والصفارية والزيارية وغيرها فانها تفرعت من الدولة العباسية . واعتبر ذلك بما اصاب دولة الامويين في الاندلس كيف تفرعت لملوك الطوائف . وهذه الدولة العثمانية تفرع منها الى الآن دول البلقان وتونس والجزائر ومصر والسودان وغيرها بطرق مختلفة على درجات متفاوتة

ثانياً — طور النمو والرسوخ

قد علمت كيف تنشأ الدولة وهو دور الولادة . ثم يأتي دور النمو الذي تتقوى به الدولة ويتسع سلطانها وترسخ اصولها . ولها شروط اذا لم يتدبرها اصحابها ويعملوا بها ذهبت اعمالهم عبث — هاك اهمها :

١ — الفتح والاستعمار

الفتح اظهر اسباب التوسع بالملك واكثر الدول التي نشأت في التمدن القديم اي في الطور الاستبدادي اتسع سلطانها بالفتح وهو كالغذاء للمولود يقويه وينميه . هكذا فعل اليونان والرومان والعرب والمغول والاتراك على اختلاف دولهم من السلاجقة فالاتابكة فالعثمانيين وغيرهم وان تفاوتوا في كيفية الفتح واشكاله واسبابه وانما هو على الاجمال يعدُّ طبيعياً لان الدولة الجديدة كالمولود الجديد تطلب النمو واعضاؤها سليمة نشيطة يسهل عليها الهضم والتمثيل . لان القوم الذين يوفقون الى انشاء دولة يغلب ان يكونوا اشداء ولا سيما اذا كان انشاؤها بالفتح وكانوا من اهل البادية وفيهم عصبية

فاراً من المغول الى اسيا الصغرى فاسس ابنه عثمان دولة آل عثمان . وقس على ذلك كثيراً من الدول التي نشأت بالفتح

وللقيام بالفتح على هذه الصورة شروط لا غنى عنها لمؤسس الدولة اهمها جامعة تجمع رجاله حوله كعصبية النسب او جامعة الدين . فضلاً عن البسالة والقوة فانهما متوفرتان في اهل البادية من طبيعة احوالهم . فالسلاجقة استعانوا في انشاء دولتهم بالعصبية وهي اجتماع القبيلة بنسب مشترك او ما يقوم مقامه . وكذلك فعل المغول . اما العرب فانهم جمعوا السببين معاً جامعة الدين وجامعة النسب فاخضعوا معظم العالم المتمدن في الشرق باقل من عشرين سنة . وكانوا في قلة وشظف من العيش وانما غلبوا بالاتحاد المبني على الجامعة العربية والحمية الدينية . لكن الدين اكثر تأثيراً في بقاء الدولة ورسوخها وجمع الكلمة في الدفاع عنها . لان اهل الاعتقاد الواحد يعملون بقلب واحد ويد واحدة ويعتقدون برابطة دائمة بينهم في الدنيا والآخرة . واما عصبية النسب فانها تربط اصحابها في هذه الدنيا فقط فضلا عما في جامعة الدين من ثبات الدولة بعد ذهاب طبيعة البداوة

اما في اول الفتح فاذا لم يكن للفاتحين عصبية تجمعهم لم تغنهم جامعة الدين كما اصاب الافرنج لما حملوا على الشرق في حروبهم الصليبية فقد كانوا يجتمعون بالدين ويتحمسون به لكنهم كانوا فرقاً من عصبيات مختلفة فحال ذلك دون اتمام عملهم

على ان العصبية والدين والبداوة لاتفيد شيئاً ان لم تكن الاسباب متوفرة في الخارج فلا يكون للبلاد المراد فتحها من يمنعها او يدافع عنها كما حدث في السودان باواخر القرن الماضي فقد نهض المهدي بجامعة الدين وحماسته وخشونة البداوة وجامعة اللغة والجنس واوشك ان يفعل ما فعله العرب في صدر الاسلام لو لم يتدارك الانكليز عمله ويقفوا في طريقه

٣ — نشوء الدول بالتفرع

هو اقوى العوامل الطبيعية في تكوُّن الدول لانه مبني على سنة النشوء والارتقاء وهي تقضي بالنمو والتفرع — وبها تولدت انواع الحيوان واصناف البشر ولغاتهم وآدابهم وعاداتهم وسائر احوالهم بالانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح . ينمو الحي فاذا بلغ اشده تناسل او تفرع ثم استقلَّ كل فرع بنفسه حتى يبلغ اشده ويتفرع . وهكذا شأن الدول وهي من توابع الاحياء . فالدولة تنمو ويتسع سلطانها وتمتد سطوتها وتمرُّ بدور الشباب فالكهولة الى الهرم وهي تتفرَّع وتستقل فروعها شيئاً فشيئاً حتى

والاستنصار بالعصبية في تأييد الدولة من جملة القواعد التي وضعها مكيافيلي في كتابه « الامير » اشار بذلك لتأييد سلطة الفاتح خوفاً من تآمر اهل البلاد المفتوحة عليه

٣ — انتقال الملك الى من يحسن تدبيره

نعني من يخلف الامير الفاتح والدولة في اول امرها لم ترسخ قواعدها . فاذا مات الملك او الامير ولم يكن خلفه عاقلاً حازماً ذهب الفتح عبثاً . واذا وقع ذلك بعد رسوخ الدولة أضرَّ بها لكنه لا يهدمها . اما في اول الدولة فاذا خلف الفاتح ملكٌ ضعيف او لم يكن له من يخلفهُ من اهل عصبيته ذهبت دولته كما اتفق للاسكندر وقد انشأ مملكة لم يسبقه الى مثلها احد قبله . لكنه لم يكد يموت حتى تفرَّعت وصارت دولاً متفرقة

وهذا المهدي السوداني انشأ دولة توفرت في انشائها اهم الاسباب المتقدم ذكرها وفتح بلاداً وانشأ دولة ووضع شرائع وانما كان ينقصه خليفة عاقل يدبر ما خلفه له من الملك . فلو وفق الى ذلك لم تذهب دولته بعد موته . نعني ان خليفته التعايشي لو كان حكيماً عاقلاً مدبراً — لا نقول انه استطاع الوصول الى ما كان المهدي يطمع به من الملك الواسع لان الحال السياسية العامة اليوم لاتساعد على ذلك — لكننا نعتقد انه لو احسن التدبير لما وجد الانكليز حاجة الى محاربته وانما يكفيهم ان يعاهدهم على فتح طريق التجارة وحماية مصالحهم . واعتبر ذلك بنادر شاه الفارسي وتيمورلنك المغولي وشارل العظيم وغيرهم من الفاتحين العظام الذين انشأوا دولاً لم تبق اما لضعف من يخلفهم او لاسباب اخرى . وقد يكون الملك الذي تنتقل اليه الدولة ضعيفاً ولا يضرُّها ضعفه اما لقصر مدة حكمه او لقيام بعض اهل الدهاء من خاصته بالامر دونه كما اتفق ليزيد بن معاوية

٤ — المصانعة بعد الفتح

اذا تمكن الفاتحون من الاستيلاء على بلد او الحلول محل دولة فالحكمة تقضي عليهم بمصانعة المغلوبين والاحسان اليهم ليكسبوا قلوبهم لانهم لايستغنون عنهم في تدبير شؤون ذلك البلد واستثمار ارضه وهم غرباء عنه . ولاسيما اذا كانوا اهل بادية لايعرفون سياسة الملك ولا ادارة شؤون الدولة . فاذا لم يحسنوا معاملة البقية الباقية من تلك الامة بعد الفتح عرضوا ملكهم الجديد للضياع كما فعل المغول لما اكتسحوا المملكة الاسلامية بقيادة جنكيزخان ثم تيمورلنك فانهم عمدوا الى تخريبها وقتل اهلها واحراق مبانيها فلم يستقر سلطانهم الا ريثما جاء من دعاهم الى الخروج فخرجوا

النسب . فهؤلاء اذا ذاقوا لذة النصر بالفتح ووضعوا ايديهم على ما هنالك من الغنائم والثروة وسائر اسباب الحضارة استخفوا بسواهم وزادوا رغبة في الفتح . ويهون عليهم ذلك لما يقع من رهبتهم في نفوس الناس وهم لا يزالون في اول الدولة اهل عمل ونشاط على الفطرة الطبيعية التي تقتضي النظر الى حقائق الامور بلا التفات الى الظواهر الفارغة التي تتولد في اواخر اطوار الدولة

على ان الفتح وحده لا يضمن بقاء الدولة بل هو بنفسه قد يكون مؤذناً بالخراب ان لم تتوفر الاسباب المساعدة على استبقاء البلاد المفتوحة وترقية شؤونها . هذا تيمورلنك فتح المشرق وتغلب على بيازيد سلطان العثمانيين وارعب العالم لكن معظم فتوحه ذهبت عبثاً بعد موته . واعتبر ذلك بفتوح نادرشاه الفارسي وغيره وانما يشترط مع الفتح لتأييد الدولة شروط لا بد منها وهي :

٢ — الاستكثار من اهل العصبية في البلاد المفتوحة

كان ذلك من الطرق المتبعة في التمدن الاستبدادي فاذا فتح القوم بلداً جاؤا اليه باقوام من اهل عصبيتهم يقيمون بجوارهم . كذلك كان يفعل العرب ليؤيدوا سلطانهم ببطون من قبائلهم يستقدمونهم الى البلاد المفتوحة يمتعون بارضها وغرسها . حتى الامراء في النواحي كان احدهم اذا خاف ضعفاً في جنده او آنس شرّاً من منازع له على السلطة استقدم جماعة من قبيلته يقيمون في ضواحي بلده يفرض لهم العطاء او يطبق لهم المرعى ليستنفرهم عند الحاجة كما فعل الوليد بن رفاعة لما تولى مصر في خلافة هشام بن عبد الملك الاموي وكان هشام يقرب قبيلة قيس (العدنانية) لانهم نصروه وايدوا خلافته ولم يكن منهم في مصر الا بعض البطون وقيس قبيلة كبيرة تحتها عدة قبائل وبطون وافخاذ . واول من نبه هشام الى نقلهم ابن الحبحاب فانه وفد عليه فسأله ان ينقل الى مصر منهم ابياتاً فاذن له في الحاق ثلاثة الاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر اي ان يقبضوا رواتبهم من حكومة مصر

وهكذا فعلت الدول التي انشئت على انقاض الدولة العباسية او تفرعت منها كالاتراك والمغول والفرس والاكراد والجركس ونحوهم . فان كل امير او سلطان من هؤلاء كان يستقدم من اهل قبيلته او عصبيته من يأخذ بناصره عند الحاجة . وكانوا يستقدمون على الخصوص اهل البداوة والشدة لانهم اقوى على الجلاد والدفاع . وربما استقدموا القبائل البدوية يصطنعونها للاستعانة بها وان لم تكن من عصبيتهم لانهم كانوا يرون فضل البداوة في الحرب

فاخذت تنتشر في الاهلين رويداً رويداً حتى اصبحت اللغة السائدة وذهبت للغات اليونانية والقبطية والفارسية وسائر اللغات التي كانت في تلك البلاد وصار اهلها يعدون انفسهم عرباً ونسوا جنسياتهم الاصلية . وبعضهم ينتحل النسب العربي في بني غسان او لخم او غيرهما تفاخراً بتلك العصبية وان لم يكن منها

وهكذا فعل الرومان بنشر لسانهم (اللاتيني) في ممالكهم الغربية في جنوبي اوربا فاصبح اهلها يفتخرون بالنسب الروماني لانهم يتكلمون اللغة اللاتينية . وقد ساعد ذلك على تأييد سلطانهم . وهكذا فعل البورتغال بنشر لسانهم في اميركا الجنوبية والانكليز في اميركا الشمالية . ولو فعل العثمانيون ذلك في اول دولتهم لاغناهم عن تفرق العناصر في مملكتهم وهو من اكبر اسباب ضعفهم وتضعضع احوالهم . لان اهل الشام والعراق ومصر لو أُكرهوا في ابان الدولة العثمانية على اتخاذ اللغة التركية لكانوا يعدون انفسهم اليوم اتراكاً — يدافعون عن العنصر التركي كما يدافع اهل سوريا ومصر عن العرب وفيهم من لا أثر للعربية في نسبه . وبعض المسلمين منهم يرجعون بانسابهم الى اصول تركية او شركسية او كردية او البانية معروفة . وبعض المسيحيين اسمهم يشهد بانهم ايطاليان او يونان او افرنج ولكنهم يتكلمون العربية ويعدون انفسهم عرباً

٦ — تعميم مذهبهم الديني

قد علمت ما لجامعة الدين من التأثير في جمع الكلمة فمن اكبر اسباب تأييد الدولة الفاتحة ان تنشر دينها في رعاياها فتتأيد به بتعاقد القلوب . وجامعة الدين امتن من جامعة اللغة في التمدن القديم . وكلما تقدم الناس في المدنية الحديثة رجحت جامعة اللغة على جامعة الدين لان اهل اللغة الواحدة يقيمون على الغالب في وطن واحد واللغة معناها اذ ذاك « جامعة الوطن » وهي افضل الجامعات لتبادل المصالح والمنافع . واذا اضيفت اليها جامعة الدين زاد تعاقد القوم وقويت اسباب اتحادهم . فاذا كان سوادهم من مذهب صاحب الدولة ايدوا سلطانه . والا كان من السياسة ان ينتحل هو مذهبهم كما فعل السلاجقة لما نهضوا لفتح المملكة الاسلامية . وكما يفعل بعض ملوك اوربا اليوم مراعاة لشعائر رعاياهم

واذا تتبعت تاريخ الامم القديمة في عهد الوثنية رأيت من قواعد الفتح عند اكثرهم ان يتسلط آله الفاتح على آلهة القوم الذين دخلوا في سلطانه . فينزع اصنامهم من هياكلهم وينصب صنمه في مكانها . وهكذا فعل اصحاب الديانات الكبرى الشهيرة . فقياصرة

خلافاً لما فعله العرب لما فتحوا الشام والعراق ومصر وفارس في صدر الاسلام فانهم حاسنوا من دخل في سلطانهم من اهل الذمة وأقروهم على ما كانوا عليه كما هو مشهور . ولعلهم اقتدوا في ذلك بسياسة التألف التي جرى عليها النبي بعد فتح مكة فانه سمى اشراف مكة الذين اسلموا بعد الفتح «المؤلفة» اشارة الى تأليف قلوبهم لتتألف بهم قلوب اقوامهم تعزيزاً للاسلام . فكان اذا غزا غزوة وفرق الغنائم في اصحابه بدأ بالمؤلفة قلوبهم فاعطى ابا سفيان وغيره من اشراف مكة اكثر مما اعطى اصحابه الذين هاجروا معه ونصروه . فشق ذلك على هؤلاء فتشاكوا فيما بينهم وقالوا «كيف يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا لا تزال تقطر من دمائهم» فبلغ ذلك الى النبي فجمعهم وسألهم فاعترفوا له بما قالوا فصوب قولهم ولكنه قال لهم «اني لأعطي رجالاً حديثي عهد بالكفر أتألفهم ليحسن اسلامهم ويسلم غيرهم تبعاً لهم . وأما انتم فوكلتكم الى اسلامكم الثابت الذي لا يتزلزل — الا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا انتم برسول الله الى رحالكم ؟ . . »

فلا عجب اذا اقتدى المسلمون به في مصانعة من دخل في سلطانهم من المغلوبين على امرهم . وكان لذلك تأثير حسن في نشر الاسلام وتأييده . وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ٤٦ — ٥٨

٥ — نشر لغة الفاتحين

من اكبر الاسباب المؤيدة للدولة في مملكتها نشر لغتها بين رعاياها . فاذا صارت لغتها لغتهم اصبحوا يعدون انفسهم من جنسها وربما ادعوا الانتساب الى آبائها . فتأمن بذلك من القيام عليها بنعرة الجنس — هكذا فعل العرب في صدر دولتهم فجعلوا اللغة العربية لغة الحكومة الرسمية لا يقبلون التخاطب الا بها . والفضل في ذلك للدولة الاموية وهي الدولة العربية الصميمة لم يقم بعدها دولة تغار على العرب مثل غيرتها . استتب الامر للامويين في زمن عبد الملك وقد اتسعت مملكتهم واهلها من امم شتى يتكلمون اليونانية والفارسية والكردية والقبطية والسريانية والنبطية والعبرية والبربرية وغيرها . وكانت اعمال الحكومة تجري باللغات الثلاث اليونانية في الشام والفارسية في العراق والقبطية بمصر . وكأنهم نظروا الى المستقبل البعيد فخافوا ان يكون تفرق اللغات باعثاً على الانقسام لتعدد الاجناس — وهم لا يريدون ان يسود غير العرب — فامروا ان تكون اللغة العربية لغة الدواوين الرسمية لا يقبلون التخاطب بسواها

ثالثاً — كهولة الدولة

اذا تأيدت الدولة بالاسباب التي قدمناها كلها او بعضها رسخت قدمها واتسع سلطانها وبلغت ابان مجدها في اواسط تاريخها كما اصبحت الدولة الرومانية في ايام أوغسطس والعباسية في ايام الرشيد والدولة العثمانية في زمن السلطان سليمان القانوني . ثم تأخذ بالتقهقر ويتطرق اليها الضعف رويداً رويداً حتى تصير الى الكهولة فالشيخوخة . وقد قسم ابن خلدون عمر الدولة الى خمسة اطوار: (١) طور الظفر بالبغية والاستيلاء على الملك وانتزاعه من الدولة السابقة (٢) استبداد صاحب الدولة الظافرة على قومه واهل عصبيته والاستئثار بالملك دونهم (٣) طور الفراغ والدعة (٤) المسالمة والاقتناع بما حصل (٥) الاسراف والتبذير وهو آخر الاطوار وينتهي بالانقراض . وهو يرى ان عمر الدولة من ظهورها الى انقراضها لا يزيد على ١٢٠ سنة . وقد علل ذلك في مقدمته تعليلاً لا بأس به . لكن درسه مبني على تدبر تاريخ الاسلام فقط وهو وجه من اوجه التاريخ لا تكون القضايا المستنتجة به ثابتة الا اذا ايدتها سائر حوادث التاريخ

واليك ما وصلنا اليه بعد التوسع في ذلك . فنبدأ باسباب تطرق الضعف الى الدولة الاستبدادية وهي كثيرة نختصرها بما يلي :

١ — التنافر بين الملك واهله

والسبب في ذلك ان الفاتحين اهل العصبية لا بد لهم من رئيس يتولى قيادتهم . فاذا تمَّ لهم التغلب وتربعوا في دست الدولة توهم كل منهم انه صاحب الفضل الاعظم بذلك الفتح . وأحرِ بالامير الاكبر ان يتوهم ذلك في نفسه ولا سيما بعد ان تأخذه ابهة الملك ويسكر بخمر الانتصار . فيقوم في اعتقاده ان ذلك الفتح انما تمَّ بتدبيره ودهائه — وطبيعي في الانسان اذا نجح في عمل ولو كان نجاحه صدفةً ان يأخذه الغرور ويتوهم نفسه افلاطون زمانه وان ما ناله من النجاح انما كان سببه تفرده بالذكاء والتعقل . فكيف بالملوك وفتح الممالك ؛ فاذا توهم الامير ذلك في نفسه شق عليه ان يسمع ما يخالفه من رجاله ولا سيما اهله الذين يجوز للواحد منهم ان يخلفه في الرئاسة . فيبدو ذلك منه وهو يحاول اخفاءه فتتبادل المنافرة بين القلوب سرًّا ولا تصير الى المكاشفة الا بعد حين او لباعث . والملك يزداد مع الزمان حذراً من اهله وتختلف طرق تصرفه معهم او معاملته اياهم باختلاف مزاجه ودرجة تعقله وسائر احواله لكنه في كل حال يخاف على منصبه منهم

القسطنطينية حالما تنصروا امروا رعاياهم باعتناق النصرانية . ولما ابطأوا في تنفيذ اوامرهم حملوهم على ذلك كرهاً . فبعث ثيودوسيوس الكبير اوامره الى عماله في مصر والشام ان يكسروا التماثيل ويحولوا الهياكل الوثنية الى كنائس . ففعلوا ذلك في بعلبك ودمشق وغيرهما . فجعلوا اكثرها كلها معابد للنصرانية وقد تحوّل بعضها بعد الفتح الاسلامي الى جوامع . اشهرها الجامع الاموي في دمشق اصله هيكل وثني جعله النصارى كنيسة باسم القديس يوحنا ثم جعله المسلمون جامعاً . وكذلك هيكل الشمس في بعلبك وغيره . غير سعي القياصرة وولاتهم في نشر النصرانية . واعتبر ذلك الآن بسعي طوائف النصرانية في نشر مذاهبها

وهكذا فعل المسلمون وان لم يكرهوا اهل الذمة على الاسلام كما فعل قياصرة الروم لكن نشر اللغة العربية ورسوخ قدم المسلمين في السيادة بعث على تغلب الاسلام في الشرق الاسلامي . فساعد ذلك على تأييد دولة الاسلام في المملكة الاسلامية باسيا وافريقيا ولو استطاعوا مثله في اسبانيا وغيرها من البلاد التي فتحوها في اوربا لطال مكثهم هناك اكثر من ذلك

على ان البقية القليلة التي ظلت من المسيحيين في المملكة الاسلامية كانت سبباً لمداخلة دول اوربا الحديثة بشؤون الدولة العثمانية واحياء المسألة الشرقية . وكان الاسبان استفادوا من هذا الخطأ فلما تغلبوا على المسلمين خيروهم بين النصرانية والخروج من مملكتهم فلم يبقَ فيها مسلم . وجملة القول ان تدين الامة بدين الدولة يسهل خضوعها لها والاَّ فان تفرق الاديان يبقى سوساً ينخر في جسم الدولة لا تظهر اضراره الا في شيخوختها فيساعد على انقضائها

٧ — التجنيد والتحصين

ان هذا الشرط طبيعي لتأييد الدولة وحفظها وان اختلفت طرقه باختلاف العصور واحوال المدنية . اما في الدول القديمة فالتجنيد كان له شأن خاص في جملة الاستقواء بالعصبية من تجنيد قبيلة الفاتح او من هم من عصبيته . وهذا شرط لا بد منه في اول الدولة ريثما ترسخ قواعدها ويستتب لها الامر . ثم يصطنعون الجند من غير قبائلهم يستأجرونهم في وقت الحرب او يجندونهم ويقيمونهم في اكناف مملكتهم لحين الحاجة يتقوون بهم على من يناوئهم من اهل عصبيتهم او غيرهم ممن ينازعهم على الملك كما فعل العباسيون باصطناع الاتراك وكان ذلك من اسباب تقهقر تلك الدولة وانتقالها الى الكهولة

٤ — الجاسوسية

والملوك يصلحون خطأهم هذا بخطأ من نوعه . فاذا خاف الملك جنده واراد التخلص من استبداد قواده اصطنع جنداً آخر من جنس آخر واتى بقواد آخرين يعهد اليهم بحمايته . ويصبح همه المحافظة على حياته ومنصبه ويستولى عليه الخوف من كل انسان فتقوم الشحناء بين فرق الجند وقد تنتشب بينهم الحروب في التنازع على النفوذ . والملك يبث الجواسيس والعيون يستطاع بهم نيات رجال دولته ويغريهم بعضهم على بعض . ذلك كان شأن اكثر الدول الاستبدادية في اواخر ايامها . واحدث الامثلة على ذلك ما كان يفعله السلطان عبد الحميد في المابين وعهدنا لا يزال قريباً بجواسيسه ومصانعته المقربين له على غل واصطناعه الاجناد من أمم لا يخاف خروجها عليه ممن لا صلة بينهم وبين رجال دولته . فاصطنع الشراكسة والالبانيين واقامهم في قصوره للمحافظة على حياته . ولم تسقط دولته الا بخروج الاجناد عليه في اطراف المملكة — فاعمال هذا السلطان صورة مكبرة لحال الدولة الاستبدادية في ايام ضعفها

رابعاً — هرم الدولة

اذا تكاثر المصطنعون اشتغل السلطان ووزراءه بانفسهم عن الدولة وفسدت امورها . ويزيدها فساداً اضطرار الملك ورجاله الى النفقات الباهظة على انفسهم في سبيل الملذات وبناء القصور واقتناء الجواري والاستكثار من اسباب الترف مما تقتضيه الحضارة والانغماس في الرخاء . وزد على ذلك كثرة المصطنعين من الاجناد ومن يحوم حول الملك من الجواسيس والمتملقين — كل هذه تحتاج الى الاموال فيطلبونها باية وسيلة كانت ويكثرون الضرائب فتنتشر المظالم فيغضب الرعايا وينقمون ويتسارُّون فيما بينهم عن فساد الدولة ويتمنون الخلاص منها ويترقبون فرصة للخروج من سلطانها

اما الملك فلا يهمه يومئذ غير حفظ نفسه واستبقاء نفوذه فينفق الاموال في التجسس واصطناع الجند لحمايته . وقد يبلغ من الخلل في جسم الدولة ان يشتغل كل امير بنفسه ويقتني الجند لحماية شخصه خوفاً من الامراء الآخرين او من الملك . وكثيراً ما تنتشب الفتن بين رجال النفوذ او بينهم وبين الملك وتضطرم الحروب بين الجنود . ويتنازع الخاصة وهم طلاب المناصب في التقرب من السلطان التماساً للكسب لانحصار المال هناك . ويشتد النزاع على اسباب الرزق فتكثر الاحزاب ويصبح الامر فوضى . فيعجز

٢ — الارْكان الى الحضارة

ويصح هذا خصوصاً على الدولة الفاتحة التي اصلها من اهل البادية . فهذه لا تلبث ان تتحضر حتى تضعف قوتها ويلين عرقها ويذهب ما كان لها من شدة البأس ويصير اهلها الى الرخاء والتمتع بالملذات . ولا يمكن تعيين الوقت اللازم لتطرق الضعف فانه يختلف باختلاف طبائع الامم والاحوال المحيطة بها . فقد يتم ذلك بقرن او بعض القرن وقد يستغرق عدة قرون . وهذا الرخاء انما يصيب الملك ووزراءه ورجال دولته لان الاموال في الحكم الاستبدادي تصير الى هؤلاء . وقد تكون الرعية في اشد الضنك الا من التف حول رجال الدولة وارتزق بالتزلف اليهم ومصانعتهم والقيام بما يحتاجون اليه من اسباب الملاذ

٣ - اصطناع الجند

فالترف والرخاء يؤثران في رجال الدولة فتذهب منهم شدة البأس فيركنون الى الملاهي والملذات ويقعدون عن الحرب . وبعد ان تكون قيادة الجند في أيديهم يعهدون بها الى بعض صنائعهم . لان الملك لا يثق ان يعهد بها لبعض اهله لئلا يسوقه الظفر الى الاغترار بنفسه والخروج عليه . فيعهد بالقيادة الى من خبر بسالتهم وصدق طاعته من الصنائع او الجنود المأجورة — وهم يستولون على أعطيتهم من الملك فلا غنى لهم عن طاعته والاخذ بناصره . وقد يبلغ خوف الملك من اهله ان يحجر عليهم اويقتلهم كما كان يفعل سلاطين آل عثمان . والشواهد على اصطناع الجند من غير عصبية الملك او غير قبيلته او اهله كثيرة في التاريخ القديم ولاسيما في الاسلام . فالمعتصم خاف خروج العرب او الفرس عليه كما خرجوا على اخويه الامين والمأمون فاصطنع الاتراك وبنى لهم سامرا واطلق لهم الارزاق وغمرهم بالاعطية كما هو مشهور . واقتدى به من جاء بعده من الخلفاء العباسيين ببغداد والمروانيين في الاندلس والفاطميين بمصر والعثمانيين في اسيا الصغرى . واصبح جند الخلفاء والسلاطين اكثرهم من الاتراك او الصقالبة او الشراكسة او البرابرة او الانكشارية أوغيرهم من غير العرب

فيزداد الملوك بذلك اركاناً الى الرخاء ويزدادون ضعفاً ويزداد قوادهم وصنائعهم نفوذاً في الدولة ودالةً على الملوك والسلاطين والخلفاء فيطمعون بالمناصب الرفيعة . فتصير اليهم الامارة في الاطراف او الوزارة في العاصمة او قيادة الجند في الحرب . ويصير العقد والحل في ايديهم يولون الخلفاء او الملوك ويعزلونهم أو يقتلونهم او يحجرون عليهم كما فعل الجند التركي بالخلفاء العباسيين والانكشارية بالسلاطين العثمانيين وغيرهم في الدول الاخرى

١ — بالفتح

اذ يهون فتحها لاشتغال الاحزاب بالتضاغن والتخاصم عن تدبير المملكة وتدريب الجند فيغتنم الطامعون في الملك ضعفها فيحملون عليها فيجدون جندها متضعضعاً واهلها قد ملوا المظالم والضرائب يرحبون بكل فاتح على رجاء ان يكون خيراً لهم من دولتهم — ويكون ترحيبهم اسرع اذا كانوا من عنصر غير عنصر الحكومة يتكلمون لغة غير لغتها او من دين غير دينها او كانت بينهم وبين الفاتحين جامعة جنسية اودينية . وفي التاريخ امثلة كثيرة تؤيد هذه القاعدة اشهرها فتح العرب لمملكة الروم في الشام والعراق ومصر . كان العرب اهل بسالة وخشونة وعصبية وجامعة دينية والروم قد انغمسوا بالترف وتنازعوا على المناصب والاموال ورعاياهم قد ملوا حكومتهم . وفيهم اليهود على غير دينهم وقد حقدوا عليهم وبذلوا جهدهم في سبيل التخلص منهم — والنصارى تجمعهم مع الروم جامعة الدين لكنهم يجتمعون مع العرب بجامعة الجنس . لان السريان والانباط اقرب لغة ونسباً الى العرب مما الى الروم فوجدوا من الاهلين من فتح لهم الصدور واعانهم على الروم . ويشبه ذلك ما جرى في الحرب البلقانية بالامس لان العثمانيين كانوا يحاربون امماً بينها وبين رعاياهم في مكدونية جامعة الدين وجامعة النسب او اللغة فلما جاءهم الفاتح فتحوا له صدورهم وكانوا له عوناً . ووقع نحو ذلك يوم جاء الافرنج لفتح بيت المقدس فاهله المسيحيون كانت قلوبهم مع الصليبيين

على ان الانقسام وحده كاف للاشتغال عن حماية البلاد وان لم يكن بين الفاتحين واهل البلاد صلة او جامعة فيفوز الفاتحون ان توفرت بهم الاسباب . كما فعل العثمانيون بفتح القسطنطينية ودولتهم يومئذ في ابان شبابها وخشونتها . واصحاب القسطنطينية قد اختلفوا وانقسموا وتنازعوا فيما بينهم في الدين والسياسة فلم ينفعهم الثبات في الدفاع

٢ — بالالتجاء الى الفاتحين

وكثيراً ما يتعجل اصحاب الدولة الهرمة الدخول في حوزة دولة أخرى من تلقاء انفسهم . ويقع ذلك في الغالب اذا اشتد الخصام بين احزابهم وكان أحدها ضعيفاً فيلجأ الى دولة أخرى يدعوها لانقاذه من عدوه . ويساعدها على الفتح سرّاً فيطلعها على عورات الدولة واماكن الضعف فيها . والغالب ان يكون الباعث على ذلك نعرة دينية كما فعل ابن العلقمي بمساعدة هولاكو على فتح بغداد انتصاراً للشيعة على السنة . أو

الملك عن تدبيره اذ ليس شيءٌ من الامر في يده وانما هو الى الامراء ورؤساء الاجناد فتسيء حال الرعية لمبالغة الحكومة في استنزاف اموالهم واشتغالها عن رعايتهم بالتنازع على النفوذ والاموال . وتختلف صور التنازع باختلاف ابواب النفوذ في الدولة فاذا كان النفوذ بطريق الدين كان المقدمون في الدولة من خدمته وقام الخصام بينهم — فضلا عن اختصام رجال الجند

فاذا اعتبرنا الدولة جسماً حيًّا كانت هذه الظواهر امراضاً في ذلك الجسم تدل اعراضها عليها . فتكون العلة في الرأس او الصدر او الاطراف . فاذا كانت في الرأس فهي في الملك من ضعف رأي او فساد خلق . واذا كانت في الصدر ففي رجال الدولة من طمع وانقسام . واذا كانت في الاطراف فمن ضعف العمال والولاة او من قحط او جوع اصيبت بهِ المملكة . وقد تظهر الاعراض في عضو ويكون المرض في عضو آخر كما يحدث في الافراد

ومعالجة هذه الامراض ايسر في الحكم الدستوري مما في الاستبدادي لان الملوك المستبدين انما يطلبون النفع الشخصي فاذا كانت علة الفساد من ضعف اخلاقهم فان ذلك الضعف يغريهم على التمسك بالسيادة ولو آل امرها الى خراب المملكة . اما اذا كان الرأس سليماً فيهون عليه معالجة سائر اسباب الضعف . والدول الاستبدادية يتوقف موتها وحياتها بالاكثر على الملك خلافاً للدول الدستورية كما سيجيء

على ان الدولة قد توفق في كهولتها أو شيخوختها الى ملك عاقل يريد بها خيراً لكنه لا يستطيع ذلك لتمكن الفساد فيها وتعويل رجالها على الارتزاق من ذلك الفساد . فيعود سعيه وبالاً عليه كما اصاب عمر بن عبد العزيز في الدولة الاموية والمهتدي بالله في الدولة العباسية والسلطان سليم الثالث في الدولة العثمانية وغيرهم في سائر الدول الاسلامية وغيرها

خامساً — زوال الدولة

فاذا بلغت الدولة الى ما تقدم من الانشقاق بين جندها او بين رجال سياستها او غيرهم من اصحاب النفوذ وعجز الملك عن تدبيرها — وهو عاجز عن ذلك بطبيعة الحال لانه شبَّ محجوراً عليه بين النساء والاطفال ولان رجال الدولة انما اختاروه لضعفه عن الوقوف في سبيل مطامعهم — فاذا بلغت الدولة الى هذا الحد فقد دنا أجلها ويكون زوالها باحدى ثلاث طرق :

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع ماقبله)

ثانياً — انكلترا

٦ — آثارها

لانكلترا آثار معنوية في نفوس العقلاء مرجعها الى الاعجاب باخلاقهم وتربيتهم ونظام عائلتهم — حتى اعدائهم فانهم يعترفون لهم بسمو الاخلاق وثباتها ويحرضون اقوامهم على تحديها

اما الآثار البنائية فانها كثيرة في انكلترا ولا سيما في لندن . وقد ذكرنا شيئاً منها في كلامنا عن هذه المدينة وعددنا ما فيها من الابنية والشوارع وغيرها . ولا يستطيع المار في شوارعها وساحاتها غير الاعجاب بما يراه منصوباً هناك من التماثيل الفخيمة لمشاهير الرجال فان الانكليز كثيرو الاحترام لاسلافهم يقيمون لهم التماثيل كما يقيمونها للقديسين . وكما يعجب الفرنساويون ببونابرت وينصبون تماثيله في شوارعهم وحدائقهم وساحاتهم وقصورهم فالانكليز يفعلون نحو ذلك بتماثيل ولنتن وناسن ونحوهما . وناهيك بالقصور الكبرى والمعابد الفخيمة فانها كثيرة في لندن فنكتفي بالاشارة الى اشهرها مما وفقنا لزيارته في هذه الرحلة فنقول :

١ — كنيسة القديس بولس

انها قائمة في منتصف المدينة وهي أفخم ابنيتها وأعلاها ومن اقدمها عهداً . لم يتفق المؤرخون على اصل بنائها ولكنهم متفقون على انه كان في مكانها معبد من زمن الرومانيين ثم خرب واقاموا مكانه كنيسة سنة ٦١٠م احترقت سنة ٩٦١ فاعيد بناؤها

يكون السبب جامعة جنسية برابطة اللغة فقط او بالرابطتين جميعاً . وقد يكون الباعث على تلك الخيانة مجرد الرغبة في الانتقام لاهانة لحقت ببعض طلاب النفوذ . واذا كان الحزب الضعيف في جانب الملك خاف الملك على دولته وسلطانه فيستنجد دولة يتقدم اليها ان تساعده على خصمه فتنجده وتطلع على اسباب ضعفه وتتخذ ذلك وسيلة للقبض على ازمة دولته . كما أصاب الفاطميين في اواخر ايامهم يوم اختلت شؤونهم بتنازع رجال الدولة فاستنجد الخليفة جاره السلطان نور الدين صاحب الشام فانجده بجيش اخمد ثورة الثائرين . لكنه اخرج المملكة من أيدي الفاطميين وتولاها صلاح الدين تحت رعاية الخلافة العباسية . أي انه نقلها من الشيعة الى السنة

٣ — بالتفرع

وقد يكون ذهاب الدولة بالتفرع كما تقدم فتستقل الولايات في الاطراف عملاً بسنة الارتقاء . هكذا انقضت الدولة العباسية والدولة الرومانية الغربية وغيرهما لعجزها عن الاحتفاظ بذلك الملك الواسع . كأن المملكة جسم والعاصمة قلبه ففي شبابها تقذف الدم الى الاطراف بسهولة . فاذا شاخت يضعف القلب عن ايصال الغذاء فتأخذ الاطراف بالانفصال الأبعد فالأبعد . كما تبرد الاطراف في الجسم المائت قبل الاحشاء وآخر عضو يموت القلب . ولذلك كانت العاصمة آخر ما يؤخذ من اعضاء المملكة لانها كرسي الملك وفيها ثروته واهله . فيبذل جهده في الدفاع عنها . وقد تستقل اطراف المملكة او تدخل في حوزة دولة أخرى وتبقى العاصمة وضواحيها حية زمناً طويلاً كما اصاب بغداد في عهد العباسيين والقسطنطينية في زمن الروم

وقد يبدأ الموت بالرأس بصدمة قوية فتتفكك الاعضاء وتستقل كما حدث في الاندلس اذ ذهبت خلافة قرطبة فاستقل الولاة بما كان في ايديهم وعرفوا بملوك الطوائف . ولكن الغالب ان يبدأ الانحلال بانفصال الاطراف اما بالاستقلال من نفسها او بدخولها في سلطة دول اخرى

هكذا تنقضي الدول الاستبدادية وتختلف اعمارها باختلاف قوتها وضعفها واحوال اخرى . واطولها عمراً من كانت لها صبغة دينية من خلافة اوبطريركية او بابوية لان الناس لا يحكمون بمثل الدين

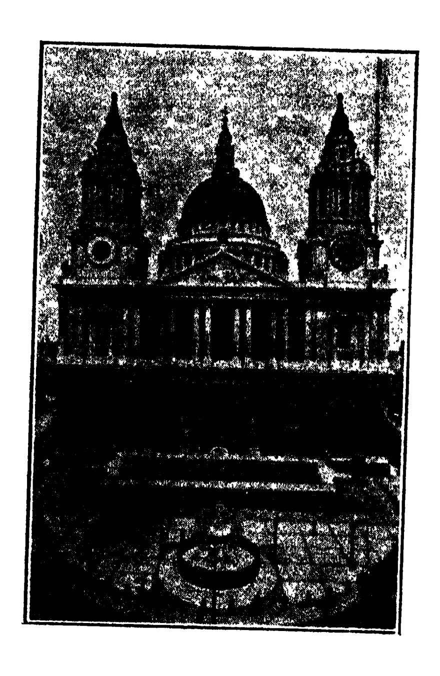
وسنتكلم عن آجال الدول الدستورية في فرصة اخرى

مدخلها الاكبر من جهة الغرب . وهي قائمة في الداخل على ركائز ضخمة مربعة الجوانب تشبه ركائز جامع السلطان احمد في الاستانة وتشبهها ايضاً بالشرفة المستديرة المحيطة باعلى تلك الركائز . يتوهم الداخل لاول وهلة انها كنيسة كاثوليكية لكثرة ما يراه فيها من الصور لكنه لا يلبث ان يرى معظم تلك الصور تمثل مشاهير الرجال . لا يستطيع الداخل اليها الا التهيب مما يشاهده من فخامة البناء وسعة المكان وما نصب في جوانبه من التماثيل الرخامية والبرونزية . فيحسب نفسه في ساحة الحرب او في ساعة الدينونة وقد اجتمع نخبة الرجال ليؤدوا حساباً عما فعلوه اوليتفاخروا في من كان اشدهم بطشاً واكثرهم فضلاً في تعزيز العلم البريطاني . في الجناح الايسر من صحن الكنيسة تماثيل جماعة يعرفهم قراء الهلال وكان لهم دخل في شؤون مصر والسودان مثل الجنرال ستيوارت قائد الفرقة التي تعجلت الذهاب الى الخرطوم لانقاذ غوردون سنة ١٨٨٤ وكنا في جماتها فاصيب قائدها ستيوارت برصاصة في بطنه في معركة انتشبت بيننا وبين الدراويش قرب المتمـة . سقط ونحن نراه ولا ننسى تلك الساعة الرهيبة لاننا كنا في اشد ساعات الخطر . وتمثال الجنرال غوردون وقد قتل في الخرطوم قبل وصول الحملة بيومين . وتمثال دوق ولنتن صاحب معركة وترلو وتماثيل الجنرال بكتن والجنرال بونسبي قتلا في وترلو . والاميرال نابيه قائد الاسطول الانكليزي في البلطيك سنة ١٨٥٤ وهناك طائفة من الادباء وارباب الاقلام بينهم رينولدس المصور وباتريك نابيه وهلاند المؤرخان

وقس على ذلك التماثيل العديدة في الجناح الايمن والمواقف الاخرى يعرف القراء من اصحابها الاميرال نلسن الذي اغرق الاسطول الفرنساوي في ابي قير سنة ١٧٩٨ واشتهر بمواقع رفع فيها شأن الانكليز في كوبنهاغن وترافلغار وغيرهما . وقد نقشت اسماء تلك المواقع على قاعدة تمثاله . وقد خسر ذراعه اليمنى في واقعة قادس فجعلوه في التمثال متشحاً برداء يغطي تلك الذراع . ومنهم الجنرال ابركرومبي الذي قتل في ابي قير سنه ١٨٠١ والجنرال مور الذي قتل في كرونا باسبانيا . والاميرال هو الذي انقذ جبل طارق سنة ١٧٨٢ وفي بعض الحنايا تذكار للمقتولين في حرب القرم وحوله الاعلام التي كانت لهم هناك

ومن المشاهد الهامة في هذه الكنيسة قبتها لما تشرف عليه من الابنية البعيدة فقد صعدنا الى قمتها بسلم درجاته ستمائة وعشرون درجة فاشرفنا على لندن كلها كما اشرفنا على باريس من قمة برج ايفل . اما القبة فلها شأن خاص شاهدنا مثله وراء محراب

وتوالى عليها الخراب والترميم مراراً حتى جددت كلها في اواخر القرن السابع عشر على يد مهندس شهير اسمه خريستوفور رين بدأوا ببنائها سنة ١٦٧٥ وتمت سنة ١٧١٠ وانفق في سبيل ذلك ٨٥٠٠٠٠ جنيه اخذت من الاهلين بضريبة وضعتها الحكومة على الفحم الوارد الى لندن . وكان رين هذا يستولي في اثناء هذه المدة على راتب سنوي مقداره ٢٠٠ جنيه في السنة



كنيسة القديس بولس من الظاهر عند مدخلها الاكبر

بنيت هذه الكنيسة على مثال كنيسة القديس بطرس في رومية لكنها اصغر منها . ومع ذلك فهي اكبر كنائس العالم بعد كنائس رومية وميلان واشبيلية وفلورنسا . شكلها كالصليب الروماني طولها ٥٠٠ قدم وعرضها ١١٨ قدماً وعلو قبتها ٣٦٤ قدماً . قطر قبتها مئة قدم وقدمان . وقطر قبة كنيسة القديس بطرس في رومية ١٣٩ قدماً . ويزيد اهميتها في نظر الزائرين ما على جدرانها من النقوش والصور وما اقاموه في جوانبها من تماثيل عظماء الانكليز واكثرهم من كبار القواد . فهي بهذا الاعتبار معرض عظمة انكلترا وانما يفوقها بذلك دير وست منستر الآتي ذكره

للساعات وغيرها من المصنوعات الدقيقة — وخرائط كبيرة وقاعة دور فيها صور تاريخية منها صورة معركة جبل طارق بين الانكليز والاسبان سنة ١٧٨٢ وصور كثيرين من الملوك . وصورة يوبيل الملكة فكتوريا الماسي سنة ١٨٩٧ بالمركبة التي كان يجرها ثمانية افراس . وتحت الارض سراديب مثل سراديب كنيسة القديس بولس فيها قبور ونواويس قديمة

٣ — بنك انكلترا

نحن الآن على مقربة من بنك انكلترا الشهير فلا ينبغي لنا ان نمرّ به سكوتاً . بني سنة ١٧٣٤ واعيد بناؤه كما هو الآن سنة ١٨٢٧ ليس في ظاهره نافذة لكنهم يضيئونه من الداخل مبالغة في الاحتفاظ به . اما البنك نفسه أي العمل المالي المعروف بهذا الاسم فقد أنشئ سنة ١٦٩٧ وظل هو البنك الوحيد في لندن الى سنة ١٨٣٤ فانشئت بنوك أخرى . لكنه لا يزال اعظمها جميعاً ويمتاز عنها كلها بان الحكومة اذنت له باصدار الاوراق المالية (بنك نوط) . كان رأس ماله الاصلي ٠٠٠ ٢٠٠ ١ جنيه ثم تضاعف مراراً . عدد عماله الف عامل ولا يخلو من ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٠ جنيه ذهب مختزنة في سراديبه المتينة و ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥ جنيه عملة ورق بين ايدي الناس . وهو ينوب عن الحكومة الانكليزية في ما يتعلق بالديون التي عليها وقيمتها ٠٠٠ ٠٠٠ ٦٧٢ جنيه بين قبض ودفع وترصيد

وفي البنك مطبعة تطبع اوراقه (البنك نوط) يصدر منها ٠٠٠ ٥٠ قطعة كل يوم من فئة خمسة جنيهات الى الف جنيه . ويطبع فيها ايضاً البنك نوط الهندي . وآلاتها بغاية الاتقان طريقة طبعها تستدعي الاعجاب . ومن عادات هذا البنك ان يتلف كل ما يرجع اليه من اوراقه ولا يدفع للناس الا اوراقاً جديدة خارجة من تحت يد الطابع — لكنه لا يتلف الاوراق المرتجعة حال استلامها بل يحفظها خمس سنوات في خزائن من حديد لئلا يقتضي الامر مراجعة شيء منها لشهادة قضائية او نحوها ثم تحرق . ويبلغ عدد ما يجمع عندهم منها في السنوات الخمس ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٠ ورقة وزنها ٩٠ طنا وقيمتها المالية ٠٠٠ ٠٠٠ ٧٥٠ ١ جنيه . واذا فرشت الواحدة بجانب الاخرى في خط واحد تألف منها درج طوله ٠٠٠ ١٣ ميل . وفي البنك آلة لوزن الجنيهات الذهب وفرزها تزن ٣٣ جنيهاً في الدقيقة فما كان منها ناقصاً لفظته خارجاً . وفي البنك مخزن لحفظ المجوهرات . ويحرس البنك شرذمة من الجند ليلاً ونهاراً

كنيسة اريني بالاستانة . نعني تفخيم الصوت فان حول قاعدة هذه القبة من الداخل شرفة مستديرة قطرها نيف ومئة قدم ومحيطها نحو ٣٢٠ قدماً . يشرف المار فيها على صحن الكنيسة وتسمى « قاعة التهامس » دخلناها من باب في بعض جوانبها فرأينا شيخاً يهمس في الحائط بصوت يكاد لا يسمعه الواقف بجانبه . فاومأ الينا ان نذهب الى مقعد في الجانب الآخر من تلك الشرفة . فمشينا ونحن نسمع الصوت يرتفع كلما بعدنا عن ذلك الشيخ . فلما وصلنا الى الطرف الاخر سمعناه كالخطيب يتلو علينا خطاباً في تاريخ هذا البناء

وتحت ارض الكنيسة سراديب مرصفة بالفسيفساء فيها تماثيل واضرحة للمشاهير ايضاً . منها ضريح للدوق ولنتن من الرخام السماقي قائم على قاعدة من الغرانيت وحوله الاعلام التي اكتسبها من اسبانيا والبورتغال وفرنسا . وبجانبه المركبة التي حملت جثته . وضريح بكتن زميله في وترلو . وفي مكان آخر يقابل منتصف القبة ضريح نلسن فيه تابوت مصنوع من خشب السارية الوسطى من سواري الدارعة الفرنساوية (لوريان) التي احرقها اسطوله في ابي قير سنة ١٧٩٨ وبجانبه ضريح رفيقه كولنوود وضريحان لنابيه ونورتسك . وتماثيل جماعات من رجال الادب والتاريخ بينهم السير وليم هورد رسل اعظم مكاتب حربي في القرم . واضرحة لنساء شهيرات في العلم وغيره

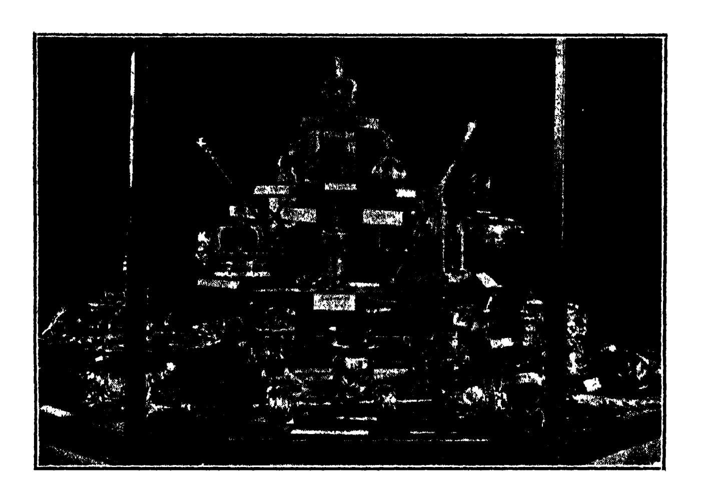
٢ — قصر جيلد هول

اشتهر هذا القصر بقاعته التي تلقى فيها الخطب العمومية . وفيها خطب روزفلت منذ بضع سنين خطابه المشهور الذي ذكر فيه مصر وسياسة انكلترا فيها . يمر الزائر من كنيسة القديس بولس الى جيلد هول بشوارع هي اكثر شوارع لندن ازدحاماً — في جهة اسمها شيبسايد يساوي متر الارض فيها نحو ٢٥٠ جنيهاً

بني هذا القصر للمرة الاولى في اوائل القرن الخامس عشر مقرّاً لقضاة ومجالس البلدية ثم تخرب وأعيد بناؤه وانشئت فيه القاعة المذكورة وطولها ١٥٢ قدماً وعرضها ٥٠ وعلوها ٨٩ قدماً . تجتمع فيها المجالس البلدية للانتخابات ونحوها وتتلى فيها الخطب العامة . وفيها حوكم جماعة من المجرمين العظماء مثل ارل سيري واللادي جان غراي وغيرهما . وفيها تماثيل مشاهير الانكليز ولاسيما ولنتن ونلسن وشتام وبت ومور . وفي قاعة أخرى تماثيل أخرى في جملتها تمثالان خشبيان غريبا الشكل يعرفان بياجوج وماجوج ولم نعلم سبب هذه التسمية

وفي جيلدهول مكتبة فيها ١٤٣٠٠٠ مجلد معروضة للناس . وفيها متحف صناعي

والمجوهرات اهمها المصوغات الملوكية سيأتي ذكرها . واول ما يستلفت نظر الشرقي عند دخوله الباب الخارجي للبرج مدفع عثماني اهداه السلطان عبد المجيد لانكلترا سنة ١٨٥٧ واذا دخل البرج فاهم مايشاهده هناك المصوغات الملوكية الانكليزية . وقد ذكرنا المصوغات الملوكية الفرنساوية التي شاهدناها في متحف اللوفر لكن هذه افخم وأثمن



مجوهرات العرش الانكليزي

ان هذه المصوغات او المجوهرات معروضة في غرفة صغيرة في وسطها دكة مثمنة الاضلاع يكاد يقرب شكلها من الاستدارة . عليها رفوف مرتبة بعضها فوق بعض بشكل هرمي وضعوا تلك المصوغات عليها بحيث يراها المشاهدون . لكنهم احاطوا تلك الدكة والرفوف والمصوغات بسياج من شبك الحديد والواح من الزجاج . وبين الدكة والحائط ممرٌّ يكاد لايتسع لمرور اثنين والحرس وقوف لمراقبة المتفرجين . والمصوغات المشار اليها اكثرها تيجان مرصعة بالحجارة الكريمة بعضها قديم والبعض الاخر حديث وهي :

(١) تاج القديس ادورد صنع لتتويج شارل الثاني . سرقه الكولونيل بلود سنة ١٦٧١ في جماعة من رفاقه بعد ان قتلوا الحارس لكنهم لم يفوزوا بغنيمتهم (٢) تاج الملك ادورد السابع صنع في الاصل للملكة فيكتوريا سنة ١٨٣٨ ثم جدد للملك ادورد سنة ١٩٠٢ وهو من المصوغات الحديثة . مرصع بجواهر لا يقل عددها عن ٢٨١٨ ماسة و٣٠٠ لؤلؤة وجواهر أخرى . في مقدمه ياقوتة يقال انها كانت للامير الاسود اعطاه اياها دون بادرو صاحب قسطيلة سنة ١٣٦٧ وقد وضعها هنري الخامس على خوذته في

٤ — برج لندن

واقع على ضفة التيمس وهو من اقدم ابنية لندن واشهرها . كان معقلاً للملوك ثم جعلوه سجناً للمجرمين العظماء من الملوك او القواد او الامراء . حوله خندق عميق يحيط به ردم سنة ١٨٤٣ وجعلت الحكومة برج لندن الآن ثكنة للجند . ورممت جدرانه ليبقى حصناً . شكله مربع غيرمنتظم مساحة ارضه ١٣ فداناً عليها عدة ابنية يحيط بها سور مزدوج عليه الابراج . يقال في تاريخ بنائه انه يرجع الى وليم الظافر. اقدم قصوره الآن « البرج الابيض » بني في القرن الحادي عشر. وهو فخيم وله ذكر



برج لندن

رهيب في التاريخ لكثرة من سجن اوقتل فيه من العظماء . اشهر ضحاياه السير توماس مور قتل سنة ١٥٣٥ وحنة بولين قتلت سنة ١٥٣٦ وتوماس كرومويل قتل سنة ١٥٤٠ ومرغريت بول سنة ١٥٤١ والملكة كاترينه هورد سنة ١٥٤٢ والاميرال سيمور سنة ١٥٤٩ واللورد سمرست سنة ١٥٥٣ واللادي جان غراي وزوجها سنة ١٥٥٤ والسير جون اليوت مات فيه سنة ١٦٣٢ وغيرهم كثيرون . وممن سجنوا ولم يقتلوا جون بليول ملك اسكتلاندا سنة ١٢٩٦ ووليم ولسن الاسكتلاندي سنة ١٣٥٠ وداود برويس ملك اسكتلاندا سنة ١٣٤٧ وجون ملك فرنسا أخذ اسيراً في بواتيه سنة ١٣٥٦ ودوق أورليان والد لويس الثاني عشر ملك فرنسا سنة ١٤١٥ والملك هنري السادس وغيرهم. وكان في البرج مأسدة نقلت الى مسرح الحيوانات العام وفي هذا البرج تحف تاريخية لا يوجد مثلها في سواه منها الاسلحة والالبسة

وفي تلك الغرفة خزانة (فترينة) فيها امثلة من الاوسمة الكبرى ومثال للماسة الترنسفالية المسماة كولينا . اما كولينا الاصلية فقد قسموها الى الماسة التي تقدم ذكرها في مقدم تاج الملك ادورد وقسموا الباقي الى ماسات وضعوها على الصولجان

معرض الاسلحة

وفي برج لندن معرض للاسلحة والادراع فيه امثلة من المدافع والبنادق والسيوف والحراب والفؤوس لبعضها ذكر تاريخي . منها سيف جلاد مالك أود واسلحة هندية الاصل اوعربية . ومنها المدفع الذي غنمه الفرنساويون من مالطة سنة ١٧٩٨ وحملوه على الدارعة سنسيبل الفرنساوية فاسترجعه الانكليز وهم على الباخرة سيهورس بقيادة القبطان فوت . وهناك امثلة من آلات العذاب كالجامعة التي تقبض على الابهامين معاً والفلق الذي يقبض على القدمين والاطواق للاحاطة بالاعناق . وبينها فاس لقطع العنق صنع سنة ١٦٧٩ وبجانبة البلاطة التي يسند العنق اليها عند القطع . ومن الادوات الحربية التاريخية ملاءة التف بها الجنرال وولف لماجرح سنة ١٧٥٩ وعليها مات . وثوب الدوق والمركبة المدفعية التي حملوا عليها جثة ادورد السابع

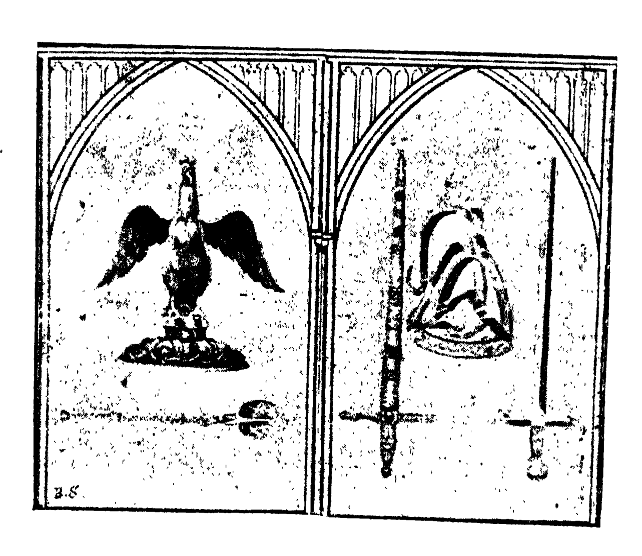
وفي قاعة اسلحة الفرسان كثيرمن الادراع والرماح والخوذ والسهام على اختلاف الاعصر من القرن الرابع عشر فما بعده . وتماثيل افراس عليها تماثيل فرسان بالالبسة الرسمية والادراع الثمينة . احدها يمثل هنري الثامن على جواده وعليه درعه . وآخر يمثل جيمس الثاني سنة ١٦٨٨ وآخر يمثل شارل الاول وعليه درع مغشاة بالذهب . وهناك غرفة لها ذكر تاريخي لأنها كانت قاعة المجلس وفيها تنازل ريشارد الثاني عن الملك وغرف اخرى كانت سجوناً استخدموها الآن لحفظ السجلات وغيرها

وفي ساحة البرج بقعة فيها نحاسة مربعة نقش عليها ما معناه « انه في هذا المكان قطع رأس الملكة حنة » . وقد شاهدنا الابراج والمخادع التي كانوا يستخدمونها للسجن ويأتون فيها ضروب الظلم والفتك بلا حساب ولا تقدير . وناهيك بفنون التعذيب مما تقشعر له الابدان — ان من يطلع على ذلك ويرى ماعليه الامة الانكليزية اليوم من اسباب المدنية ومحاربة الجهل ومطاردة الظلم يعلم ان الامة لا بدَّ لها من المرور في اطوار من جملتها هذا الطور من الهمجية . وان ذلك ليس خاصاً ببلد دون آخر ولا امة دون اخرى

دار الضرب

وفي هذا البرج بناء خاص لضرب النقود بني سنة ١٨١١ ثم توسع سنة ١٨٨٢ وقد اتقنت فيه صناعة الضرب والآنه . ومنها ما يصنع ١٢٠ قطعة من النقود في الدقيقة

معركة اجنكورت . تحتها ماسة كبيرة تعرف بالماسة الكولينية قدمتها حكومة الترانسفال الى الملك ادورد سنة ١٩٠٧ وهي تنسب الى ماسة اسمها كولينا سيأتي ذكرها . وفي مؤخر التاج حجر صغير يقال انه كان لادورد المعترف (٣) تاج ولي العهد من الذهب الخالص غير مرصع (٤) تاج زوج الملكة ذهب مرصع (٥) تاج الملكة هو طوق من الذهب مغشي بالماس واللؤلؤ وقد صنع كلاهما للملكة ماريا ديست زوجة جيمس الثاني (٦) صولجان الملك ادوارد من الذهب الخالص طوله اربعة اقدام ونصف ووزنه ٩٠ رطلاً مصريا . قبضته ضخمة كالتاج يقال ان فيها قطعة من ذخيرة عود الصليب (٧) الصولجان الملوكي طوله قدمان وتسعة قراريط عليه صليب مرصع بالحجارة الكريمة (٨) صولجان الحمامة او عصا المساواة على رأسها تمثال حمامة باسطة جناحيها



المهمازان والسيفان والابريق

(٩) صولجان آخر فيه صليب مرصع (١٠) الصولجان العاجي للملكة ماريا ديست فوقه حمامة من العقيق الابيض (١١) صولجان الملكة ماري زوجة وليم الثالث (١٢) مثال ماسة «كوه نور» الشهيرة وهي من اكبر حجارة الماس المعروفة . وزنها ١٦٢ قيراطا والماسة الاصلية الان في قصر وندسر وكانت قبلاً في حوزة ملك لاهور ووصلت الى ايدي الانكليز سنة ١٨٤٩ لما فتحوا البنجاب . وشاهدنا مصوغات اخرى ثمينة منها اساور التتويج والمهماز الملوكي وابريق زيت التتويج بشكل النسر والخاتم والملعقة والمملحة وغير ذلك . ويقدرون قيمة هذه المصوغات بمبلغ ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه

٦ — دير وستمنستر

لهذا الدير شأن عظيم عند الانكليز لانه مجتمع مفاخرهم ومدافن عظمائهم او تماثيلهم . يحوي من تلك المفاخر اكثر مما يحويه كل مكان سواه ولا يدفن فيه او ينصب تمثاله في ارضه الا الممتازون بالشرف والفخر في خدمة الامة والوطن . والاذن في دفن ميت هناك أعظم شرف تقدر الامة ان تمنحه لذلك الميت

والدير بناء قديم ولبنائه تاريخ طويل شكله يشبه من الداخل شكل كنيسة القديس بولس طوله ٥١٣ قدماً واعرض نقطة فيه ٢٠٠ قدم وعلوه مئة قدم وقدمان وعلو برجه ٢٢٥ قدماً . دخلناه من بابه الشمالي ولم نكد نتوسط المكان وناتفت ذات اليمين وذات الشمال حتى وقع بصرنا على ما هنالك من قبور العظماء وتماثيل الكبراء وقد ساد السكوت وتجلت هيبة الموت فغلب علينا التهيب وخيل لنا اننا نسمع من كل قبر نداءً ونرى في كل تمثال خطيباً . لا غرو ونحن بين بقايا اعظم رجال انكلترا وفيهم القائد الباسل والسياسي المحنك والشاعر المفلق والخطيب المفوه والعالم الحكيم والمخترع العظيم . وقد تكاتفوا جميعاً في خدمة امتهم فنهضوا بها الى اسمى منازل الدول . فاخذتنا العبرة وتذكرنا حال دولتنا في العالم السياسي فتشاغلنا عن تلك الهواجس بما بين ايدينا من مفاخر الاخرين . اذ لا فائدة من تلك الذكرى وان عرفنا الداء اذ لا سبيل لنا الى الدواء . وتجولنا في انحاء الدير نتفقد المدافن والتماثيل ونقرأ اسماء اصحابها فاذا فيهم نخبة الساسة والعلماء والشعراء والخطباء وغيرهم يعدون بالمئات ويضيق هذا المقام عن تعدادهم فنذكر امثلة من ذلك في مجاميع حسب الاماكن : منهم وليم بت السياسي المتوفى سنة ١٧٧٨ وجون هولس دوق نيوكسل (١٧١١) وجورج كانين السياسي (١٨٢٧) والجنرال مالكولم واللورد بالمرستون واللورد منسفايلد والاميرال ورين والسير روبرت بيل السياسي (١٨٥٠) وفي مجموع آخر جورج غوردون ارل ابردين (١٨٦٠) والسير توماس رافلس (١٨٢٦) وتشارلس جيمس فوكس وكبتن مونتاغيو وغيرهم . وهناك زاويه خاصة بالشعراء والادباء فيها تماثيل جورج غروت الشاعر وماكولي المؤرخ ودوق ارغيل الشهير وشكسبير امام شعرائهم . وروبرت برنس وتنسن وشارلس دكنس وجون ملتن ولونفلو وغيرهم من الشعراء والادباء . وهناك زاوية للشرفاء واخرى للاساقفة وغيرهم ممن يستغرق تعداد اسمائهم فقط عشرات من الصفحات فكيف بذكر مناقبهم . وسنأتي على ذكر المتاحف في الهلال القادم

وقد بلغ ما ضرب سنة١٩٠٩ ما قيمته ٠٠٠ ٠٠٠ ١٥جنيه منها ٠٠٠ ٨٠٠ ١١قطعة فئة جنيه و٠٠٠ ٠٠٠ ٤ نصف جنيه و٠٠٠ ١٨٦ ٣ نصف ريال و ٠٠٠ ٩٩٣ ٣ فلورين و ٠٠٠ ٩٠٠ ٦ شلين و ٠٠٠ ٠٢٨ ٧ نصف شلين و ٠٠٠ ٦٠٠ ٥ ربع شلين و ٠٠٠ ٢٥٦ ٢١ بنس فقس عليه

٥ — قصر وستمنستر

هو قصر فخيم واقع على ضفة التيمس ينعقد فيه البرلمان الانكليزي . وهو ينعقد في قاعتين فخيمتين منه احداهما لمجلس الاعيان والاخرى لمجلس العموم . وقبل الوصول الى قاعات البرلمان يمرّ الزائر بقاعات عديدة : الاولى جدرانها مغشاة بالصور في جملتها صورتان احداهما تمثل معركة وترلو وقد فاز فيها الانكليز . والاخرى تمثل واقعة ترافلغار وقدمات فيها نلسن . طول الواحدة منهما نحو ١٥ متراً . يتصل منها الى قاعة اخرى جدرانها من الخشب الملون عليه صور اشهر ملوك انكلترا . ومنها دخلنا قاعة الاعيان في غير وقت الاجتماع . طولها ٩٠ قدماً وعرضها ٤٥ وعلوها ٤٥ قدماً ارضها مغطاة بصفوف من المقاعد مغشاة بالجلد الاحمر تسع نحو ٦٥٠ شخصاً . وللقاعة ١٢ نافذة زجاجها مزين بصور ملوك انكلترا وملكاتها منذ الفتح . وتضاء القاعة ليلاً بالكهربائية فتزداد جمالاً . وعلى الجدران بين النوافذ تماثيل للبارونية الذين اخذوا الدستور من الملك جون . غير ما على الجدران من النقوش البديعة بينها الصور الجميلة للملوك وبعض المواقف الدينية . وفي صدرالقاعة عرش يجلس عليه الملك يصعد اليه ببضع درجات والى يمينه مجلس ولي العهد . وخرجنا من طرف القاعة الاخر الى غرفة فيها تعاليق ومواقف للبرانيط والاردية — لكل من الاعضاء تعليقة عليها اسمه . ومن هناك انتهينا الى دهليز جدرانه مزدانة بالصور التاريخية . ومنها الى قاعة متوسطة الحجم فدهليز آخر اتصلنا منه الى قاعة مجلس العموم . طولها ٧٥ قدماً وعرضها ٤٥ وعلوها ٤١ قدماً . وهي تشبه قاعة مجلس العموم بشكلها لكنها اقلّ فخامة وابسط رياشاً . عليها مقاعد مكسوة بجلد ازرق مخضرلايسع اكثر من ٤٧٦ شخصاً مع ان عدد اعضاء هذا المجلس نحو ٦٧٠ وقد ترتبت المقاعد صفوفاً . وكرسي الرئيس في صدر القاعة عند طرفها الشمالي والى يمينه مقاعد لنواب الحكومة كالوزراء ونحوهم والى يساره رؤساء حزب المعارضين . وبين يدي الرئيس طاولة يجلس اليها الكاتب . ويجلس المخبرون ومكاتبو الجرائد على مقاعد فوق مجلس الرئيس . وفوقها مقاعد للسيدات . وتجاه مجلس الرئيس في الطرف الاخر من القاعة مقاعد للزائرين

زالت الشعوب لم تتفق في آرائها السياسية الاساسية فنشوب الحرب بينها ممكن كل الامكان »

وقال آخر : « كما ان الافراد يتخاصمون ويتقاتلون ليس بقصد الاثراء بل لاعتقادهم بحقوق لهم هضمت فيهيج غضبهم ويغلي دمهم فكذلك الامم تتنازع ولا تزال تتنازع لنفس الاسباب . وان لم ترج ربحاً ماديا من وراء الحروب »

وذهب جماعة من الكتاب الاجتماعيين الى ابعد من ذلك فزعموا ان الحروب نافعة ضرورية لتقدم الهيئة الاجتماعية . منهم الجنرال برناردي احد قواد الجيش الالماني واكبر كاتب في المانيا بما يختص بالحروب والتجنيد ونحو ذلك . وله كتاب مرماه حض الالمان على طلب السيادة في العالم بقطع النظر عن حقوق الدول ـ قال في فصل منه عنوانه « الحرب واجبة » ما يلي : « ان واجب الحكومة لا يقتصر على صد هجمات الاعداء بل يجب عليها ان تضمن لرعاياها اسباب المعاش والنمو . وليست المساعي في سبيل السلم الدولي سوى هذيان وسفاسف تحط من قدر الانسانية . لان من ارقى طبائع البشر انهم يضحون حياتهم في سبيل رأي او مبدأ — وليعلم الجميع انه من المستحيل ان تكون غاية السياسة والسياسيين في المستقبل حفظ السلم الدولي »

وكثيرون يستندون في حججهم الى علم الحياة فيقولون ان الارتقاء انما يكون بتنازع البقاء وبقاء الاصلح وهي سنة تنطبق على الامم كما تنطبق على الافراد . فلا يبقى منها الا اقواها واصلحها للبقاء وكل حركة يراد بها ابدال سنن الطبيعة (تنازع البقاء) بما يخالفها (اي السلم الدولي) تذهب عبثاً

وبالاختصار فمحبو الحروب يرجعون في ادلتهم الى هذه القضية : الحروب سببها اما تنافر ادبي بين الآراء والمبادئ او ميل الانسان الفطري الى التنازع والتفاخر وحب الظهور. فهي شرعية جائزة في الحال الاولى لان الداعي اليها راق . وضرورية في الحال الثانية لانها جزء لازم للطبيعة البشرية

اما نورمن انجل فقد فنَّد هذه الآراء بادلة عديدة بدأ منها بقوله : يتبين لمن تتبع الحركة السلمية في السنين الاخيرة ان معارضيها عدَّلوا اسباب معارضتهم وبدلوا فيها تبديلاً عظيماً . كان اعتراضهم الرئيسي على المطالبة بالسلم الدولي ان الحروب ضرورية للطبيعة الانسانية وان عليها يتوقف ارتقاء الجنس البشري كما يتوقف ارتقاء سائر انواع الحيوان على تنازع البقاء وبقاء الاصلح . فالآن وقد بين علم الاقتصاد السياسي ان تقدم العالم يتطلب السلم بين الدول العظمى اصبحوا يدعون ان الحروب

الوهم الاكبر

او مساوئ الفتح والاستعمار

رأينا في الهلال الماضي ان الحروب بين الدول المتمدنة اليوم لا تجدي نفعاً مادياً وان ضررها مشترك بين الغالب والمغلوب على السواء للترابط التجاري الذي بلغت اليه تلك الدول بحيث تتوقف حالة الواحدة منها على حالة جارتها . واقل خلل يصيب الحالة الاقتصادية في مدينة من المدن الكبرى يشعر به اهل سائر الاقطار . فاذا استولت انكلترا على المانيا مثلاً اوالمانيا على انكلترا فلا يكسبان شيئاً لبقاء تجارة البلاد وزراعتها في ايدي اصحابها وان الغرامة الحربية التي تفرضها الدولة الظافرة تسبب خللاً في التجارة تشعر به الدولتان على السواء . وان المانيا اذا اغتصبت مستعمرات انكلترا لا تربح شيئاً يذكر لان تلك المستعمرات اصبحت مستقلة باحكامها وانكلترا نفسها مع كونها صاحبتها بالاسم تتكلف نفقات الدفاع عنها ولا يصيبها منها نفع . وبجملة واحدة « بما ان الدولة الفاتحة اليوم لا يسعها الا ان تترك الارض لساكنيها فمن العبث ان ترجو الدول زيادة ثروتها بتوسيع املاكها . لانها تلحق باملاكها الارض وسكانها معاً فلا يستثمر الارض سوى اصحابها الاصليين » . ولذلك قال الكاتب بابطال الحروب في المستقبل وتوقف الدول عن بناء المدرعات وتجنيد الجيوش

هذه هي نظرية نورمان انجل مؤلف كتاب « الوهم الاكبر » وقد سلم بصحتها كثيرون . لكن بعضهم اعترض بان الحروب لا تنشأ دائماً عن اسباب مادية اقتصادية وانما هي في الحقيقة جزء من الطبيعة البشرية لا ينفصل عنها او هي من قبيل تنازع البقاء . وهذا التنازع سنة طبيعية تسري على الاحياء وهي علة ارتقائهم . فلنبحث اذاً في الحروب من :

الوجهة الاخلاقية الادبية

ونمهد الكلام بمقتطفات من آراء المنتقدين في هذا المعنى قال احدهم : « ان اسباب الحروب ترجع الى نواميس العقل البشري فان اعظم الحروب التي نشبت بين الامم انما كانت نتيجة التنافر بين العقول فيما يختص بحقوق الدول وادراك معنى العدل والانصاف . او بعبارة اخرى ان الحرب تنشأ عن اختلاف في الآراء والمبادئ فما

المسائل العمومية من شأن احزاب الامة الواحدة . واصبح ذوو الآراء المتشابهة وان كانوا في ممالك مختلفة اكثر تضامناً وائتلافاً من المنتمين الى احزاب متضادة في مملكة واحدة حتى يسهل اتفاق الاشتراكي الالماني مع الاشتراكي الفرنساوي اكثر من اتفاقه مع الاكليركي الالماني

ولننظر اخيراً في حجة الذين يقولون ان القتال يبيد الضعفاء ويبقي الاقوياء : يكفي ان نلقي نظرة واحدة الى الواقع لنتأكد خطأهم . ان الجيوش المتحاربة عبارة عن نخبة اقوياء الامة واصلح افرادها للبقاء فبدلاً من بقائهم حسب السنة الطبيعية نعرضهم للهلاك ولا يبقى غير الضعفاء شيوخاً ونساءً واطفالاً أو بعبارة اخرى ان الحروب البشرية تعمل على مناقضة قوانين الطبيعة بدلاً من السير بمقتضاها . على ان عاطفة المقاومة في سبيل البقاء لا تستلزم ان تكون بشكل نزاع بين الافراد بل هناك نوع من المقاومة اهم منها واحق بالالتفات نعني مقاومة الافراد لما يحيط بهم من العناصر الطبيعية . ولا شك ان هذين النوعين اي مقاومة الانسان للانسان ومقاومة الانسان للبيئة يعملان معاً ولكننا نرى انهما كلما ارتقى المجتمع الانساني أهمل الاول وانصرف الى الثاني . بل هو بدلاً من التنازع الدائم بين افراده او جماعاته اصبح الناس يتضامنون ويتعاونون على مقاومة البيئة واستثمار الطبيعة . والتضامن سنة طبيعية ضرورية للتقدم مثل تنازع البقاء . كما يظهر من تتبع احوال الانسان من اقدم ازمان نشوئه

كان الانسان في اوائل عهد العمران اذا قتل اسيراً وقع له من بني جنسه احتفظ بالجثة غذاءً له . وهو لا يقدر ان يأكلها وحده دفعة واحدة فكان يأخذ كفايته منها ويحفظ الباقي . ثم ما لبث ان رأى فساد ما يبقى بالتعفن ولم يعد يمكنه اكله . فلنفرض ان لذلك الرجل جارين اصابهما ما اصابه فاضطر كل منهما ان يخسر الجزء الاكبر من غنيمته . فاذا اتفق الثلاثة على التضامن بان لا يقتلوا الا رجلاً واحداً كل مرة يشتركون في اكله بحيث لا يبقى باق يخافون تعفنه استفاد الجميع من هذا الاتفاق . وهو احط مظاهر التضامن الانساني . ثم يرى أولئك الافراد مع الوقت ان الافضل لهم استبقاء أسراهم بالاستعباد بدلاً من قتلهم فيستخدمونهم . والاسير المستعبد كان مهاناً ممقوتاً محروماً من الملذات الدنيوية . ثم وجد الناس بالاختبار ان الافضل حسن معاملة الاسرى وسد حاجاتهم ليتمكنوا من الخدمة والعمل بنشاط . وهكذا كلما ارتقى الانسان قل جنوحه الى القوى القهرية الوحشية وزاد تضامنه مع بني جنسه — ولنتابع

سامية الغاية راقية المرمى لانها تنافر ادبي اخلاقي . فلو ساد السلم لانصرف الناس الى المشاغل المادية واهملوا الاخلاق الراقية كالشجاعة والانفة وعزة النفس وحب الوطن ونحوها مما يمو بالحروب والمنافسات الدولية . او بعبارة اخرى فبعد ان وصف المنتقدون الحركة السلمية بتخيلات شعرية واوهام نظرية لا تنطبق على الواقع جعلوها ضرباً من المادية تميت الصفات المعنوية والاخلاق الراقية ولا تهتم بغير المصالح المحسوسة

ثم قال : على ان المصالح المادية والمصالح الادبية المعنوية آخذتان بالتقارب مع تقدم المدنية لان غرضهما تحسين احوال الناس من جميع الوجوه . فكل ما يأول الى التقدم المادي المحسوس جائز ادبياً بل هو واجب ونحن نرى المدنية اليوم سائرة نحو هذه الغاية في كل مظاهرها . فالسياسة مثلاً كانت غايتها توسيع سلطة الملك ونشر نفوذه والاخلاص لاسرته بلا التفات الى مصلحة الامة على الاطلاق . فبنشر المبادئ الديموقراطية اصبح الملك لا يرجو اخلاص رعيته وخضوعها ان لم يوجه التفاته الى مصالحها ويهتم بشؤونها . حتى الملوك اصبحوا اليوم لا يتعرضون للشؤون العامة وانما الامة هي التي تحكم نفسها وقد تخلصت من التزلف والخضوع لشخص واحد . ومثل ذلك حصل في الاديان : كانت غاية الدين الرئيسية التنسك والتعبد والصلاة واجراء الرسوم والطقوس بقطع النظر عن حالة الناس الاجتماعية وعلاقاتهم بعضهم ببعض . فالمسيحي في القرون الاولى كان يفاخر اقرانه في احتماله العذاب واماتة الجسم والابتعاد عن المشاغل العالمية ونحو ذلك . فاصبح الناس اليوم بعد ارتقاء المسيحيين لا يرون معنىً لاحتمال الآلام والاماتات ما لم يرج منها نفع حقيقي . فليس قديس اليوم من ينقطع عن بني جنسه ويمضي حياته في كهف او مغارة بل القديس من ينقطع لخدمة الضعفاء والمرضى والمحتاجين

ثم ان اسباب الحرب المعنوية (اي التنافر الادبي بين الآراء والمبادئ) آخذة في الزوال لان الناس اصبحوا يحترمون آراء الغير وان خالفت آراءهم — والتاريخ يؤيد هذه الحقيقة لا سيما في المسائل الدينية . فاساس الدول الحديثة الحرية الادبية ويستبعد جداً اليوم ان تشهر احدى الحكومات الكبرى حرباً لاسباب دينية كما كان يقع في ما مضى . وهذا التغيير الذي اصاب الدين اصاب السياسة ايضاً لتضامن الدول وترابطها اقتصادياً وادبياً . ليس في اوربا اليوم دولة كاثوليكية محضة او بروتستانتية محضة . ولا يوجد شعب اتفقت طبقاته في الافكار السياسية والمبادئ الادبية كالاحزاب السياسية من ديموقراطية واشتراكية وارستوقراطية ونحو ذلك واصبحت المنازعات في

النتائج العملية من هذا البحث

قد انتهينا من البحث النظري واقتنعنا ان لا فائدة حقيقية محسوسة من الفتح والاستعمار في هذه الايام . وان زوال الحرب لا يضاد الطبيعة البشرية بتحويل عاطفة المقاومة الاصيلة في اخلاق الانسان الى مقاومة البيئة واستثمار المحيط المادي ـ على ان الكاتب لا يستحق ان يسمى كاتباً ان لم يفكر في تطبيق اقواله وآرائه على الواقع او يتخذ التدابير الناجعة لنشر فكرته ونقلها الى حيز العمل — فهل يطلب نورمن انجل ان تتوقف المانيا وانكلترا عن بناء المدرعات وتجييش الجيوش او كما قال احد منتقديه « هل يريد ان يقنع الانكليز مثلاً ان يتركوا امورهم للالمان اذا اكتسحوا بلادهم ما زال ذلك لا يؤثر في الحالة المادية الاقتصادية ؟» كلا. يعتقد المؤلف ان ما دامت الحالة الاوربية كما هي اليوم اي ما دام الاعتقاد سائداً ان الفتح الحربي يجلب الثروة والسعادة فيجب ان يستمر الطرفان على التأهب والاستعداد . غير ان كبار الساسة اليوم يدعون ان الغاية من بناء المدرعات وتجييش الجيوش انما هي الدفاع عن الوطن عند الحاجة لا الهجوم على البلاد المجاورة واغتصاب اموالها . فاصبحت كل دولة تتهم جارتها بالاستعداد للهجوم . فالتأهب للدفاع انما يكون خوفاً من هجوم والهجوم لا يكون الا من اجل المصلحة المادية . فليست غاية المؤلف ان يجعل الانكليزي يرحب بالالمان اذا ارادوا فتح بلاده ولكن غرضه ان يبين للالماني ان لا فائدة من فتحه انكلترا . واذا لم يقتنع فالانكليزي معذور اذا لجأ الى استعمال طرق عدوه

ان الدفاع عن الوطن والذود عن مصالحه لا يكون فقط بالتأهب الحربي براً وبحراً بل يمكن التوصل الى نفس الغاية بتهذيب الرأي العام وترقية شعورة وايقافه على الحقائق المتقدمة وذلك افضل من تجريد السيوف واطلاق القنابل . ولابد من معترض يقول : هل يمكن ان يقتنع الناس بذلك وان تترك الانسانية عقيدة رسخت في ذهنها منذ نشوئها الى اليوم ؟ لا شك في ان نشر فكرة مثل هذه تستغرق زمناً طويلاً قبل تعميمها ولكن هل يمنع ذلك من السعي في نشرها ؟ قد يكون العامة بطيئي الادراك وقد يصعب عليهم فهم معنى الحرب ونتائجها فهل يقف ذلك دون بذل الجهد في بسط الواقع كما هو ؟ ما الذي يمنع رجال السياسة والادارة من ادراك هذه الامور واذا تحققوا صحتها فما الذي يمنعهم من تنفيذها ؟

ولنسأل التاريخ عن امكان تغير الرأي العام ولنأخذ مثلاً لذلك الاعتقادات

درس تاريخ ذلك التضامن :

وجد اهل تلك الازمان باختبارهم الشخصي ان اسعد القبائل حالاً اكثرها تساهلاً مع عبيدها واحسنها معاملة لهم فتتحسن بهذه الواسطة احوال هؤلاء فيصبح العبيد اقناناً (serf) يعملون في الارض ويستثمرونها وبدلاً من الخدمة العسكرية يقومون بواجبات اخرى معينة . وكلما عمت المبادلة التجارية قل استخدام القوى الجسدية وقامت العوامل الاقتصادية مقامها . وقس على ذلك سائر درجات التقدم — كلما ارتقى الانسان في درجات الانسانية ضعفت فيه عاطفة التنازع : كان اهل القبيلة الواحدة يقتلون كل غريب لانه دخيل يخافونه فالعالم في نظرهم قسمان اهل القبيلة والغرباء . ثم اصبحوا لا يؤذون الغرباء ما لم تكن بينهما عداوة وبعد ان كان الظافرون يقتلون الاسرى بلا رحمة استعبدوهم وانتفعوا بهم . اما اليوم فقد بلغت الدول من التحالف والارتباط الى ما ذهب باهمية القوة العسكرية في احوال الشعوب الاقتصادية وصارت كل دولة تتوقف احوالها الاقتصادية على احوال جيرانها تحسن بحسنها وتفسد بفسادها . فاذا تمكنت انكلترا مثلاً من ابادة الغرباء مات نصف اهلها جوعاً

وكلما ارتقت الامة ميزت بين طبقات الغرباء وقسمتهم الى فرق وجماعات بعكس الزنجي فانه اذا غضب من احد البيض انتقم لنفسه من اي شخص ابيض يجده في طريقه سواء كان فرنساوياً او المانياً او انكليزيا او غير ذلك – واذا حصل خلاف بين انكلترا والمانيا مثلاً فالقائمون به افراد معدودون من الدولتين نعني رجال السياسة وليس للامة على اجمالها دخل . على ان الدولة في نظر الجمهور بمثابة شخص واحد ذي رأي واحد ولكن هذا التشبيه لا يجوز من عدة وجوه بسبب تعدد المصالح بين افراد الشعب الواحد ادبياً ومادياً. فعلاقة ولاية لويزيانا في الولايات المتحدة بمقاطعة لانكشير بانكلترا اشد توثقاً من علاقة هذه المقاطعة بجزراوركني التابعة لانكلترا لان ولاية لويزيانا ترسل قطنها الى معامل لانكشير فتستولى معاملها عليه وتحوله الى ملبوسات ضرورية للانسان . وعلاقة انكلترا بفرنسا اهم من علاقتها ببعض مستعمراتها وقس على ذلك الروابط الاقتصادية المتعددة بين الامم وهي تجعل الحدود السياسية المتفق عليها بين الدول لا اهمية لها تذكر في الواقع

وخلاصة هذا البحث ان عاطفة المقاومة الغريزية في الانسان آخذة بالتحول من التنازع بين افراد الشعوب الى مقاومة البيئة واستثمار الطبيعة بتضامن الجنس البشري وهو مجراها النافع الحقيقي

سفن الاسطول الاسلامي

وتوابعه

ووصف الحروب البحرية وقوانينها في الاسلام

اتينا في الهلال الاسبق على وصف كثير من سفن الاسطول الاسلامي وانواعها ومعداتها في الاسلام وناحقه الآن بذكر بقية انواعها وملحقاتها وما يتبعها من السفن الصغيرة والكبيرة تلك السفن التي كانت كنائن الا انها تمرق مروق السهام وروا كد هي مدائن الا انها تمر مر السحاب غير الجهام فلا عجب ان تسمى غرباناً وتنشر من ضلوعها اجنحة الحمام وتسمى جواري . وكم كان يسير مجراها من النصر . وهذه السفن المقيرة المسمرة غير المخروزة المدهونة والمسطحة غير ذوات الجاجيء التي اول من اجراها في البحر الحجاج بن يوسف [1] وان كانت تجيء في المرتبة الثانيــة من المكانة الا ان حاجة الاسطول اليها شديدة . وكلمة « الاسطول » لا تطلق فقط على مجموع السفن الحربية بل تطلق ايضاً على السفينة الواحدة الحربيــة قال صاحب شفاء الغليل : والاسطول مركب تهيأ للقتال ونحوه قال البحتري :

يسوقون اسـطولاً كأن سفينه سحائب صيف من جهام وممطر

ويرد ذكرها كثيراً في تاريخ ابن خلدون بهـذا المعنى في عدة مواضع فيقول في موضع منها « وصله من مرية بعشرة اساطيل » وفي موضع آخر « جهز له مائة وثمانين اسطولاً » و« اساطيلهم تناهز اربعمائة » الخ

ونبتدئ الآن بالكلام على اهم السفن الحربية في الاساطيل الاسلامية وهي :

السفن وتوابعها

﴿ البطس ﴾ جمع بطسة وقد يحرفونها الى بطشة او بسطة وهي سفن حربية بحرية عظيمة الحجم كثيرة القلوع وصـل عدد القلوع في البطسة الواحدة الى اربعين قلعاً مما يدل على اتساعها وهول منظرها . وقد اشتهر هذا النوع من السفن على الخصوص في ايام الحروب الصليبية وكانت البطس اشهر انواع سفنهم التي كانو

(١) الاعلاق النفيسة لابن رسته ص ١٩٥ و١٩٦ من طبعة ليدن

الدينية : في احدى عواصم اوربا صورة زيتية تمثل حاشية ملك اسبانيا بمن فيها من الاشراف والنبلاء يكتنفهم جماهير الشعب اجتمعوا في وسط المدينة ليشاهدوا احراق فتاة جميلة لا ذنب لها سوى انها بقيت على دين آبائها الذي تلقنته منذ طفوليتها — ان البدن يقشعر عند سماع حكاية مثل هذه ولكن منذ كم سنة حصل هذا الحادث ؟ ان اعمار ثلاثة شيوخ اذا جمعت كانت اطول من المسافة بيننا وبين ذلك الزمن (سنة ١٦٨٠) . لا شك ان رجال التفتيش الذين عملوا هذه الفظائع كانوا مخلصين في عملهم كما ان المتحمسين اليوم من حماة الاوطان يطلبون الحرب وهم يعتقدون انهم يخدمون بلادهم بهذه الطريقة

فلماذا لا يلحق العقائد الوطنية التغيير الذي حصل في العقائد الدينية لا سيما وان الفرق عظيم بين الحالة الاجتماعية في هذا القرن وفي ما مضى يوم كان انتشار الافكار من اصعب الامور بسبب جهل الشعب وصعوبة المواصلات . فاصبحت الافكار تنتقل الان بسرعة البرق فتنتشر بين العامة والخاصة . وافضل برهان على ذلك انتشار كتاب الوهم الاكبر في بضع سنوات انتشاراً عظيماً في كل اقطار المسكونة

ان الانسان قادر على اصلاح حاله بمجرد ارادته واجتهاده . هذه حقيقة بسيطة ومع ذلك فكثيرون ينكرونها — فهدم الاوهام السائدة الى اليوم في المسائل السياسية انما يحتاج الى العمل والسعي في اظهار الحقيقة — والحق يعلو ولا يعلى عليه

اميل زيدان

بعد كتابة ما تقدم اتانا كتاب من خليل افندي جباره احد كبار التجار السوريين في منشستر ذكر فيه الاحتفال الشائق الذي اقيم بالامس في تلك المدينة لنورمن انجل صاحب كتاب الوهم الاكبر . وقرأنا تفاصيل الحفلة في بعض الجرائد اليومية ومنها علمنا ان نورمن انجل ألحق القول بالعمل فهو يبشر الآن بمذهبه في انكلترا وغيرها من الممالك الاوربية . وقد خص تلاميذ المدارس بعنايته لانهم رجال المستقبل وعلى ارائهم تتوقف العلاقات الدولية في السنين المقبلة وقد الف جمعيات خاصة لهذا الغرض في جامعات انكلترا والمانيا لتتشرب الناشئة افكاره مع العلم — وكل ذلك يدل على ان الرجل مخلص في خدمته للجنس البشري

يلزم ادارة الهلال بالثمن او المبادلة

تاريخ التمدن الاسلامي الجزء الاول وسنو الهلال الرابعة والثالثة عشرة والثامنة عشر

من الشونة او هي الشونة العظيمة . وقد استعمل العرب لفظة بارجة كأنها عربية ينعت بها فيقال سفينة بارجة بمعنى سفينة مكشوفة . وقد اخذ العرب البوارج عن الهنود بعد الاسلام فكانوا يقاتلون عليها ويقاتَلون بها . من ذلك ما جرى في ايام المعتصم فقد اغار الهنود ببوارجهم على شواطئ فارس الجنوبية وما يجاورها من شواطئ بلاد العرب فحاربهم المعتصم واسر بوارجهم . ذكر ذلك المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف عند كلامه على المعتصم وان له ثماني فتوح منها قوله «واسره البوارج وهي مراكب الهند وكان فيها منهم عسكر عظيم قد غلبوا على ساحل فارس وعمان وناحية البصرة » وذكر البوارج الطبري في حوادث سنة ٢٥١ هـ = ٨٦٥ م فقال ما نصه : « ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة (الى بغداد) عشر سفائن بحرية تسمى البوارج . في كل سفينة اشتيام [١] وثلاثة نفاطين ونجار وخباز وتسعة وثلثون رجلاً من الجذافين والمقاتلة فذلك في كل سفينة خمسة واربعون رجلاً » فالعرب لم تعرف البوارج الا بعد ان اختلطوا بالهنود لما افتتحوا السند وغيرها في القرن الاول للهجرة وكانت ولاة السند من المسلمين في ذلك العهد تستعمل البوارج في الفتوح وفي محاربة الاعداء من الهنود ـ انظر فتوح البلدان للبلاذري صحيفة ٤٣٥ و٤٤٥ و٤٤٦ من طبعة أوروبا

﴿ المسطحات ﴾ جمع مسطح وهي نوع من المراكب الحربية العظيمة . وقد اقتبس بعض الافرنج لفظة مسطح فقال الاسبانيون والبرتغال Mistico و Mestech والمسطحات والبطس اكبر السفن الاسلامية واعظمها حجماً . وسترى انهم كانوا يأتون بها وقت الحرب خلف المراكب الصغار خوفاً من ان تغرق هذه في واديها

﴿ الشذوات والسميريات ﴾ الشذوات اوالشذا مفردها شذاة والسميريات مفردها سميرية . ضرب من السفن البحرية والنهرية التي كانت تتخذ في الحروب في عهد

(١) الاشتيام او الاستيام في هذا المعنى هو كبير البارجة الحربية ويقابله بالفرنسة Commandant d'un navire de guerre وهذا هو المعنى الاصلي لهذه الكلمة . فان الاشتيام كان لرئيس الملاحين الموجودين في سفينة واحدة وفي عدة سفن حربية كانت او تجارية بحرية او نهرية . او لرئيس السفن البحرية الذي بيده الامر والنهي وكل مايتعلق بسير السفينة ثم لامير نوع من السفن البحرية الحربية مثل امير الشذوات (وسيأتي ذكرها) اي بمعنى اميرال Amiral بالفرنسية ثم اصبح الاشتيام بمعنى رئيس الركاب والملاحين معاً ثم صار بمعنى صاحب الامتعة المحمولة في السفينة اي ناظر الامتعة وهذا المعنى فرعي . (انظر مقالة الاستاذ ساتسانا Satsana في المقتبس مجلد ٧ ص ٢)

يتقاتلون عليها في ذلك الزمان لكبر حجمها . ويستخدمونها في نقل الازواد والذخيرة فيشحنونها وقت الحرب بالآلات والاقوات والميرة والرجال والمقاتلة والاسلحة وجميع ما يحتاج اليه في الحروب والحصار فتحمل البطسة الواحدة من المقاتلة خلقاً عظيماً يعدّ بالآلاف . وكانوا يجعلون لها اسطحة عالية يضعون فيها الميرة والاقوات غالباً وكان لبعضها طبقات كل طبقة خاصة بفئة من الجيش تفرش بالبسط وغيرها . وذكروا في التواريخ الافرنجية ان البطسة الهائلة التي كانت لملك المانيا في الحروب الصليبية كانت تسمى لعظمها وتناهيها في الكبر « نصف الدنيا » . ومن اشهر حيلهم في المقاتلة بالبطس ما ذكروه عن محاصرة الافرنج لبرج الذباب الذي كان قائماً وسط البحر وارادوا اخذه فجعلوا على سواري البطس برجاً ملأوه حطباً على ان يسيروا البطس حتى اذا لاصقت برج الذباب احرقوا البرج الذي على الصاري والصقوه ببرج الذباب ليلقوه عن سطحه ويقتل من عليه من المقاتلة ويأخذوه . وجعلوا في البطسة وقوداً كثيرة تلقى في البرج اذا اشتعلت النار فيه . وعبوا بطسة ثانية وملأوها حطباً ووقوداً على ان يدفعوا بها حتى تدخل بين البطس الاسلامية ثم يلهبونها فتحترق هذه البطس ويهلك ما فيها من الميرة . وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو بحيث لا يصل لهم نشاب ولا شيء من آلات السلاح . حتى اذا احرقوا ما ارادوا احراقه دخلوا تحت ذلك القبو فامنوا وقدموا البطس نحو البرج المذكور وكان طمعهم يشتد حيث كان الهواء مصعداً لهم . فلما احرقوا البطسة التي ارادوا ان يحرقوا بها من على برج الذباب واوقدوا النار وضربوا فيها النفط انعكس الهواء عليهم [1] واشتعلت البطس باسرها واجتهدوا في اطفائها فما قدروا وهلك من كان فيها من المقاتلة [2] وحاول الافرنج اخذ ذلك البرج مرة أخرى فاعدوا في البحر بطسة هائلة وضعوا فيها برجاً بخرطوم اذا ارادوا قلبه على السور انقلب بالحركات ويبقى طريقاً الى المكان الذي ينقلب عليه تمشي فوقه المقاتلة وعزموا على تقريبه الى برج الذباب ليأخذوه به

﴿ البوارج ﴾ جمع بارجة وهي كلمة هندية عربها العرب عن لفظة « بيره » التي هي الى اليوم في اللغة الهندستانية « بيرا » [3] والبارجة سفينة حربية عظيمة اكبر

---

(١) سيأتي في وصف الحروب البحرية شيء من تأثير الرياح واهميتها في حروبهم البحرية

(٢) انظر سيرة صلاح الدين الايوبي لابن شداد

(٣) الراء في الاصل هندية فوقها اربع نقط تنطق بين الراء والغين وهي ثالثة الحروف الهندية التي يزيدها الهنود على حروف الهجاء العربية

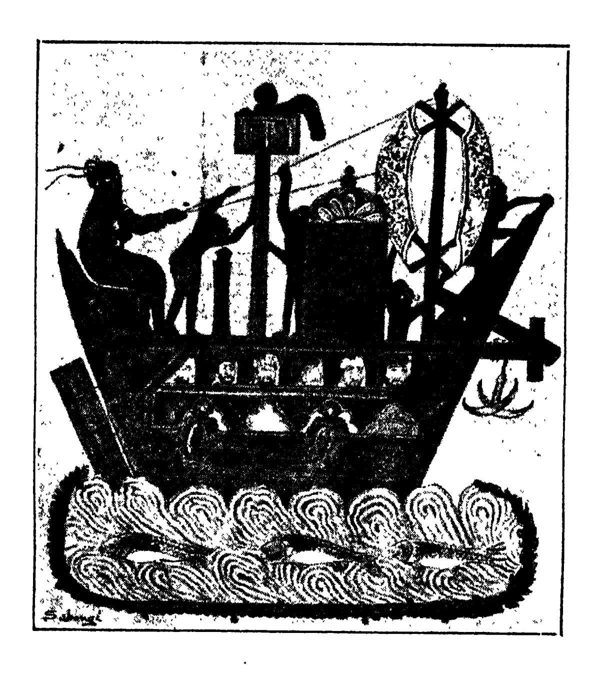
ولما انقطع العهد بالمحاربة على الشذوات والسميريات في اواخر الدولة العباسية اصبح القوم يركبون السفن المذكورة لغاية التجارة او السفر فقط

﴿ العكيري ﴾ وقد ضبطه ابن بطوطة في رحلته فقال وهو بضم العين المهملة وفتح الكاف وسكون الياء وراء وهوشبه الغراب الا انه اوسع منه وفيه ستون مجذافاً ويسقف حين القتال حتى لا ينال الجذافين شيء من السهم ولا الحجارة . وهذا النوع من السفن كان يستعمل كثيراً في نهر السند وافرعه الكبيرة

﴿ العشيري ﴾ اتينا فيما تقدم على نوع من السفن الحربية وهو العشاريات ومفرده العشاري او العشيري وقد وصفه عبد اللطيف البغدادي المؤرخ المشهور في سياحته الى مصر في اواخر القرن السادس للهجرة فقال « واما سفنهم فكثيرة الاصناف والاشكال واغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه « العشيري » شكله شكل شبارة[1] داخله الا انه اوسع منها بكثير واطول واحسن هنداماً وشكلاً قد سطح بالواح من خشب ثخينة محكمة واخرج منها افاريز كالرواشن نحو ذراعين وبني فوق هذا السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات وروازن بابواب الى البحر من سائر جهاته ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ثم يزوق باصناف الاصباغ ويذهب ويدهن باحسن دهان . وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالساً على وسادته وخواصه حوله والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن واطعمتهم وحوائجهم في قعر المركب والملاحون تحت السطح ايضاً وفي باقي المركب يقذفون به لا يعلمون شيئاً من احوال الركاب ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم بل كل فريق بمعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده واذا اراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن اصحابه دخل المخدع واذا اراد قضاء حاجته دخل المرحاض . والملاحون بمصر يقذفون الى ورائهم فهم في قذفهم يشبهون الحبالين في مشيهم القهقرى ويشبهون في تحريكهم السفن من يجذب ثقلاً بين يديه ويمشي به الى خلفه . واما ملاحو العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقل نحو امامه ويدسر به فسفنهم تتوجه حيث

(١) الشبارة نوع من السفن العراقية التي كانت تستعمل في نهر دجلة . قال دوزي « ويسمونها في مصر حراقة وهذه الكلمة تستعمل الى الآن في العراق واشار اليها البارون دي سلان في ترجمته لابن خلكان ١ و ١٧٥ وتوفي (ارسلانشاه) في شبارة بالشط ظاهر الموصل والشبارة بالشين المعجمة مفتوحة والموحدة مشددة وبين الالف والهاء راء وهي عندهم الحراقة عند اهل مصر » وذكروا ان السفن التي كانت تخص المأمون سوى سفن العسكر اربعة آلاف شبارة كباراً وصغاراً

الدولة العباسية وقد اشتهرت في حروب الزنج باوائل النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة كما اشتهرت البطس في الحروب الصليبية . وكانوا يحملون في الشذوات والسميريات آلات الحرب والسلاح والمقاتلة والرماة والملاحين المساحين بانواع السلاح. قال الطبري في حوادث سنة ٢٦٧ هـ ما نصه « وكتب سليمان الى صاحب الزنج يسأله امداده بسميريات لكل واحدة منهن اربعون مجذافاً فوافاه من ذلك في مقدار عشرين يوماً اربعون سميرية في كل سميرية مقاتلان ومع ملاحيها السيوف والرماح والتراس» وكان امير البحر يتشاغل اياماً قبل الحرب بعرض الشذا وما يلحقها من الشذا الجنابيات والسميريات وترتيب قواده ومواليه وغلمانه فيها وتخير الرماة ترتيبهم في الشذا والسميريات وكانوا وقت الحرب اذا استأمنت شذاة من شذوات العدو كان اهلها ينكسون علماً ابيض يكون معهم [١] وهذه هو علامة الامان عندهم



سفينة عربية جلس ربانها على دكة الى اليسار ليدير الشراع بالامراس . وفي وسطها مقعد مرتفع يجلس عليه الديدبان . وهذه الصورة منقولة عن مسودات مقامات الحريري في مكتبة المستشرق شيفر تمثل اسفار العرب في البحار لذلك العهد

(١) الطبري ص ٢٦٧ سلسلة ٣ ج ٤

المركب من تأليف اصحابه ووعدهم واستمالتهم وتحريضهم قبل الحرب كما يفعل والي البر وابلغ من ذلك . لان هذا لا منجى منه ولا مخلص الا بصدق القتال اما كاسر او مكسور . . . . .

ان الحرب في البحر شديدة صعبة عسرة لامور منها ان المجال ضيق ولا تكاد السهام والاحجار تخطيء وكل رشق ينكي . ومنها اختلاف الرياح بما يضر او سكونها عند وقت الحاجة اليها ومنها انه لا يمكن فيه الهرب والفرار ان اقتضت المصلحة ذلك ولا الاستتار. وقد مثل العرب حرب البروحرب البحر بالشطرنج والنرد فقد قالوا نقلاً عن احد حكماء الفرس ان الشطرنج وضع لتمثيل حرب البر والنرد وضع لتمثيل حرب البحر فان صاحب النرد وان وضع المهارك في المواضع الجيدة واحترز فاذا جاءت الفصوص بما لا يوافق الغرض لم ينتفع باحترازه وبطل عليه تدبيره كاختلاف الريح واضطراب البحر قال المتنبي في المعنى :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لاتشتهي السفن[1]

﴿ حركات الاسطول ﴾ كانت الاساطيل الاسلامية تجري الالعاب والحركات المعروفة الآن بالمناورات البحرية الحربية امام الخلفاء والملوك في الاعياد والمواسم الرسمية وفي وداع الاسطول وسفره الى الحرب وفي عودته منه فكانوا يحتفلون احتفالاً عظيماً يحضره جميع الامراء وكبار الدولة وتشهده الرعية فكانت الاساطيل تأتي بالالعاب المدهشة فتمثل الحروب البحرية وحركاتها المتقنة وهي مزينة باسلحتها ولبودها وما فيها من المنجنيقات فيرمى بها وتحدر السفن والمراكب وتقاع وتفعل سائرما تفعله عند لقاء العدو . وقد وصف ابو بكر محمد بن عيسى لعب الاسطول في يوم المهرجان بجزيرة ميورقة فقال :

بُشرى بيوم المهرجان فانه يوم عليه من احتفائك رونق
طارت بنات الماء فيه وريشها ريش الغراب وغير ذلك شوذق
وعلى الخليج كتيبةٌ جرارةٌ مثل الخليج كلاهما يتدفق
وبنو الحروب على الجواري التي تجري كما تجري الجياد السبقُ
ملأ الكماة ظهورَها وبطونَها فاتت كما يأتي السحاب المغدقُ
خاضت غدير الماء سابحةً به فكانما هي في سراب أينق
عجباً لها ما خلت قبل عيانها ان يحمل الأُسدَ الضواري زَورَقُ
هزت مجاديفاً اليك كأنها اهداب عين للرقيب تحدّقُ

(١) اثار الاول في ترتيب الدول للحسن بن عبدالله

الملاح متجه واما سفن مصر فهي تحرك الى ضد الجهة التي اليها الملاح متوجه واما أي الحالتين اسهل والبرهان عليها فوضعه العلم الطبيعي وعلم تحريك الاثقال[1]

الحروب البحرية وقوانينها في الاسلام

كان من اوصاف الحروب البحرية بين السفن وقوانينها عندهم حتى اواخر دولة المماليك البرجية والبحرية في مصر : انه اذا كانت الحرب بين الشواني وبين البطس والمسطحات فانهم لا يأتون بالشواني ولا بالمراكب الصغيرة خلف البطس والمسطحات لئلا تغرق في واديها ولا يأتون بها من جانبها فانها لا يمكنها الالتصاق بها بل تقابلها عن بعد وتنطحها بالفاس الذي يقال له اللجام المارذكره فيدخل عند الحرب في اسطام المركب وهي الخشبة التي في مقدم الشيني واذا امكنتهم الفرصة تأخروا به قليلاً ثم قدفوا قذفة واحدة قوية فينطح المركب ويدخل الماء فيه واذ كانت الحرب بين الشواني وبعضها تقرب الشيني من الشيني فتوقفه ثم يطرح الالواح بينهما كالجسر ويدخلون اليه ويقاتلون وقد تقدم في وصف الكلاليب ان العدو اذا كان قوياً ابطل فعلها بفأس ثقيل من فولاذ يضربونها به فتنقطع

وكانت المراكب الكبار ان سكنت الريح عنها جذبتها الشواني الى موضع القتال . وكان الاصل عندهم في قتال البحر هو معرفة الرياح فكانوا يحركون المراكب بالارجل حتى يتقدم مركب خصمه او يعلو عليها فوق مهب الريح

وكان على والي حرب البحر اذا خرج للقتال ان يستجيد المراكب ويستجدها ويكثر تقويتها وادخار الآتها حتى اذا تلف شيء من ذلك وجد ما يخلفه ويحتاط في تقييرها واحكام ما يلاقي الماء منها فانه الاصل الذي يعول عليه ويتخير القواد والرؤساء العارفين بمسالك البحر ومراسيه وعلامات الرياح وتغييرات الانواء والحركات البحرية من المد والجزر . وكان من واجباته وقت الحرب ان لا يهجم على المراسي لئلا تكون مراكب العدو بها كامنه ولا يتقدم الى البر الابعد المعرفة به والاحتراز من الاحجار والعشاب والاحارش التي تتكسر عليها المراكب ويكثر من الماء والزاد ليستظهر على طول المدة ان دعت الحاجة اليه كادخار اصحاب الحصون . وان كان القتال قرب البر والسواحل والجزائر فيجعل عيونه وطلائعه على الجبال فيتأهب لذلك ويفعل مقدم

(٢) الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر لعبد اللطيف البغدادي صحيفة ٤١

بيض الفصح

بحث ادبي اثري تاريخي

١ — رمز البيضة عند القدماء

ان الامم قديمها وحديثها اتخذت الرموز لشؤون شتى . وغني عن البيان ما في هذا الامر من الاشارة الى تاريخ الشعوب الماضية ومعرفة درجات تقدمهم ورقيهم . فقد اكثر منها الصينيون وتفننوا فيها على مناح متنوعة . واستخدمها المسيحيون ولا سيما في الاجيال الثلاثة الاولى لاسباب تاريخية كنسية لا محل لتفصيلها هنا . ومما هو حري بالذكر ان اشهر الرموز العظمى عند الامم القديمة هي البيضة العالمية اي التي تولد الكون منها . فان هذا الرمز وجد عند كل الامم القديمة الوثنية الا الصينيين . فاهل اليابان يمثلون البيضة امام ثور ذهبي يكسرها بقرنيه ليخرج منها العالم . والثور رمز ايضاً عن القوة الخالقة . واصل هذا الاعتقاد اي مسئلة البيضة عند الهنود كما هو شائع ان برهم الروح الازلي المبدع الكل لما شاء ان يخلق الكون انشأ اولاً الماء ووضع فيه جرثومة فاستحالت الجرثومة الى بيضة ذهبية شديدة اللمعان حلَّ فيها برهم وخرج منها باسم برهمي ثم شاء ايضاً ففلقها نصفين كوَّن منهما السماء والارض وجعل بينهما الجو وما تضمنه من الاجرام . وتروى الحكاية على غير هذا الاسلوب

ويرويها الفرس ايضاً في اعتقادهم على خلاف هذه الكيفية وينسبونها الى ارمزد روح الخير . ويذكرها المصريون القدماء على نسق قريب من ذلك ويخالفهم بعض المخالفة الفينيقيون والكلدانيون وغيرهم . وربما كان المسيحيون يرمزون عن دفن السيد له المجد وقيامته باستخدامهم بيض الفصح لما في ذلك من المشابهة الظاهرة . فقشرة البيضة الشبيهة بالرمس تحتوي على جسم حي يتولد منه فرخ اذا توفرت للدجاجة شروط طبيعية لا مناص منها . وفي العادة المألوفة عند بعض المسيحيين الى عهدنا هذا ان يكتبوا على البيضة شعار العيد المجيد بظفر الرب وقيامته من بين الاموات « المسيح قام » اشارة واضحة الى هذا الرمز

وهاك ما كتبه في هذا المعنى احد نوابغ عصرنا المشهورين بدقة نظرهم وكثرة ابحاثهم قال : « وعند الطوائف الشرقية رمز قديم لا يزال مستعملاً حتى اليوم في عدة كنائس وهو البيضة . فيعلقون بيضة نعام في حنايا الكنائس يريدون بها الدلالة على قيامة المسيح وعلى سهره على كنيسته كما يسهر النعام على صغاره . ومن ذلك عادة

وكانها اقلام كاتب دولة في عرض قرطاس تخط وتمشق (١)

اما في مصر فكان الخلفاء والسلاطين يجلسون لوداع الاسطول ولعودته ويحضرون بانفسهم تجهيزه فاذا تهيأ للاقلاع ركب الخليفة الى منظرة المقس (محل جامع اولاد عناد الآن) لتوديعه ومشاهدة حركاته باحتفال باهر قال المقريزي « وفي سنة اثنين وتسعين وستمائة تقدم السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون الى الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس بتجهيز امر الشواني فنزل الى الصناعة واستدعى الرئيس وهيأ جميع ما تحتاج اليه الشواني حتى كملت عدتها نحو ستين شونة وشحنها بالعدد وآلات الحرب ورتب بها عدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح فاقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبل ركوب السلطان بثلاثة ايام وصنعوا لهم قصوراً من خشب واخصاص القش على شاطئ النيل خارج مدينة مصر وبالروضة واكتروا الساحات التي قدام الدور والزوابي بمائتي درهم كل زربية فما دونها بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر الا وخرج اهله او بعضهم لرؤية ذلك فصار جمعاً عظيماً وركب السلطان من قلعة الجبل بكرة والناس قد ملأوا ما بين المقياس الى بستان الخشاب الى بولاق ووقف السلطان ونائبه الامير بيدر وبقية الامراء قدام دار النحاس ومنع الحجاب من التعرض لطرق العامة فبرزت الشواني واحدة بعد واحدة وقد عمل في كل شونة برج وقلعة تحاصر والقتال عليها ماح والنفط يرمى عليها وعدة من النقابين في اعمال الحيل في النقب وما منهم الا من اظهر في شونته عملاً معجباً وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه » هذا مثال من تهافت الناس وكثرة اجتماعهم لمشاهدة حركات الاسطول وهو اعظم شاهد على ما بلغت اليه الاساطيل الاسلامية من الجلالة والعظمة واعتناء الخلفاء والملوك بها

الجامعة المصرية عبد الفتاح عباده

احسن طرق ارسال الدراهم

الى ادارة الهلال بمصر

هي الاوراق المالية (بنك نوط) انجليزي وفرنساوي وروسي وامركاني والحوالات على البوسطة لان ذلك ميسور في كل الممالك

(١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي عاق عليه الاستاذ دوزي بالانجليزية وطبعه في ليدن سنة ١٨٨١

امتناعهم من المآكل الحيوية وما شاكلها ممــا هو مسطر في الكتب المسيحية الطقسية ولا حاجة الى ذكره

٣ — التفنن في تزيين بيض الفصح

ولم يقتصر المسيحيون على مجرد تلوين البيض بالالوان المستعملة فتطرقوا من هذه العادة البسيطة الى ما وراءها وابدعوا في نقش البيض وتصويره وزخرفته . فالباريسيون مثلاً لهم باع طويلة في تصوير البيض والتفنن فيه . وكفى برهاناً ساطعاً على ذلك ذكر كل من مصوريهم Lancret وWatteau اللذين اشتهرا بتصوير البيض وزخرفته . على ان القدسيين وقاطني بيت لحم وبيت جالا وغيرهما من ضواحي اورشليم لهم مزية خاصة في زخرفة البيض . فبعد صبغه بلون احمر قاتم ينقشون عليه رسم قيامة السيد ويدبجونه بازهار وتعاريج متعددة ويكتبون عليه غالباً بالعربية واليونانية والروسية « المسيح قام » فضلاً عما يستحضره باعة السلع الكنسية من روسيا وغيرها من البيض الاصطناعي . فزخرفته تأخذ بمجامع الفؤاد بمــا فيها من دقة الصناعة وجودتها . وقد اعتاد بعض آنسات القدس وسيداتها ان يثقبن البيضة بثقوب دقيقة يتمكن بها من اخراج بياضها وصفارها وتنظيفها ويطرزن عليها بالابرة العادية اشكالاً كثيرة لا فائدة من وصفها . فهذا النوع الاخير من البيض قليل الــكلفة لكنه حسن المنظر يقتنى لتزيين بيوت العامة والخاصة

٤ — مهاداة بيض الفصح

بقي الــكلام على اصل عادة مهاداة البيض وهو مما لم يتوصل الباحثون الى معرفته على وجه يمكن الجزم فيه . والارجح ان هذه العادة قديمة بدليل انتشارها في بلاد فارس وغــيرها ولم تزل مرعية الجانب عندهم الى عهدنا هذا وقد اتخذوا لذلك عيداً سموه عيد البيض وهو اليوم العشرون من آذار أي رأس العام الجديد . ولا يخفى ان هــذه العادة انتقلت الى المسيحيين القدماء فعمت معظم الاقطار النصرانية . ولا مشاحة ان الديانة المسيحية كما هي الآن تشتمل على كثير من العادات الوثنية والعبرانية غير أن المسيحيين تصرفوا بتلك العادات على مقتضى البواعث والاحوال وسلمونا اياها بهيئة جديدة ليس فيها أثر وثنيّ . ولا نقصد من اثبات ذلك الا بيان ما هو حريّ بالذكر لما فيه من الصحة التاريخية . فان بعض المولعين بدرس عادات الشعوب وتأويلها قد عللوا عادة اهداء البيض كما يأتي : ان الكنيسة المسيحية شرقها وغربها كانت منذ القديم تنقطع في أثناء الصوم الاربعيني عن تناول المآكل الحيوانية

البيض الفصحي في كل البلاد يتخيلون بها قبر المسيح الذي فتحه بقوة لاهوته فظهر للعالم بحياة ممجدة بعد زوال حياته الاولى الفانية . وربما صبغوا البيض بحمرة دلالة على دم الفادي المسفوك لخلاص البشر مدة آلامه . والكنيسة نفسها تدعى في الشرق « بيعة » اي بيضة (من السريانية « بيعتا ») ولعل سبب هذه التسمية انهم كانوا يبنون الكنائس على شكل البيضة يمثلون بها قبر المسيح » (اه)

٢ — تلوين بيض الفصح وتقاليد المسيحيين بشأنه

لا مشاحة في ان عادة تلوين بيض الفصح قديمة جدًّا يعزى تاريخها الى ما قبل المسيح باجيال . ويُروى ان المؤمنين كانوا يكرسون يوماً من سنتهم ليحتفلوا فيه ببدء الربيع وكانوا يقضونه بين اللهو والقصف واللعب والرقص ومن جملة عاداتهم في هذا اليوم تلوين البيض اشارة الى مناظر الطبيعة المدبجة بالازهار على اختلاف اشكالها والوانها . بيد اننا لم ندر متى ادخلت هذه العادة في الديانة المسيحية وانتشرت بين معظم المسيحيين . ومن اغرب ما يقال في هذا المعنى ان بعض المسلمين والاسرائيليين واهل الشيعة (المتاولة) وغيرهم يلونون البيض في ايام معلومة عندهم

ومهما يكن من الامر فالمخيلة المسيحية قد وضعت لهذه العادة المشكورة تقاليد شتى لا بدَّ من ذكرها لما فيها من الفكاهة والافادة . يرى البعض ان القديسة مريم المجدلية بعد وفاة السيد وقيامته قصدت رومية المدينة الشهيرة اذ ذاك رغبة في مواجهة القيصر . فمثلت بين يديه وشكت له قساوة بيلاطس والي اليهودية نحو سيدها وكانت عبرات الحزن والتلهف تجري على وجنتيها . وقدمت له بيضة حمراء اشارة الى دم السيد الذي اهرق من اجلنا فطيب القيصر قلبها الحزين ووعدها خيراً بالاستقصاء عن هذا الامر ومحاكمة المعتدين . ويزعم اخرون ان احدى الآنسات الاسرائيليات اتفق انها حملت في حجرها عدداً من البيض ومرَّت بصديقة لها مسيحية . فبادرتها الثانية بالسؤال التالي « اتعلمين ايتها الصديقة ان سيدنا له المجد قد قام من الاموات » ؟ فاجابت الاسرائيلية لم اصدق ذلك ان لم يتلون ما في حجري من البيض وهكذا كان . وقال غيرهم غير ذلك . وعندنا ان مسئلة صبغ البيض عادة قديمة عند المسيحيين فكانوا ولا يزالون يصبغونه بالاصفر والبنفسجي والاحمر وغيره بقصد الزينة او تمييزاً عن بيض سائر السنة ويتهادونه يوم عيد الفصح . وقد بطلت هذه العادة اليوم في كثير من البلاد واستبدلت في بعضها ببيض من السكر يجعلون في باطنه شيئاً من الهدايا اللطيفة ويعطى للاولاد . ولا شك في ان هذا البيض هو ما كان يجتمع عندهم في ايام الصوم لسبب

المواد المعروفة كالكبريت مثلاً فانك اذا احميته حتى صار سائلاً ثم تركته الى ان يبرد تكونت فيه بلورات صفراء جميلة . اما الفحم فاذا أُحمي احترق وتحول الى غازات باتحاده مع اوكسجين الهواء . وهناك طريقة اخرى للتبلور عرفها الكيماويون — نعني اذا ذوبت ملحاً اعتيادياً في الماء لابد ان تصل الى درجة لا يذوب فيها الملح لان الماء اذاب كل ما يقدر ان يذيبه . فاذا احميت ذلك الماء زادت قابليته للتذويب . فاشبعه من الملح وهو حام واتركه حتى يبرد فيتبلور الملح الذي اذابته الحرارة

وقد صحت هذه الطريقة بتبلور الفحم فاذابوه في حديد مصهور فلما برد المزيج تحول الفحم الى بلورات سوداء مظلمة ليس فيها شفافة الماس . وهذه البلورات هي المادة التي يصنعون منها اقلام الرصاص. وليس في تلك الاقلام في الحقيقة أثر للرصاص وانما هي فحم مبلور يسمى عند الافرنج Graphite

واول من وفق الى صنع ماس حقيقي هنري مواسان . بدأ عمله بدرس تركيب الماس الطبيعي درساً دقيقاً فاضطر لذلك ان يحرق قطعاً منه فوجد فيه اثراً خفيفاً من الحديد . فاستنتج من ذلك ان للحديد دخلاً في تكوين الماس . ثم وجد بالبحث ان الماس يوجد في مناجمه ومعه دائماً نوع من الصوان « الكوارتز » وهذا الحجر لا يتكون في الطبيعة الا بالضغط العظيم فاستنتج مواسان ان الماس كذلك يحتاج الى الضغط في تبلوره

وقد زاده تمكناً من استنتاجاته المتقدمة ان احد العلماء وجد في نيزك وقع في ولاية اريزونا من الولايات المتحدة قطعاً صغيرة جدًّا من الماس ففحص مواسان بنفسه ذلك النيزك ليبحث عن كيفية تكون الماس فيه فتوصل الى ان الحديد يسيل من شدة الحرارة فاذا برد سائله زاد حجمه كما يزيد حجم الماء اذا تحول الى جليد . فالنيزك واكثره من الحديد يسيل عند وقوعه بالحرارة التي تتولد من احتكاكه الشديد بطبقات الهواء التي يمر فيها . لكنه لايلبث ان يبرد فتبرد اولاً طبقة خارجية تكوّن حوله غلافاً صلباً ويبقى الحديد في داخله سائلاً فيبرد شيئاً فشيئاً ولا مجال لزيادة حجمه لانحصاره بذلك الغلاف الصلب . فينشأ من ذلك ضغطٌ شديد يكفي لتحويل الفحم الممزوج بالحديد الى ماس . فلم يبق لمواسان بعد اكتشافه هذا الا ان يقلد الطبيعة بما يشبه النيزك ليتحقق صحة استنتاجه عملياً . فوضع كمية من الحديد مع قليل من فحم السكر في وعاء لا يذوب بالحرارة ولا يحترق . ووضعه في فرن كهربائي يولد حرارة هائلة . فسال الفحم والحديد فنقل هذا المزيج دفعة واحدة الى وعاء فيه ماء بارد جدًّا .

والبيض واللبن وغيرها كما هو جار الآن بين الشرقيين . فاخذ المسيحيون يتهادون البيض المسلوق يوم العيد السعيد لتعذر اهداء غيره من المآكل . وقد ترك لنا احد ادباء الافرنسيين وصف ما كان شائعاً في القرن الثالث عشر وما فوقه من العادات البهجة يوم عيد الفصح واهداء البيض فيه الى ان قال : ان عادة اهداء البيض الطبيعي لم تزل مستعملة حتى يومنا هذا غير ان الباريسيين استعاضوا عنها بالبيض الاصطناعي والملبس واللعب وما شاكلها

ويحسن بنا أن نلاحظ في هذا البحث ان القدسيين يستحضرون ليلة الجمعة العظيمة كمية من البيض المسلوق الملون الى الكنيسة في كيس صغير فيه قشر من المحابر وقطع من الشعانين المباركة . فبعد ان يقرأ عليها الكاهن الاثني عشر انجيلاً المعروفة باناجيل الآلام حسب الطقس الشرقي يعيدها اصحابها الى بيوتهم ويوزعها كبير العائلة على اهله نهار عيد الفصح بعد قداس الهجمة . فهذه العادة معروفة عند جمهور القدسيين غير انها مرعية الجانب بين القايلين منهم لاسباب لا حاجة الى نشرها . ولبيض الفصح صلوات خاصة يجدها من يريد في الكتب الطقسية المسيحية . هذا جل ما وقفنا عليه في هذا الصدد وللباحثين في كل ما ذكر تفاصيل شتى امسكنا عن استيفائها حباً بالاختصار

الاسكندرية في ١٩ ابريل سنة ١٩١٣ نجيب ميخائيل ساعاتي القدسي
دكتور في اللاهوت

الجواهر الاصطناعية

اشتغل الكيماويون القدماء طويلاً في تحويل المعادن الى ذهب واضاعوا السنين في البحث عن حجر الفلاسفة المنشود . ولم يفكروا في عمل جواهر اصطناعية مع انه اسهل من ذاك . لان الجواهر مواد بسيطة مبلورة فيكفي للحصول على الجواهر الثمينة ان نتوصل الى طريقة لتبلور تلك المواد واول خطوة في هذا السبيل تحديد مقادير المواد الداخلة في تركيب تلك الجواهر . ونبدأ بكيفية عمل الماس الاصطناعي :

اصطناع الماس

ثبت منذ نحو ١٥٠ سنة ان لافرق بين الماس والفحم في اصل مادتهما لان كليهما فحم (كربون) لكن الماس فحم مبلور. فلم يبق لاصطناعه غير اكتشاف طريقة يتبلور بها الفحم . وقد استسهل بعض الكيماويين ذلك في بادئ الامر قياساً على تبلور بعض

اما الطريقة فبسيطة جدًّا وهي كطريقة مواسان — عبارة عن تقليد الطبيعة في تكوينها قضبان الجليد المدلاة . وذلك ان نقطة الماء اذا بردت تحت الصفر كونت بلورة ثلجية . فاذا بردت قبل سقوطها من سقف كالدلف تبلورت وجمدت ولصقت به وتبعتها نقطة أخرى جمدت فوقها او حولها ولا يزال حجمها يتزايد كلما سقط عليها الماء حتى تتكون منها اسطوانة بشكل الاجاصة المقلوبة . غير ان فرنايل ادخل بعض التغيير على طريقة الطبيعة فبدلاً من شكل الاجاصة المقلوبة جعل بلورة الياقوت تتكون بشكل اجاصة معتدلة

وكيفية ذلك ان يضاف الى الصلصال قبل تبلوره بعض المواد الملونة كاوكسيد الكروم للياقوت الاحمر والتيتانيوم مع اوكسيد الحديد للياقوت الازرق (وقد توصلوا الى هذا التركيب بعد التجارب الطويلة) توضع مع الصاصال في وعاء قمعي الشكل تولد فيه حرارة شديدة فيذوب الصاصال والمواد الممزوجة به فيتساقط نقطاً من فوهة القمع على قالب صلب اجاصي الشكل (كمثري) فيجمد ويتخذ شكله ثم تصقل هذه البلورات الخشنة فتصير جميلة لطيفة . والوان الياقوت المختلفة تتوقف على المواد التي تدخل في المزيج الاولي فاذا كان اوكسيد الكروم مثلاً نظيفاً خرجت الياقوتة حمراء بلون الدم واذا خالطه شيء من الحديد خرج بلون برتقالي وقس على ذلك

ولا بد ان يتساءل القارىء اذا كان ثم فرق بين الياقوت الطبيعي والياقوت الاصطناعي فالجواب ان العين وحدها لا تجد فرقاً ظاهراً بين الاثنين . ولكن المكروسكوب يبين فرقاً طفيفاً لوجود خلايا هوائية في الياقوت الاصطناعي مكانها بلورات رمادية صغيرة جدًّا في الطبيعي

ولنفرض اخيراً انهم توصلوا الى طريقة بسيطة رخيصة لصنع الماس وسائر الحجارة الثمينة فما تأثير ذلك على الناس ؟ لا شك ان قيمتها تقلُّ ويقل طالبوها ايضاً لكثرتها لانها لا تكون حينئذ وسيلة للظهور والتفاخر . فيفتش الناس عن حجر او معدن غير معروف ولو كان في جبهة الاسد ليتميز به الاغنياء عن سواهم

كيف صار روزفلت رجلاً

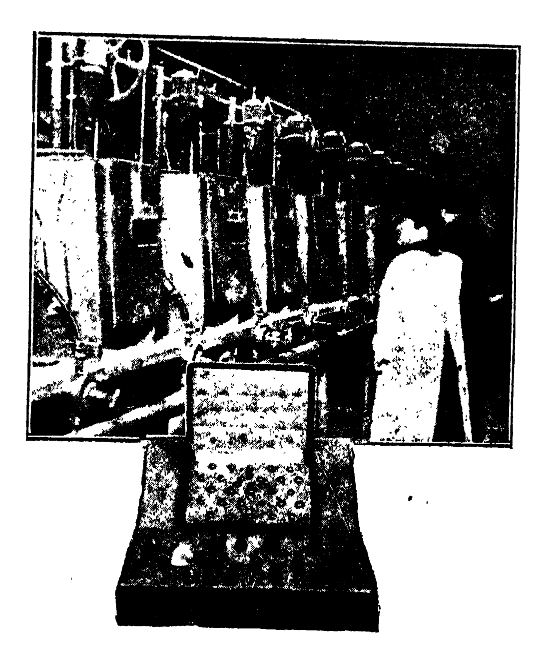
درس للشبيبة الشرقية

يحرر روزفلت اليوم في مجلة الاوتلوك الاميركية وقد شرع يكتب فيها فصولاً من تاريخ حياته واختباراته الشخصية وهو طفل وغلام ورجل . وقد خصص في العدد الاخير منها فصلاً في حياته الجسدية ذكر فيه كيف كان في صباه نحيلا ضئيلا وتنبه الى

فحصل فيه نفس ما يحصل للنيزك . اي تكون اولاً غلاف حديدي وفي داخله السائل الحديدي . فلما برد تولد فيه ضغط شديد فتبلور الفحم فعلاً بشكل قطع صغيرة من الماس لا تساوي القطعة منها خمس ما انفقه في توليدها ـ على انه وان لم يربح مالاً من تجاربه هذه فله الفضل في كشف سر من اسرار الطبيعة ومعرفة الطريقة التي تصنع بها حجارتها الكريمة . ومهد طريقاً قد يأتي بفائدة مادية في المستقبل باتقان العمل

اصطناع الياقوت

لم يكسب مواسان شيئاً من عمل الماس الاصطناعي لكن بعض اهل النشاط والجد نجح في اصطناع الياقوت واستثمر تعبه . عرف الكيماويون من زمن طويل ان



معمل الياقوت : توضع المواد الاولية في القمع الاعلى حيث تذوب من شدة الحرارة فتتساقط في الداخل وتكون بلورات الياقوت . وفي اسفل الصورة انموذج من الياقوت الاصطناعي قبل صقله وبعده

الياقوت ليس الا شكلاً متبلوراً من الخزف الاعتيادي الذي تصنع منه الاوعية كالقلل والاباريق واسمه العربي صاصال . فما هي طريقة تبلور ذلك الخزف ؟ ان اول من توصل الى ذلك الاستاذ فرنايل الفرنساوي وطريقته اليوم مستعملة في فرنسا والمانيا يربح اصحابها منها ربحاً لا يستخف به

كونهم من اهل المدن اظهروا من الاقدام والنشاط والثبات ما لم يظهره سواهم

« ان اسباب النجاح في هذا العالم نوعان : احدهما فطري تهبه الطبيعة من نفسها بلا تعب او اجهاد كالمواهب الطبيعية البدنية والعقلية وقد يستطيع الانسان التوصل بها الى النجاح في امور لا يقدر ان يبلغها عامة الناس مهما اجهدوا قواهم . ويدخل في هذا القسم الرجال العظام من قواد وحكام وكتاب وغيرهم . ولا شك ان التعلم والتمرين يزيدان تلك القوى الفطرية ولكنهما لا يمكنان رجلاً اعتياديا من بلوغ الغاية القصوى . اما النوع الآخر فهو اقل ظهوراً لكنه اكثر اهمية لعموم الناس اذ يكفي للحصول عليه العزم والثبات وهو ليس مبنياً على فرق جوهري بين الناس يميز بعضهم عن بعض وانما هو فرق عرضي ينشأ ويزول بمجرد ارادة الرجل . لانه لا يستلزم قوًى فطرية هائلة بل يتوقف على تمرين المواهب الاعتيادية الموجودة في كل انسان وتربيتها . فباب النجاح من هذا النوع مفتوح لاكثر الناس على شرط ان يستعملوا قوة ارادتهم . ولا شك ان كثيراً من الاعمال العظمى التي ذكرها التاريخ قامت بذوي الهمة والنشاط وان لم يكونوا بفطرتهم من اصحاب الادمغة الممتازة . فاسباب النجاح الثانية تهمّ جمهور الناس اكثر من تلك واليها يجب توجيه الاهتمام . اما فيما يخصني فان كل فوز او انتصار نلته في حياتي انما هو من النوع الثاني لاني كنت في بادئ امري ضعيفاً نحيلا قليل الثقة بنفسي فتغيرت تغيراً عظيماً بواسطة التمرين الجسدي والنفسي

« لا ازال اذكر قصة قرأتها منذ حداثتي فيها قبطان مركب انكليزي يقصّ لبطل الحكاية كيف حصل على خلق الشجاعة وهذا قوله : « يكون الرجل في بادئ امره ضعيف العزم قليل الثقة بنفسه جباناً يخاف من كل شيء واكثر مخاوفه وهمٌ ناتج عن ضعف ارادته . ثم لا يلبث ان يتسلط على ذلك الوهم شيئاً فشيئاً بتقوية ارادته فيذهب خوفه . وبعبارة اخرى انه يقنع نفسه بالوهم بان لا باعث للخوف . ثم يتحول هذا الوهم الى حقيقة فيصبح لا يهاب شيئاً » وقد اتبعت هذه الطريقة وكنت اخاف اموراً كثيرة مادية ومعنوية فتعوَّدت ان اعمل كما لو لم اكن خائفاً فاصبحت في الواقع لا اخشى شيئاً مما كنت اخافه قبلاً . فكل واحد يقدر ان يعمل عملي لا سيما في ايام حداثته

« لا شك ان الرجل المولود شجاعاً يستحق اعجابنا . ولكن لا يبرح من ذهننا ان الرجل الذي لم تمنحه الطبيعة هذه النعمة يقدر ان يكتسبها اذا اراد ولا يكفي ان يريد ذلك وهو جالسٌ في غرفته كانه يحلم حلماً لطيفاً بل عليه ان يسعى ويعمل ليحقق حلمه فان الهمم تجعل الوهم حقيقة » اه

الاهتمام بتربيته البدنية حتى صار قوياً نشيطاً . وختم مقالته بنصائح مفيدة للحصول على بنية قوية . فرأينا ان نقتطف من تلك المقالة ما نعتقد فيه النفع للقراء ولا سيما الشبان منهم وحسبهم الاقتداء برجل كروزفلت — قال :

« كنت غلاماً سقيماً عصي المزاج جباناً لا اقدر ان اجاري رفاقي لكنني كنت احب الرجال الاشداء الذين لا يهابون شيئاً وكنت اعجب بما اقرأه من قصص الشجاعة والفروسية او اسمعه من الحوادث التي جرت لابي واجدادي . على ان هذا الاعجاب لم يخرج عن كونه شبه حلم بعيد فلما بلغت السنة الرابعة عشرة من عمري طرأ عليَّ حادث انتفعت منه نفعاً جزيلاً واليك هو :

« اصبت بالربو في صدري حتى عجزت عن العمل فطلبت الراحة في قرية على ضفة بحيرة فسافرت اليها ومعي في المركبة ولدان من عمري كانا اقوى مني بدناً واسوأ نية فلما رأياني جباناً ضعيفاً طمعا في اغتيالي وجعلا يضايقانني حتى لم اطق صبراً فخطر لي ان انازلهما واقاتلهما فرأيتني عاجزاً عن مقاتلة واحد منهما فكيف بهما معاً

« فعلمني هذا الحادث اكثر من الكتب التي قرأتها والمواعظ التي سمعتها فقررت ان اجعل نفسي رجلاً صحيحاً قوياً لئلا اقع تحت رحمة غيري ووجدت الطريقة الوحيدة لهذه الغاية التمرين العضلي والرياضة . فبدأت اتعلم الملاكمة (بوكس) فاستصعبتها في بادئ الامر لعدم لباقتي وقلة مرونة عضلاتي لكنني ما لبثت بعد سنتين حتى صرت من الملاكمين وفي ذات يوم اجرى استاذي امتحاناً لتلاميذه في الملاكمة فكانت النتيجة اني فزت على رفيقين قويين لم اكن احلم بالانتصار عليهما فدهشت لهذا النجاح الباهر »

ثم سرد روزفلت كيف اخذ منذ ذلك الحين ينصرف الى ركوب الخيل وصعود الجبال والصيد وسائر الالعاب الرياضية والتمارين الجسدية مما يطول تفصيله . على ان سياحته في السودان منذ بضع سنوات برهان ناطق على الدرجة التي بلغ اليها اهتمامه بالرياضة البدنية ونقتصر هنا على النصائح والآراء التي ختم بها مقالته قال :

« ذكرت الحوادث المتقدمة تأييداً لمبدأي في هذه الحياة وهو ان النشاط النفسي يؤدي الى النشاط الجسدي وهو اساس كل عمل . ان سكان المدن بخلاف اهل القرى لا تساعدهم طبيعة الحضارة على التقدم الجسدي ولكن يمكنهم بكل سهولة ان يجعلوا انفسهم اقوياء اصحاء اذا ارادوا ذلك ولا يلزمهم للوصول الى هذه الغاية الا العزم والثبات . فكل صانع او محام او تاجر او غيرهم من سكان المدن يقدر ان يحصل على جسم صحيح وعقل صحيح . شاهدت كثيرين من رفاقي في الجيش كانوا في فرقتي ومع

حياته واعماله

ولد مورغن سنة ١٨٣٧ في مدينة هارتفورد ووالده جونيوس مورجن من الماليين المعروفين كان صاحب مصرف من اكبر مصارف الولايات المتحدة فلا غرو اذا اتبع الابن خطوات ابيه . ويختلف مورغن من هذا القبيل عن غيره من المثريين الاميركيين كفاندربلت وكرنجي اللذين بلغا الى ما بلغا اليه من الثروة بدون تمهيد او سابقة . تعلم مورغن اولاً في مدرسة بوسطن العالية واتم دروسه في جامعه كوتنجن الالمانية ونال عدة القاب اكرامية من جامعات اميركا اعترافاً بذكائه

وفي العشرين من عمره اشتغل كاتباً في احدى الشركات ثم صار الوكيل الوحيد في الولايات المتحدة لبيت من بيوت لندن المالية . وفي سنة ١٨٦٤ الف شركة مالية باسم «دبني مورغن وشركاهم» وبدأت مشاريعه الكبرى من ذلك الحين ولا سيما فيما يختص باصلاح ادارة السكك الحديدية وتنظيمها . ويروى عنه في تلك الايام ان والده كلف صديقاً له ان يراقب سلوك مورغن الصغير ويخبره عن احواله فبعد مدة ارسل تقريراً قال فيه « ان جون مواظب على عمله لكنه قليل النشاط والانتباه » واظهر الصديق ثقته القليلة بنجاحه في المستقبل . ولم يمض شهران على هذا التقرير حتى كان العالم المالي شديد الاعجاب بمهارة مورغن في انقاذ احدى شركات السكك الحديدية من الافلاس

وما زال من سنة ١٨٨٠ يحسن احوال السكك الحديدية والماليون يشعرون بتأثيره المتزايد حتى كانت ازمة سنة ١٨٩٣ فاقفل بها خمسمئة مصرف من مصارف الولايات المتحدة فكان بيربونت مورغن من اكبر العوامل في اصلاح الخلل وارجاع الثقة التجارية وهي قوام المعاملات المالية . على ان مورغن مشهور بابتكاره شركة احتكار الفولاذ سنة ١٩٠١ وهي كغيرها من شركات الاحتكار الاميركية المعروفة عندهم بالترست (Trust) وغاية كل منها حصر صنف معين من الاصناف يكون لها القول الفصل في كل ما يتعلق به من اصطناعه وبيعه . وقد حسن مورغن احوال الفولاذ بهذه الطريقة ولا يخفى ما يحتاج اليه هذا المشروع من المقدرة العقلية والهمة وغايته احتكار صناعة هي ركن من اركان الحياة الاقتصادية

وقام مورغن بعد ذلك بمشاريع كثيرة والف عدة شركات تجارية ولما طرأت ازمة سنة ١٩٠٧ كان له الفضل الاكبر في تخفيف وطأتها فاقرض البيوتات المتضايقة الموثوق بها مبلغ ٥ ملايين جنيه واتحد مع زملائه فعملوا جميعاً على ارجاع المياه الى



بيربونت مورغن

المثري الاميركي الشهير

تبحث الصحف والمجلات باسهاب في تراجم حملة الاقلام من سياسيين واجتماعيين وادباء وشعراء وتعدد آثارهم وثمار قرائحهم . وقلما تذكر رجال الاعمال المادية والمشاريع الاقتصادية . ليس فينا من لا يعرف ترجمة هوجو وشكسبير ودانتي ولكن الذين يعرفون سيرة مكتشف البخار ونحوه قليلون مع ان النفع المحسوس من وراء اكتشاف كهذا والتأثير الحقيقي الذي يلحق كل امة من امم العالم عظيمان جداً في حياتها الاقتصادية المادية بالنسبة الى عمل شاعر او كاتب . فاكتشاف البخار مثلاً احدث انقلاباً هائلاً في الحالة الاقتصادية لم يفت الانتفاع به فرداً من افراد العالم . اما كتب الادب والشعر فتسر قارئها وقد ينتهي كل عملها هناك

وقد قام في البلاد الاميركية في القرن الماضي فئة من رجال الاعمال والمشاريع كانوا قادة شؤونها الاقتصادية وفي مقدمتهم المستر جون بيربونت مورغن المتوفى بمدينة رومية في ٣١ مارس الماضي ونحن موردون فذلكة من ترجمة حاله مع آراء بعض المشاهير فيه

حياته فكوَّن اخلاقه بمجرد ارادته وسعيه . فسرُّ مقدرة هذا الرجل في ما بلغ اليه من الاهمية الاقتصادية حتى اصبح امر الاسواق المالية اليه انما هو اخلاقه واساسها الصدق والامانة والمواظبة والنشاط . أما ثروته فقد اختلفوا في تقديرها ولا يستطيعون معرفتها تماماً الا بعد حين ولكن المظنون انها نحو ثلاثمائة مليون جنيه

عظماء الرجال والطعام

المشهور ان الاعمال العقلية تضعف الهضم لما بين الدماغ والمعدة من العلائق المتبادلة ولذلك كان اصحاب القرائح من الشعراء والادباء والعلماء من اكثر الناس تعففاً في طعامهم وشرابهم . وقد تواترت الامثال والحكم في تقبيح النهم وتحسين التعفف . ومن مرويات العرب من هذا القبيل ان الحرث بن كلدة سئل عن افضل الدواء فقال « الازم » يريد قلة الاكل . وقال آخر افضل الدواء ان ترفع يدك عن الطعام وانت تشتهيه . وقيل للمنذر بن جندب ان ابنك اذا اكل طعاماً كظه حتى كاد يقتله فقال لو مات ما صليت عليه . ودعا عبد الملك بن مروان رجلاً الى الغداء فقال ما فيَّ فضل يا امير المؤمنين فقال لا خير في الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل . وهم ينسبون صفاء الذهن الى قلة الطعام في المعدة او الجوع ويقولون ان العود اذا خلا جوفه صفا صوته . ومن امثالهم المشهورة ان البطنة تذهب الفطنة . ومن الامور المقررة في الطب الحديث ان النهم يجاب السقم لان اكثر ما يعرض للناس من الاسقام والعلل انما سببه النهم في الطعام وكم نتواصى بتقليل الطعام عند الاعمال العقلية

وقل من اشتهر بالنهم من ادباء العرب وعلمائهم لانهم كانوا يتحاشون الظهور بذلك . واشهر من عرف بكثرة الاكل من العرب سليمان بن عبد الملك الاموي ذكروا انه اكل مرة عجلاً برمته وخمس دجاجات هنديات وشرب وتجشأ ثم جلس مع اصحابه على المائدة كالعادة كانه لم يأكل شيئاً . وما زال سليمان هذا نهماً حتى مات من كثرة الاكل وهو في دابق اذ جاءهُ فلاح من اهل القرى بسلين احدهما مملوء بيضاً والآخر مملوء تيناً فقال قشروا فجعل يأكل بيضة وتينة حتى فرغ من السلين ثم اتوه بقصعة مملوءة مخاً بسكر فاكله فاتخم ومرض ومات . والواثق بالله العباسي كان مفتوناً بحب الباذنجان وكان يتناول في اكلة واحدة اربعين باذنجانة

وقد وقفنا على مقالة في احدى المجلات الفرنساوية عن مشاهير الاكولين من رجال

مجاريها . وبالاجمال انه كان ركناً من اركان الحركة التجارية في العالم باسره اذا طرأ خلل على تلك الحركة بادر الى اصلاحه حتى قيل « ان مكتب مورغن ملجأ المتقهقرين يصلح حالهم وينتشلهم من هوة الخراب »

لا يظنن القاريء بعد سرد هذه الاعمال التجارية المادية ان الرجل كان في شاغل عن الامور الادبية المعنوية فقد كان من اكبر المشتغلين بجمع الكتب الثمينة والآثار النفيسة القديمة والحديثة ويقدرون ثمن ما جمعه في حياته بمبلغ يتراوح بين اربعة ملايين جنيه وعشرين مليوناً . منها نحو ١٦٠٠٠٠ جنيه ثمن ثلاث صور زيتية فقط وله مجموعة مصنوعات صينية تقدر بمثل هذه القيمة ولا يمكن سرد محتويات مجموعاته الا بصفحات عديدة . فنقتصر منها على ذكر الاناجيل التي كانت لهنري الثامن ملك انكلترا ونسخ عديدة من الكتب المقدسة من اقدم النسخ الخطية والمطبوعة . ونسخ من الطبعة الاولى لكتب شكسبير وغيرها من الآثار الادبية ونحو ذلك من التحف النادرة

آراء بعض المشاهير ممن عاملوه

اجمع الذين عاملوا مورغن على امتداح اخلاقه وصدقه قال فيه روزفلت :

« كان مورغن مخالفاً لي في اهم المسائل السياسية ومع ذلك فكلما سنحت لي الفرصة ان احادثه او اعامله كنت اتوسم فيه الصدق والاخلاص . فاذا قال فعل واذا وعد وفى وكان يصنع الخير ويشترط كتمانه . عرفت عائلة احد اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي انقذها مورغن من الفقر المدقع ولم يكن بينه وبين المتوفى رابطة سوى اعجابه بصدق وطنيته واخلاصه في الخدمة العامة . فعل ذلك بعد ان اشترط ابقاء امره مكتوماً »

وسئل راعي الكنيسة التي كان مورغن عضواً فيها عن حياته الدينية فقال :

« كان بيربونت مورغن مع كثرة شواغله اول مساعد لكل عمل خيري واول معضد لكل اجتماع يراد به تحسين حالة الشعب وكان شديد الايمان ينتبه بكل خشوع لما يقال في الكنيسة من الوعظ والصلاة وكثيراً ما كان يعين الفقراء سرًّا »

وقال احد اصدقائه من كبار الماليين :

« اسعدني الحظ ان اعاشر مورغن زمناً طويلاً وادرس اخلاقه فوجدت نجاحه العظيم لم يكن متوقفاً على ذكائه وعلمه . وانما هو ناجم عن اخلاقه وآدابه فانه كان رجلاً بكل معنى الكلمة — ولاشك انه ورث كثيراً من مناقب ابيه وكثيراً ما سمعته يذكره مقروناً بالاحترام . على انه سعى هو نفسه في تربية اخلاقه وانمائها اذ لا يكفي ان يكون الوالد حسن السيرة حميد الاخلاق ليشب الابن على مثاله بل لا بد من ان يختار الانسان لنفسه الطريق الذي يحلو له . وكان مورغن يفتخر انهُ استقلَّ عن ابيه في بادئ

الاقلام عندهم يظهر منها انهم كثيرون في فرنسا . وقد اجتمع جمهور منهم في صورتين وفيهم جماعة تفاخر بهم فرنسا سائر الامم مثل بلزاك ودوماس وريتان وغيرهم . وترى عواقب النهم ظاهرة في اكثرهم وبينهم جماعة ضخام الابدان والوجوه . وصوَّروا معهم جماعة من قابلي الطعام نحاف الابدان

ذكروا ان بلزاك الكاتب الفرنساوي الشهير كان يوصي صاحب المطعم الذي يأكل عنده على طعام للغداء يكفي لوليمة كبيرة من جملة ذلك ثماني دستات من المحار (كندفلي) و١٢ قطعة بفتيك غير الخضار والمعاجين . ومن الفاكهة بطيخة واقة او اكثر من الاثمار غير المشروبات . كان يستيقظ من رقاده في الساعة الحادية عشرة ويتناول غداءه نحو الساعة الرابعة وهو مؤلف من عدة الوان ومقادير كثيرة نحو ما تقدم . ويعمد الى القيلولة فاذا نام ساعتين ايقظه خادمه وبيده فنجان كبير من القهوة القوية . ولا يزال يشرب من هذه القهوة فنجاناً بعد فنجان الى العشاء

وتقسم حياة فيكتور هوغو من حيث الطعام الى دورين كان في اولهما نحيفاً يقتات بفرنك واحد في اليوم . ولما اتسعت حاله وكثر رزقه توسع في طعامه فاخذ في السمَن وزاد اكله . وقد ذكر احد مترجميه انه كان في الثمانين من عمره متين الفكين قويّ المعدة صلب الاسنان يمضغ قطعة اللحم (الكتلت) بعظمها

وكان اسكندر دوماس الروائي الكبير كثير الاكل وكان ذلك ظاهراً في سحنته للمتفرس في وجهه الكبير وشفتيه الضخمتين وهجومه على اطباق الطعام هجوم الاسد على الفريسة . وكان عارفاً بصناعة الطبخ كثيراً ما يعالج طعامه بيديه ويتأنق في اتقانه وتعليله

ولزولا الروائي ايضاً طوران في حياته : كان في شبابه بديناً جدًّا ثم اخذ في الهزال بتقليل الطعام على كيفية وضعها له الاطباء . اهمها الانقطاع عن السوائل فكان لا يشرب الا قدحاً من الخمر الحمراء بعيد الطعام . ثم عاد فانغمس في النهم واكثر من الطعام

وكان رينان الفيلسوف الشهير بديناً جدًّا كثير الاكل اذا جلس الى المائدة اشتغل بالقطع والمضغ والبلع لا يلتفت يميناً ولا شمالاً . ومن لطيف ما يروى عنه من هذا القبيل انه كان في دعوة بعض الاصدقاء واخذ كل من المدعويين دوره في الخطابة على المائدة ورينان غارق في الاكل . فلما جاء دوره نبهته صاحبة المنزل قائلة « جاء دورك يا استاذ للكلام تفضل » فرفع رأسه وقال « اشكرك يا سيدتي لا حاجة لي بالكلام الآن الاَّ لطلب قليل من البازلة » . ومن مشاهير الاكولين عند الفرنساويين رابليه الشهير . وكان تيوفيل غوتيه يكثر من اكل اللحوم الحمراء في الصباح عند النهوض من النوم . وجان جاك روسو خفيف العضل لكنه كان اكولاً ويحب ان يتناول

الصف الاول : رنسار لفونتين برونتير سردو بدلير لمرتين رسو موليير فيني ١ : ... ميشليه رينيه موسه شاتوبريان هوسمان



مشاهير ادباء الفرنساويين

بالنظر الى الطعام

مرتبة اسماءهم حسب صفوفهم ومواقعهم بالنسبة بعضهم الى بعض

الصف الثاني : فولتير ٢ : سانبوف غوتيه بلزاك ديروك بوفيه كنديلو

الصف الثالث : جانين ساندو دوماس الكبير رينان ٣ : سارسي زولا بانفيل لابيش فابر

اصطنعوا آلة كهربائيـــة تقوم مقام المناداة . فـكل من الحاضرين يجلس على كرسي منمر وبجانبه زر كهربائي له اتصال بجدول تمر عليه ابرة تتحرك وحدها . فتبدأ الابرة باقل الاسعار ثم تصعد درجة درجة فاذا قبل احد الحاضرين السعر الذي وصلت اليه يضغط الزر الذي امامه فيضرب الجرس وتقف الابرة

﴿ اوتوموبيل حساس ﴾ اخترع احد المهندسين الانكليز آلة حساسة لمنع اخطار الاوتوموبيل هي عبارة عن قضبان حديدية توضع في مقدمة العربة فاذا اصطدمت هذه القضبان بجسم من الاجسام اوقفت حركة الاتوموبيل وانزلت حواجز في الامام والجوانب بدون تداخل قائد الاوتوموبيل . وقد جرب هذا الاختراع في لندن واتى بفوائد حسنة

﴿ اعلى من برج ايفل ﴾ شرعت مدينة بونس ايرس عاصمة الارجنتين ببنـاء برج اعلى من برج ايفل الشهير في باريس بنحو ١٩٠ قدماً وسيقام في اعلاه منارة قوة نورها مليون شمعة

﴿ قياس حركات العمال بالسينماتوغراف ﴾ شاع استعمال السينماتوغراف في السنين الاخيرة وتوصلوا به الى الاستفادة منه في قياس حركات العمال ومعرفة الوقت اللازم للقيام بجزئيات الاعمال . والآلة مركبة من سينماتوغراف وساعة (كرونومتر) يسيران معاً فتتبين المدة التي تستغرقها كل حركة من حركات العامل . فتمكنوا بهذه الواسطة من درس الاعمال الجزئية واستخراج معدل الوقت اللازم لكل عمل ومعرفة احسن الطرق للقيام به ونحو ذلك . ثم تعرض على العمال انفسهم بالسينماتوغراف ليقابلوا بينها وبين طرقهم الشخصية وافضل الطرق الممكن استعمالها . فقد قام السينماتوغراف مقام معلم للعمال يوضح لهم ما لا توضحه الكتب والخطب

﴿ الراديوم ولون الزجاج والحجارة الكريمة ﴾ وجدت مدام كوري مكتشفة الراديوم ان الانبوبة التي استعملتها لتجاربها في الراديوم قد تغير لونها . فبعث هـذا الاكتشاف الاستاذ برتلو وغيره من المشتغلين بالراديوم على استتمام البحث في تأثير الراديوم على الوان الحجارة الكريمة فوجدوا انه يغيرها من الابيض الى الاصفر ومن الازرق الى الاخضر ومن البنفسجي الى الازرق ونحو ذلك . ومما يذكر بهذه المناسبة ان احدهم اشترى بضعة حجارة رخيصة يساوي احدها فرنكين تقريباً وجرب عليها فعل الراديوم فتحولت الى الوان جميلة فذهب بها الى التاجر الذي باعه اياها فقدر ثمن كل حجر بخمسة واربعين فرنكاً الا حجراً قدّره بنحو خمسمئة فرنك

طعامه خارج الغرف تحت السماء وقلما يشرب القهوة . واما المكثرون من القهوة على الخصوص فمنهم فولتير كان يشرب نحو ستين فنجاناً من القهوة في اليوم وكذلك ديدرو

وهناك طائفة من الكتاب والشعراء اشتهروا بالتعفف وكانوا نحاف الابدان منهم جلاتيني كان اكله قليلاً واكثر ايامه لا يتناول الغداء . وبوديه كان يغتذي في الغالب على بعض الاثمار الجافة والنقولات . وكان لامارتين قايل الطعام لا يشتهي منه غير المثلجات

باب الأخبار العلمية

❋ مستقبل الاتوموبيل ❋ لا يسع من تتبع تاريخ الاوتوموبيل في العقدين الاخيرين الا ان يدهشه التقدم الباهر الذي بلغت اليه صناعته فقد سببت انقلاباً عظيماً في وسائل النقل لا تقل اهميته عن الانقلاب الذي حصل عند استعمال البخار . ويظن البعض ان الاوتوموبيلات ستقوم في المستقبل مقام السكك الحديدية كما قامت هذه مقام عربات النقل . وقد نشرت مجلة المجلات الانكليزية عدة مقالات في هذا المعنى بحثت فيها عن مضار السكك الحديدية والخسائر المتأتية عن استعمالها و بينت مزايا الاوتوموبيل وكيف انها اذا عمت البلاد كانت اسهل للقيام بوظيفة النقل من غيرها فتجعل المملكة جسماً واحداً متضامناً — على ان الناس الفوها فاصبحوا لا يقدرون اهميتها حق قدرها وفاتهم انهم بين يدي انقلاب اقتصادي عظيم . وللاقتناع بصحة ذلك قابل اوتوموبيل من طرز هذه السنة بآخر مصنوع قبل دخول القرن العشرين . ومما يدل على هذا الانقلاب العظيم عدد الاوتوموبيلات المتزايد فان مجموع الموجود منها في الولايات المتحدة اليوم يبلغ المليون وتقدر قيمتها بنحو الف مليون ريال اي مئتي مليون جنيه

ويستعمل الاوتوموبيل لعدة امور آخرها واغربها استعماله كنيسةً نقالة تطوف الحقول والقرى الصغيرة . ومن هذا النوع كثير في اميركا للكاثوليك في بعضها مذبحٌ وشموعٌ وسائر لوازم الصلاة . فاذا اراد القس اقامة الصلاة في محل وقف وفتح العربة فيظهر المذبح وينصب فوقه خيمة معلقة بالاوتوموبيل

❋ بيع بالمزاد بواسطة الكهرباء ❋ في هولاندا اسواق يباع فيها البيض بالمزايدة فنظراً لما كان يحدث فيها من الازدحام وصعوبة الاجراآت اللازمة للبيع والشراء

الاحتفال بتكريم الادباء

وتكريم خليل المطران

الاحتفال بتكريم الادباء عادة جديدة في الشرق . واول حفلة عقدت في هذا السبيل حفلة سليمان البستاني عند ظهور الياذته العربية عقدها له السوريون في اوتيل شبرد سنة ١٩٠٤ تليها حفلة عقدوها لتكريم شكري غانم سنة ١٩٠٦ على اثر تمثيله رواية عنترة بالفرنساوية حضرها ناظر المعارف وقنصل فرنسا . ثم عقدوا حفلة تكريم لحافظ ابراهيم الشاعر الشهير سنة ١٩٠٨ لانه احسن الظن بالسوريين بما نظمه فيهم حضرها نخبة من ادبائهم وصاحب الفضل في عقد تلك الحفلة سليم افندي سركيس . تليها حفلة تكريم لحافظ ايضاً دبرها وادارها سركيس افندي في السنة الماضية بمناسبة الانعام على حافظ بالرتبة الثانية حضرها نخبة الادباء والعلماء والوجهاء في قاعة الكونتيننتال من المصريين والسوريين وتصدر الحفلة وزير المعارف حشمت باشا . وقد عقدت في ابريل الماضي الحفلة التكريمية الخامسة بهمة سركيس ايضاً وهي افخم سائر الحفلات واوسعها دائرة . عقدت في الجامعة المصرية لتكريم خليل المطران الشاعر العصري بمناسبة الانعام عليه بالوسام المجيدي الثالث . ترأسها دولة البرنس محمد علي شقيق الجناب العالي وحضرها وزير المعارف واشترك فيها الادباء في مصر وخارجها . تليت فيها القصائد والخطب وشهدها خيرة العلماء والفضلاء والوجهاء من المصريين والسوريين . وقد جمعت الخطب والقصائد التي قيلت في المطران وشعره في مجلد ضخم من مجلة سركيس وزع على الحضور في آخر الاحتفال

مطبوعات جديدة

☙ سرّ تطوّر الامم ❧ غستاف لابون من اكبر علماء فرنسا في هذا العصر يطرق كل موضوع . وله مؤلفات في التاريخ وفلسفته وفي الطبيعيات والاجتماعيات وغيرها . ومن جملتها كتاب سماه Lois psychologiques de l'évolution des Peuples بحث فيه عن العوامل الحقيقية في ارتقاء الامم وانحطاطها وتطورها على اسلوب طليّ معقول مثل اكثر مؤلفات هذا العالم البحاثة . ووقع هذا الكتاب لسعادة فتحي زغلول باشا وكيل نظارة الحقانية وهو من المولعين بهذه المواضيع وما يلحقها من الاخلاقيات والاجتماعيات . فعمل على نقله الى العربية كما نقل قبله « روح الاجتماع »

﴿ حرارة الشمس تدير آلة بخارية ﴾ ذكرنا قبلاً ان بعضهم فكر في استخدام حرارة الشمس بدلاً من الوقود في تحريك الآلات . وقد علمنا ان الخواجا فرانك شيمان الاميركي توصل الى انشاء معمل في المعادي على طريق حلوان يتحرك بحرارة الشمس بانعكاس اشعة الشمس بواسطة مرايات مقعرة وجمع الاشعة المنعكسة

﴿ ضفدع تطير ﴾ وصف احدهم ضفدعاً رآها في جزيرة جاوى تختلف عن الانواع التي نعرفها من عدة وجوه . لونها في النهار اخضر مزرق وفي الليل اخضر داكن لا تبرح مكانها الا ليلاً فتسرح لصيد الحشرات والصراصير . اما في النهار فانها تبقى بلا حراك وبطنها لاصق بحجر او جذع فتقي عينيها بهذه الواسطة من نور الشمس . وكيفية التصاقها ان في بطنها غدداً تفرز مادة لزجة . ومن مزاياها انها تقفز مترين كل قفزة على علو لا يتجاوز ٢٠ سنتيمتراً فتنتفخ رئتاها في اثناء الطيران ويمتلئ جسمها هواء فتتخلص بهذه الطريقة من اعدائها لا سيما الثعابين التي تتصيدها

﴿ تقدم الطيران ﴾ ان فن الطيران ربيب القرن العشرين لا يزال في العقد الاول من حياته ومع ذلك فتقدمه مدهش واليك اعلى الارقام التي بلغ اليها هذا الفن : بلغت سرعته ١٧٣ كيلو متراً في الساعة في ٩ سبتمبر سنة ١٩١٢ بالولايات المتحدة . وبلغت المسافة الاجمالية ١٠١٠ كيلومترات في ١١ سبتمبر سنة ١٩١٢ في فرنسا . ومدة الطيران ١٣ ساعة و١٧ دقيقة في ١١ سبتمبر سنة ١٩١٢ في فرنسا . والعلو ٦٠٠٠ متر في ١٢ مارس سنة ١٩١٣ في فرنسا

﴿ قوة القلب ﴾ حسبوا ان القوة التي يستنفدها القلب بتأدية وظيفته في ٢٤ ساعة تعادل القوة اللازمة لرفع الف كيلوغرام الى علو ٤٤ متراً . فالرجل الكهل الذي ادرك السنة الخمسين من عمره يكون قلبه قد استنفد قوة تساوي القوة اللازمة لرفع ٨٠٠ مليون كيلو غرام الى علو متر

﴿ جوائز للطيران ﴾ خصصت جريدة الدايلي مايل الانكليزية مبلغ ١٥٠٠٠ جنيه لجائزتين قدر الاولى ١٠٠٠٠ جنيه تعطى لمن يقطع الاتلانتيك طائراً من اميركا الشمالية الى اي نقطة في الجزر البريطانية . والثانية ٥٠٠٠ جنيه للطائر الانكليزي الذي يقدر ان يطوف حول بريطانيا العظمى في ٧٢ ساعة على طيارة مائية (هيدروبلان) مصنوعة في انكلترا ولا يسمح له بالنزول الا في بعض المواني لاتخاذ لوازمه

وكانت مصر الى ذلك اليوم خلافة مستقلة يدعى على منابرها لخليفتها الشيعي العاضد دين الله . فامر صلاح الدين ان تتحول الخطبة للمستضيء بالله الخليفة العباسي كما كان نور الدين قد طلب منه على يد ابيه نجم الدين . وكان قد اعتذر له في التأجيل خوف لفتنة والواقع انه اجلها ليستعين بذلك على نور الدين اذا اراد ان يأخذ مصر منه بالقوة . فيأخذ هو جانب العاضد ويتقوى به وبالمصريين على دفع عسكر الشام . فلما تأكد ضعف العاضد وتحقق اشتغال نور الدين عن مناهضته عزم على اقامة الخطبة العباسية مظهراً بها الطاعة لنور الدين . فلم يجسر احد من العلماء ان يبدأ بذلك الا رجلاً اعجمياً اسمه الامير العالم تصدى للخطبة . فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر ودعا للمستضيء العباسي فوافقه الناس ولم يظهروا معارضة فكتب بذلك الى سائر بلاد مصر . وكان هذا في أثناء اشتداد المرض على العاضد وتوفي ولم يعلم به . فاصبحت مصر بذلك تابعة لبغداد من حيث الخلافة من سنة ٥٦٧ هـ ومنعوا ابناء العاضد وسائر الرجال من اهله عن الزواج حتى لا يعقبوا نسلاً يطالب بالخلافة

الفصل الحادي والاربعون

الهواجس

اما سيدة الملك فلما رأت نفسها في قصرها الجديد في دار برجوان اكبرت ذلك الانتقال . ولما بلغها تحوّل الدعوة للعباسيين تحققت ذهاب دولة العلويين فشق ذلك عليها كثيراً فضلاً عن وفاة اخيها . قضت اياماً وهي منزوية في غرفة من قصرها لا تكلم احداً الا ياقوتة تتردد اليها لتخفف عنها ومهما يكن من مشاغلها المتقدم ذكرها فان امرها مع عماد الدين كان غالباً عليها . وقد فارقته في تلك الليلة المهولة وهي بين الشك واليقين من امره . وكانت وهي في ابان احزانها تود ان تفاتحها ياقوتة بحديثه لعلها تسمع ما يقوي املها بلقائه وياقوتة لا تفعل ليس عن تهيب ولكنها كانت ترى اشتغال سيدتها بحب ذلك الشاب من قبيل العبث وتود ان تنساه وتتحوّل عنه . فلا ترى من الحكمة ان تفاتحها بذكره او ان تجعل ذكره من اسباب اطمئنانها وراحتها

على انها كانت قد استأذنت صلاح الدين في الخروج للتنزه في البساتين . ولم يكن

لنفس هذا المؤلف و« سر تقدم الانكليز » لديمولان . فنقله وسماه « سر تطور الامم» وصدره بمقدمة في مذاهب المساواة في العصر الحاضر وروح التاريخ بين فيها ما كان من تأثير فكرة المساواة في قلب النظام القديم وسفك الدماء وما ترتب عليها من الخطأ في تقرير قواعد التربية . وانحى فيها على دعاة الاشتراكية وامثالهم من المطالبين بالمساواة بين الرجل والمرأة وتطرق من ذلك الى بيان موضوع هذا الكتاب . فقال ان الغرض منه بيان الاخلاق التي تتميز بها الامم وان تاريخ الامة انما يتوقف على اخلاقها وليس على شيء آخر من مواهبها البدنية او العقلية . ثم نقل الكتاب الى العربية بعبارة سهلة واضحة اشتهر بها فتحي باشا بين قراء العربية . والكتاب جزيل الفائدة لطلاب الابحاث الفلسفية الاجتماعية. وفي نقله خدمة نفيسة لآداب اللغة العربية . وهو يطلب من مكتبة المعارف ومكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

﴿ الاسعاف الاولي ﴾ للدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب عناية بخدمة آداب اللغة العربية في المواضيع الطبية مع قلة المشتغلين بها في هذا العصر . فلا يمرُّ عام الا وينشر من قلمه كتاباً او غير كتاب . وبين يدينا الآن كتابه الاسعاف الاولي في ما يجب اتخاذه من الوسائل الاولية عند حدوث العوارض المرضية ريثما يحضر الطبيب . وهو يشتمل على مبادئ تشريحية وفسيولوجية وجراحية وطبية ترشد الى اسعاف المرضى اسعافاً وقتياً وفيه كثير من الرسوم الموضحة لذلك من الاربطة والضمائد على اختلاف الاعضاء . والكتاب يطلب من المؤلف ومكتبة المعارف ومكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرش

﴿ ديوان الكاشف ﴾ صدر الجزء الثاني من هذا الديوان لناظمه الشاعر الشهير احمد افندي الكاشف . وقد رفعه الى سمو الامير اعزه الله . ويظهر من مقدمة الديوان المذكور ان صاحبه يرجع نسبه الى عمر الكاشف من بلاد القفقاز جاء مصر في ايام المماليك وتبناه ذو الفقار كتخداي . والكاشف شاعر اجتماعي واسع الخيال متحمس حسن الديباجة متين القافية . يعلم ذلك من يطالع شعره على اختلاف مواضيعه . والجزء الثاني من ديوانه يباع بخمسة غروش ويطلب من حضرته في الصليبة بشارع الركبية نمرة ١٥ بمصر

الهلال

في السنة الثانية والعشرين

سندخل تحسيناً جديداً في الهلال من اول سنته القادمة نذكره في الهلال القادم ان شاء الله

قالت « وما الفائدة من الكلام ؟ . ها اني قد كلمتك اخبريني اين عماد الدين ما العمل للوصول اليه .. ألم تعلمي مقرّه الم تسألي احداً عنه ؟ قولي »

قالت وهي تمسح دموع سيدتها بمنديلها « نعم سألت عنه وقد علمت من الاستاذ بهاء الدين قراقوش انه سار بمهمة سرّية اذا نجح فيها صار رجلاً عظيماً يليق بسيدة الملك . . وهذا امر ذو بال يا سيدتي . لان بنت الخليفة واخت الخليفة لا يليق بها ان تتزوج بواحد من عامة الناس وو . . . »

فقطعت كلامها قائلة « لا تقولي خليفة ولا عامة .. انني اسيرة في هذا القصر وهو طليق .. وقلبي اسير ايضاً ولا ادري اذا كان قلبه كذلك . . » وشرقت بدموعها

فاخذت ياقوتة تضمها وتمسح دموعها وتقبلها وتقول « خفني عنك يا سيدتي . . وارجعي الى رشدك . . واصبري . . لنرى ماذا نعمل »

قالت « ماذا نعمل قد طال غيابه ولا ادري ما اصابه . . »

قالت « لم يصبه شيء ولا بد من عودته ظافراً ويصير من كبار الرجال . واذا علم صلاح الدين بميلك اليه زاده رفعة وتقدماً . . يظهر انك نسيت هذه النعمة . . نسيت التفات صلاح الدين اليك ومعاملته اياك معاملة الاخ لاخته . . ؟ »

قالت « كلا لم انس ذلك ولولاه لقضيت حزناً وكآبة . . ولكن ما الذي اسمعني اسم عماد الدين في هذه الليلة ؟ »

قالت « لعل ذلك فاتحة القرب تمهلي الى الغد لنرى ما يكون . . » واشارت اليها ان تعود الى الرقاد فاطاعتها ونامت وانصرفت ياقوتة الى غرفتها وهي تفكر في سيدتها وقد ندمت لسكوتها عن ذكر عماد الدين كل هذه المدة على انها اعتقدت ان سيدتها لم تسمع اسم عماد الدين عبثاً وانه لا بد من شيء يحدث بشأنه

وقد تحقق ظنها في صباح اليوم التالي اذ جاءها قراقوش يقول « ان السلطان صلاح الدين قادم بعد قليل لمقابلة سيدة الملك . . »

فبغتت لكنها توسمت بتلك المقابلة خيراً — وصاحب اليأس يتوسم من كل جديد فرجاً فقالت « هل يطلب مولانا السلطان ان يقابل سيدتي ويخاطبها ؟ انه يفعل حسناً لانها منقبضة النفس وهي تستأنس برؤيته .. انا ذاهبة لاخبرها بقدومه » ومضت اليها

يؤذن بذلك لسواها من اهل الخليفة . ولكن صلاح الدين كان كثير العناية بسيدة الملك والاحترام لارادتها قياماً بعهده لاخيها . وكان ذلك من اكبر اسباب تعزيتها على مصائبها . على انه شغل عنها مدة بالحروب في الشام وتوفي في اثناء ذلك ابوه (سنة ٥٦٨ هـ) وحدثت امور اخرى شغلته عنها لكنه كان يوصي بهاء الدين قراقوش بها

مضت مدة لم تسمع فيها شيئاً عن عماد الدين ولاهي تعرف مقره ولا مصيره ولا ترى باباً للسؤال او البحث فضاق صدرها واستولى عليها القنوط وتغلبت عليها السويداء واصبحت لا تفرح بنزهة ولا ترتاح الى حديث . وقلّ طعامها وتكاثر ارقها فاخذت في الهزال وياقوتة تبذل جهدها في تسليتها وكلما رأت ضعفها وانقباضها تحيرت في امرها . وكانت تظن طول غياب عماد الدين ينسيها اياه ولما لم تعد تسمعها تذكره ظنتها نسيته لكنها مالبثت ان ادركت خطأها ذات ليلة وهي نائمة في غرفة مستطرقة الى غرفتها اذ افاقت على صوت سيدة الملك وهي تناديها « ياقوتة ياقوتة ! »

فوثبت من فراشها الى فراش سيدتها فرأتها قد قعدت على السرير وشعرها منبوش وتغيرت سحنتها فترامت عليها وصاحت « مولاتي حبيبتي ماذا تريدين ؟ »

فقالت « عماد الدين . . عماد الدين ! اين هو ؟ . سمعتهم ينادونه »

فقالت « اين هو يا سيدتي ؟ . انه ليس هنا . . انك ترين حلماً . . ألا تعلمين انه مسافر ؟ »

فازاحت شعرها عن جبينها وتفرست في ما حولها وعيناها تدلان على اضطرابها وارتيابها وقالت « انه مسافر ! آه ما اطول هذا السفر . . اني سمعت اسمه في الحلم . . ياليتني ظللت نائمة لعلي اسمع ذكره مرة ثانية او ربما تراءى لي طيفه . . » قالت ذلك واغرقت في البكاء

فاكبت ياقوتة عليها واخذت تخفف عنها وتقول « لماذا تفعلين ذلك يا سيدتي . . ماذا اصابك ؟ اين تعقلك وحكمتك؟ »

فاجتذبت نفسها من بين ذراعيها وهي تقول « لا تذكري التعقل والحكمة . . لا محل لهما مع الحب يا ياقوتة . . يا لله ماذا جرى لي . . ويلاه لم اعد اخشى التصريح بما في قلبي . . لكنني حبسته زماناً حتى كان يقتلني . . تدبري الامر واسعفيني . . آه يا عماد الدين . . » وعادت الى البكاء

فجثت ياقوتة بين يديها وقالت « هوني عليك يا مولاتي واتكلي عليّ . لماذا لم تفاتحيني بهذا الامر من قبل ؟ »

فرأى صلاح الدين الضعف في وجهها فقال « اراك منحرفة المزاج يا سيدة الملك هل تشكين من شيء ؟ »

فسكتت وظلت مطرقة فالتفت الى ياقوتة فعلمت انه يستفهمها عن سبب ذلك النحول فقالت « انها لا تشكو الماً لكنها منحرفة المزاج قليلاً .. »

قال « لا بأس عليك يا اخية .. وارجو ان لا اكون قد ثقلت بهذه الزيارة .. وانما حملني عليها الاطمئنان عنك .. ولكي اسألك عن امر لا احب ان يطلع عليه سواك واظنك اعلم الناس به »

فتطلعت الى معرفة ما يريده وقالت « اني رهينة ما تريد يا سيدي » وشخصت في وجهه لترى ما يريد

فالتفت يميناً وشمالاً كانه يتحقق خلو المكان من الغرباء وقال « انت تعلمين ان اخاك رحمه الله اوصاني بك وبسائر اهلك خيراً واظنني قمت بواجب الوصية .. »

فاشارت بعينيها ورأسها ان « نعم »

فقال « واظنني لم اقصر ايضاً في توخي كل وسيلة لاسعاد حال هذه البلاد من كل وجه . . فرفعت كثيراً من المظالم التي كانت في عهد الدولة الماضية وقد اتاها الذين كانوا محيطين بالمرحوم اخيك . وكنت اظن هذا كافياً لاجماع اولئك القوم على الطاعة . . » وسكت

فقالت « اظنهم مجمعين .. لان مولانا السلطان لم يدخر وسعاً في تخفيف الضرائب واجراء العدل »

قال « وكان في امكاني لما تحولت هذه الدولة الى يدي ان اقتل كل من كان من الامراء والوزراء على رأي الدولة الماضية لكنني لم افعل ذلك رغبة في ان يعرفوا لنا هذا الفضل . . »

فاستغربت قوله وتوسمت من ورائه شيئاً جديداً واشارت بعينيها كأنها تستفهم عما حدث فقال « ولكنني علمت ان هؤلاء الامراء والاعيان يتآمرون علينا . . »

فرفعت بصرها وقالت « يتآمرون على السلطان ؟ »

قال « نعم . . ولو تآمروا فيما بينهم فقط لهان شرهم لكنهم يستعينون علينا بالاعداء . . . انهم يخابرون اعداءنا الافرنج من ساحل الشام وصقلية يحرضونهم على مناوأتنا ليتاح لهم القيام علينا او تخرج هذه البلاد من ايدينا » قال ذلك وقد بان الغضب في غنة صوته » (١)

(١) ابن الاثير ١٧٩ ج ١١

الفصل الثاني والاربعون

المكيدة

وكانت سيدة الملك قد نهضت من الفراش وهمت ان تستدعي ياقوتة فلما دخلت عليها قرأت البشر في محياها نخفق قلبها وقالت « ما وراءك ؟ »

فقالت وهي تبتسم «لعل الفرج قريب .. ان السلطان صلاح الدين آت لمشاهدتك»

قالت « هو طلب ذلك مما تلقاه نفسه ؟ » وتوردت وجنتاها من البغتة

قالت « نعم يا سيدتي فلعل عنده خبراً يسرك . . قومي والبسي ثيابك »

فنهضت وساعدتها ياقوتة في اللبس فارتدت ثوباً بسيطاً واصلحت شعرها وتخمرت وخرجت الى قاعة الاستقبال وركبتاها ترتعشان من التأثر

وبعد قليل سمعت وقع خطوات في الدار واذا ببهاء الدين قراقوش قد دخل وهو يقول « ان مولانا السلطان قادم . . »

فتهيأت سيدة الملك لملاقاته . ثم دخل صلاح الدين وهو يتلطف في القاء التحية فهمت بالنهوض له فاشار اليها ان تقعد وهو يبتسم وقال « اجلسي يا اختي . . . قد ابطأتُ في زيارتك هـذه المرة لغيابي عن مصر .. كيف انت ؟ ارجو ان تكوني في خير »

فلما سمعته يناديها بالاخوة انبسطت نفسها وقالت « طالما كنت مشمولة برضى السلطان صلاح الدين فانا في خير الحمد لله . . . »

قعد صلاح الدين على وسادة بين يديها وهو يشير الى قراقوش ان يقعد . وظلت ياقوتة واقفة . فقال صلاح الدين يخاطب سيدة الملك « ارجو ان تكوني حائزة على اسباب الراحة في هذا القصر »

قالت « نعم اني من نِعم السلطان لا ينقصني شيء من اسباب الراحة لان الاستاذ بهاء الدين لا يدخر وسعاً في هذا السبيل ... ويكفيني من اسباب السعادة ان يدعيني السلطان صلاح الدين اخته »

قال « فاذا كنت راضية عن هذه الاخوة لم يبق باعث لوضع هـذا النقاب على محياك . . » وضحك

فازاحت النقاب عن وجهها وقالت « نعم صدقت » واطرقت حياءً

شر اعماله وتتخلص منه وأحبت ان تتحقق صحة تلك الدعوة فقالت « نعم اعرف نقص هذا الرجل وسوء خلقه ومطامعه وسأبحث عن مكانه .. ولكنني ارجوان يكون سيدي على ثقة من الخبر واذا شاء ان يزيدني بياناً فانه يعينني على البحث »

قال « ان هذا الخبر تلقيته من عدة مصادر فشككت فيه حتى اتاني بشأنه كتاب من رجل لا اشك في صدقه كتب الكتاب بخطه وقد وصلني في فجر الامس سرًّا مع وفد ارسله الافرنج الموالون لاولئك الخائنين بحجة انهم يحملون اليَّ هدية من بعض ملوكهم وهم انما يحتالون في مقابلة تلك العصابة ليتموا المكيدة . . . وهذا هو الكتاب اذا طالعته اغناني عن زيادة الايضاح » قال ذلك ومدَّ يده الى جيبه واستخرج لفافة دفعها الى قراقوش ليقرأها

الفصل الثالث والاربعون

نص الكتاب

ففتحها بهاء الدين واخذ يقرأ « اكتب هذا الكتاب الى مولاي السلطان وانا في اعماق السجن في بيت المقدس . لا يسعني الوقت لتفصيل سبب سجني فان الكلام فيه يطول وانما اسرعت الى كتابته لانقل الى مولاي خبراً هاماً عرفته عن ثقة واخاف اذا تأخر وصوله ان ينتهي بما اكره وقوعه — علمت بعد خروجي من مصر بموت العاضد وانتقال الدولة الى مولاي السلطان وسمعت وانا في هذا السجن ان بعض رجال تلك الدولة يجتمعون سرّاً في الفسطاط يتآمرون على اخراج هذا الامر من حوزته . وقد خابروا الافرنج في هذه الديار على ان يهاجموا مصر بجند كثيف يجمعونه من هنا ومن صقلية وان اهل مصر يكونون معهم على جندكم . وان اولئك المؤتمرين يرأسهم رجل من العلويين اسمه ابو الحسن وهو الذي اغرى الناقمين على هذه الدولة فوافقوه واستنجدوا الافرنج . وقد وافقهم الافرنج واخذوا يتأهبون لهذه الحملة لكنهم هيأوا جماعة بصورة وفد يحمل هدية الى السلطان صلاح الدين من ملك الافرنج لكنهم بالحقيقة يريدون الاجتماع بتلك العصابة واتمام المؤامرة . وقد وفقني الله بواسطة صديق لي هنا ان اطلع على ذلك وان ارسل هذه الرسالة مع حامل هذا الكتاب وهو بحسب الظاهر من جملة خدم الوفد او هو دليلهم في الطريق . فدفعت اليه هذا الكتاب

فاجفلت وقالت « يتواطأون مع الافرنج على سلطانهم ! يا لها من خيانة .. » واطرقت لحظة ثم قالت « هل توثق سيدي من هذا الخبر ؟ »

قال « اني واثق تمام الثقة مما اقول . لان خبرهم جاءني من رجل اثق به وثوقي بنفسي . . قبحهم الله . . اذا كانوا يعدون خروج الدولة من الخلافة العبيدية الى العباسية شرًّا وكلاهما اسلاميتان فكيف بانتقالها الى الافرنج وهم اعداؤنا الالداء مذهباً ووطناً . فبدلاً من ان نتعاون على صيانة بلادنا منهم ندلهم على عوراتنا ونحرضهم على فتح بلادنا ؟ . هل رأيت اضعف رأياً من هؤلاء . . ألا يحلُّ قتل الساعين في ذلك ؟ » قال هذا وقد ارتفع صوته وابرقت عيناه رغم ما حاوله من تلطيف غضبه بين يدي سيدة الملك وقد عبث بعثنونه بحكه

اما هي فانها شاركته في الغضب واحست بنوع من الخجل لان الذين قاموا بتلك المؤامرة من رجال اخيها فقالت « نعم . . انها خيانة عظيمة . . ولكنني استغرب وقوع مثل هذا العمل من قوم عقلاء . . فربما كان الساعون فيه من بعض العامة الجهلاء »

قال « انهم من اكبر الامراء والاعيان وفيهم رجل يزعم انه من سلالة العبيديين اقربائكم . ولم نوفق الى القبض عليه مع من كان في القصر منكم . وحسبناه اكتفى بالنجاة من القتل واختفى لكنه الآن من اكبر المحرضين على هذه الخيانة . . اظنك عرفته . . ولولا دخوله في هذا الامر لم اتعبك في شرح هذه الواقعة . وانما اردت الاستعانة بك في استطلاع حاله لعلك تعرفين عنه شيئاً لانه كان اقرب المقربين لاخيك رحمه الله .. حتى انه كان طامعاً بولاية العهد بعده .. اظنك عرفته . . »

فعلمت سيدة الملك انه يعني ابا الحسن فامتقع لونها غضباً وقالت « عرفته نعم .. اظنك تعني ذلك الشريف الكاذب . . انه يدعي النسب فينا وليس هو منا . . . الا تعني ابا الحسن ؟ »

قال « اياه اعني .. انه من اكبر المنافقين الخائنين لانه جاءنا والمرحوم العاضد على على فراش الموت وتوسل الينا في نقل ولاية العهد اليه على ان يكون عوناً لنا في كل شيء فلم نوافقه . فانقلب الى دس الدسائس ونصب الحبائل فاطاعه جماعة من المارقين وسينال كل منهم جزاءه . . وانما التمس منك ان ترشدينا عما تعلمينه من مكان ابي الحسن » قال ذلك وهو يتلطف في السؤال بخفض صوته

فظلت ساكتة وقد تمنت ان يكون ما يقوله صلاح الدين صحيحاً ليقع ابو الحسن في

فوقف صلاح الدين يفكر في ما اتفق وقوعه في تلك الجلسة وقد سرّ لاطلاعه على ذلك السر لانه يحب عماد الدين ويريد اكرام سيدة الملك . وشكر الله لانه لم يوفق الى خطبتها لنفسه فقال لبهاء الدين « لقد سرني اطلاعي على ذلك فيجب علينا ان نسعى في جمع شمل هذين المحبين . . والحمد لله ان سعي الهكاري لم يتكلل بالنجاح »

فقال قراقوش « ويمكننا ان نتخذ سعينا في مصالحتها وسيلة لسعي هذه السيدة في المساعدة على كشف تلك المؤامرة لانها من اقدر الناس على ذلك . فاذا أخلصت الخدمة في هذا السبيل ساعدناها على مرامها . . »

فضحك صلاح الدين وقال « لله درك يا بهاء الدين . . انك لا تنظر في خير لاحد ان لم يعد جانب منه عليك .. احسنت »

قال « انما يهمني القيام بخدمة مولاي اعزه الله »

ثم تحول صلاح الدين نحو باب القاعة وسأل عن سيدة الملك فقيل له انها افاقت فدخل فرآها جالسة على وسادة وقد اطرقت خجلاً وبان التعب في محياها وذبلت عيناها . فتقدم نحوها وقال « قد علمت امرك وسرني ما علمته من علاقة حبيبنا عماد الدين بك . واعلمي اني باذل اقصى الجهد في تقصير مدة غيابه .. ولا يكون الا ما تريدين وقد اوصيت صديقي بهاء الدين ان ينظر في ما كنا فيه .. استودعك الله »

فوقفت لوداعه والخجل غالب عليها ولم تجب بلسانها لكن عينيها ادتا واجب الشكر . على انها لم تستطع السكوت عما يخالج فؤادها من الخوف على عماد الدين فقالت وصوتها يرتجف « ولكنه في اعماق السجن يا مولاي »

قال « انه سيأتي باذن الله واذا ظل في السجن فاننا نفتح بيت المقدس لنخرجه منه وان في فتحه تعزيزاً لدولة الاسلام .. لا تخافي » وابتسم ومشى مشية الاسد وهي تشيعه ببصرها وتزداد اعجاباً بعلو همته وكبر نفسه . ورأت انتقال السيادة اليه وذهاب دولة اخيها امراً طبيعياً لا بد من وقوعه لما كانت تعلمه من ضعف نفوس رجال اخيها وفساد آرائهم وتنازعهم على التافه من الامور شأن الدولة في اواخر عمرها

وبعد خروج صلاح الدين تقدم بهاء الدين اليها فقال « سأعود اليك بعد قليل ريثما ترتاحين كوني مطمئنة » وضحك

فاذا وصل اليكم ادفعوا الى حاملة مئة دينار واكرموه — اما انا فلا ازال هنا وسابقى حتى يتاح لي الخروج للقيام بالمهمة التي وقفت حياتي للقيام بها في خدمة مولاي السلطان — وانا ظافر بها باذن الله فاما ان اعود اليكم فائزاً منصوراً او اموت في هذا السبيل فداء لمولاي لان حياتي وحياة كل رجاله مبذولة في خدمته . . »

وكانت سيدة الملك تسمع الكتاب ونفسها تحدثها في اثناء ذلك ان الكتاب يتعلق بعماد الدين . فلما سمعت قوله في الفقرة الاخيرة يذكر المهمة التي انتدب لها خفق قلبها وتبادر الى ذهنها ان يكون هذا الكتاب من عماد الدين نفسه وخصوصاً لانه يقول برح مصر قبل وفاة اخيها . . فبدت البغتة في وجهها وتسارعت دقات قلبها ولم تمالك عند الفراغ من تلاوة الكتاب ان قالت « هل يامر السلطان ان اعرف من هو صاحب هذا الكتاب ؟ »

قال « ينبغي لنا حفظ اسمه لكنني نظراً لما بدا لي من غيرتك وصدق لهجتك لا ارى مانعاً من ذكره انه شاب جمع بين المروأة والحماسة وصدق المودة . . كنا قد انفذناه لامر هام لا يجسر عليه سواه لا اظنك تعرفينه » ووقع نظر صلاح الدين وهو يتكلم على نظر بهاء الدين قراقوش فقرأ في وجهه شيئاً يستدعي التوقف عن التصريح لكنه لم يدرك السبب ولا استطاع التوقف بعد ان وعد بالتصريح ونظر الى سيدة الملك فرآها متطاولة بعنقها وعيناها شاخصتان في شفتيه تكاد تحتلب الكلام من فيه احتلاباً فقال « ان صاحب هذه الرسالة اسمه عماد الدين »

لم يكد يتلفظ باسمه حتى صاحت سيدة الملك « عماد الدين آه عماد الدين » واغمي عليها . فدهش السلطان ونهض واسرعت ياقوتة الى الماء اخذت ترش سيدتها به وتفرك يديها واقترب بهاء الدين من صلاح الدين فاصغى اليه فقال له « كنت اشرت الى مولاي ان لا يذكر هذا الاسم . . »

فقال « وما الذي يعنيها من امره ؟ هل تعرف شيئاً عن ذلك »

فقال همساً في اذنه « عرفت شيئاً منه قبل سفره لكن ضياء الدين الهكاري منعني من ابلاغه لمولاي مخافة ان يفسد سعيه يومئذ في خطبة هذه السيدة » وضحك

فقال صلاح الدين « وما هي علاقتها به ؟ يظهر انها تحبه . . »

فأومأ اليه ان يتبعه الى غرفة اخرى ريثما تفرغ ياقوتة من معالجة سيدتها فتبعه فلما خلا به قص عليه ما كان من امر عماد الدين ليلة مجيئه الى القصر في السرداب وكيف وشى به ابو الحسن ولم يتمكنوا من القبض عليه الى آخر الحديث

اساء معاملته ولم يبق له فيه وطر بعد خروج مولاتي من ذلك القصر ودخولها في حياطة مولانا السلطان . فنفر منه وجاء يتزلف الينا .. هل استقدمه اليك الآن ؟ »

قال « افعلي »

فامرت احد الغلمان ان يستقدمه وعادت . فرأت سيدتها قد ابرقت عيناها من السرور وقالت لها « بورك فيك ياياقوتة انك ساهرة »

قالت « لا بد ان يعود كيد الخائن في نحره » ثم جاء جوهر وعيناه ترقصان في وجهه من الاضطراب — وكذلك بصر المنافق لا يستقر في مكانه

فنظر اليه قراقوش نظر المتفرس وقال له « ياجوهر بلغنا ان ابا الحسن خدعك حيناً حتى اخرجك عن طاعة مولاتنا .. لكن سرَّني انك رجعت الى الصواب وعلمت انك لاتنال خيراً الا بصدق الخدمة في مصلحة مولاتنا سيدة الملك ومولانا السلطان.. »

فاكبَّ جوهر على يد بهاء الدين يقبلها ويتظاهر بالندم والاخلاص وقال « يعلم الله اني كنت مغشوشاً فان ذلك الرجل خدعني واوهمني انه يد الامام المرحوم يفعل ما يشاء . ثم علمت انه يريد به شرًّا وانا قد ربيت في خدمة مولاي فلا يليق بي ان اغدر به . فاما تحققت سوء قصد ابي الحسن تركته لاني اكره الخيانة . ولا سيما بمن احسن اليَّ وانا صنيعته وعبده »

فقال قراقوش وهو يظهر انه صدقه « بارك الله فيك .. واعلم اني حسن الظن بك وسأزيد في عطائك ولا اسألك عما مضى . وانما اطلب اليك امراً واحداً هو هين عليك وفيه انتقام لك من ذلك الخائن هل تطيعني ؟ »

فلم يصدق جوهر انه نال هذه الرعاية بعد جناياته الماضية فقال « اني رهين الاشارة ياسيدي »

قال « اطلب منك ان تخبرني عن المكان الذي يجتمع فيه ابو الحسن واقرانه هل تعرف اين هو ؟ »

قال « ذلك هين ياسيدي .. نعم اعرفه واعرف الذين يجتمعون معه .. قبحهم الله .. كنت عازماً ان اطلعكم على ذلك وان لم تسألوني عنه فانه فرض علينا .. وكان يمنعني الخجل من خطأي الماضي »

فربت له على ظهره وضحك وقال « عافاك الله هل المكان بعيد من هنا ؟ »

قال « هو في الفسطاط ياسيدي .. »

قال « الآن تحققت صدقك لاني كنت عالماً انه هناك . فانا واضع ثقتي فيك من

الفصل الرابع والاربعون

جوهر

ولم يبق هناك الا سيدة الملك وياقوتة . فقالت ياقوتة ووجهها مشرق «الحمد لله قد صدق ظني ونلت ما كنتُ اريده »

فتنهدت سيدة الملك وقالت « ما الذي نلناه وقد تبين لي من نص ذلك الكتاب ان عماد الدين في اعماق السجن عند الافرنج وانه مصمم على مهمة يظهر انها في غاية الخطر وانه اذا لم يفز بها ظل هناك او ... » وغصت بريقها

فقالت « الا يكفي يا مولاتي اننا علمنا بوجوده حياً ؟ وان صلاح الدين عون لك في الوصول اليه ؟ وسيقتص من ذلك الخائن ؟ هيا بنا الى الطعام واتكلي على الله »

فنهضت وقد سري عنها وتناولت طعامها وحديثهما في اثناء ذلك عن المؤامرة وابي الحسن . وبعد الطعام اتى قراقوش — وهو يدخل المكان بلا استئذان — وقال « ياسيدة الملك اهنئك برضى السلطان صلاح الدين فانه اوصاني بك خيراً .. انما ينبغي لنا ان نكتشف مكان تلك المؤامرة فهل تعرفين عنه شيئاً ؟ »

فاطرقت تفكر ثم قالت « انى لي ذلك وانا لا اعرف شارعاً من شوارع هذا البلد لاني قضيت عمري محبوسة في القصور »

فتصدت ياقوتة للكلام وقالت « ان كشف هذا المخبأ عليّ »

فقال قراقوش « اين هو ؟ »

قالت « لا اعلم ولكنني ارجو البلوغ الى خبره .. الا تعرف الغلام جوهر ؟ »

قال « اعرفه . . الم يكن من غلمان القصر ؟ »

قالت « نعم . وهو جاسوس ذلك الخائن كان يحمل اليه اخبارنا ويطلعه على اسرارنا »

قال « وما الفائدة من معرفته ان كان هذا شأنه وهو خائن لنا ؟ »

قالت « ان الخائن لايثبت في الامانة لاحد . كان في الامس اميناً لابي الحسن علينا وهو الآن سيكون اميناً لنا عليه »

قال « اين هو ؟ »

قالت « هو في هذا القصر وقد اخبرني بعض الغلمان انه غاضبٌ على ابي الحسن لانه

الفصل الخامس والاربعون

الفسطاط

مشى قراقوش وجوهر في خدمته وكان جوهر مملوكاً حبشياً وفيه ذكاء لكنه لم يكن له ضمير كما علمت فالتفت قراقوش اليه في اثناء الطريق وقال « يا جوهر ما العمل الآن ؟ »

قال « الامر لمولاي »

قال « انا متكل عليك في الوصول الى الغرض . . اريد ان اطلع على مجتمع القوم واسمع حديثهم هل يتيسر لك ذلك الليلة ؟ »

قال « نعم ياسيدي نذهب بعد الغروب اذا شئت »

قال « الى اين ؟ »

قال « الى الفسطاط لان القوم يجتمعون في بيت هناك اعرفه ولا يمكن ان يهتدي اليه سواي . . فانه في دار خربة لا يتصل اليها الا من ازقة ضيقة مظلمة .. ولا بد من التنكر »

قال « وماذا ترى ان نفعل ؟ »

قال « ارى يتنكر مولاي الاستاذ بلباس طبيب نصراني وانا اكون في خدمته احمل له جراب العقاقير واقود بغلته »

قال « هذا هين »

ووصلا بعد هنيهة الى منزل قراقوش فدخلا فامر قراقوش ان لا يدخل البيت احد من الناس ولو انه السلطان صلاح الدين نفسه . وامر جوهر ان يعد ما يلزم للتنكر وسأله عن محل الاجتماع اين موقعه في الفسطاط فقال « قرب جامع عمرو » وعين النقطة . فتركه يهيئ ما يلزم واخذ في اعداد فرقة من الجند تسبقه لتتربص في خان قرب ذلك المجتمع ودبر الوسيلة للاحاطة بالمنزل عند ابداء الاشارة

اعد كل شيء قبل الغروب ولم تغب الشمس حتى كان قراقوش قد تزيا بزي الاطباء النصارى بالزنار على وسطه والعمامة على رأسه واعدت له البغلة . ومشى جوهر في ركابه ولا يشك من يراهما انهما الطبيب وغلامه

برحا القاهرة عند الغروب وقطعا المسافة بينها وبين الفسطاط بسرعة . ثم اطل

هذه الساعة . وانت تعلم ان ثقتي هي ثقة مولانا السلطان ولا يخفى عليك ما يستفيده صاحب هذه الثقة .. اصلح ما افسدته ياجوهر. وقد اوصتني مولاتنا سيدة الملك خيراً بك واخبرتني كم كنت مخلصاً في خدمتها قبلاً . ولكن ذلك الخائن اغراك على هذه الخيانة . مضى ما مضى . . تعال معي » قال ذلك وتحوّل وتبعه جوهر وقد بادر الى العمل قبل ان يحدث ما يغير عزم ذلك الغلام المتقلب . وصمم ان لا يفارقه قبل الوصول الى المطلوب

على انه تذكر امراً احب ان يقوله لسيدة الملك قبل الذهاب فرجع اليها وقال « ينبغي ياسيدتي ان تتكلي عليّ بكل ما يخطر لك . . ولا بد انك تذكرين اطلاعي على مجيء عماد الدين الى قصرك واحمد الله على انه نجا سالماً »

فاغتنمت تقربه اليها وتلطفه في طمأنتها وقالت « اما وانت مشعرٌ معي وقد رأيت السلطان راضياً عني اتقدم اليك ان تزيدني بياناً عن حال عماد الدين »

قال « لا اعرف عن حاله الآن غير مافي كتابه الذي تلوته عليك الساعة . . »

قالت « اعني هل عليهِ خطر هناك ومتى تظنه يعود ؟ »

قال « لا اعلم متى يعود اما الخطر فلا اخافه عليه لعلمي بشجاعته وتعقلهِ ولا بدّ من الاتكال على الله . . كوني مطمئنة في كل حال » قال ذلك ومشى

فهرع جوهر في اثره وقد سرّه ما يؤمله من الفوز بالمكافأة — لا يهمه ما يترتب على عمله من قتل النفوس وخراب البيوت — ان امثال هذا الخائن ينقصهم الشعور الحي الذي يسمونه الضمير. فهم ينظرون في الاعمال من حيث ما يعود عليهم من النفع ولا يشعرون بغير ذلك . والدنيا عندهم لها وجهان وجه منفعتهم وهو ماينبغي بقاؤه واما الوجه الآخر فهو كالعدم في نظرهم فلا يبالون ان يمحي من الوجود او يساق اصحابه الى المجازر. وقد يسرهم ما يرونه في الآخرين من الاذى وان لم ينالوا هم منه خيراً لانفسهم . فكيف اذا كان لهم منه نفع — نعوذ بالله من هؤلاء . . لكنهم بحول الله قليلون ولو كانوا كثاراً لخربت الدنيا من عهد بعيد



الطرق وقال « اذا رأيتم مصباحاً يتحرك فوق احد هـذه الاسطحة حركة رحوية اهجموا على هذا البيت من كل ناحية واقبضوا على من فيه » وعاد فادار شكيمة بغلته وجوهر يقودها حتى دخل الزقاق المطلوب ووصل الى باب دقه وقراقوش لا يزال على البغلة ففتحت خوخته واطل رأس رجل شيخ قـد تدلى سالفاه على خديه

وقال « من الطارق ؟ »

فتقدم جوهر وقال « الطبيب سمعان .. افتح . . »

قال « وماذا يريد الطبيب منا ليس عندنا احد مريض »

قال « لم يأت للتطبيب لكنه يريد المبيت هنا وهو من اهل القاهرة وقد جاء للسفر في النيل فوجد السفينة التي يريد السفر عليها قد اقلعت فاراد المبيت في الفسطاط الى الصباح حتى يبكر الى الشاطيء ويركب سواها . افتح يا عماه . . »

قال « لماذا لم يذهب الى الخان انه قريب من هذا المكان »

قال « لا يريد المبيت في الخان وهو لم يتعود ذلك وانا اتيت به الى هنا خدمة لك » وهمس في اذنه قائلاً « يظهر انك لم تعرفني يا معلم حايم »

فتفرس فيه الشيخ وقال « عرفتك يا جوهر العفو اني لم اعرفك من قبل »

قال « لا بأس . . وانا جئت بهذا الطبيب ليبيت هنا وهو كريم الخلق كثير المال لا يبالي كم تأخذون منه . . والاحسن ان تخلوا له البيت برمته واطلبوا عن كل حجرة منه ديناراً واذا قال لـكم انه يحتاج الى حجرة واحدة فقط قل له انك لا ترضى الا بتأجير البيت برمته . . »

ففرح حايم بهذا الرأي ولم يكن في بيته كله ما يساوي دينارين من الاثاث . فلما قال له جوهر ذلك رفع صوته وقال « لا نقدر ان ندخل رجلاً غريباً يبيت معنا فاذا شاء الطبيب ان نؤجره البيت من بابه فعلنا »

فقال جوهر « كم اجرته ؟ »

قال « هو خمس غرف واجرته خمسة دنانير »

فتظاهر جوهر انه يخادع قراقوش بالمساومة وقال « ان خمسة دنانير كثيرة يا معلم حايم . الا يكفي اربعة ؟ » وضغط على اصبعه ان لا يقبل

فاجاب « كلا اذا لم يعجبكم فهذا هو الخان قريب من هنا »

فاظهر انه رضي وقال « لا بأس .. طيب ان مولانا الطبيب كريم . وانتم اين تنامون ؟ »

قراقوش على الفسطاط من مرتفع فرأى آثار الحريق لا تزال ظاهرة فيها وقد خربت اكثر ابنيتها بامر شاور منذ بضع سنين (سنة ٥٦٤ هـ) اذ خاف شاور الوزير من وصول الصليبيين اليها واستيلائهم عليها فامر اهلها بالخروج منها الى القاهرة والقى النار فيها وامر بنهبها . فانتقلوا ونهبت المدينة وافتقر اهلها وذهبت اموالهم . وظل الحريق عاملاً فيها ٥٤ يوماً [1] فاختلطت الازقة حتى اشتبهت على المارة . ولولا جوهر ومعرفته الشوارع جيداً لاستحال على قراقوش الوصول الى المكان المطلوب . ولكن ذلك الحبشي كان يقود البغلة ويتخطى الخرائب كانه ماش في داره . ودليله الاظهر مأذنة جامع عمرو فانها كانت بارزة في الفسطاط دون سواها

لم يتجاوزا جامع عمرو حتى خيم الغسق واظلمت الدنيا وقلّ الناس في الشوارع والمتأمل في الفسطاط يجد فرقاً كبيراً بينها وبين القاهرة فان هذه اكثر عمارة وحشمة واضخم خانات واعظم آثاراً . سكن الامراء فيها لانها خاصة برجال الدولة واما الفسطاط فانها مقر الباعة والصناع ويكثر فيها السوقة والملاحون لقربها من النيل وقد زادها ذلك الحريق حقارة

وكان قراقوش لما توسط المدينة ورأى نفسه منفرداً هناك مع جوهر خطر له ان ذلك الحبشي ربما ينوي الغدر به وهو خائن لا يركن اليه فالتفت نحوه وقال « اين نحن يا جوهر يظهر اننا قد بعدنا عن المكان الذي ذكرته وتجاوزنا جامع عمرو . . »

قال « ثق يا مولاي انني ذاهب بك الى المكان المطلوب . وقد تجاوزناه الآن حقيقة كما قلت ولكنني اريد ان نشرف عليه من منزل آخر بابه في شارع آخر . . . ألا تريد ان ترى القوم مجتمعين وتسمع ما يدور بينهم ؟ »

قال « بلى . . لكن تمهل قليلاً » قال ذلك وتفرس بما يجاوره فعلم انه على مقربة من الخان الذي اوصى الجند ان يتربصوا فيه فقال « اخبرني يا جوهر اين هو البيت الذي يجتمعون فيه ؟ دلني عليه باصبعك من هنا »

فاشار باصبعه قائلاً « ألا ترى هذا النور المعلق على تلك السارية »

قال « رأيته »

قال « ترى وراءه بيتاً خرباً انهم يجتمعون في داخله »

فتحول قراقوش ببغلته الى الخان فلقيه قائد الفرقة بالباب فاوصاه ان يفرق جنده حول ذلك البيت من كل ناحية بحيث لا يشعر به احد ولا يظهر احد من رجاله في

---

(١) تاريخ مصر الحديث ٣٥٠ ج ١ — طبعة ثانية

قال « ليس عندي الا امرأتي العجوز فنبيت عند صهرنا وهو قريب من هنا »
فتحول جوهر الى قراقوش قبض منه الدنانير ودفعها الى الشيخ وهو يقول له همساً
« هذه هي الدنانير لكن ينبغي ان تختصني منها بدينار تدفعه الي غداً صباحاً فهمت »
قال « حسناً » وهو ينوي ان لا يدفع اليه شيئاً . بل عزم ان ينتحل حجة في الصباح يقبض بها ديناراً سادساً فيدعي انهم اضاعوا شيئاً من الاثاث او نحو ذلك
ثم تحول الشيخ الى الداخل وعاد بعد قليل والمصباح بيده ومعه امرأته وهي تقول
« يظهر ان هذا الضيف عزيز عليك حتى اخرجتني من البيت لاجله »
فقال « كيف لا » واشار الى بهاء الدين ان يتفضل . فتحول بهاء الدين عن بغلته فادخلها جوهر تحت قنطرة بجوار المنزل شدها الى حلقة دقت هناك لمثل هذه الغاية . ودخل . ودفع حايم المصباح الى جوهر وانصرف وهو يوصيه بالبيت خيراً

الفصل السادس والاربعون

الجلسة

وما صدق قراقوش انهما دخلا البيت ولم يبال بما يتصاعد عن دهاليزه من الروائح القذرة . فاقفلا الباب واوصداه ومشى جوهر بالمصباح بين يدي قراقوش وهما يسترقان الخطى لئلا يسمع لهما صوت . ولم يمشيا طويلاً حتى سمعا ضوضاء عميقة فقال جوهر
« نحن بجانب مجلس القوم ليس بيننا وبينهم الا الحائط .. اصبر قليلاً »
وكان قراقوش منذ خروجه من منزله يتحفز للدفاع عن نفسه ويده على خنجره ليغمده في صدر جوهر اذا آنس منه خيانة . فلم يلاحظ منه شيئاً فلما استمهله وقف وهو يحدق فيه فاذا هو يشير اليه ان يصعد على سلم ضيق يؤدي الى سقيفة في اعلى الغرفة فصعد معه ومن هذه السقيفة اتصلا الى السطح من باب ضيق كالمنور . ورأيا السماء فوق رأسيهما ونظر بهاء الدين الى ما يحيط بهما فاذا هما والاسطحة حولهما . فقال جوهر بصوت ضعيف لنترك المصباح على السقيفة ونمشي في الظلام لئلا يفتضح امرنا »
فاطاعه ومشى والضوضاء تزداد وضوحاً حتى انتهى به الى حائط فقال « هذا حائط آخر من حيطان قاعة الاجتماع »

التجاريب

لولي الدين بك يكن

هي مجموعة مقالات اجتماعية ادبية . وكفى بشهرة مؤلفها وصفاً وهو ذلك الكاتب الكبير والشاعر الخيالي القدير الذي طالما ترنمت القراء بآياته واعجب عشاق الادب بدرر معجزاته — ثمنه ٥ غروش صاغ واجرة البريد غرش واحد — ويطلب من ادارة ومكتبة الهلال بالفجاله بمصر

عيادة الدكتور **نقولا بيطار** والدكتور **امين بهجت**

حكيما الاسنان على الطرق الحديثة

بشارع عبد العزيز نمرة ٢٩ تلفون نمرة ١٣٥٦

من الساعة ٨ صباحاً الى الظهر ومن الساعه ٣ الى ٦ عدا ايام الآحاد والاعياد

The Gresham Life
Assurance Society Limited

شركة جريشام ليمتد لضمانة الحياة

تأسست في لندره عام ١٨٤٨

حالة الشركة في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٧

راس مالها الاحتياطي	٢٤٥,٥٠٦,٦٦٤	فرنك
مدخولها السنوي	٣٥,١٤٨,٧٥٦	«
المدفوع للمؤمنين	٥٨٧,٦٢١,٨٥٠	«

مجلس الادارة في القطر المصري

رئيس . السير جون روجرس ك . س . م . ج .

ف . ه . رسل من محل الخواجات رسل وكر وڤيبات

الدكتور هربرت ملتن . ج هيوم . نائب حاكم البنك الاهلي المصري

اذا دفعت مبلغاً جزئياً كل سنة لهذه الشركة فهي تضمن لك ذخيرة لشيخوختك أو مهراً لابنتك او رأس مال لابنك .

وهي تعطي أيضاً سلفيات مع تامين على الحياة على رهن عقارات بفوائد متهاودة جداً !

وجميع الاستعلامات تطلب من فرع الشركة للقطر المصري فلسطين والشام

الكائن بشارع سليمان باشا . القاهرة ١٠ — ١٩ — ١٠

(نوادر الادباء) ثمن النسخة مجلدة ٥ غروش والبريد غرش بادارة ومكتبة الهلال بمصر

(علم قراءة اليد) هو كتاب نفيس طبع من احدث ما ظهر بهذا الفن مترجما عن اللغات الاجنبية فيه ٢٠٠ صفحة و ٢٩ رسما بورق جيد ثمنه ١٠ غروش صاغ ما عدا ...

(فراسة الوجه) ثمن النسخة مجلدة ١٠ غروش والبريد غرشان